



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الحاج لخضر باتنة

قسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب واللغات

أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي النائلي

- تحقيق ودراسة -

مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية

تخصص: تحقيق المخطوطات ونشرها

إشراف الأستاذ الدكتور:

معمار حجيج

إعداد الطالب:

صالحه بن عبدالله

لجنة المناقشة

الإسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
أ.د / محمد منصوري	أستاذ التعليم العالي	جامعة الحاج لخضر باتنة	رئيساً
أ.د / معمر حجيج	أستاذ التعليم العالي	جامعة الحاج لخضر باتنة	مشرفاً ومقرراً
د/ عبد الله خنشالي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الحاج لخضر باتنة	عضواً مناقشاً
أ.د / امحمد فورار	أستاذ التعليم العالي	جامعة بسكرة	عضواً مناقشاً

السنة الجامعية: 2014 - 2015م

1435 - 1436هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا

بِمِثْلِهِ مَدَدًا) — صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ — سورة الكهف: الآية 109

إهداء

إلى روح أُمِّي التي طالما وفقت بجانبني نذرف عبرات حمرى معي كلما

حمل الصيف اللعيس منزرا بمقاطعة الدراسة بإيعاز من أُمِّي - رحمه الله -

وإلى أُمِّي الطاهر رحمه الله الذي كان لي بمثابة سند قوي، يدافع عن حملي في

الحصول العلمي

وإلى زوجي الذي أكتل المتوار وحقوقي لسي أمانتي التي كانت تراوطني في كل طور

من أخطوار مساري التعليمي مساعدا ومنتجعا لسي

وإلى فلزني كبري رحمه ومحسن

مقدمة

حمدا لمن بيده زمام الأمور يصرفها على النحو الذي يريده، هو الفعال لما يريد إذا أراد أمرا فإنما يقول له كن فيكون .

وصلاة و سلاما على النبي العربي الأمي، وعلى آله وإخوانه من الرسل والأنبياء وصحبه.

وبعد

لكل أمة من الأمم تراثها الخاص بها، والذي يمثل رصيدها الثقافي، والفكري ويعكس تطورها الحضاري، وتقدمها في العلوم والآداب.

وللأمة العربية كما لغيرها من الأمم العريقة في الحضارة تراث أدبي، وعلمي يضم في تخصصاته المختلفة كنوزا من العلوم، ونفائس من المعارف، ممتدا عبر حقبة زمنية طويلة تقدر بخمسة عشر قرنا. وعلى الرغم من طول هذه الحقبة وامتدادها عبر عصور خلت، فهو مازال يحمل في كثير من جوانبه معنى الابتكار والتجديد، مما جعله يكتسب موقعا مميزا في الحضارة الإنسانية، لما قدمه من ألوان المعرفة التي حوتها المخطوطات العربية، والتي كانت بمثابة مستودع ثري لفضائل علمية زاهرة، لم تترك فيها مجالا إلا واقتحمته، ولم تجد زاوية من زوايا الحياة إلا ولجتها بروح علمية مجربة وفكر إنساني مجرد، وتجربة صائبة، مما هيأها بأن تكون مجالا رحبا في حقل الدراسات والبحوث الأدبية واللغوية، وبذلك أسهمت في بعث حضارات إنسانية اندثرت أو كادت. والأدل على ذلك العالم الغربي الذي اعتمد في بناء حضارته على ما أحرزه العرب في العلوم والمعارف وما نقلوه، وما أضافوا إليه من تراثهم العظيم وكما أن لهؤلاء العلماء أثرا كبيرا على التقدم في عالم الغرب كذلك؛ فإنهم كانوا جسرا يربط بين ماضي الأمة الذي يدعو إلى الفخر وحاضرها، الذي نسعى فيه نحو التقدم والازدهار .

والحديث عن التراث، حديث عن مجد الأمة العريق، كما أنه حديث عن المسيرة الإنسانية، التي استطاع فيها أبناء هذه الأمة تقديم كل حقيقة جلييلة، ومكرمة خالدة ونتاج إنساني نافع أفاد منه الغرب، وسارع بنقله إلي لغاته، وأولها اللاتينية، التي كانت لغة

الثقافة في أوروبا، ويرجع ذلك إلى القرن الثاني عشر الميلادي، و لم تكن الترجمة وحدها قناة اتصال لعبور هذا الزخم التراثي فحسب، بل أن هناك من تعلم اللغة العربية من الباحثين في إسبانيا لتحقيق الغرض ذاته، ومن ذلك الحين زاد الاهتمام بدراسة اللغة العربية لأهميتها في فهم حضارة العرب والإسلام، ولترجمة المخطوطات التي كانت تعكس هذه الحضارة وتظهرها للعالم.

ثم امتدت حركة الاستشراق بعد ذلك لتشمل كل أصقاع العالم العربي شرقه وغربه، ومنها الجزائر، فضلا عن الترجمة حيث صدرت عن معهد الدراسات الشرقية بجامعة الجزائر ترجمة هي الأولى من نوعها للمخطوط العربي .

وفي الوقت الذي كان المستشرقون ينشرون المخطوطات متدرجين في الاعتناء بها تحقيقا ونشرا، حتى اكتمل نضجها مع منتصف القرن التاسع عشر، طفق العرب آنذاك بعد أن استفاقوا مما أصابهم من ضَعْف، وركود، وتخاذل،قطعهم عن ماضيهم التليد المملوء بالحيوية، والابتكار، يصلون ما انقطع من أسباب مجدهم، حيث بدأ الاهتمام بإحياء الكتب القديمة، وتحقيقها ونشرها نشرا أوليا لا يختلفون فيه عن نشر اليونان، والرومان لتراثهم في بداية حضارتهم، ومن أمثلة ذلك الأجرومية في النحو.

ولعلنا إذا ما أردنا البحث عن الأسباب التي باعدت بينهم وبين ثروتهم الفكرية والأدبية القديمة والتي كانت تزخر بها مكتبات العالمين المشرقي، والمغربي العربيين وامتلات بها خزائنهما، يتعين علينا أن ندرك جسامة تلك الحملات الأوروبية الغازية والتي بقدر ما انتفعت بالتراث وترجمته واستفادت بمختلف كنوزه من العلوم ونفائسه من المعارف بقدر ما لعبت به يد الفساد والإتلاف منذ سقوط بغداد في يد التتار، وهي طبيعة متأصلة في كل محتل غاصب، ولعل الاستعمار الفرنسي هو الأخطر والأشد ضررا والأقوى همجية، والذي نهب جنوده الكثير من المخطوطات العربية القيمة وهذا ما يفسر حالة الاغتراب التي تعيشها مخطوطاتنا في المكتبات الشهيرة في العالم الغربي ودور المخطوطات والوثائق وخصوصا في تركيا وبريطانيا وألمانيا.

وانطلاقاً مما سبق، وفي غمرة الاهتمامات المخلصة بالقيام بدراسة جزائرية صرفة، وفي نشوة الإيمان بأن الأدب العربي في الجزائر لا بد أن يلقي الإنصاف والمساهمة في نفض الغبار عن دفائنه، ارتأيت أن يكون عملي المتواضع لبنة ولو صغيرة في صرح تحقيق التراث، لأنه تراث أمتنا يجب أن ننهض بعبء نشره محققاً تحقيقاً علمياً يقربه إلى أذهان أجيالنا ويشدهم إليه، ويعتبر ذلك أقل ما يحتاجه منا هذا التراث؛ لأن إحياءه مبعث فخر واعتزاز لنا بمنجزات الماضي ودورنا الفاعل في مسيرة الحضارة الإنسانية، ومهما يكن من أمر فإن إحساسنا بتراثنا المخطوط هو إحساس طبيعي بالماضي، وحاجة الحاضر إليه، ومن الرائع أن يكون الإنسان على صلة بالماضي التليد، دون أن يغيب عنه الحاضر المجيد.

ووفاء لمن أعطوا علماً وأدباً في وقت ما، وحسب إمكانياتهم وظروفهم، ووفاء كذلك لأنفسنا وأبنائنا، وقع الاختيار على شاعر جزائري صريح، ألا وهو عبد القادر ابن إبراهيم النائلي المسعدي والذي عفاه الزمن، وطواه القلم في غمرة النسيان، على الرغم من معاصرته للكثيرين ممن قامت حولهم دراسات مستفيضة، ومن بين هؤلاء عبد الرحمن الديسي أحد أصدقائه المقربين، ورفيق دربه، وابن بيئته، واللذان طالما تزاورا وتبادلا الرسائل، مما رغبني أكثر في إمطة اللثام عن هذه الشخصية، التي لم تحظ بالدراسة – كما أسلفنا الذكر –، وهذا ما حدا بالإشكالية إلى طرح جملة من الأسئلة بين يدي البحث منها: ما هو سبب إغفال أحد رجالات العلم والتربية على الرغم من كونه صالح وجال في كل اتجاه؟ – وما هو سبب الاهتمام ببعض من عاصروه دون أن يولوه أدنى اهتمام؟ – وما هو سر إجماع بعض المترجمين الذين حفلت مصنفاتهم بتراجم مسهبة لأعلام بعينها، ومروا عليه مرور الكرام؟ – ألم يكن هذا التجاهل سبباً في ضياع الكثير من إرثه الأدبي؟ أم أنه كان غريباً عن هذا المجال كغريبته في مجتمعه؟

وللإحاطة بالإشكالية ومحاولة الإجابة عن أسئلتها الرئيسية، وتحليل ما يتفرع عنها من أسئلة جزئية ومناقشتها، انطلقاً من التعريف بهذه الشخصية المغمورة وإبراز ما جادت به قريحتها من خلال تلك المجموعة الشعرية، والتي هي موضوع الدراسة

وقطب رجاها لاستخلاص فكرة واضحة عن الظاهرة الأدبية في الجزائر والبواعث التي تقف وراءها وهو ما يتم الإشارة إليه بشيء من التفصيل، من خلال خطة البحث وهيكله، والذي قسم إلى تمهيد حاول البحث أن يبرز من خلاله مكانة هذه النفائس ومدى أهميتها، وأسبقيتها، وإسهامها في بناء الحضارة الإنسانية، كما اشتمل على قسمين، ضم القسم الأول فصلين موضوعه: التحقيق، اشتمل الفصل الأول على نسخ المخطوط المزمع دراسته، وتناول الفصل الثاني وصف المخطوط، وتحقيقه، وتبيان حيثياته.

أما القسم الثاني: فقد انصب حول الدراسة واشتمل على أربعة فصول، إذ خصص الفصل الأول للتعريف بالشاعر، وتسليط الأضواء على العصر الذي عاش فيه مع بيان منزلته وعصره، مع الإشارة إلى الحياة العامة بمختلف مناحيها، من سياسية واجتماعية وثقافية لاستجلاء مدى تأثيرها على الشاعر.

أما الفصل الثاني: فتناول أشعاره وأغراضه، وهي ذات موضوعات تقليدية طرقها الشعراء منذ العصر الجاهلي، إلا أنها لا تخلو من بعض الجدة، حيث ألبسها لبوسا حديثا من خلال إعطائه صورة واضحة عن البيئة التي عاش فيها، وصورها تصويرا صادقا غير مصطنع، إبان فترة كانت موبوءة بكل الأدواء، وهذا ما سنقف عليه من خلال أشعاره التي تفسر كل هذه المذكورات وتمدنا بمادة خصبة.

أما الفصل الثالث: فقد خصص للأبعاد التي تم التوصل إليها بعد دراسة شاملة لشعره والمتمثلة في أبعاد ثلاثة وهي: (1) البعد الديني (2) البعد الفكري (3) البعد الاجتماعي علما بأن البعد الديني قد حظي بالنصيب الأوفر، لأن كل شعره كان ذا مسحة دينية لا يكاد يخلو منها بيت واحد، وهي ظاهرة أدبية عامة انسحبت على جل شعراء تلك الفترة.

وأما الفصل الرابع: فقد تطرق فيه البحث إلى الدراسة الفنية بكل عناصرها من لغة وصورة وإيقاع.

فاللغة على الرغم من سهولتها إلى حد كبير، فهي لا تخلو من غرابة وغموض؛ إذ نزع المسعدي إلى اقتناص غريب اللفظ وحوشيه، والذي يحيل المتلقي حتما إلى القواميس

بحثا عن مدلولاتها، وقد يتعذر عليه أحيانا معرفة المراد منها، ولعل ذلك راجع إلى اقتفائه أثر فطاحلة الأدب، وأساطين الشعر، كابن الرومي والمتنبي وأصراهما.

إن طغيان الروح التقليدية لم تكن على مستوى اختياره للكلمات، ونسجه للعبارات وتركيبه للجمل فحسب، بل انسحبت على مستوى التصوير الشعري الذي لا يخرج عن إطار التشبيه والاستعارة والكناية، فضلا عن رموز بعض الشخصيات، التي استخدمها الشاعر بين الفينة والأخرى والتي استوحاها من التاريخ الإسلامي، ناهيك عن فضاءات أثرية لها أثرها وصداهها في عهدها وأزمنتها.

وتظل روح التقليد سارية في نسيج شعره لتمتد إلى الإيقاع وتشكيلاته والتي حافظ فيها على عمود الشعر وأوزان الخليل، مؤثرا أوزانا على أخرى على غرار الشعراء الجزائريين العموديين، والذين اقتفوا أثر القدامى في تشكيلاتها الموسيقية وإيقاعاتها الرنانة.

وأنتهي البحث بخاتمة أجملت فيها بعض النتائج التي توصلت إليها الدراسة. ومن أجل إنجاز هذا البحث، والإجابة عن إشكاليته بطريقة منهجية، والإمام بجميع جوانب دراسته، تم الاعتماد على جملة من المصادر، والمراجع، والمتمثلة في: كتاب (تاريخ الجزائر الثقافي) بأجزائه الثلاثة لأبي القاسم سعد الله، وكتاب (هذه هي الجزائر) لأحمد توفيق المدني، وكتاب (الجزائر: الأمة والمجتمع) لمصطفى الأشرف فضلا عن كتب التحقيق، ومن أهمها: (تحقيق النصوص ونشرها) لعبد السلام محمد هارون، وكتاب (منهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين) لرمضان عبد التواب وقد تمت الاستفادة من دوريات، ومواقع الكترونية ورسائل جامعية، وأخص بالذكر رسالة الماجستير للدكتور الأستاذ المشرف — حفظه الله و أمده بطول العمر — الموسومة بـ(البعد الوطني والقومي والإسلامي، في ديوان التراويح وأغاني الخيام لأحمد الطيب معاش (دراسة تحليلية)، والتي كانت بالنسبة إلي بمثابة الأضواء الكاشفة التي أنارت لي الطريق للوصول إلى ما أبتغيه وأرجوه .

وقد اعتمدت الدراسة منهجا متكاملا يشكل انعكاسا للفترة وللبيئة المدروستين ولذا استعان بالبحث بالتاريخ في فهم النصوص وموقعها منه، وبالمجتمع في فهم

ملابساتها وأصدائها، ولم يغفل السياسة التي تعتبر المنطلق الرئيسي للشعر الجزائري ناهيك عن الرواية والاتصال الحي بالأشخاص في كثير من المواقف، والذين لهم اهتمامات أدبية، وثقافية، وتاريخية معروفة في الجزائر.

ومن هذا المنطلق، وعلى الرغم مما ذكرته من هذا الزخم من المصادر والمراجع، يمكن الإقرار بأن هذا البحث كُتِبَ في جو علمي ضئيل تنقصه الكثير من المعلومات، كما تعوزه الكثير من الوثائق التي من شأنها أن تثير سبل البحث وتجلي غموضه، وتذلل عقباته، مما استدعى التنقل من زاوية إلى أخرى لا بحثاً عن المخطوطات فحسب، بل على جمع المعلومات المتعلقة بهذه الشخصية المغمورة، مما حدا بالدراسة أن تعتمد على الجهد الخاص في أغلب الأحيان، لجمع شتات معلومات من هنا وهناك من خلال جرائد ومجلات فضلا عن مسموعات فورية آنية، ولعل ذلك يرجع إلى قلة الدراسات في الأدب الجزائري الذي لازال إلى يومنا هذا لم يجمع في مصادر يمكن أن يرجع إليها القارئ والدارس دون عناء وجهد.

وأنا على يقين أن جهد هذا البحث متواضع، كما لا أزعم بأنني استطعت أن أحقق الغاية وأشبع طموحي، وأكسب رضا من تكرم بالاطلاع عليه إلا أنه حسبي أنني اجتهدت وحاولت وقدمت تحليلا لا أدعي أنني حققت من خلاله غايتي، لكونه يمثل وجهة نظر أحادية خاصة في كثير من الأحيان، قد تصيب وقد تخطئ، على أن أبواب الاجتهاد ستبقى مفتوحة ولا سيما في الدراسات الأدبية، ذلك أنها لم تعرف الكلمة القاطعة ولا الرأي الأخير، وقد يتعدد الصواب وتختلف فيها لآراء حيناً وتتفق أحيانا والاختلاف يكون كذلك مقبولا وهو ظاهرة صحية ولا سيما في الدراسات الفنية التي تعتمد الذوق في أحكامها وهذه الأخيرة نسبية في الاعتبار الأول

وحسبي منه أيضا أنني أخلصت النية على الرغم من كونه أرهقني وكلفني الكثير من الجهد، والكد، والوقت، والطاقة إلا أن المساعدات التي قدمت لي قد خففت من وطأة تلك المتاعب وجعلتني استمر في عملي لإخراج هذا البحث.

والفضل الأول يرجع للأستاذ الفاضل الدكتور معمر حجيج لما بذله معي من جهود معتبرة ومن توجيهات سديدة طوال مدة البحث، والتي كانت حافزا ومشجعا على

العمل، كما أنه من واجبي الإفصاح أيضا عن شكري وتقديري العميق لأساتذتي الذين أخذت عنهم العلم والمعرفة طيلة السنة التحضيرية، دون أن أنسى كل من قدم لي يد العون ومن بينهم أمين زاوية الهامل الذي أمدني بهذا المخطوط.

وختاما هذه أولى خطواتي على مدارج البحث العلمي جاءت بعد مخاض عسير يحدوها الأمل، ويحفزها الطموح، وتدفعها الإرادة نحو المزيد...

فإن كنت قد وفقت في عملي هذا، فذلك من فضل الله سبحانه وتعالى وهو العون المرجو.

إذا لم يكن عون من الله للفتى *** فأول ما يقضى عليه اجتهاده
فإنني قد حاولت مخلصا كما أشرت سابقا، والله يجزي المخلصين.
وما توفيقى إلا بالله، فعليه توكلت وإليه أنيب.

الحمد لله رب العالمين. والسلام على رسول الله وآله وصحبه أجمعين
وتعد هذه كراسة بفتح السيد علي بن أبي طالب المازندراني قدس سره
كلية من مؤلفاته ونال فيها الشيخ محمد باقر بن محمد باقر آل كاشغري
ويشتمل على بعض الفوائد من مديح أمير المؤمنين مؤلفها كرامة الله. وقد بحثنا
على الموضوع الموقر الرائدة من إنشاء الشيخ كتمينه للبشارة السعيد بغير السلام
بارتقائه وتدهيب ولده محمد رجب الشافعي وصحبه عنا به الرضا جلوس بر محمد وكان مديفانه
واخرى لرجال انهم امل بها كثرنا الا على النور اليسير وقد تباونت الكثير منه يد الصياح
وهذا بعض ما كثرنا عليه فبدنا في طاقه الاوراق كماله اعد النشر في
البيروت في صبي والسلام ختم

هَذَا كَذَا مَا يَسْتَلِمُ مِنْ مَوَدَّةٍ

وَأَنْ تَمُرَّ بِرُيُومِ الدِّفَاءِ (قَسْبَعِدْ)

فِيهِمْ وَاحِدًا فِي الْعَصْرِ لِاسْتِغْنَائِهِ

وَبِأَعْمَارِهِ الْمُبْدِيَةِ الْمُسَافِرَةِ سَهْدٌ

وَبِأَعْمَارِهِ لِلْوَالِدِ كَرِيحِ الْبَلَاءِ

وَمَسَائِلِهَا أَمْتًا بِمَا أَلْمَسَتْ أَيْدِي

الْمَلِكِ رَوْحًا بِالتَّعَانِي بِأَقْدَامِ

كَمَسَامِعِهِ بِفُوزِهَا بِالْقُبُولِ وَتَجَمُّدِ

(99)

87

وَمَا أَلْفَمُوا مِنْ بَيْتِي بِرَبِّهِ

وَأَهْ كَلَّمْتِ فَنَا لِحُضْرٍ أَعْلَى وَأَمْبِيْدٌ

بِجَسَدِي مَعَارِجِ الْكَمَالِ رَافِعًا

عَلَى مَا تَوْفَاهُ التَّمَاصِرُ تَعَفُّدٌ

عَلَيْكَ نَسْلَعُ يَا تَعَانِي مَدَسْرُ

يُرْدُدُ فِي قَبْرِ الدَّفَا عَرَبِيْدٌ

يُؤَافِي الْجَمِيْ مِنْ شَيْءٍ لِلْفَلَاكُمُ

وَأَنْ شَطْرَ مَغْنَمٍ وَكَرَّ التَّجَلُّدِ

بِأَعْمَارِهِ وَالْمَجْرَلِ أَوْ أَوْاعْرَا

88

100

الفَصِيحَةُ الْأُولَى بِتَهْنِئَةِ السَّيْرِ فِي رَأْسِ السُّجُودِ بِحَمْدِ اللَّهِ يُعِيدُ الْأَلْمَحِيحَ
وَرَبَّهَا

تَهْنِئِي بِعِيدِ الْفَيْحِ وَالْفُضْلِ وَالْمَنْةِ
وَبِنَا عِزِّ وَاللَّيْبَانِ بِمَا مَفْرَدَ الْعَضْرِ
وَبِنَجْمِ وَأَنْفِزِ الْمُؤْتَدِ بِمِثْلِ سَلَا
تَهْنِئِي بِدَلَالَةِ الْأَعْمَادِ فِي الْبُؤْسِ وَالنَّشْرِ
أَيَّامًا رَدِّ وَالْفُضْلِ كَجَمْدٍ مَدَاكِنِهِ
فَأَنْسِئْتِ تَابِ الْعِزِّ مِنْ مَفْرَدِ الدَّفْرِ

(١)

وَلَكُوفَ أَعْمَانَ الزَّمَانِ صَنَائِعًا
مُسَلَّمَةً نَهْمَ الْعُقُودِ مِنَ السُّرِّ
كُنْتُ تَمَلِّي بِحَسْرِ دَفْرِ أَسْدِ سُرِّ
بِهَيْدَرِ بَقُولِي مِنَ الْجَمْرِ وَمِنْ تَبْرِ
رَمَيْتِ بِسَفْعِ الصَّنِيعِ نَسْرَ مَقَاحِرِ
وَدُنْتُ تَمَلِّي أَعْلِيَاءَ فِي مَقَامَةِ النَّسْرِ
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ يَمُودُ الْكَرْعُ وَالسُّرِّ
تَمَمْتُ بِرُوعِ الْمُنْعِزَاتِ مِنَ الْبَسْرِ

(٢)

تمهيد

1- مدخل إلى عالم المخطوطات:

تنوعت أوعية المعرفة الإنسانية بحسب موادها، وخاماتها، ونقوشها وأشكالها وكتابتها، ومضامينها العامة، إلى ما صار بالإمكان تصنيفه بشكل معرفي دقيق، بين كل الآثار والوثائق والمخطوطات، وغير ذلك من المدونات التاريخية التي صارت بذلك التصنيف مجالاتٍ دراسيةٍ لعدد من العلوم الوثائقية التي نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: علوم الآثار والمتاحف والنقوش، والكتابات وغير ذلك من العلوم. ومن هنا يمكن القول: بأن المخطوطات تعد من أبرز الأوعية التاريخية للمعلومات، وأهمها من الناحية المعرفية، مما جعل أغلب تلك العلوم الوثائقية وغيرها تُعنى بدراسة المخطوطات وحفظها، وفهرستها، تصنيفها، وتحقيقها، وتسويقها الثقافي في المكتبات، والمعارض، والمتاحف وهلم جرا، ولعل من نافلة القول أن نعرف بماهية المخطوط لغة واصطلاحاً ودلالة.

1. تعريف المخطوط لغة: مأخوذ من خط بالقلم وغيره، خطأ، أي: كتب أو صور اللفظ بحروفه الهجائية⁽¹⁾، وذكر المعجم الوسيط أن المخطوط هو: المكتوب بالخط، لا بالمطبوعة وجمعه مخطوطات: النسخة المكتوبة باليد.⁽²⁾
2. وأما اصطلاحاً: فهو كناية عن كتب أو رسائل لم تطبع بعد، ولا تزال بخط مؤلفيها الأصليين والنساخ⁽³⁾ أي أنه مازال بخط المؤلف أو بخط ناسخ غيره، سواء كان على شكل لفائف، أو في شكل دفتر، أو كتيب، أو كراس، أو صحف وأيا ما كان حجم هذا الكتاب.⁽⁴⁾ أو أخذت عنه صورة فوتوغرافية أو أن يكون مصوراً بالمايكرو فيلم عن مخطوط أصلي⁽⁵⁾.

(1) بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، 1876، ج1، ص: 563.

(2) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط الصادر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، استانبول، تركيا، ج1، ص: 244.

(3) مهدي فضل الله، أصول كتابة البحث وقواعد التحقيق، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان - ط2، 1998م، ص: 140.

(4) عبد المجيد دياب، تحقيق التراث العربي، منهجه وتطوره، القاهرة، دار المعارف، ط2، 1993، ص: 51.

(5) فهمي سعد، وطلال مجذوب، تحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق، عالم الكتب، بيروت - لبنان - ، ط1، 1413 هـ - 1993م، ص: 13.

والعلم الذي يهتم بدراسة هذه المخطوطات وتحقيقتها، يسمى علم دراسة المخطوطات.⁽¹⁾

ويتضمن المخطوط عادة: صفحة العنوان، وهي بمثابة الواجهة أو الغلاف في الكتاب المطبوع، إذ لم يكن العرب في أول عهدهم بصناعة الكتاب يعرفون صفحة العنوان، بل كان ذلك يرد في مقدمة الكتاب أو نهايته وكانت الصفحة الأولى منه «تبدأ بورقة بيضاء لحماية النص من التلوث».⁽²⁾

تشكل المخطوطات جزءا هاما من التراث، الذي خلفته الحضارة العربية والإسلامية، في شتى حقول المعرفة الإنسانية، من تاريخ وجغرافيا وأدب، وفن، وطب وكيمياء، وفلك، وسائر العلوم وهذه «المخطوطات بالعربية (قليلها بالفارسية والتركية) يتراوح عددها ما بين ثلاثة إلى خمسة ملايين مخطوطة موزعة في مكتبات العالم العربي، وفي مكتبات العالم المختلفة في أوروبا وأمريكا وبعض دول آسيا»⁽³⁾.

والحق أن ما وصل إلينا كان تراثا ضخما، وما ضاع أو اندثر كان أضخم ولعل السبب في اندثاره وضياعه، وتوزيعه هنا وهناك، يرجع إلى تلك الغزوات* الخارجية والفتن الداخلية التي أحدثت جراحات غائرة في جسد المخطوط ومازالت آثارها واضحة للعيان حتى الآن، فقد مزق هذا التراث شر ممزق وضاع منه ما ضاع، وأتلف منه ما أتلف، وسرق منه ما سرق، وما تبقى منه في المكتبات إلى الآن، هو في الكثير من الأحيان «أشلاء متناثرة، فالكتاب الواحد تتوزع نسخه بين المكتبات، وقد لا تتجمع أجزاء النسخة الواحدة في مكتبة واحدة، فيوجد جزء هنا وجزء هناك، ولهذا نجد الكتاب الواحد في المكان الواحد أجزاء مسلسلية ولكنها لا تكمل بعضها، لأن جزءا منها ينتهي إلى نسخة غير النسخة التي ينتمي إليها الجزء الآخر»⁽⁴⁾.

(1) مهدي فضل الله، المرجع السابق، ص: 140

(2) ميري عبودي فتوح، فهرسة المخطوط العربي، منشورات وزارة الثقافة، دار الرشيد للنشر والإعلام، 1980، ص: 34.

(3) فهمي سعد، وطلال مجذوب، تحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق، ص: 5.

(4) عبد المجيد دياب، تحقيق التراث العربي، منهجه وتطوره، ص: 13.

* ينظر: كتاب تحقيق التراث العربي، منهجه وتطوره تأليف الدكتور عبد المجيد دياب، ص: 12-13.

وعلى الرغم من عوادي الزمن وصروفه والتي لم تبق منه إلا القليل مما حالفه الحظ، وشاعته الصدف فإنه يعد تراثا فخما، كما أسلفنا الذكر لكونه « لا يتوافر لأي أمة من الأمم، ولا في أي لغة من لغات البشر⁽¹⁾»

ولقد بقي هذا التراث الذي آل إلينا من أسلافنا صانعي الثقافة الإسلامية العربية، ردحا من الزمن يغط في سبات عميق مهملًا منسيا، تحتضنه أدراج الرفوف أو سراديب الجوامع، أو مكدسا في زوايا ذات ملكية خاصة لا على المستوى الإقليمي فحسب، بل على المستوى العالمي أيضا حيث كدس على أرفف «المكتبات العالمية الكبرى، ولا سيما الغربية منها وتحديدًا الأوروبية⁽²⁾».

ولم يحقق منه إلا «النزر اليسير والبعض أعيد تحقيقه وطبعه عدة مرات إما لأهميته وإما لسهولة رواجه بين الناس، وقد ساهم المستشرقون في أوروبا وأمريكا بحصة كبيرة مما نشر من المخطوطات⁽³⁾» لكونها تمثل تراثا غزيرا ومتوعا، وغنيا في الكيفية، كما أنه غني في الكمية، ولا تزال آثار «هؤلاء الأسلاف في التشريع والعلوم الفلسفية، والرياضية والفنية وغيرها معدودة في قمة الإنتاج العالمي، ولا تزال النظريات الفلسفية والاجتماعية لعلماء العرب وفلاسفتهم أصلا وجذرا من جذور علم الاجتماع والفلسفة المعاصرة⁽⁴⁾» وكان من الطبيعي أن تنتوع التأليف التي أجادت بها قرائح هؤلاء السلف، صانعي الحضارة الإنسانية، كما كان طبيعيا أيضا أن تنتوع أساليبه لتشمل أنماطا تفردت فيها «وظهر فيها نبوغ المؤلفين وجهودهم في التأليف ومنها النمط الموسوعي الذي كان يضم فنونا ومعارف شتى كالموسوعات الحديثة، مما يؤكد سبق العلمي في هذا المضمار، ومنها ما كتب مثل المختصرات والحواشي والشروح، الذبول، التي كانت تختصر المؤلفات الكبيرة وتضع حواشي وشروحا تشرح بعض المؤلفات، أو ذبولا، تتمم وتكمل المؤلفات. أما التأليف الموسوعية فمنها على سبيل المثال، مؤلفات جمعت علوما وفنونا متعددة في آن واحد كنهاية الأرب في فنون

(1) عبد الستار الحلوجي، المخطوطات والتراث العربي، الدار المصرية للطباعة، ط1، 1422هـ، 2002م، ص: 7.

(2) مهدي فضل الله، أصول كتابة البحث وقواعد التحقيق، ص: 140.

(3) فهمي سعد و طلال مجذوب، تحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق، ص: 5.

(4) عبد السلام محمد هارون، قطوف أدبية، دراسات نقدية في التراث العربي حول تحقيق التراث، مكتبة السنة للدار السلفية لنشر العلم، القاهرة، ط1، 1409هـ - 1988م، ص: 29.

الأدب، أما المختصرات، فمنها مثلاً: مختصر الخليل في الفقه المالكي، وألفية بن مالك في النحو ومختصر مناقب عمر بن الخطاب لأسامة بن منقذ، والحواشي مثل: حاشية على شرح حكمة العين للجرجاني⁽¹⁾». «

ولعل من نافلة القول: أن نسهب في بيان قيمة ذخائر التراث وكنوزه ونفائسه والتي تمثل بلا منازع لبنة من لبنات الحضارة المعاصرة، إذ مهدت للعلماء الأوربيين سبل بناء صرح حضارتهم إبان خروجهم من ذلك النفق المظلم والذي يتمثل في عصورهم الوسطى.

فشرعوا إزاء ظهورهم الإطلاع على ما صنع أسلافنا في مختلف زوايا العلم علاوة عن محافظتهم على تراث الأمم الأخرى والذي نقلوه «إلى حضارتهم وضاعت أصوله لدى تلك الأمم كتراث الفرس والهنود والإغريق والرومان⁽²⁾» «

وإذا كان تراثنا بهذه القيمة فلا عجب أن يهتم المستشرقون بجمعه وفهرسته وتقديمه إلينا محققاً مدروساً، معترفين بفضل السلف، ومن بين هؤلاء المستشرق "رينولدنيكلسون" حيث قال: «وما المكتشفات اليوم بالشيء المذكور لولا ما نحن مدينون به للرواد العرب الذين كانوا مشعلاً وضاء في القرون الوسطى المظلمة في أوروبا⁽³⁾» «ويعد ذلك فخراً للعرب منذ القديم بقريحتهم» الفياضة التي تفوق ببلاغتها الأمم جمعاء تماماً كما كان يفخر الإغريق بفنهم النحتي والصينيون بفنهم الرسمي والنقشي⁽⁴⁾» «ويكمن سر هذا الوميض المتجدد والصدى الوجداني البعيد في أن «هذا التراث محصلة رؤية حضارية لأجيال مضت⁽⁵⁾» بعد أن سجلت حلقة ذهبية في سلسلة الإبداعات الإنسانية والتي تمثل وحدة تاريخية تحمل «بين سطورها حياة أجيال سابقة ممثلة في نوعية أوراقها، وأحبارها، وفنون تجليدها وغيرها من خصائص عصرها⁽⁶⁾»، لتشهد بعلو كعبها في هذا المجال وتجعلنا نقف أمامها وقفة الإكبار والإجلال «ثم نسمو

(1) سماء زكي المحاسني، دراسات في المخطوطات العربية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1420هـ، 1999م، ص: 14.

(2) محمد التونجي، المنهاج في تأليف البحوث وتحقيق المخطوطات، دار الملاح للطباعة والنشر، ط1، 1406هـ-1986م، ص: 149.

(3) سماء زكي المحاسني، المرجع السابق، ص: 14.

(4) محمد التونجي، المرجع السابق، ص: 15.

(5) عبد السلام محمد هارون، تحقيق النصوص ونشرها، ص: 77.

(6) مصطفى مصطفى السيد يوسف، صيانة المخطوطات علماً وعملاً، عالم الكتب نشر وتوزيع وطباعة، ط2، 1422هـ-2002م، ص: 19.

برؤوسنا في اعتزاز وشعور صادق بالفخر والغبطة والكبرياء⁽¹⁾»، وهذا لا لكونه دون في القراطيس والطروس فحسب، بل لأنه حقق بيراغ وفكر جهابذة العلماء، وها هو القاضي عياض يقول في تحقيقه للكتب الثلاثة: "الموطأ"، "صحيح مسلم" و"صحيح البخاري" متحدثا عن منهجه الدقيق للتحقيق الذي لا يكاد يطاوله أحد الآن فقال: «فتوليننا إتقان ضبطها بحيث لا يلحقها تصحيف يظلمها، ولا يبقى لها إهمال يبهما، فإن كان الحرف مما اختلف فيه الروايات، نبهنا على ذلك وأشرنا إلى الأرجح والصواب هنالك بحكم ما يوجد في حديث آخر، رافع للاختلاف مزيج للإشكال، مريح من حيرة الإبهام والإهمال، أو يكون هو المعروف في كلام العرب، أو الأشهر أو الأليق بسياق الكلام والأظهر، أو نص من سبقنا من جهابذة العلماء وقدة الأئمة على المخطئ والمصحف فيه، أو أدركناه بتحقيق النظر وكثرة البحث⁽²⁾»

ومن هنا يتضح لنا أن إحياء التراث لم يكن أمرا مستحدثا، بل هو عمل طبيعي قامت به «الأجيال القديمة على امتداد الدهر وعلى صور شتى، من نشر، أو تفسير أو تلخيص، أو نقد وتعليق، فكم قد رأينا من الكتب القديمة التي خلفها أصحابها، فقام النساخ والوراقون بإحيائها وإذاعتها على نطاق واسع⁽³⁾»

ولذلك حق للدكتور عبد السلام هارون أن يقول: «أكرر وأقول إن تحقيق النصوص وتوثيقها فن عربي أصيل يتجلى في معالجة أسلافنا الأقدمين لرواية كتب الحديث واللغة والشعر والأدب والتاريخ، في دقة وأمانة ونظام بارع ولكن المستشرقين تبنوا هذا الفن في هذه العصور القريية، ونبع من بينهم علماء أمناء قاموا بنشر عيون ثمينة من التراث العربي على الوجه الأمثل، نذكر منهم:

وستفيلد الألماني(1808-1899) الذي ألف وحقق نحو مئتي كتاب بين صغير وكبير وقضى عمره كله مكبا على العربية بين مؤلف ومحقق في لغتها وأدبها

(1) عبد السلام محمد هارون، تحقيق النصوص ونشرها، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1418هـ-1998م، ص: 5.

(2) عبد المجيد دياب، تحقيق التراث العربي، ص: 74.

(3) عبد السلام محمد هارون، تحقيق النصوص ونشرها، ص: 32.

وتاريخها وجغرافيتها ومما نشره كتاب (مختلف القبائل ومؤلفها) سنة 1850 عن نسخة بخط المقرئ المورخ.

وبيغان البولندي (1905-1934) ناشر نقائض جرير والفرزدق في ليدن سنة (1905-1907) وتحقيقه لها وتفسيره للألفاظ التي لم ترد في المعاجم مما يذكر له بالتقدير ثم صنع للنقائض فهرسا جامعا في 637 صفحة وطبع في ليدن سنة 1908-1912م.

تشارلس ليال الإنجليزي (1845-1929م) محقق شرح المفضليات لابن الأنباري سنة 1908، وشرح المعلقات السبع، للتبريزي، ودواوين عبيد بن الأبرص وعامر بن الطفيل، وعمروبن قميئة، جابر الألماني (1861-1929م) محقق ديوان الأعشى وتخريج مستفيض⁽¹⁾ «

وكانت الحاجة إلى علم التحقيق قد نشأت عندما قل الاعتماد على الرواية الشفوية في تحصيل العلم، فقد كان الشك في الكلمة المدونة وعدم الثقة بما هو مكتوب هو الدافع الأساسي إلى ذلك، ولعله من البديهي أن نتساءل عن ماهية علم التحقيق؟ وما الهدف منه؟ وفي أي شيء تمثل هذا العلم؟ هل هو قديم أم حديث؟ وما الغاية منه؟ وهل هو في مستوى التأليف؟ وهل ينظر إليه من الناحية العلمية، بمنظار التقدير والأهمية؟ وقبل الإجابة عن هذه الأسئلة ومثيلاتها مما يتبادر إلى الذهن وجب علينا بادئ ذي بدء أن نعرف بالحقل المعجمي والاصطلاحي لهذا العلم الموسوم بـ(التحقيق) والذي أسال الكثير من أبحار أقلام أهل هذا الفن.

فإذا ما أردنا البحث عن جذور هذا المصطلح ومادته من خلال الرجوع إلى المعاجم تبين لنا: أن التحقيق أصله في اللغة: من حق الشيء إذا ثبت صحيحا، فالتحقيق إثبات الشيء وإحكامه، وتصحيحه تقول: حققت الأمر أو حققتة، إذا أثبتته، وصرت منه على يقين، وأحق الشيء: أحكمه وصححه.⁽²⁾

(1) عبد المجيد دياب، تحقيق التراث العربي: منهجه وتطوره، ص: 189.

(2) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مادة (حق) ج 1، ص: 187.

وحققت الأمر: تحققته وتيقنته، والمحقق من الكلام: الرصين⁽¹⁾، كما يقال: ثوب محقق إذا كان محكم النسج⁽²⁾

وأحققت الأمر وأحققتة: كنت على يقين منه⁽³⁾ وأحق الله الحق: أي أظهره وأثبتته للناس، والحق: هو الثابت الصحيح، وهو ضد الباطل، وهو لفظ كثير الورد في القرآن الكريم، والمراد به على سبيل التعيين يختلف باختلاف المقام الذي فيه الآيات، ومعناه العام لا يخلو من معنى الثبوت والمطابقة للواقع وقال أبو البقاء: (التحقيق: تفعيل من حق بمعنى ثبت، وقال بعضهم: التحقيق لغة: رجع الشيء إلى حقيقته، بحيث لا يشوبه شبهة وهو المبالغة في إثبات حقيقة الشيء بالوقوف عليه والتحقيق مأخوذ من الحقيقة، وهو كون المفهوم حقيقة، ثم يضيف قائلاً: « والتدقيق إثبات دليل المسألة على وجه فيه حقه⁽⁴⁾ » .

وأما التحقيق في اصطلاح أهل الفن: فقد اختلف المختصون بتحديد ما هو المقصود منه، إذ اعتبر بعضهم أنه يقدم المخطوط كما وضعه صاحبه بنصه الحرفي دون زيادة أو نقصان⁽⁵⁾

وبمثل هذا نادى صلاح الدين المنجد قائلاً: « إن الكثرة من الناشرين لا تنتبه إلى هذا الأمر، فتجعل الحواشي ملأى بالشروح والزيادات، من شرح للألفاظ، وترجمات للأعلام، ونقل من كتب مطبوعة، وتعليق على ما قاله المؤلف كل ذلك بصورة واسعة مملة قد تشغل القارئ عن النص نفسه، ولم توجد في المخطوط⁽⁶⁾ »

ولم يخرج الدكتور حسين نصار عن هذا المنهج، فإنه يرى أنه بعد أن يوثق المحقق النص ويقومه يبقى أمام المحقق أن يبسر على القارئ فهم النص، فيقول: « وهو مخير في هذا العمل إن شاء قام به وإن شاء أغفله، ومن المحققين من يطيل في هذا

(1) الفيروز آبادي، قاموس المحيط، توزيع مكتبة النورين، دمشق، (دب)، مادة (حقق)، ص: 889.
(2) عبدالله بن عبد الرحيم عسيلان، تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض 1415 هـ - 1994م

ص: 35

(3) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (دب)، مادة (حقق) مج 11، ص: 333.

(4) نقلا عن عبد المجيد دياب، تحقيق التراث العربي: منهجه وتطوره، ص: 134.

(5) مهدي فضل الله، أصول كتابه البحث وقواعد التحقيق، ص: 148.

(6) قواعد تحقيق المخطوطات، دار الكتاب الجديد، بيروت- لبنان - ط7، 1987، ص: 15.

النوع من التعليقات ولكن أرى التخفف فيه واجبا، وإلا صار التحقيق تأليفا⁽¹⁾» ولا يكاد الدكتور محمد التونجي يحيد عن هذا المسار أيضا، إلا أنه يضيف قائلاً: «كما أن إخراج النص خاليا من أيّ تعليق كافٍ، فالتقافة يوم تصنيف الكتاب تختلف عما هي عليه الآن⁽²⁾». .

بينما زاد عليه آخرون توضيح الغوامض وتخريج النصوص من مصادرها ووضع الفهارس وتنقيح الكتاب حتى يخرج من المطبعة إلى القارئ بحلته الجديدة، وقد أضاف آخرون إلى ذلك قيام المحقق «بتوزيع فقرات المخطوط إن لم يكن له فقرات، وتفصيل أبوابه، وترقيم صفحاته إن خلا من ذلك، وشرح الغامض من عباراته وإحاقه بالفهارس المنظمة، فالتحقيق هو بإيجاز: إحياء الكتاب للمخطوط، وقديما قيل: تأليف كتاب أهون من إصلاحه⁽³⁾»، وفي نفس المعنى يقول "إياد خالد الطباع": «قد يكون تحقيق كتاب في أكثر الأحيان أشق على الأنفس من تصنيف كتاب جديد⁽⁴⁾»، ولا يكاد "رمضان عبد التواب" يختلف عن سابقه، حيث يقول: «لا يعرف الشوك إلا من يخوض هذا الميدان الصعب، ميدان تحقيق النصوص⁽⁵⁾»، ولعل كل هذه الآراء السالفة الذكر الذكر تومئ إلى صعوبة التحقيق وتبيان عقباته، والتي يمكن اختزالها فيما أشار إليه الدكتور "بشار عواد" الذي عده من أبرز الأمور التي يتعين على المحقق العناية بها، وفي ذلك يقول: «أي نقص فيها أو إهمال لها يؤدي بلا ريب إلى نقص التحقيق العلمي ويخرجه عن مساره الصحيح ويبتعد عنه كلما قصرنا في جانب منه حتى يصبح نشرها لا "تحقيقا"⁽⁶⁾»

ومن خلال ما تقدم من آراء متباينة حول الغاية من التحقيق، اتضح لنا أن الاكتفاء بالمخطوط كما وضعه مؤلفه دون شرحها يعد بمثابة عمل لا يخلو عن عمل النساخ والوراقين، ولعل الأنسب والأصح في اعتقادي وبحسب تجربتي المتواضعة في

(1) عبد المجيد دياب، تحقيق التراث العربي: منهجه وتطوره، ص: 247.

(2) محمد التونجي، المنهاج في تأليف البحوث وتحقيق المخطوطات، ص: 181.

(3) فهمي سعد، و طلال مجذوب، تحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق، ص: 19.

(4) منهج تحقيق المخطوطات، دار الفكر بدمشق، ط1، 1423هـ - 2003م، ص: 42.

(5) مناهج تحقيق التراث، بين القدامى والمحدثين، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط1، 1406هـ - 1986م، ص: 4.

(6) ضبط النص والتعليق عليه، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان- 1402هـ - 1982م، ص: 30.

مجال التحقيق ما ذهب إليه الدكتور "عبد المجيد دياب" حين قال: «ومن المستحسن ألا يترك المحقق الكتاب غفلاً عن التعليقات الضرورية، لأنه لا ريب أن الكتب القديمة بما تضمنت من معارف محتاجة إلى توضيح يخفف ما بها من غموض ويحمل إلى القارئ الثقة بما يقرأ والاطمئنان إليه⁽¹⁾»

و لا تكاد المقدمة التي تصدر بها تحقيق (شرح السيرفي على سيبويه) تختلف عما ذهب إليه "عبد المجيد دياب"، والذي كانت صياغة ديباجته من قبل لفيف من المحققين، وعلى رأسهم الدكتور رمضان عبد التواب حيث قالوا: «وكان المنهج الذي ارتضيناه في التحقيق هو الاهتمام قبل كل شيء بإخراج النص سليماً صحيحاً مع ضبط أمثلته، وتخريج شواهدة والترجمة لغير المشهور من الأعلام الواردة فيه كما أشرنا إلى فروق الروايات(2)»، ولعل هذه اللجنة قد استوحت منهاجها من ذلك الكنز المخبوء من التراث: إذ كان لأسلافنا منهج دقيق في التحقيق لم يفهم منه حتى وضع المقدمات العلمية، على النحو المعروف الآن في مقدمات التحقيق للكتب، « من بيان خطة العمل والتعريف بصاحب الكتاب، وشيوخه، والراوين عنه، ومؤلفاته، ونبذ من حياته العلمية ثم دراسة الكتاب دراسة شاملة يبينان موضوعه ومكانته بين الكتب في فنه وتحرير مواضيع الشبه، التي ترد على بعض مسأله، إلى غير ذلك من المسائل المهمة، وفي التحقيق الذي عمله ابن حجر لصحيح البخاري وسماه "هدى الساري" وجعله مقدمة لكتابه الكبير "فتح الباري" مثال للتحقيق⁽³⁾ »، وإن كان أسلافنا لم يستعملوا هذه الكلمة بالذات للدلالة عليه — أي التحقيق — بل استعملوا بدلاً منها ((التحرير)) فقالوا: « إن تحرير الكتاب خلوصه وتقويمه⁽⁴⁾ » .

وأول ما ينبهنا في أعمال المسلمين الأولى إلى ميدان التحقيق ويتمثل في معارضة النصوص لتوثيقها وتصحيحها أمور عدة منها: معارضة النبي (ص) مع جبريل عليه السلام في رمضان من كل سنة، ومرتين في عامه الأخير، وفي ذلك يقول

(1) تحقيق التراث العربي: منهجه وتطوره، ص: 28.

(2) عبد المجيد دياب تحقيق التراث العربي: منهجه وتطوره، ص: 248.

(3) الصادق عبد الرحمن الغرياني، تحقيق نصوص التراث في القديم الحديث، منشورات مجمع الفتح للجامعات، ليبيا، 1989 م ص: 37.

(4) الدكتور فهمي سعد و طلال مجذوب، تحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق، ص: 18.

"محمد التونجي": « فنحن نعرف أن النبي كان يقابل سور القرآن التي نزل بها الوحي على جبريل مرة كل عام طوال حياته، وأنه قابل القرآن على جبريل مرتين في عامه الأخير⁽¹⁾»

وإن كان لم يتمحص «فيها معنى التحقيق بمفهومه كله إلا أنها تؤكد منهجا ومثالا يحتذى⁽²⁾». وفي عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه بدأت حركة جمع القرآن وتحقيقه وتدوينه وقد عد ذلك « أول تحقيق وأن القرآن يعتبر أول كتاب وصل إلينا مكتوبا ومحققا... كما أن حركة جمع الشعر الجاهلي وتدوينه – في النصف الثاني للقرن الأول – أول حركة تاريخية لحمايته وتحقيقه ونشره⁽³⁾»، تسنم سبيله علماء الحديث الأوائل «حيث كانوا يروون أسانيدهم ويقيدون سماعاتهم وإجازاتهم وقراءاتهم ومطالعاتهم على المخطوط، مما يعد توثيقا لعملهم ذلك⁽⁴⁾»

ولم يقتصر عملهم هذا على المتن فحسب، بل كان منصبا كذلك على الهوامش أو ما يعرف بالملاحظات الهامشية، والتي نالت حظوة كبيرة لدى أسلافنا صناع الحضارة والتاريخ الإنساني، وتباينت أسماؤها في المشرق، والمغرب، ولقد ذكر الزمخشري أن العرب كانوا يقولون: «حلية الخرائد: الحلق في ذفاريها، وحلية الدفاتر: اللحق في حواشيها والمغاربة يقولون: (الدرر في الطرر) وقيل لأبي بكر الخوارزمي عند موته ما تشتهي؟ قال: النظر في حواشي الكتب⁽⁵⁾»

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى اهتمام علمائنا بالتحقيق والتوثيق والأخذ به بكل جدية وصرامة في التطبيق، وصدق في التوثيق، وفي ذلك يقول "السيوطي": «ولذلك لا تراني أذكر في شيء من تصانيفي حرفا إلا معزوا إلى قائله من العلماء، مبنيا كتابه الذي ذكر فيه⁽⁶⁾»

(1) محمد التونجي، المنهاج في تأليف البحوث وتحقيق المخطوطات، ص: 184.

(2) ينظر كتاب: تحقيق نصوص التراث في القديم والحديث لعبد الرحمن الغرياني ص: 15 وما تلاها.

(3) عبد المجيد دياب، المرجع السابق، ص: 22.

(4) أياد خالد الطباح، منهج تحقيق المخطوطات، ص: 19.

(5) عبد المجيد دياب، تحقيق التراث العربي: منهجه وتطوره، ص: 73.

(6) محمد التونجي، المنهاج في تأليف البحوث وتحقيق المخطوطات، ص: 180.

ويعد هذا من باب شكر العلم والاستفادة منه، وفي ذلك يقول "أبو عبيده ابن سلام": « من شكر العلم أن تستفيد بالشيء فإذا ذكر قلت: خفي علي كذا وكذا، ولم يكن لي به علم، حتى أفادني فلان فيه كذا وكذا فهذا شكر العلم⁽¹⁾ »
ولعل أول ما نستشفه من هذين القولين فضلا عن التوثيق مدى الصدق والأمانة والتحري وتجنب السرقات الفكرية التي تفتت في مراحل متأخرة، وإلى ذلك يشير الدكتور "عبد الستار الحلوجي" بعد ترجمة لعلمائنا القدامى، ينوه بأمانتهم العلمية حيث يقول: «يرحم الله علماءنا القدامى، يرحمهم رحمة واسعة، وكانوا يتوخون "الأمانة العلمية" فيما يكتبون دون أن يتشدقوا بهذه العبارة التي لاكتها السنة المحدثين وحفلت بها كتب مناهج البحث وأكثر من تكرارها وترديدها في محاولة لتأصيلها في أذهان الباحثين⁽²⁾» .

ولعل الأمانة العلمية، أيضا المنتهجة من قبل العلماء القدامى إحدى المؤهبات التي دفعت إلي الوجدادة دفعا، تلك الوجدادة التي «عمت في العصور الوسطى الإسلامية رأى العلماء أنه لا مناص من وضع قواعد لضبط المؤلفات وتصحيحها، وكيفية كتابتها على أسس واضحة في الضبط والشكل...⁽³⁾»

والتي أفضت أي الوجدادة، إلى نشوء فن التحقيق عند علماء العربية، هؤلاء العلماء الأفاضل الذين بذلوا جهودا جبارة فاقت جهود المتأخرين وفي شتى الحقول المعرفية « والواقع أنه ليس بإمكان أكابر رجال التاريخ في أوروبا وأمريكا أن يكتبوا أحسن من كتاب (الإلماع للقاضي عياض)، فإن ما جاء فيه من مظاهر الدقة في التفكير والاستنتاج تحت عنوان (تحري الرواية والمجيء باللفظ) هي أيضا أدق ما ورد في الموضوع نفسه، في أهم كتب الفرنجة في ألمانيا وفرنسا وأمريكا وبلاد الإنجليز⁽⁴⁾».

ولعل من نافلة القول: أن نقر بأن لأسلافنا فضل سبق، كما أسلفنا الذكر في وضع «أصول المنهج العلمي في التأليف قبل أن تعرفه أوروبا بمئات السنين وقبل

(1) عبد المجيد دياب، المرجع السابق، ص: 80.

(2) عبد الستار الحلوجي، المخطوطات والتراث العربي، ص: 120.

(3) رمضان عبد التواب، مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين، ص: 85.

(4) عبد المجيد دياب، تحقيق التراث العربي: منهجه وتطوره، ص: 52.

أن يوجد (فرانسيس بيكون) وأضرابه من مؤسسي المنهج العلمي ودعاته في الغرب بما يقرب من ألف عام⁽¹⁾، «والألف عام تمثل حقبة زمنية طويلة الأمد ضاربة بجذورها في القدم والتي تتبئ وبلا منازع بأن الغرب» هم الذين أخذوا هذا المنهج عن العرب فأحيوا به تراثهم، ثم نقلوه إلينا بعد أن أفادوا به وأضافوا إليه⁽²⁾»

2- جهود أسلافنا في مجال التحقيق:

وتتمثل جهود صناع الحضارة الإنسانية في مجال التحقيق في الآتي:

أ- **المقابلة بين النسخ:** وذلك من أجل الخروج بنص صحيح موثوق به، ومن بين ما قيل في هذا المضمار ما ذهب إليه القاضي عياض موصيا طالب العلم بضرورة المعارضة إلى حد المطابقة حتى «لا يندفع في الاعتماد على نسخ الثقة العارف دون مقابلة، نعم ولا على نسخ نفسه بيده ما لم يقابل ويصحح، فإن الفكر يذهب، والقلب يسهو، والنظر يزيغ، والقلم يطغي⁽³⁾»

أما في حال توافر نسخ واختلافها يتم اختيار نسخة تعد الأم، مع الإشارة إلى النقص واختلاف الرواية في الهامش ومن ذلك ما ذكر "ياقوت الحموي" في معجم الأدباء في ترجمة المفضل الضبي: «وله المفضليات، وهي أشعار مختارة جمعها للمهدي، وفي بعض نسخها زيادة ونقصان، وأصحها التي رواها عنه أبو عبد الله ابن الأعرابي⁽⁴⁾»

ب- **إصلاح الخطأ:** عرفنا من خلال مطالعاتنا المتكررة والمتواضعة لكتب التحقيق أن من أولى الأولويات والتي يعرض عليها بالنواجز الأمانة العلمية والتي تعد من صفات المحقق الذي يعتبر في حقيقة الأمر بمثابة راوية للكتاب «عن طريق الوجدادة⁽⁵⁾»

(1) عبد الستار الحلوجي، المخطوطات والتراث العربي، ص 119.

(2) عبد المجيد دياب، المرجع السابق، ص: 182.

(3) رمضان عبد التواب، مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين، ص: 29.

(4) المرجع نفسه ص: 30.

(5) أياد خالد الطباع، منهج تحقيق المخطوطات، ص: 41.

ولا يكاد منهج السلف يخرج عن هذا الذي نادى به المحدثون وأجمعوا – في الغالب – على الأخذ به وفي ذلك يقول القاضي عياض: «الذي استمر عليه عمل أكثر الأشياخ نقل الرواية، كما وصلت إليهم وسمعوها، ولا يغيرونها في كتبهم، حتى طردوا ذلك في كلمات القرآن، وفي حواشي الكتب، ويقرؤون ما في الأصول على ما بلغهم⁽¹⁾»

غير أن ذلك لم يكن بمنأى عن الاختلاف فيما بينهم إذ يضيف القاضي أن هناك «من يجسر على الإصلاح، وكان أجراًهم على هذا من المتأخرين القاضي أبو الوليد الوقشي⁽²⁾» .

وهناك من دعا إلى السماح بالإصلاح إذا كان الخطأ الواقع في الاقتباسات القرآنية يقول العموي: «لا يجوز أن يصلح كتاب غيره بغير إذن صاحبه، وهذا محله في غير القرآن، فإن كان مغلوفاً أو ملحوناً فليصلحه⁽³⁾» ولا ضير في ذلك لأنه كتاب الله عز وجل لا يلحقه باطل، إلا أن هناك من يرى عكس ذلك، ولعل الوحيد الذي تفرد بهذا الرأي المستشرق الألماني "برجشتراسر" ومن هنا يتبين لنا مدى حرصهم على احترام النص، وعدم جرأتهم على إصلاح أخطائه بغير علم، لأن ذلك التصحيح غير المأذون به «يظهر الصواب فيما أنكره، والفساد فيما أصلحوه⁽⁴⁾» وهو ما وقع فيه «غير واحد من المتجاسرين⁽⁵⁾»، ومن الملاحظ أن عمل هؤلاء (المتجاسرين) لم تكن مستساغة لدى الكثير من المحققين القدامى، لأن ذلك قد يؤدي إلى تشويه بدل التصويب.

ج- علاج السقط: اعتاد كاتب المخطوط إعادة كتابه ما سقط سهواً من المتن في الهامش وذلك حفاظاً على جمال الصفحة، مع الإشارة إليه بعلامة دالة عليه تسمى بـ (علامة الإلحاق) أو (علامة الإحالة) وهي عبارة عن خط مائل يكون متجهاً نحو جهة الاستدراك ويكتب في آخر المستدرك (صح)، والحواشي نوعان منها ما هو وصفي لا

(1) رمضان عبد التواب ، مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين ، ص: 31.

(2) نفس المرجع والصفحة.

(3) نفس المرجع والصفحة.

(4) رمضان عبد التواب ، مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين ، ص: 32.

(5) نفس المرجع و الصفحة.

يعتد به بخلاف الأصل وفي ذلك يقول القاضي عياض: «وأما كل ما يكتب في الطرر والحواشي من تنبيه، أو تفسير أو اختلاف ضبط، فلا يجب أن يخرج إليه، فإن ذلك يدخل اللبس ويحسب من الأصل، ولا يخرج إلا لما هو من نفس الأصل⁽¹⁾»

د- علاج الزيادة: جرت عادة القدماء إذا وقعت في الكتاب زيادة تخيروا فيه

بين ثلاثة أمور وهي:

أ. الكشط: وهو سلخ للورقة بسكين ونحوه

ب. المحور: وهو الإزالة بغير سلخ إن أمكن ذلك

ج. الضرب: وهو الأفضل من الآخرين ولا سيما في كتب الحديث لأن كلا منهما يحرك تهمة وربما أفسد الورق كما يذكر المرادي.

أما كيفية الضرب فهي على أنواع: إما وصل الحروف بخط ممتد، أو منفصل منعطفا طرفاه على أول المبطل وآخره على شكل باء مقلوبة، أو «أن تكتب لفظة (لا) أو (من) في بداية المحذوف وفي نهايته بحيث يكون أحد اللفظين في أول الكلمة والآخر في آخرها»، أو «أن تكتب في أول الكلام المبطل نصف دائرة كما تكتب أخرى في آخره بهذا الشكل. أو أن يكتب في أول الكلام المبطل وفي آخره الصفر» أما «إذا تكررت كلمتان أو عبارتان سهوا فإن الضرب عادة يكون على الثانية منهما، لوقوع الأولى صوابا في موضعها⁽²⁾»

وقد وضع "القاضي عياض" ضوابط للحفاظ على رونق المخطوط وجماله فقال: «وأرى (أنا) إن كان الحرف تكرر في أول سطر مرتين أن يضرب على الثاني لئلا يطمس أول السطر ويسخم. وإن كان تكرر في آخر السطر وأول الذي بعده فليضرب على الأول الذي في آخر السطر. وإن كانا جميعا في آخر السطر فليضرب على الأول أيضا؛ لأن هذا كله من سلامة أوائل السطور وأواخرها أحسن في الكتاب

(1) رمضان عبد التواب، مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين، ص: 36.

(2) المرجع نفسه، ص: 38.

وأجمل له إلا إذا اتفق آخر سطر وأول آخر سطر فمراعاة الأول من السطر أولى...⁽¹⁾»

هـ - علاج التشابه بين بعض الحروف: لقد اهتم علماءنا بالإعجام والضبط أيما اهتمام وذلك درءاً للتصحيف والتحريف واللبس واختلاف القراءة، وفي ذلك يقول العموي: «وإذا صحح الكتاب بالمقابلة على أصل صحيح أو على شيخ، فينبغي أن يعجم المعجم ويشكل المشكل، ويضبط الملتبس ويتفقد مواضع التصحيف».⁽²⁾

وقال آخرون: «يجب شكل ما أشكل ومالا يشكل، وهذا هو الصواب لا سيما المبتدئ وغير المتبحر في العلم، فإنه لا يميز ما أشكل مما لا يشكل، ولا صواب وجه الأعراب للكلمة من خطائه».⁽³⁾ مع تحديد ما يقتضي الضبط، وفي ذلك يقول إبراهيم بن عبد الله: «أولى الأشياء بالضبط أسماء الناس، لأنه لا يدخله القياس، ولا قبله شيء يدل عليه، ولا بعده شيء يدل عليه».⁽⁴⁾، و يتعلق الأمر بضرورة ضبط الأعلام.

وقد بالغ بعض القدماء فابتكروا علامات معينة تدل على إهمال نقط الحرف، حتى لا يظن أن الناسخ قد غفل عن نقطة⁽⁵⁾ وفي ذلك يقول القاضي عياض، «وكما نأمره بنقط ما ينقط للبيان، كذلك نأمره بتبيين المهمل بجعل علامة الإهمال تحته، فيجب تحت الحاء حاء صغيرة، وكذلك تحت العين عينا صغيرة، وكذلك الصاد والطاء والدال والراء، وهو عمل بعض أهل المشرق والأندلس.... ومنهم من يقلب النقط في المهملات فيجعله أسفل علامة لإهماله».⁽⁶⁾

و - صنع الحواشي: يقصد بالحاشية تلك المساحات البيضاء، التي تترك حول المتن في صفحات المخطوطات، وعادة ما تكون هذه المساحات متساوية في الصفحة الواحدة، وهي على خلاف الهامش، الذي نعني به ذلك الفراغ الذي يكون أسفل صفحة المخطوطة ولم يكن لها وجودا «في عصر المخطوطات بعكس الحواشي التي كان

(1) القاضي عياض بن موسى اليحصبي، الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، تح السيد أحمد صقر، دار التراث - القاهرة - المكتبة العتيقة، تونس ط 1، 1389هـ - 1970م، ص: 172.

(2) رمضان عبد التواب، المرجع السابق ص 39.

(3) القاضي عياض بن موسى اليحصبي، المرجع السابق، ص: 150.

(4) المرجع نفسه، ص: 154.

(5) رمضان عبد التواب، المرجع السابق، ص: 40.

(6) القاضي عياض بن موسى اليحصبي، الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، ص: 157.

المؤلف يترك لها فراغا على جانبي صفحة المخطوطة... وفي عصر المخطوطات لا يكاد المؤلف نفسه، يترك لنا حواشي، بل هي من صنع غيره، ممن قرأ الكتاب وعلق عليه؟ إذ أن المؤلفين في عصر المخطوطات كانوا يعلمون حق العلم أن كل شيء لا يدون في المتن عرضة لأن يحذفه النساخ⁽¹⁾»

ومن أجل ذلك نجد المؤلفين يوضحون ما يرونه مستغلقا في المتن مع الإشارة إليه ببعض العبارات مثل: حاشية، تنبيه، فائدة... بينما تستغل تلك المساحات البيضاء التي تترك على جانبي الصفحة لرصد التعليقات من قبل القراء من العلماء، وتقتصر على الفوائد المهمة، المتعلقة بذلك الكتاب وفي ذلك يقول العموي: «ولا بأس بحواشي من فوائد متعلقة به، ولا يكتب في آخره (صح) بل ينبه عليه بإشارة للتخريج... ولا ينبغي أن يكتب إلا الفوائد المهمة بذلك الكتاب والمحل مثل: تنبيه على أشكال، أو احتراز أو رمز، أو خطأ، ونحو ذلك، ولا يسوده بنقل المسائل والفروع الغريبة، ولا يكثر الحواشي كثرة يظلم منها الكتاب⁽²⁾»

ز - علامات الترقيم والرموز والاختصارات:

لم يعرف علماء العرب القدماء علامات الترقيم التي نستخدمها في وقتنا الراهن، وإنما عرفوا ما يقابل النقطة، وهو عبارة عن دائرة صغيرة وهي المستعملة في المصاحف كفاصل بين الآيات ولقد أشار العموي إلى هذه العلامات بقوله: «وينبغي أن يفصل بين كل كلامين أو حديثين بدائرة، أو قلم غليظ ولا يصل الكتابة كلها على طريقة واحدة، لما فيه من عسر استخراج المقصود، ورجحوا الدائرة على غيرها صورتها هكذا: 0⁽³⁾»

أما بالنسبة للاقتباس فقد عبروا عليه بعبارات شتى ومن ذلك قولهم: «هذا كلام فلان/ هذه ألفاظ فلان/ هذا قول فلان/ هذا ما قاله فلان/ إلى هنا عبارة فلان / انتهى ما ذكره فلان/ آخر كلام فلان/ انتهى⁽⁴⁾»

(1) رمضان عبد التواب، مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين ص: 41.

(2) المرجع نفسه ص: 42.

(3) السيد السيد النشار، في المخطوطات العربية، دار الثقافة العلمية، الإسكندرية، 1997م ص: 32.

(4) رمضان عبد التواب، مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين، ص: 43.

أما الاختصار فقد ذكر العلمي منه الكثير في المسألة العاشرة من كتابه حيث يقول: «وجرت عادة المحدثين باختصار ألفاظ في كتبهم فمن ذلك (حدثنا) أختصرها بعضهم على (ثناء) وبعضهم على (نا) وبعضهم على (د ثنا) ومن ذلك (أخبرنا) اختصرها بعضهم على (أنا) وبعضهم على (ابنا).... ومن ذلك (قال) الواقعة في الإسناد بين رواية اختصرها بعضهم (قافا مفردة)، وقد جمعها بعضهم بما يليها هكذا (قتنا) يعني (قال حدثنا) ومن ذلك ما يختصر بعضه ولا يتعين فيه قراءة ذلك البعض ولا أصله، وهو الرموز إلى اصطلاح خاص بذلك الكتاب كما يرسم كثيرا من كتب الحديث المختصرة للبخاري (خ) ولمسلم (م) والترمذي (ت) ولأبي داود (د) وللنسائي (ن) وهو كثير⁽¹⁾»

كما كانوا يضعون داخل الدائرة نقطة وذلك للدلالة على السماع على الشيوخ أو المقابلة بين النسخ ويكتبون على الحاشية المجاورة كلمة (بلغ)، وفي ذلك يقول العلمي: «وإذا صحح الكتاب على الشيخ أو في المقابلة، علم على موضع وقوفه ببلغ أو بلغ العرض، أو غير ذلك مما يفيد معناه⁽²⁾»

ولم يقتصر جهد العلماء على الدرس النظري في تحقيق النصوص فحسب بل شهدت الكثير من مؤلفاتهم بطول باعهم في هذا الفن، ومن بين هؤلاء العلماء الأفاضل البكري الذي يبدو في كتابه (اللآلئ في شرح أمالي القالي) محققا ومترجما ونسابا الشعر إلى قائله أو منبها إلى بعض الشعر المصنوع وغير ذلك مما يفيض به الكتاب وإليك بعض النماذج للدلالة على مدى براعته في هذا المسار العلمي وذلك على سبيل المثال لا الحصر.

ح - تراجم الرجال:

(77/1): وقال "أبو علي" في خطبة عتبة بن غزوان حين خطب.

(1) السيد السيد النشار، في المخطوطات العربية، ص: 34.

(2) رمضان عبد التواب، المرجع السابق، ص: 44.

* يراجع كتاب: منهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين للدكتور رمضان عبد التواب ص 45-53، وكتاب في المخطوطات العربية للسيد السيد النشار، ص: 35 وما تلاها.

** كماورد في كتاب تحقيق النصوص ونشرها في القديم والحديث، للصادق عبد الرحمن الغرياني، نموذج آخر من الشروح التي تمثل التحقيق الجيد، ص: 34-49.

«ع: هو عتبة بن غزوان بن الحارث بن جابر من بني مازن، وهو من المهاجرين الأولين، شهد بدرا وكان من الرماة المذكورين وهو افتتح الأبله، واختط البصرة، وتوفي في خلافة عمر⁽¹⁾»

ط - نسبة الشعر المجهول:

(299/1): وأنشد أبو علي: إذا تجاوزت ومابي خَزَر

«ع: هذا الرجز لأرطأة بن سهيئة، وهو أرطأة بن زفر بن جزء بن شداد، أحد بني مرة.... وأمه سهية كلبية، وكانت أخيدة غلبت عليه، وهو شاعر إسلامي⁽²⁾»
ي. التتبيه على أن البيت مصنوع:

(31/1): وأنشد أبو علي

أَقْبَلَ سَيْلًا جَاءَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ

قال المؤلف: لا تحذف الألف من اسم الله عز وجل إلا في الوقف

وقال "أبو حاتم": «هذا البيت مصنوع، صنعه من لا أحسن الله ذكره، يعني: قطربا⁽³⁾»
ولا يكاد "البغدادي"^{*} يخرج عن هذا المسار العلمي الموسوعي ومن الأمثلة على ذلك:

1- المقابلة بين النسخ:

(450/1): وأنشد:

إذا ابن أبي موسى بلالا بلغته *** فقام بفأس بين وصليك جازر
«...وبلالا ينبغي أن يكون بالرفع لأنه بدل من (بن) أو عطف بيان له، وقد رأيت مرفوعا في نسختين صحيحتين من إيضاح الشعر لأبي علي الفارسي إحداهما بخط أبي الفتح عثمان بن جني⁽⁴⁾».

(1) الصادق عبد الرحمن الغرياني، تحقيق النصوص ونشرها في القديم والحديث، ص: 46.

(2) رمضان عبد التواب، مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين، ص: 51.

(3) نفس المرجع والصفحة.

* ولد عبد اللطيف في بغداد سنة 557هـ (1162م) ودرس الطب والفلسفة وعلوم اللغة وزار مصر والعراق والشام واتصل بصلاح الدين الأيوبي ثم أقام بمصر في آخر المطاف واشتغل بالتدريس في الأزهر وتوفي سنة 629هـ - 1231م وله مؤلفات كثيرة منها: الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة... نقلا: عن إبراهيم حسن، استخدام المصادر وطرق البحث في التاريخ الإسلامي العام وفي التاريخ الوسيط 3، ص: 1980، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ص: 100

ي - تكميل الأبيات وتخرجها:

(118/1): وأنشد:

..... سماءُ الإلهِ فوق سبع سماءيا

وصدره:

له ما رأت عَيْنَ البصيرِ وفوقه

« وهذا البيت من قصيدة طويلة لأمية بن أبي الصلت⁽¹⁾ »

هذه بعض النماذج اقتطفها من كتاب مناهج تحقيق التراث للاستدلال على ما أجادت به قرائح أسلافنا من العلماء الأجلاء الذين تركوا تراثا تنوعت أساليب التأليف فيه، شهد بنوعهم وفضلهم على الحضارة العالمية، ولا تزال آثارهم معدودة في قمة الإنتاج الفكري العالمي، وما انشغال الباحثين المستشرقين بدراسة هذه النفائس وتحقيقها إلا بسبب إدراكهم لأهميتها وأثرها الكبير، ومن ثم اعترافهم بما قدمه العرب للحضارة الإنسانية ولنفس هذا الغرض «أسست في الغرب كراسي الأستاذية في الجامعات لدراسة هذا التراث وأثره، ومن هذه الكراسي ما خصص لدراسة اللغة العربية وآدابها بصفة خاصة، أو لدراسة العلوم العربية والآثار ولم يدرس أي تراث مثلما درس التراث العربي الكبير، فدرس بعض المستشرقين جوانب محددة أو فترات تاريخية معينة ومنهم على سبيل المثال المستشرق الاسباني (خوان فيرنيت خينس) فهو في طليعة الباحثين في التراث العربي⁽²⁾»

(1) : رمضان عبد التواب، منهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين ، ص: 47.

(2) : سماء زكي المحاسني، دراسات في المخطوطات العربية ، ص: 13.

القسم الأول

التحقيق

الفصل الأول

نسخ الخطوط

1- نسخ المخطوط:

القصيدة الأولى: في تهنئة السيد يحيى بن السعيد بن عبد السلام⁽¹⁾ - رحمه الله - بعيد الأضحى ونصها:

- (1) تَهْنِئِي بِعِيدِ الْفَتْحِ وَالْفَضْلِ وَالنَّصْرِ
- (2) وَبِالْمَجْدِ وَالْفَخْرِ الْمُؤْتَلِّ⁽³⁾ مِثْلَ مَا
- (3) أَبَا مَالِكٍ وَالْفَضْلَ عَبْدٌ مَلَكَتَهُ
- (4) وَطَوَّقَتْ أَعْنَاقَ الزَّمَانِ صَنَائِعًا
- (5) كَتَبْتَ عَلَى جَبِينِ دَهْرِكَ أَسْطُرًا
- (6) رَمَيْتَ بِسَهْمِ الصُّنْعِ نَسْرَ مَفَاخِرِ
- (7) وَلَوْ لَمْ يَكُنْ بِنَجْلِكَ أَكْرَمُ وَالِدِ
- (8) وَلَا غَرَوْ أَنْ تُدْعَى نَبِيًّا فُضَائِلِ
- (9) بِآيَاتِ جُودٍ مُحْكَمَاتٍ رَوَاسِخِ
- (10) يَحِنُّ إِلَيْكَ شَارِدُ الْفَضْلِ مِثْلَمَا
- (11) شَوَارِدُ مَجْدٍ فِي الْكِرَامِ تَفَرَّقَتْ
- (12) فَكُنْتَ الْأَنَامَ وَاحِدًا مُتَقَرِّدًا
- (13) وَيَوْمَاكَ يَوْمٌ لِلْمُرُوءَةِ وَالنَّدَى
- (14) وَمَنْدُ رَأِينَا اللَّهُ أَحْيَا بِكَ الْعُلَا
- (15) تُنَادِيكَ بَلْ تُؤَلِيكَ مَا أَنْتَ أَهْلُهُ
- (16) سَجَدْنَا اقْتِدَاءً بِالْمَفَاخِرِ وَالْعُلَى
- وبالعزِّ والإقبالِ يَا مُقَرَّدَ الْعَصْرِ⁽²⁾
- تُهْنِئِي بِكَ الْأَعْيَادُ فِي الْفِطْرِ وَالنَّحْرِ
- فَأَلْبَسْتَ تَاجَ الْعِزِّ مِنْ مَفْرَقِ الدَّهْرِ [1]
- مُنْظَمَةً نَظَّمَ الْعُقُودِ مِنَ السُّدْرِ
- شَهَدْنَا بِفَضْلِ مَنْ لَجِينِ وَمَنْ تَبِرِ
- وَدُسْتُ عَلَى الْعَلِيَاءِ فِي هَامَةِ النَّسْرِ
- سَمَوْتَ بِفِعْلِ الْمُعْجَزَاتِ مِنَ الْبِرِّ [2]
- بُعِثْتَ لِإِتْمَامِ الْمَكَارِمِ وَالْفَخْرِ
- نَسَخْنَا حَدِيثَ حَاتِمِ وَأَبِي الصَّاقِرِ
- تَحِنُّ الْحَمَامُ الْوَرَقُ⁽⁴⁾ لِلْإِلْفِ وَالْوَكْرِ
- فَجَمَعْتَهَا جَمْعًا عَلَى أَكْمَلِ الْأَمْرِ [3]
- وَلَيْتَا عَلَى الْأَعْدَاءِ غَيْثًا إِلَى الْحُرِّ
- وَيَوْمٌ لِإِعْمَالِ الْمُتَّقَةِ⁽⁵⁾ السُّمْرِ
- فَقَامَتْ وَكَانَتْ تَحْتَ مَنْدَرَسِ الْقَبْرِ
- وَتَخَطَّبُ مِنْكَ وَاحِدَ الْفَضْلِ وَالْقَدْرِ [4]
- وَجُبْنَا مُتُونَ⁽⁶⁾ الْبَيْدِ وَالْمَهْمَةَ الْفَقْرِ⁽⁷⁾

(1) تلميذ الشيخ الديسي وحاكم قبيلة زنبينة (الإدرسية حاليا) وما جاورها نقلًا عن تحفة السائل بباقة من تاريخ سيدي نايل، عامر بن مبروك محفوظي، ص: 131.

(2) مفرد العصر المنفرد من الناس المنقطع النظير الذي لا مثيل له في جودته مادة (فرد) المعجم الوسيط قام بإخراجه إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر محمد علي النجار، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، اسطنبول، تركيا، (دب) ج 1، ص: 680.

(3) المؤتل: الأصيل مادة (أتل) المعجم الوسيط ج 1، ص: 6.

(4) الحمام الورق: جنس من الطير مفردا ورقاء، مادة (ورق) المعجم الوسيط ج 2، ص: 1026.

(5) المتقفة السمر: الرماح، تقف الرمح قومه وسواه، مادة (تقف) المعجم الوسيط ج 1، ص: 98.

(6) متون: ج متن ما ارتفع وصلب من الأرض مادة (متن) المعجم الوسيط ج 2، ص: 853.

(7) المهمة الفقر: المفازة البعيدة مادة (مهمه) المعجم الوسيط، ج 2، ص: 890.

- 17) تَطِيرُ بِنَا ثُوقُ الرَّجَا يَسْتَحِيهَا
 18) تُوْمُ بِنَا رَبَّ الْجَمِيلِ وَوَاهِبَ الـ
 19) هُمَامَا سَمَا فَوْقَ الْأَنَامِ بِهَمَّةٍ
 20) وَلَوْلَا رَجَالٌ مِنْكَ عُرٌّ أَمَا جَد
 21) لَقُلْنَا رَأَيْنَا الْمَجْدَ شَخْصًا مُصَوَّرًا
 22) كِلَا رَاحَتَيْكَ الْبَحْرُ، لَا الْمَتْحُ غَضَّهَا⁽²⁾
 23) (تَبَارَكَ⁽³⁾ مِنْ سَوَاكَ خَلَقًا مُرَكَّبًا
 24) فِدْمٌ وَارْفَلِنْ فِي بُرْدٍ عَزٌّ وَرَفْعَةٌ
 25) وَضَعُ تَاجٍ مُلْكٍ فَوْقَ هَامَةِ سَيِّدٍ
 26) لَأَنْتَ بَتَاجِ الْمُلْكِ أَوْلَى مِنْ الَّذِي
 وَالْجِسْرُ
 27) تَحِيَاتُ أَشْوَاقِي إِلَيْكَ تَرْقُهَا
 28) عَرَائِسُ أَبْكَارٍ عَنِ الْغَيْرِ صُنْتُهَا
 29) بَدَائِعُ لَوْ يَمْدَحُ غَيْرُكَ أَلْحَمْتُ
 30) يَتِيمَاتُ دُرٍّ فِي نُحُورِ جَاذِرٍ
 31) أَطِيرُ إِلَى زَهْرِ الْكَوَاكِبِ نَاطِمًا
 32) وَهَذَا وَإِنِّي فِي عُلَاكٍ مُقْصَرٌّ
 33) وَلَوْلَا الَّذِي أَرَاهُ مِنْ قَدَمِ الْإِخَا
- حُدَاهُ اسْتِيَاقٍ بِالسِّيِّطِ كَاطٍ مِنَ الذِّكْرِ
 جَزِيلٍ عَقِيدِ الْجُودِ فِي الْجَهْرِ وَالسَّرِّ⁽¹⁾
 وَأَشْعَبَ مَنْ يَتْلُوهُ فِي الْأَعْصُرِ الْغُبْرِ [5]
 يَحْفُونَكُمْ كَهَالَةَ الْبَدْرِ بِالْبَدْرِ
 يُوَالِي النَّدَى طَلَقَ الْبَشَاشَةَ وَالْبِشْرَ
 وَلَا الْعُدْمَ وَالْإِثْرَاءُ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ
 تُجْمَعُ أَشْتَاتُ الْفَضَائِلِ وَالْفَخْرِ [6]
 تُرَوِّي رُبُوعَ الْمَحَلِّ بِالسِّيِّحِ وَالْقَطْرِ
 مَعْوَدَةٌ كَقَاهُ لِلنَّمِّ وَالنَّصْرِ
 1 2 3
 ثَوَى شَادُ مُهْرًا⁽⁴⁾ أَوْ بَعْمَدَانَ وَالْجِسْرَ
 خَرَانْدُ فِكْرٍ مَا بَرَحْنَ مِنَ الْخِدرِ [7]
 لِعِزَّةٍ كَفُوًّا لَا لِخُلُوانٍ أَوْ مَهْرٍ
 لَكَانَتْ تُعَدُّ فِي ضُرُوبِ مِنَ الْهَذْرِ⁽⁵⁾
 وَلَوْ صَاغَهَا غَيْرِي لَعُدَّتْ مِنَ السِّحْرِ
 وَأَجْنِي يَتِيمَ الدُّرِّ مِنْ لَجَجِ خُضْرِ [8]
 وَمَا جِئْتُ مِنْ مِعْشَارِ فَضْلِكَ بِالْعُشْرِ
 وَصِدْقِ وَلاءٍ فِي الشَّرَاسِفِ⁽¹⁾ وَالصِّدْرِ

(1) عقيد جود : العقيد في الأصل رتبة عسكرية فوق المقدم ودون العميد (محدثة)، ويقال عقيد كرم، وعقيد لؤم كريم ولثيم مادة(عقد) المعجم الوسيط ج2، ص: 614.

(2) المتح: جذبك رشاء الدلو تمد يد وتأخذ بيد على رأس البئر مادة (متح) لسان العرب لابن منظور المجلد الثاني، ص 696.

(3) تبارك الذي سواك: أي الله، تقدس وتنزه وتعالى، مادة (تبارك) المعجم الوسيط ج1، ص: 51.

(4) شادا مهرا: بلاد مقفرة في جزيرة العرب تقع جنوبي شرقي ساحل الأوقيانوس الهندي بين حضر موت وعمان قاعدتها قيشين فيها آثار سبأ لغة سكانها (المهري) وقد تختلف بأصولها عن العربية - غمدان قصر في صنعاء (اليمن) كان يعتبر من عجائب الدنيا، خربه الأحباش في حروبهم عن اليمن، (525م).

(5) الهذر: سقط الكلام، مادة (هذر) المعجم الوسيط ج2، ص: 979.

يتيمات در: فريدة من نوعها مادة (يتم) المعجم الوسيط ج2، ص: 1062.

- (34) لَجَاءتْكَ مِنْ بَدِيعِ شِعْرِي رِصَائِعٌ تَسِيرُ بِهَا نُجُبُ الْأَصَائِلِ وَالْبُكْرِ
 (35) فَعِشْ سَالِمًا وَارْقَ الْمَعَالِيَ صَاعِدًا يَهْمَتُكَ الشَّمَاءُ دُسُّ صَفْحَةِ الْبَدْرِ [9]
 (1) (2) (3)

[انتهى]

(2) إشارة إلى قول أبي الصلت مخاطبا الملك *سيف بن ذي يزن من جملة أبيات وذلك حين استقر له ملك اليمن
 قال: اشرب هنيئا عليك التاج مرتفعا في رأس غمدان دارا منك محلالا .
 وغمدان والسدير قصران للملك باليمن .

(1) إشارة إلى قول الطيب أبي محمد المصري مخاطبا الملك أبا القاسم محمد بن عباد بالأندلس وهو قوله:
 اشرب هنيئا عليك التاج مرتفعا بشاذ مهر ودع غمدان لليمن .

وأنت أولى بتاج الملك تلبسه من هودة بن علي وابن ذي يزن. [انتهى]

أخذه الناظم فسلبه الجميع وعدل عن التضمين وأثبتته لممدوحه كما رأيت . فالذي ثوى بشاذ مهر هو المعتمد بن
 عباد ، والذي بغمدان هو الملك سيف، والذي بالجرهم هم ملوك العبابسة لأن الرصافة والجسر موضع نزهة الملوك
 والأدباء ببغداد ، قال علي ابن الجهم:

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري . إلخ

* سيف بن ذي يزن ملك اليمن لما ظفر بالحبشة، وقد غلبوا على ملكهم، فغزاهم ونفاهم عن بلاده، وذلك بعد مولد
 النبي -صلى الله عليه وسلم- بسنتين فأنته وفود العرب لتنهئته ومنهم قريش وعبد المطلب.

(1) الشراسف: الطرف اللين من الضلع مما يلي البطن مادة (شرس) المعجم الوسيط ج 1 ص 473 - الصدر مقدم كل شيء، صدر القوم رئيسهم
 مادة (صدر) المعجم الوسيط ج 1، ص: 501.

الثانية: ومنها قصيدة قابل بها العلامة الشيخ سيدي الحاج بن عمر بن حرز الله الحركاتي بمسعد:

- (1) تَشَرَّفَتِ المَرايِعُ⁽¹⁾ وَالتَّوادي
 (2) وَأَقْبَلَتِ المَجَادَةُ فِي حُلاها
 (3) وَغَنَّتِ البِشائِرُ عَن لُحون
 (4) بِإِقْبالِ الخُلَاصَةِ مِن قَريش
 (5) هُمَاما⁽³⁾ مِن بني حَرَكاتِ يَسمو
 (6) بني نائلٍ لَقَد سُدَّتِم وَشَدَّتِم
 (7) فلو أَن القَبائِلُ مِن لُجين
 2 1
 (8) وَلِمْ لا وَالرِساوُلُ أَبُّ وَأُم
 (9) سَراةُ النَاسِ عَالِدُكُم وَأَنتِم
 (10) وَشانوُكُم هُو المَحروِبُ حَقا
 (11) فلا بَـرَحَتِ أَكفُكُم بِحورا
 (12) وَلا بَـرَحَ الحِساوُدُ بِكُم مَغيظًا
- وَسُـرَّ العُـرْبُ حاضِرُهُم وِباد
 تَسيِرَ الخَيزَلِ⁽²⁾ وَالسَعَدِ حاد
 أَعَدَنَ مَعْبَدا وَقيانَ عَاد
 وَأَكرَمَ مِن عَلامَتِنَ الجِياذِ [12]
 وَيَسْبِقُ للعَلى سَبِقَ الجِوادِ
 صُروحَ المَجدِ وَالحَسَبِ التُّلاذِ
 لَكُنْتِم عَسَجَدا عِندَ النَقادِ
 وَمِنكُم كَلِّ مَهْـدِي وَهَـادِ [13]
 رَبِيعُ المَحَلِّ حَـصَنَ فِي الجِلاذِ⁽⁴⁾
 بِذي الدَنيَا وَمَحرومَ المَعادِ⁽⁵⁾
 لَوادِها دُعاقا⁽⁶⁾ لَلاعاِدي
 وَبحرَ الفِضْلِ مِنكُم فِي اَزديادِ [14]

[انتهى]

(1) المراجع: المربع الموضع يقام فيه زمن الربيع مادة (ربيع)، المعجم الوسيط، ج1، ص: 325، تشرفت المراجع: نالت الشرف وارتفع مقامها مادة (تشرف) المعجم الوسيط، ج1، ص: 479.
 (2) الخيزلي، الخوزلي: مشية فيها تتأقل وتبخر مادة (خزل) لسان العرب لابن منظور، المجلد الثالث، ص: 232.
 (3) الهمام: السيد الشجاع السخي من الرجال مادة (هم) المعجم الوسيط، ج2، ص: 995.
 (4) ربيع المحل: المحل، انقطاع المطر ويبس الأرض من الكأ مادة (محل) المعجم الوسيط، ج2، ص 855 أما المراد بقول الشاعر ربيع المحل أي أنهم كانوا بمثابة الربيع لذلك المكان المجذب بجودهم وعطاياهم.
 (5) شناه شننا وشنانا: أبغضه، والثناء أشد البغض، المعجم الوسيط، مادة (شنا)، ج1، ص: 495.
 وفي هذا تلميح إلى قوله تعالى ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا...﴾ سورة المائدة، الآية 8.
 المحروب: هو من سلب منه كل شيء ج تحاريب مادة (حرب) المعجم الوسيط، ج1، ص: 163.
 (6) ذعاقا: سما قاتلا من ساعته ج ذعف ويقال موت ذعاف سريع مادة (ذعف) المعجم الوسيط، ج1، ص: 212.

1- إشارة إلى قوله صلى الله عليه وسلم: ((جعلت ذرية كل نبي في صلبه، وجعلت ذريتي في صلب علي بن أبي طالب))⁽¹⁾.

2- إشارة إلى قوله -[صلى الله عليه وسلم] - (فاطمة بضعة مني) الحديث.⁽²⁾

(1) رواه الإمام أحمد في مسنده، أول مسند المدنيين أجمعين ، حديث السائب بن خالد أبي سهيلة. (مسند أحمد رقم 15965 الحديث).
(2) وفي رواية أخرى عن المسور بن مخرمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال { فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني }
أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب مناقب قرابة رسول الله ومنقبه فاطمة بنت النبي، رقم الحديث 3437.

الثالثة: ومما قال بالهامل وقد وافى ختم ملحّة الحريري للسيد الخليل نجل الشيخ سيدي مصطفى القاسمي – رضى الله عنهما – وقد سئل أن يقول في ذلك وكان ولده محمد في صحبته فقال مخاطبا له:

- 1) محمدٌ بَشَّرَنِي بعز وإقبال إذا ما حللنا في عرِيَسَةِ رَبِّبَال⁽¹⁾
- 2) إذا ما نزلنا بين لِيْتِ وأشبُل بهم، تُدَقِّعُ اللَّأْوَا⁽²⁾ وأبْلُغُ آمالي
- 3) هم العُرُوَّةُ الوُتْقَى⁽³⁾ هموا كعبَةُ النَّدى همُوا قِبْلَةَ الرَّاجِي هموا صَقْوَةَ الآل
- 4) هموا حَرَمُ اللَّاجِيءِ عَزَ نصيرُهُ وإكسِيرُ⁽⁴⁾ ذي فقرٍ لِنَصْرٍ وإفضال[16]
- 5) لَعَمْرُ أبِيكَ الخَيْرِ ما خاب ضارِع أتى المصطفى يرجوه في هَيْجِ أهوال
- 6) إمامُ الهُدَى بَحْرُ النَّدى قامعُ العِدَى ومُجْلِي الصِّدَا⁽⁵⁾ ذُو الفخر والحسبِ العالي
- 7) إليه لقد أمَّت بليلى رِكَابُنَا قَبَشَّرَ صُبْحُ النَّجْحِ طَائِشَ آمالي⁽⁶⁾
- 8) همامٌ إذا يلقاك يلقاك باسما كأنك تُعْطِيهِ الرِّغَائِبَ في الحال [17]
- 9) يحفُّ به الآل الكرامُ كَهَالَةِ بيدرٍ تمامٍ حالٍ صحوٍ وإكمال
- 10) لدى المسجدِ المعمورِ حُمٌّ لِقَاؤُنَا فكان لنا عيدًا عظيمًا بإجلال
- 11) به خَتَمَ الخليلُ شرحا لِمُحَاة⁽⁷⁾ وناهيك بالخليل من خير أنجال

1

- 12) وكُنَّا نرى أن الخليلَ إمامنا وشيخَ شيوخِ العلمِ في العصرِ الخالي [18]
- 13) فقد بَعَثَ الرَّحْمَنُ مِن قِيَضِ قُضْلِهِ خايلا به تحيا العلومُ بأعمال
- 14) هنيئًا لنا إنَّا إنْظَمْنَا بِسِمَطِهِ ومن عرف الخِضَمَّ يَزْرِي بأوشال⁽⁸⁾ [19]

بأوشال⁽⁸⁾ [19]

(1) عريسة رثيال: ماوى الأسد مادة (أعرس)، المعجم الوسيط، ج2، ص: 592.
(2) اللأواء ضيق المعيشة، مادة (لأى)، المعجم الوسيط، ج2، ص 811.
(3) العروة الوثقى: أي من يستمسك بهم ويعتصم على سبيل المجاز مادة (عرا) المعجم الوسيط، ج2، ص: 597.
(4) إكسير: شراب في زعمهم يطيل الحياة، مادة (أكرس)، المعجم الوسيط، ج1، ص 22.
(5) مجلي الصدا: مزيل العطش الشديد، المعجم الوسيط، مادتي (جل)، ص: 121، و(صدي)، ص: 511.
(6) أمت ركاتبنا: قصدت رواحلنا من الإبل، مادة (ركب)، لسان العرب لابن منظور، المجلد الأول، ص: 428.
(7) الملحّة: ملحّة الإعراب منظومة في النحو لقاسم الحريري (ت1122) شرحها الرملي والسيوطي وابن مالك، مادة (ملح) المعجم الوسيط ج2 ص: 883. وكانت شائعة بين طلاب زاوية الهامل، نقل: عن عمر بن قينه الديسي حياته وأثاره وأدبه، ص: 168.
(8) انتظمتنا بسمطه: أي نظم واحد، مادة (سمط)، المعجم الوسيط، ج1، ص: 448.
أوشال: مياه تسيل من أعراض الجبال تجتمع ثم تساق إلى المزارع ويقال: جاؤوا أوشالا يتبع بعضهم بعضا، مادة (وشل) المعجم الوسيط ج2 ص: 1053.

[انتهى]

(1) هو الخليل بن أحمد شيخ سيبويه ومخترع ومؤلف فن العروض - رحمه الله ورضي عنه - وفيه يقول ابن عبد ربه الأندلسي:

مافلسف البطليس جالينوس وصاحب القانون بطليميس

ولا الذي يدعونه بهرمس وصاحب الأركان والإقليدس

فلسفة الخليل في العروض وفي صحيح الشعر والمريض إلخ تغمدهما الله برحمته و أسكنهما فسيح جنته اللهم آمين.

الرابعة: سأله الشيخ سيدي أحمد بن الحاج محمد القاسمي - رحمه الله - أن يقول في تهنئة بولد فقال متفائلا بلفظ القرآن الكريم:

130 1214 1344 هـ

- (1) قَلْ أَبْشِرْ أَيْ أُرْخْ نَيْلَ الْأَمَانِي بِهَلالِ بَدَا فَبَيْلَ الثَّمَانِ
(2) ذَا هَلالِ الْفَخَارِ حَقَّ لَهُ سَبَبٌ ق هَلالِ الْإِفْطَارِ إِذْ هُوَ ثَانِ

1

- (3) جَاءَ فِي الْعَشْرِ رَاصِدًا لَيْلَةَ الْقَدْرِ
(4) وَاسْتَهْلَّ وَمَا اسْتَقَلَّ غَلامُ الْـ
(5) أَلْ بَيْتِ النَّبِيِّ مِنْ ذَا يُسَامِي
(6) شَهِدَ اللَّهُ فِي الْكِتَابِ لَكُمْ
(7) أَنْتُمْ الْأَكْرَمُونَ أَصْلاً وَفِرْعَا
(8) بِأَبِي الْقَاسِمِ الْأَغْرَاهُئِيِّ
(9) بِأَبِيهِ الْهُمَامِ حَاوِي الْمَزَايَا
(10) عَالَمٌ عَامِلٌ إِلَيْهِ انْتَهَى الْفَضْـ
(11) وَبَعَمَّ عَمَّ الْأَنْامَ نَوَالَا
الْفَرْقَدَانَ⁽²⁾

- (12) وَبِخَالٍ فِي فَيْضِهِ الْبَحْرُ خَالٌ
[23]

- (13) وَبِجَدٍّ بِجَدِّهِ أَدْرَكَ السَّـ
(14) وَبِقَوْمٍ هَمُوا الْخُلَاصَةَ مِنْ عَدِ
(15) أَخْجَلَ الْبَدْرَ نورهَ لَيْسَ يَدْعَا
(16) عِشْ أَبَا الْقَاسِمِ الْأَبْرَّ دُهُورَا
بِقَ أَتَعَبَ لَاحِقًا غَيْرَ وَاوَانِي
نَانَ خَيْرَ الْأَنْامِ فِي كُلِّ عَانِ
إِذْ لَهُ قَدَّ تَقَارَنَ الْقَمَرَانِ
ثُحْيِي مَجْدَ الْأَبَاءِ دُونَ تَوَانِ [24]

(1) التقلان: الجن والإنس مادة (تقل)، المعجم الوسيط، ج1، ص: 98.

(2) الفرقدان: نجمان في السماء لا يغريان، مادة (فرقد) لسان العرب لابن منظور، المجلد 3، ص: 334.

(3) يوم كريمة وطعان: الحرب، أو الشدة في الحرب، ج كرائه مادة (كره)، المعجم الوسيط، ج2، ص: 785.

17) وَاَتَّبِعْ سُنَّةَ الْجُدُودِ اقْتِدَاءً مَهْدِيًّا هَادِيًّا رَفِيعَ الْمَكَانِ⁽¹⁾

18) طِبَّتْ أَصْلًا وَمَوْلِدًا عِشْرَ بَارِخٍ طَوَّلَ عَيْشَ مُعَزَّزًا بِأَمَانٍ⁽²⁾ [25]

45 1080 125 94 عام 1344هـ

(1) إشارة إلى ما جاء في ليلة القدر، قال صلى الله عليه وسلم: { التمسوها في العشر الأواخر من رمضان }⁽³⁾ [انتهى]

(1) اقتدى اقتداء بالجدود: تسنن بهم وفعل فعلهم، مادة (اقتدى)، المعجم الوسيط، ج 2، ص: 719.

(2) طببت أصلا: لذ وحسن وحلا وجاد مادة (طاب)، المعجم الوسيط، ج 2، ص: 573.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب فضل ليلة القدر والحث على طلبها...، رقم الحديث 1989

الخامسة: قطعة كتب بها إلى حاكم مترجم عرضت له حاجة عنده قال:

- (1) سلامي على شخص المكارم والفخر
 (2) ومن قادتِ الأمالُ فيه ركائبي
 (3) ومن جمعَ البحرَين من رائق⁽²⁾ اللُغَا
 (4) ومن ترجمَ الأفكارَ حتى كأنما
 (5) فلو لم يكن مُلكُ ابنِ داودَ قبله
 (6) هُماما إذا يلقاك يلقاك باسمَا
 (7) وقفتُ له أبغي المني مُتبقنا
 (8) فهش⁽⁵⁾ وبشَّ فعلَ ذي المجد والنهي
 (9) وردَّ حسودي بالمُغَاظَةِ راجعا
 (10) وقد عُدتُ مثلوجَ الفؤاد من المني
 (11) سألزم نفسي ما حبيبتُ امتداحه
 (12) وما أنا ممن يُكفرُ الصنْعُ عنده
 (13) عليه سلامُ الله ما قال مُنشدٌ
- ومن جمعَ الآدابَ للقهرِ والنصر
 فألقيتُ رحلي⁽¹⁾ في حمى مُفردِ العصر
 وفي مجمعَ البحرَين مُنقَطُ الدُرِّ
 يحلُّ محلَّ النفس من كاتمِ السرِّ [27]
 لأعربَ عن نطقِ الصّوادح⁽³⁾ في الوكر
 وعندَ ابتسامِ البرقِ يُرجى ندى القطر⁽⁴⁾
 ولولاهُ لم أفه بنظم ولا نثر
 ومن عادةِ الأمجادِ تلقاكَ بالبشر [28]
 يعرضُ على أنا مِلّ الدلّ والقهر
 وقد ملكتُ أفضاله الحرّ من شكري
 وإن مُتُّ عنه سوفَ يُخلفني شعري
 وليسَ كمثلِ الصنْعِ يملكُ للحرِّ [29]
 سلامي على شخص المكارم والفخر [30]

[انتهى]

(1) ألقى رحله: أي أقام، مادة (ترحل)، المعجم الوسيط، ج 1، ص: 334.

(2) راق من الماء: الصافي مادة (راق)، المعجم الوسيط، ج 1، ص: 364.

لغي بالماء: أكثر منه وهو لا يروى مع ذلك، مادة (لغي)، المعجم الوسيط، ج 2، ص: 831 والمراد به في قوله (رائق اللغا): أنه لا يقل جودا وكما عن البحر الذي يضرب به المثل في الجود والندى

(3) الصوادح: صدح الطائر صدحا وصداحا: رفع صوته فأطرب، مادة (صدح) لسان العرب لابن منظور، المجلد الثاني، ص: 600.

(4) قطر الندى القطر المطر، الندى في الأصل ما يسقط في الليل من غبار الماء المتكاثف والمراد هنا ما يوجد به الممدوح من فضل وخير مادة (ندي) المعجم الوسيط ج 2، ص: 912.

(5) هش هشاشة انشرح صدره سرورا به مادة (هش)، هش هشاشة كان طلق الوجه، مادة (بش)، المعجم الوسيط، ج 1، ص: 58، ج 2 ص 986.

السادسة: قطعة اعتذر بها للقبطان الحسين المترجم وكان تلميذا له، وطلب منه أن يرافقه في سفره فتخلف وكتب إليه ما نصه:

- 1) اليوم قد أدركتني حرقفة الأدب
 - 2) دعا حسينٌ جزاه الله صالحه
 - 3) وما درى أن حظ العلم تبطني
 - 4) لو اعتصمت برأس النيق أدركني
 - 5) ولو أقمت مقام الحوت في لجج
 - 6) عاث الزمان بحظي ثم عاندي
 - 7) وما درى أن مثلي لا يروعه
 - 8) وطئت نفسي على حب الخمول ولو
 - 9) فاعذر حسين أخاك في تقاعسه
 - 10) واجمع إلى العلم حلماً كي يعاد له
- وشؤمها عاقني عن مُعتلي الرتب
لأن أجوب الفلا⁽¹⁾ في صُحبة الأدب
فما أفكر في جاه⁽²⁾ ولا نثب [31]
طوفائه من عيون هم والكرب
لخفت موت الظما أو مسة القتب⁽³⁾
بيده عند أطوار من اللعب
وقع الزمان ولا هس إلى طرب [32]
رمت الظهور لنا جاني من كتب
واكرع⁽⁴⁾ هديت معين العلم والأدب
كما جمعت معاني العجم والعرب [33]

[انتهى]

(1) الفلاة: الأرض الواسعة المقفرة (ج) فلا، وفلوات، مادة (فلا)، المعجم الوسيط، ج2، ص: 702.
(2) الجاه: المنزلة والقدر مادة (جاه)، المعجم الوسيط، ج1، ص: 148. - النثب: المال والعقار، مادة (نثب) لسان العرب لابن منظور المجلد الأول، ص: 757.
(3) القتب: الرجل الصغير على قدر سنام البعير (ج) أقتاب مادة (قتب)، المعجم الوسيط، ج2، ص: 714.
(4) أكرع معين العلم: كرع في الماء أو الإناء، كرعاً وكرعاً: تناوله بفيه من موضعه من غير أن يشرب بكفية ولا بإناء والمراد به هنا نهل العلم وهو تعبير مجازي، مادة (كرع)، المعجم الوسيط، ج2، ص: 783.

السابعة: قطعة اشتملت على تعزية وتهنئة لمشيخة زاوية الهامل فقال:

- (1) أَحَقًّا عِبَادَ اللَّهِ قَدْ أَقْلَ الْبَدْرُ⁽¹⁾ وقد ضَمَّه بعد العلى في الثرى قبرُ
- (2) وَضَعُضِعَ⁽²⁾ رُكْنَ الدِّينِ أَظْلَمَ جَوُّهُ وغاضَ مَعِينَ الْفَضْلِ بَلْ نَضَبَ الْبَحْرُ
- (3) بِفَقْدِ إِمَامِ الْعَارِفِينَ وَقَطِبِهِمْ⁽³⁾ أَبِي الْقَاسِمِ الْمُفْضَالِ قَدْ عَزَبَ الصَّبْرُ
- (4) وَكَيْفَ النَّسْلِيِّ وَالنَّصْبِيِّ وَاجِبٌ وَلَا غُرُو أَنْ الْبَدْرَ أَخْلَقَهُ بَدْرُ [35]
- (5) وَلِمَ لَا وَأَنَّ الْقَاسِمِيَّيْنَ مَعْشَرُ صَغِيرُهُمْ عِنْدَ الْمَعَالِي لَهُ الصِّدْرُ⁽⁴⁾
- (6) كِرَامٌ فِخَامٌ قَادَةٌ وَأَجَلَةٌ خُلَاصَةٌ مَنْ يَرْسُو بِهِ الْمَجْدُ وَالْفَخْرُ
- (7) وَلَا سِيَمَا شَمْسُ الْمَعَارِفِ أَحْمَدُ هَمَامٌ، إِمَامٌ كَلَّمَا التَّبَسُّ الْأَمْرُ
- (8) فَشَادَ مَنَارَ الدِّينِ بَعْدَ انْتِدْرَاسِهِ⁽⁵⁾ وَأَرْغَمَ أَنْفَ الْحَادِثَاتِ وَمَا يَطْرُو [36]
- (9) لِيَهْنَأَ بِهِ الدِّينُ الْحَنِيفُ وَحِزْبُهُ وَتَهْنَأَ بِهِ الدُّنْيَا وَيَهْنَأَ بِهِ الدَّهْرُ
- (10) وَتَهْنَأَ بِهِ أَيَّتَامُهَا وَأَرَامِلُ وَطَالِبَ عِلْمٍ عَضَّةُ الْأَزْلِ⁽⁶⁾ وَالْفَقْرُ
- (11) وَنَسْأَلُ رَبِّي أَنْ يُطِيلَ بَقَاءَهُ عَلَى خَيْرِ حَالٍ حَقَّةُ الْفَتْحِ وَالنَّصْرِ [37]

[انتهى]

(1) أقل البدر أفلا وأفولا : غاب فهو أقل ج أقل وأفول، مادة (أقل)، المعجم الوسيط، ج 1، ص: 21.
(2) وضعضع ركن الدين: يقال وضعضع البناء هدمه حتى الأرض، ويقصد به الشاعر هنا: ركن من أركان الدين وهو تعبير مجازي، مادة (ضعضع)، المعجم الوسيط، ج 1، ص: 529.
(3) القطب: سيد القوم، مادة (قطب)، المعجم الوسيط، ج 1، ص: 538.
(4) الصدر: مقدم كل شيء، وصدر القوم رئيسهم مادة (صدر)، المعجم الوسيط، ج 1، ص: 509.
(5) درس درسا ودرسا: عفا وذهب أثره وتقادم عهده، اندرس مطاوع درس، المعجم الوسيط، ج 1، ص: 280.
(6) الأزل: ضيق العيش، شدة الزمان. المعجم الوسيط، ج 1، ص: 16.

الثامنة: مرثية في الباشاغا سيدنا محمد بن أبي القاسم الأحرش مرتبة على حروف اسمه - رحمه الله - هكذا م ح م د ب ن ا ب ي ا ل ق ا س م إلخ

- (1) نصها = م: ماذا التعزُّزُ بالأنصار والخول والناسُ مُرْتَحِلٌ في إثرِ مُرْتَحِلٍ
 (2) ح: حلتُ مناهل⁽¹⁾ ذي الدنيا لواردِها من حيثُ لم يدر أن السَّمَّ في العسل
 (3) م: مدَّتْ شِراكا على الأجداد وارِ تَصَدَّتْ حبائلَ الغدر بالأغوار⁽²⁾ والسُّبُل [39]
 (4) د: دَبَّتْ عَقَابُهَا للعائدين بها فلم يَبْتَ أَحَدٌ إلا على وَجَلٍ
 (5) ب: بدت عليها صِدَارٌ من صَدَا قَتِهَا وَاسْتَشَعَرَتْ بِحَدَادِ العَدْرِ وَالذَّغَلِ⁽³⁾
 (6) ن: نَعَتْ إلينا قَرِيدَ العَصْرِ فانبَعَثَتْ مدامع أضحكت قوما من الجَدَلِ
 (7) ا: إن كان أضحكهم هُلكُ المَجَادَةِ⁽⁴⁾ فَالذَّ دهرُ الدَّهَارِيرِ يُبَكِّهم على عَجَلِ [40]
 عَجَلِ [40]

- (8) ب: بأيِّ دمع أوقِي المجدَ حصنَهُ بأيِّ صبرٍ أعشُ في الحادثِ الجَلَلِ
 (9) ي: ياشامتين أضلَّ اللهُ سعيكم من ذا نجا من مَضيقِ الحنْفِ والأجلِ
 (10) أ: أين الذين جميعَ الأرضِ قد ملكوا للطولِ والعرضِ من سهلٍ ومن جبلِ
 (11) ل: لم يتركِ الدهرُ من شخصٍ ولا أثرٍ منهم ولا خَبَرًا من أكثرِ الدولِ [41]
 (12) ق: قل للذي بات بالآمالِ مُغْتَبِطًا وكلُّ ذي أَمَلٍ يسعى إلى أَجَلٍ
 (13) ا: إن كنتَ تجهلُ ما قد قيلَ عن لُبِدِ⁽⁵⁾ وعُمُرِ لُقمانه باللهِ قَفْ وَسَلِ
 وَسَلِ

- (14) س: سبحانَ مَنْ حُكْمُهُ بالموتِ عمَّ فمـلوكُ كمن مَلِكُهُ يُسمو إلى زُحَلِ
 (15) م: مالي أرى الشمسَ بعد المجدِ طالعةً كأنما العالمُ العلويُّ لم يَهْلُ [42]
 (16) ب: بدرٌ فَقَدْنَاهُ لا كالبدرِ طَلَعْنَاهُ بحرٌ ولكنهُ عذبٌ لدى النَّهْلِ
 (17) ن: نَسِيْتُ إلا غَدَاةَ الدَّقْنِ لِيَتَهْمُو يذرون كَم دَقَفُوا للناسِ من أَمَلِ

(1) المنهل: ح مناهل المورد أي الموضع الذي فيه المشرب مادة (نهل)، المعجم الوسيط ج 2، ص: 959.
 (2) الأغوار: مفردا الغور، ما انخفض من الأرض مادة (غور) المعجم الوسيط، ج 1، ص: 152، ص: 129.
 (3) الدغل: الحقد المكتنم، مادة (دغل)، المعجم الوسيط، ج 2، ص: 688.
 (4) مجد فلان - يمجذ بضم حرف الجيم، مجادة: كان ذا مجد فهو مجيد (ج) أمجاد، مادة (مجد) القاموس المحيط، ج 2، ص: 854.
 (5) لبِد: اسم آخر نسور لقمان بن عاد وقد ذكرته الشعراء وفي المثل طال الأمد على لبِد مادة (لبِد) لسان العرب لابن منظور المجلد 3، ص 386.

- (18) ا: إن قيلَ غَيَّبَهُ قَبْرٌ بِمَضِيعَةٍ قَبْرُهُ لَمْ يَزَلْ بِالْقَلْبِ لَمْ يَحُلْ
- (19) ل: لله شِيرٌ حَوَى الْبَحْرَ الْمُحِيطَ كَمَا تَجَمَّعَ الدِّينُ وَالْدُنْيَا بِذَا الرَّجُلِ [43]
- (20) أ: أَضْحَى أُسِيرَ الرَّدَى وَلَاتَ حِينَ فِدَا لَوْ كَانَ يُقْدَى قَدَاهُ النَّاسُ بِالْمُقَلِّ
- (21) ح: حَامِي الْحَقِيقَةِ لَمْ يَنْفَكْ قَاصِدُهُ مِنْ فَيْضِ جَدْوَاهُ بَيْنَ الْحُلِيِّ وَالْحُلِّ
- (22) ر: رَحْبُ الْفِنَاءِ لَوْ أَنَّ الدَّهْرَ أَنْسَأَهُ⁽¹⁾ لَمَا شَكَ أَحَدٌ فِي الدَّهْرِ مِنْ خَلِّ
- (23) ش: شَمْسٌ هُوَ الْأَرُخُ⁽²⁾ وَالنُّنْتَانُ يَنْفُصُهَا كَسَفُ الْوَفَا وَغُرُوبِ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ [44]

1338 هـ

[انتهى]

(1) نَسَأَ الشَّيْءَ أَوْ الْأَمْرَ: أَخْرَجَهُ، مَادَّةُ (نَسَأَ)، الْمَعْجَمُ الْوَسِيطُ، ج 2، ص: 916.

(2) هُوَ الْأَرُخُ: أَرُخُ التَّأْرِيخِ: تَعْرِيفُ الْوَقْتِ وَالتَّوْرِيخُ مِثْلُهُ وَالْمُرَادُ بِهِ هُنَا أَنَّهُ لَا يَقْلُ شَأْنًا عَنِ الشَّمْسِ مِنْ حَيْثُ الرَّفْعَةُ وَالضِّيَاءُ وَالتَّأْرِيخُ أَيْضًا مَادَّةُ (أَرُخَ) لِسَانِ الْعَرَبِ لِابْنِ مَنْظُورِ الْمَجْلَدِ الثَّلَاثِ، ص: 3.

- التاسعة: طلب منه جماعة من طلبة الأغواط أن يرثي الشيخ البشير بن الحاج فقال :
- (1) قامت إليّ قبيل الصُّبح تَعْدُ لِنِي
(2) قد رُمْتُ كِثْمَانَهَا سِرِّي فقام لها
(3) تقول مُشْفِقةً إذْ شاهدتْ أرقِي
(4) لقد صَبَوْتُ⁽²⁾ بُعَيْدَ (الإرعواء)⁽³⁾ إلى
(5) أم قد خَشِيتَ عَدُوًّا أَنْتَ تَرَهَّبُهُ
(6) أم من سَقَامِ نَبَا جَنِّبَاكَ عن فُرْشِ
(7) فقلتُ: والله ما أُمْرِي كما ذكرتُ
(8) لكن صُرُوفَ اللَّيَالِي قد بَرَّتْ⁽⁵⁾ جسدي
(9) لم نسمع الدهرَ أن البدر مَكْتَمَلَا
(10) كلا ولا قِيدُ شِبْرٍ قد حَوَى جَبَلَا
(11) هذا وطُودُ العِلا البشيرُ أَقْصَدَهُ
(12) قامت نواذِبُهُ من كل صارخةٍ
(13) ضَجَّتْ وَعَجَّتْ⁽⁶⁾ وثَجَّ الدمعُ مُنْهَمِلَا
(14) تخالُ شمس الضحى والشمسُ طالعةً
(15) يا منهلَ الباردِ السَّلْسَالِ⁽⁷⁾ مالكَ قد
(16) يا كوكبَ الاهتدا للساترين لدى الظ
(17) يا راكبا فرسَ الإظلام معتكفا
الرَّسَّانِ⁽¹⁾
- لَمَّا رَأَتْ عَبْرَتِي تَنْهَلُ كَالْمُزْنِ
به الدَّلِيلان من دمعي ومن شَجَن
مالي أراك طليحا⁽¹⁾ ذاهبَ الوَسَن
مَنْ كُنْتَ تَأَلَّفُهُ في سالفِ الزمن⁽⁴⁾ [46]
وَكُنْتَ لا تَرَهَّبُ الضَّرْعَامَ في العُرْنِ
وقد كنتَ تَأَلَّفُ فيها النَّومَ مَعَ سَكَن
هَنْدًا ولا رغبتي في الإلْفِ والوطن
مَدَّ قِيلَ لي البدرُ رهنُ القبرِ والكفنِ [47]
من قبلُ ذا قدْ هوى النَّوَاءَ بِاللُّكْنِ
كانت به تَهْتَدِي السُّقَارُ في السَّقْنِ
رَيْبُ المَنونِ وأصمَّته يدُ المَحَن
حتى لقد عُدَّ منها الطيرُ في الغصنِ [48]
كَأَنَّ في كل بيت ألف مُمْتَحِن
أَنْ قَدْ هوت فتوتُ في هُوَّةِ الجَنَنِ
صرتَ الأجاجُ⁽⁸⁾ على الرُّوَادِ وَالْفُطْنِ
ظلماء غبتَ فمنْ يهدي إلى السَّقْنِ [49]
لقد غَدَّتْ بعدكم مخلوعة الرَّسَّانِ⁽¹⁾

(1) طليحا: المهزول، والمجهود، مادة (طلح) لسان العرب لابن منظور، المجلد الثاني، ص: 629 - الوسن: النعاس والنوم الخفيف مادة (وسن) المعجم الوسيط، ج 2، ص: 1033.
(2) صبوت: الصب، هو العاشق الولهان، مادة (صب)، لسان العرب لابن منظور، المجلد الأول، ص: 518.
(3) في الأصل (الإرعواء).
(4) رعن رعن رعن ورعونة الرجل: حمق فهو أرعن (م) رعناء (ج) ر، مادة (رعن)، لسان العرب لابن منظور، المجلد الأول، ص: 222.
(5) يرى جسدي هزله مادة (يرى)، المعجم الوسيط، ج 1، ص: 53.
(6) عجت: رفعت صررتها وصاحت مادة (عج)، المعجم الوسيط، ج 1، ص: 584.
(7) السلسال: وقال ماء سلسال: سهل المرور في الحلق لعذوبته وصفاته مادة (سلسل)، المعجم الوسيط، ج 1، ص: 443.
(8) الأجاج: ما يلدغ الفم بمرارتها ملوحته مادة (أجاج)، المعجم الوسيط، ج 1، ص: 6. ويراد به هنا: أنه بعد موتك انقطع جودك وفضلك وانصرف المجنون الذين كانوا يترددون عليك كما يتردد الناس على المنهل العذب.

- 18) يا صائماً في نهار القَيْظِ مُحْتَسِباً
 لقد تركت ذوبك عُرْضَةَ الْفِتْنِ .
 19) قد كنتَ سلكَ قلوبِ القومِ تَجْمَعُهَا
 فاليومَ قد ذكروا ما كانَ منِ إْحْنٍ⁽²⁾ [50]
 20) وَارْوِكَ رَغْمًا وما يدرون من فزَع
 ولوْ دَرَوْا صارتِ الْأَكْبَادُ كَالشَّعْنِ⁽³⁾
 21) أقول للنفس صبرا وهي من جَزَع
 طارتُ عليه شَعَاعا من لظى الحَزَن

1

- 22) لئن يك استأثرَ التُّرَى بِأَعْظَمِهِ
 فقدَ بَقِيَ أثرٌ من ذكره الحَسَن
 23) صبرا ذوي وُدِّهِ، فإن من فَقَدَت
 عِيُونُكُمْ حَيٌّ في رزق وفي مِنَن [51]
 24) عليه من رَحَمَاتِ اللَّهِ أو سَعُهَا
 ما صاحَ نَاعٍ ونَاحِ الطيرِ في فَنَن [52]
 [انتهى]

1- تنبيه: استنكر بعض الأدباء لفظ بقي وقال (إنما) هو بقي . ولما طالع القاموس رجع (لأنها) لغة معروفة في كل فعل ثلاثي معتل اللام بالياء على وزن فعل بكسر العين⁽⁴⁾.

[انتهى]

(1) الرسن: رسن رسنا الدابة شد عليها، والمراد به هنا تلك المظالم فك رباطها بمجرد فراقك كما يفك الرسن عن الدابة وهو على سبيل المجاز مادة (رسن)، المعجم الوسيط، ج1، ص: 345.
 (2) الإحن (م) الإحنة: الحقد والضغن، مادة (أحن)، المعجم الوسيط، ج1، ص: 8.
 (3) شعن شعنا: تشنتت وتفرق، مادة (شعن)، المعجم الوسيط، ج1، ص: 485.
 (4) تجمع كل القواميس، على أن الكلمة (بقي) الشبي، يبقى بقاء، دام وثبت، نقلا: عن لسان العرب لابن منظور، ص: 330، والقاموس المحيط للفيروز أبادي، ص: 1271، وكذلك المعجم الوسيط، ج1، ص: 66.

العاشرة: توفي ولد الشيخ سيدي أبي القاسم بن جابوري فحزن عليه حزنا شديدا فكتب إليه في رسالة مطولة هذه الأبيات:

- (1) لِلْمَوْتِ حَقًّا لِقَاءُ * * وَالنَّاسُ فِيهِ سَوَاءٌ * وَمَنْ تَخَطَّاهُ⁽¹⁾ سَهْمٌ * * فَمَا بَقَاءُ بَقَاءُ
- (2) فَمَا الْقَرَارُ بَدَارٌ * * بِهَا الْقَرَارُ سُورَاءُ⁽²⁾ * وَالْخَيْرُ مَنْ لَفَّ⁽³⁾ زَادًا * * لَهُ يَحَقُّ الْهِنَاءُ
- (3) يَبْغِي خَلَاصًا يَتُوبُ * * لِمَنْ لَهُ مَا يَشَاءُ * مَا لِلزَّخَارِفِ فِيهِ * * مَطَامِحُ وَابْتِغَاءُ
- (4) وَلَا يَبْقَى لِيَعْدُ * * شَيْئًا فَرَّالَ الْعِنَاءُ * وَإِنْ يَنْزِلَ رِزْقَ يَوْمٍ * * فَلِلزَّمَانِ الْعَفَاءُ⁽⁴⁾
- (5) وَلَمْ يَكَاثِرْ بِدُنْيَا * * يَأْتِيهِ فِيهَا عَزَاءُ * كَالطَّيْرِ يَغْدُو خِمَاصًا⁽⁵⁾ * * وَالْعَيْشُ فِيهَا كِفَاءُ
- (6) ذَا إِنْ يَمُتْ فَأَمَانٌ * * وَإِنْ يَعِشْ فَنِنَاءٌ * كَلِيبٌ وَأَيْلَ حَقًّا * * لَمْ يَحْمِهِ الْإِحْتِمَاءُ [54]
- (7) وَمَنْ لَهُ كُلُّ يَوْمٍ * * بُؤْسٌ وَيَوْمًا رَخَاءٌ * وَلَا ابْنَ أُرْوَى كَفَاءُ * * صَنِيعُهُ وَالنَّرَاءُ
- (8) وَحَاتِمٌ ذُو الْمَعَالِي * * أَخْنَى⁽⁶⁾ عَلَيْهِ النَّنَاءُ * وَخَيْرٌ مَنْ قَامَ يَسْعَى * * قَدْ حَقَّ فِيهِ الْعَزَاءُ الْعَزَاءُ

- (9) وَصَحْبُهُ قَدْ تَسَامُوا * * مَا سَامَتْهُمْ سَمَاءُ * وَمَنْ غَدَوْا كَنْجُومٌ * * لِمُقْتَدٍ فَأَضَاعُوا
- (10) لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ بَقَاءٌ * * كَلَّا فَحَقَّ الْبِكَاءُ * وَمَا الْبِكَاءُ بِمَجْدٍ * * كَلَّا وَلَا الْبُرْحَاءُ⁽⁷⁾
- (11) وَالشُّكْرُ لِلَّهِ أَعْلَى * * وَالصَّبْرُ فِيهِ سَنَاءٌ * وَرَأْسُ مَالِكٍ فَرَضٌ * * وَالنَّفْلُ⁽⁸⁾ رِبْحٌ جَلَاءُ جَلَاءُ

- (12) وَالزَّادُ مَا قَدَّمْتُهُ * * يَدَاكَ فَهُوَ الْفِدَاءُ * وَلَنْ تُشَاكَ بِشَوْكٍ * * إِلَّا وَفِيهِ جِزَاءُ
- (13) إِصْبِرْ تَأْسٍ بِقَوْمٍ * * هُمَا هُمَا الْأَصْفِيَاءُ * إِذْ كُلُّ مَنْ زَادَ قُرْبًا * * زَادَتْ عَلَيْهِ الْبَلَاءُ
- (14) وَالشُّكْرُ يَظْهَرُ مِنْهُ * * نِجَادُهُ وَالرِّدَاءُ * وَاعْلَمْ بِأَنَّهَا نُعْمَى⁽⁹⁾ * * حَقَّتْ فَحَقَّ الْهِنَاءُ [55]

(1) تخطى: تجاوزه وتعداه، مادة (اختطى)، المعجم الوسيط، ج 1، ص: 244.

(2) القرار: الإقامة مادة (قر)، المعجم الوسيط، ج 2، ص: 724.

(3) لف: ادخر، مادة (لف)، المعجم الوسيط، ج 2، ص: 832.

(4) العفاء: الزوال والهلاك ويقال، على الدنيا العفاء.

(5) خماص الطير: جائعة، مادة (خمص)، المعجم الوسيط، ج 1، ص: 256.

(6) أخنى عليه الفناء: أهلكه وأتى عليه مادة (خنا)، المعجم الوسيط، ج 1، ص: 26.

(7) البرحاء: الشدة والأذى، مادة (برج)، المعجم الوسيط، ج 1، ص: 46.

(8) النفل: ما شرع زيادة عن الفريضة والواجب، مادة (نفل)، المعجم الوسيط، ج 2، ص: 942.

(9) النعمى: النعماء وهي الخفض والدعة، مادة (تنعم)، المعجم الوسيط، ج 2، ص: 935.

ملاحظة: لم يفصل الشاعر بين هذه القصيدة الرثائية السالفة الذكر وبين مقطوعة أخرى ذات صبغة هجائية قالها في القاضي "حشلاف" وقد أشار إليها بكلمة (زيادة)، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى كون هذه الحادثة جاءت عرضا وهو ما نستشفه من خلال مناسبتها.

15) والله يُبقيك بدرا* والبحرُ فيك إضاء* ثم الرجوعُ لربِّ** له الثنا والبقاءُ

[انتهى]

(زيادة) اتفق أن الشيخ مر يوما على محكمة الجلفة فسمع القاضي حشلاف يقول: ((ما أولاد نائل وأكثرهم لغير رشدة وخيرهم الباشاغا لو أشاء أطلق عليه امرأته))، فأسرهما الشيخ في نفسه وانتظر الفرصة حتى إذا أمكنته سعى له حتى عزل على أسوأ حال وعند ذلك أنشد الشيخ:

- 1) قل كيف أصبح قاضي القوم حشلاف؟ أم قد تظننت أن القول إرجاف⁽¹⁾
 - 2) بل قد تبييت أن الأمر كارثة تأتي عليك وما في الحكم إسراف
 - 3) لقد جنيت الذي زرعته سلفا مثلا بمثل وما في الوعد إخلاف
 - 4) فاشكر أو أكفر وذك ما قد جنيت ولا تجزع فعاقبة الإجحاف إجحاف [56]
 - 5) لئن صرقت بعزل سر شامتكم كم عيت من زانه عدل وإنصاف
 - 6) وكم جفوت⁽²⁾ ذوي علم ومكرمة ولم تراهموا والقوم أضياف
 - 7) وكم مسخت نصوص الشرع عن شره بيعت ببخس لديك فهي أزياف⁽³⁾
 - 8) قد عشت جلفا⁽⁴⁾ بجلفه وهي ساخطة عليك فأرحل بدوم الخزي حشلاف
 - 9) لا عدل فيك ولا وزن ومعرفة طابقت نبزك⁽⁵⁾ إن اللوم أصناف
 - 10) جمعتها وكذا التاريخ سجلها عارا عليك فراحت وهي أوصاف
- 1110 204 31
- 11) أتت عليك جيوش العدل منهزما صاحت مؤرخة لا رد حشلاف
 - 12) عليه من لعنات الله أكبرها تترى⁽⁶⁾ على لحظات الدهر آلاف

(1) الأرجاف: الخبر الكاذب المثير للفتن والاضطرابات ، (ج) أراجيف، مادة (رجف)، المعجم الوسيط، ج1، ص: 322.

(2) جفا جفاء، وجفوا: غلظ خلقه، مادة (جفا)، المعجم الوسيط، ج1، ص: 128.

المكرمة: فعل الخير (ج) مكارم، مادة (كرم)، المعجم الوسيط، ج2، ص: 785.

(3) أزياف: صارت مردودة عليه لعش فيها، مادة (زاف)، المعجم الوسيط، ج1، ص: 297.

(4) الجلف (م) جليفة (ج) أجلاف، وجلوف: الغليظ الجافي، مادة (جلف)، المعجم الوسيط، ج1، ص: 131.

(5) النبزة: العياب للناس بالألقاب بالسوء، مادة (نبز)، المعجم الوسيط، ج2، ص: 897. وفي ذلك تلميح إلى قوله تعالى :

﴿...ولاتنازوا بالألقاب بسئ الاسم الفسوق بعد الإيمان...﴾ سورة الحجرات، من الآية: 11 .

(6) تترى: تتابع وتتوالى، مادة (ترى)، المعجم الوسيط، ج1، ص: 85.

عام 1354 هجرية

الحادية عشرة: قطعة تعزية كتب بها للشيخ سيدي أبي القاسم ابن جابوربي توفي أعز بنيه أبو بكر - رحمهما الله - مسليا له فقال:

- (1) تَبَقَى وَغَيْرُ اللَّهِ لَيْسَ بِبِاقٍ يَأْمَنُ رَقَى أَوْجَ الْعَلَا بِمَـرَاقٍ
(2) وَالذَّهْرُ يَسْجُدُ شَطْرَ بَيْتِ حِمَاكُمَا وَالسَّعْدُ يَخْدِمُكُمْ بِكُلِّ وَفَاقٍ
(3) وَالْمَجْدُ يُلْبِسُكُمْ شَفَافَ بُرُودِهِ وَالْفَضْلُ يَلْقَاكُمْ بِكَأْسِ دِهَاقٍ⁽¹⁾ [58]
(4) وَالْعَزُّ قَامَ مَنَاضِلًا عَنِ عِزِّكُمْ يُرِيدِي عَادُوا كَمَا بِكُلِّ مُحَاقٍ⁽²⁾
(5) وَسَحَائِبُ النَّصْرِ الْعَزِيزِ هَوَاطِلُ بِرُبُوعِ عِزِّكُمْ الْإِثِيلَ سَوَاقٍ
(6) طَوَّقَتْكُمْ جِيدَ الزَّمَانِ جَوَاهِرَا مِنْ بَعْدِ مَحَلِّ⁽³⁾ الْعَيْشِ وَالْإِمْلَاقِ
(7) بِفِرَاسَةٍ وَسِيَاسَةٍ وَنَفَاسَةٍ وَدِيَانَةٍ وَدَمَاسَةٍ⁽⁴⁾ الْأَخْلَاقِ [59]

[59]

- (8) وَتَدْرُعُ بِجَمِيلِ صَبْرٍ فَائِقٍ هَذَا لِعَمْرِي مِنْهُ الْخَلَاقِ
(9) مَاذَا التَّعْزِيَّ عِنْدَ أَرْبَابِ النَّهَى بَلْ ذَا التَّعْزُرِ وَالْهَنَاءِ الْبَاقِي
(10) هَذَا الْفَضَائِلُ فَاحْمَدِ اللَّهَ الَّذِي أَوْلَا كَاهَا مِنْ دُونَ مَا اسْتَحِقَّاقِ
(11) وَابْشِرْ بِصَبْرِكَ لِلْمَكَارِهِ إِنَّهُ مَهْرُ الْجِنَانِ⁽⁵⁾ وَأَنْفَسُ الْأَعْلَاقِ [60]
(12) وَلَكُمْ سَلَامٌ اللَّهُ مَا دَاعٍ دَعَا تَبَقَى وَغَيْرُ اللَّهِ لَيْسَ بِبِاقِ [61]

[انتهى]

(1) دهق الكأس دهقا: ودهاقا: مألها، المعجم الوسيط، ج1، ص: 300 .
(2) محاق: المحاق في الأصل ما يرى في القمر من نقص في جرمه وضوئه بعد انتهاء ليلي اكتماله والمراد به هنا : هلاك العدو وإبادته مادة (محق) المعجم الوسيط، ج2، ص: 856.
(3) المحل: انقطاع المطر ويبس الأرض من الكلا، مادة (محل)، المعجم الوسيط، ج2، ص: 856.
(4) دمت الرجل دمتة ودموتة: سهل خلقه، مادة(دمت)، المعجم الوسيط، ج1، ص: 295. - منة الخلاق: إحسانه وإنعامه، مادة (من) المعجم الوسيط ج2، ص: 890.
(5) مهر الجنان: القلب مادة (جن)، المعجم الوسيط، ج1، ص: 141 والمراد به هنا على سبيل المجاز وكان الصبر صدق الجنان.

الثانية عشرة: لما خلع الأتراك السلطان عبد الحميد بن عبد المجيد وأبطلوا الخلافة وأكروهوا شيخ الإسلام على الإفتاء بلزوم ذلك امتعض المسلمون من جراء ذلك وأنشد الأستاذ الشيخ محمد عبد الرحمن الديسي شيخ مشيخة الهامل قصيدة سماها الحميدية في تأبين الخلافة ونعى على الأتراك ما فعلوا ثم أرسلها إلى الشيخ عبد القادر بن ابراهيم طالبا منه تشطيرها ذلك لما رأى - رحمه الله - تشطيره لقصيدته (العقبية)⁽¹⁾ فأعجبه ذلك غاية الإعجاب، وإليك نصها وفصها الشطر الأول للأصل والثاني والثالث للمشطر والرابع للأصل كما تراه إن شاء الله مبينا:

(1) (تَنَائِي عَلِي عَبْدِ الْحَمِيدِ حَمِيدٌ)

وَشَوْقِي إِلَيْهِ طَارِفٌ وَتَلِيدٌ

(2) وَصَبْرِي قَانِ وَالنَّحْسُ زَائِدٌ

(وَحُزْنِي عَلَيْهِ مَا حَيِّتٌ جَدِيدٌ)

(3) (وَوَجْدِي بِهِ يَحْيَى وَشَجْوِي خَالِدٌ)

وَقَلْبِي عَامِرٌ وَفِكْرِي شَرِيدٌ

(4) وَطَرْفِي رِبِيْعٌ وَالسَّرُورُ مُحْرَمٌ

(وَدَمْعِي يَحْكِي جَعْفَرًا وَيَزِيدُ) [64]

(5) وَمَالِي لَا أَبْكِي عَلَيْهِ وَإِنَّهُ

مَنَارُ الْهَدْيِ أَخْنَى عَلَيْهِ مُبِيدٌ⁽²⁾

(6) لَهُ هِمَّةٌ تَعْلُو وَتَشْتَهْدُ إِنَّهُ

(لَأَمَّةٌ خَيْرُ الْمُرْسَلِينَ عَمِيدٌ)

(7) (وَحَامِي حِمَى الْإِسْلَامِ بِالْبَيْضِ وَالْقَنَا)

مَتَى رَكَعَتْ يَسْجُدُ لَهَا نَّ مَرِيدٌ

(1) نسبة لسبيدي عقبة بن نافع الصحابي الجليل عندما زار ضريحه الناظم صحبة الشيخين الفاضلين محمد الصغير الجلاي ومحمد بن الحاج محمد الهاملي، نقلا: عن عامر بن المبروك محفوظي، تحفة السائل بباقة من تاريخ سيدي نابل، مطبعة النعمان، برج الكيفان - الجزائر - ط1، 2002، ص: 119.

(2) أخنى عليه مبيد: أهلكه وأتى عليه مادة (خنا)، المعجم الوسيط، ج1، ص: 26.

- (8) له فِكْرَةٌ كَمْ خَيَّسَتْ⁽¹⁾ من مُحَقِّقٍ
 (وتَدْيِيرُهُ فِي الْمُعْضِلَاتِ سَدِيدٌ) [65]
- (9) (وَقَدْ كَانَ طَوْدًا لَا يُرَامُ قِرَاعُهُ)
 مَنِيْعًا يُكَلِّلُ الطَّرْفَ وَهُوَ حَدِيدٌ
- (10) وَحِصْنًا لِمَنْ يَرْجُو النِّجَاةَ وَرَأْيُهُ
 (يَقُولُ آراءَ الْقَوْمِ وَهِيَ حَدِيدٌ)
- (11) (فِيَا خَالِعِيْهِ قَدْ خَلَعْتُمْ بِخَالِعِهِ)
 لِأَبَابِ الْهَدْيِ فَمَا سِوَاكُمْ طَرِيدٌ
- (12) وَأَزْعَجْتُمُو دِينَ النَّبِيِّ وَعِظْتُمْ
 (قُلُوبَ جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ فَبِيدُوا) [66]
- (13) (عَدَرْتُمْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَخُنْتُمُوهُ)
 وَمَا هُوَ إِلَّا لِلْعَهْمِ وَوَدَّ قَعِيدٌ
- (14) وَأَعْفَيْتُمُو نَهْجَ النَّبِيِّ وَصَحْبِهِ
 (عَقَابِكُمْ عِنْدَ الْإِلَهِ شَدِيدٌ)
- (15) (جَسَرْتُمْ عَلَى مَنْ طَالَمَا بَاتَ سَاهِرًا)
 حَسِيرًا⁽²⁾ يُرَاعِي النَّجْمَ وَهُوَ قَرِيدٌ
- (16) وَيُرَكَّبُ لِلْجُلَى⁽³⁾ مَجْبِدًا مَحَافِظًا
- (على رَشْدِكُمْ إِذْ لَيْسَ فِيكُمْ رَشِيدٌ) [67]
- (17) (خَرَقْتُمْ سِيَاجَ الدِّينِ وَالِدَوْلَةَ التِّي)
 لَهَا مَجْلَسٌ فِي الْفَرَقْدَيْنِ⁽⁴⁾ وَطِيدٌ

(1) خيس: بلغ شدة الذل والأذى مادة (خاس)، المعجم الوسيط، ج1، ص 265.

(2) حسير: أتعب حتى هزل مادة (حسر)، المعجم الوسيط، ج1، ص 172.

(3) يركب للجلى: الأمر الشديد والخطب العظيم، وفي المثل: (لا يدعي للجلى إلا أخوها) أي لا يندب للأمر العظيم إلا من يقوم به ويصلح له، مادة (جل)، المعجم الوسيط ج1، ص 131.

(4) الفرقدين: الشمس والقمر، مادة (فرق)، المعجم الوسيط، ج2، ص: 686.

- 18) وكانت به تَخْتَالُ فخرًا وأصبحت
(لَسَطَوْتِهَا صُمُّ الْجِبَالِ تَمِيدُ)
- 19) (وَكِدْتُمْ بِهَذَا الْخَلْعِ دِينَ مُحَمَّدٍ)
وقد كان في بُرْدِ الْجَلالِ يَفِيدُ
- 20) فَجُوزَ يَنْمُوا الْخِدْلانِ فِي كُلِّ مَوْقِفٍ
(ومن كاد دينَ اللهَ فَهُوَ مَكِيدُ) [68]
- 21) (سَتَجْنُونَ شَوْمَ الْبَغِيِّ حَصْدًا بِسَيْفِهِ)
وما الْبَغِيُّ إِلَّا لِلْعَناءِ وَصِيدُ
- 22) وما هو إِلَّا لِلْمَذَلَّةِ جالِبٌ
(وبالْبَغِيِّ أَعناقُ الْبُغاةِ حَصيدُ)
- 23) (سَمَّيْتُمْ بنا الْأَعْداءَ يا عَصْبَةَ الْخِنا)⁽¹⁾
فأَصْبَحَ عِزُّ الدِّينِ وَهُوَ فَقيدُ
- 24) وَأَضحتْ جَميعَ الْكائِناتِ تَدْمُكُمْ
(فأَنْتُمْ لَعَمْرِي سَوْقَةٌ وَعَبِيدُ) [69]
- 25) (تَسَمَّيْتُمْوا حِزْبَ التَّرْقِيِّ)⁽²⁾ سَفاهةً
وَهَلْ يَنْرَقِي جاهِلٌ وَبليدُ
- 26) وَكَيْفَ التَّرْقِيِّ وَالهُوى بِكُمْوا هوى
(وَصُنْعُكُمْوا لِلانْحِطاطِ بَرِيدُ)
- 27) (وما اللَّفْظُ بِالدَسْتورِ إِلَّا وَسيلةً)
لَمَنْ هُوَ لِلذَّيْنِ الْقويمِ نَدِيدُ
- 28) وما هو إِلَّا حيلةً وَحِبالَةٌ
(لباغِ خرابِ الْمُسْلِمِينَ يُريدُ)

(1) عصابة الخنا: جماعة الفحش، مادتي (عصب) و (خنا)، المعجم الوسيط، ج 1، ص 360، ج 2، ص 603.
(2) هو اسم حزب كونه المتواطئين على السلطان عبد الحميد، والذين كانوا سببا في إسقاط الخلافة الإسلامية، نغلا: عن عامر بن المبروك محفوظي، تحفة السائل بباقة من تاريخ سيدي نابل، ص: 119.

(29) (فلاسفة معطلون أجانبٌ)

أبالسة للشَّيْبَانَ تَحِيدُ [70]

(30) فما منكموا من راقب الله ربّه

(كأن لم يكن حقا لديكم وعيد)

(31) (فللدين حام من سواكم وناصرٌ)

وفي كل قرن لا يعوز نجيد

(32) كذا لا يزال العز يرفع بئده

(وحافظه ربّ تعالى مجيد)⁽¹⁾

(33) (ظننتم بدون الشرع إصلاح أمركم)

فلا الشرع متبوع ولا القوم صيد [71]

(34) رفعتم لواء الفيلسوف وزعتموا

(وذلك جهل ما عليه مزيد)

(35) (وأكرهتموا شيخا فأفتى تقيّة)

وما قال إلا للنجاة يصيد

(36) فأكسف شمس الدين منه بفثية

(وما قال عن صوب الصواب بعيد)

(37) (فهلا اقتديتم بالأروبا التي ارتقت)

فأضحى لها في الخافقين⁽²⁾ قديد⁽³⁾ [72]

(38) تعالت فأعلت كل ذي همّة علت

(فنعظيّمها لمصلحيها أكيد)

(39) (وسلطانكم قد كان أكبر مصلح)

به النصر يسمو والجؤود تزيد

(1) مجيد: الخير الكثير، مادة (مجد)، القاموس المحيط، ج2، ص: 343.

(2) الخافقين: أفق المشرق والمغرب (ج) خواق، مادة (خفق)، المعجم الوسيط، ج1، ص: 247.

(3) قديد: الصوت والجلبة، والمراد به هنا أنها أصبح لها صوت مسموع، وصيت ذائع، مادة (قد)، المعجم الوسيط، ج2، ص: 677.

- (40) فَأَفَّ بَيْنَ الْمُبْغِضِينَ وَأَصْبَحَتْ
(له عُدَّةٌ مرهُوبَةٌ وَعَدِيدٌ)
- (41) (وَسَلَّمَ قَسْرًا سَاسَهُ الْقَوْمَ فَضْلَهُ)
وفي صدر أَعْدَاءِ الْإِلَهِ وَقَيْدٌ⁽¹⁾ [73]
- (42) أَقْرُوا وَخَرُّوا سَاجِدِينَ لِيَايِهِ
(وَقَالُوا جَمِيعًا إِنَّهُ لَوَحِيدٌ)
- (43) (فَكَمْ رَتَّقَ⁽²⁾ الْفَتَقَ الْمَهُولَ بَعْزَمَهُ)
فَأَصْبَحَ عِزُّ الْكُفْرِ وَهُوَ وَئِيدٌ
- (44) وَأَحْيَا مِنَ الدِّينِ الْحَنِيفِ رُسُومَهُ
(وَأَعْلَى مَنَارِ الْمَلِكِ فَهُوَ مَشِيدٌ)
- (45) (وَكَمْ بَدَّ مُحْتَالًا⁽³⁾ وَأَرْغَمَ حَاسِدًا)
تَقَاصَرَ عَنْهُ وَالِدٌ وَوَلِيدٌ [74]
- (46) وَسَدَّ تُغُورًا أَصْبَحَ الْأَمْنُ سَائِدًا
(فَسَالَمَ جَبَّارٌ وَلَانَ عَنِيدٌ)
- (47) (وَقَلَّمَ لِلْيُونَانِ أَظْفَارَ بَأْسِهِمْ)
فَرَاخَتْ رِمَاحُ الْقَوْمِ وَهِيَ قَصِيدٌ⁽⁴⁾
- (48) (وَجَلَبَبَهُمْ خَسْفًا⁽⁵⁾ فَأَرَعَبَ رُوسَهُمْ
وَكَانَ لَهُمْ قَصْدٌ يَسُوءُ مَدِيدٌ)
- (49) (وَجَدَّدَ أَجْنَادًا وَأَسَّسَ نَافِعًا)
ظَلَّ زَهِيدٌ الْعَيْشِ وَهُوَ رَغِيدٌ

(1) الوقيد: الذي يغشى عليه لا يدري أميت هو أم حي، مادة (قد)، المعجم الوسيط، ج2، ص: 1048.
(2) رتق الفتق: أصلح ذات بينهم، مادة (رتق)، المعجم الوسيط، ج2، ص: 226 وفي ذلك تلميح لقوله عز وجل ﴿أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما...﴾ سورة الأنبياء من الآية: 30.
(3) بد محتالا: فاقه، مادة (بد)، المعجم الوسيط، ج1، ص: 45.
(4) إشارة إلى الحرب التي خاضها مع اليونان سنة 1897م نقلا: عن الموسوعة الميسرة بإشراف محمد شفيق غربال، ص: 1180.
(5) خسفا: مذلة وهلاك، مادة (خسف)، المعجم الوسيط، ج1، ص: 224.

(50) وأبرأ سقَمَ الدِّينِ والعِزُّ مُقْبِلٌ

(وناهيكمُ خَطُّ الحِجَازِ شَهِيدٌ) [75]

(51) (فَاعْمَالُهُ مَبْرُورَةٌ وَقُصُودُهُ)

وَمَا هُوَ إِلَّا لِلصَّلَاحِ مُرِيدٌ

(52) لَهُ عَزَمَاتٌ⁽¹⁾ كَامِلَاتٌ تَوَاقِبُ

(وَتِلْكَ تَنَادِي إِيَّاهُ لَسَعِيدٌ) [76]

[انتهى]

(1) العزيمة: يقال: هذه عزيمة من عزمات الله: حق من حقوقه، والمراد بقوله عزمات كاملات أي كل ما عليه من حقوق خالقه. مادة، (عزم) المعجم الوسيط، ج 2، ص: 599.

*نص فتوى بوجوب خلع السلطان عبد الحميد) إذا اعتاد زيد الذي هو إمام المسلمين أيرفع من الكتب الشرعية بعض المسائل المهمة الشرعية، وأن يمنع بعض هذه الكتب ويمزق بعضها ويحرق بعضها وأن يبذر ويسرف في بيت المال، ويتصرف فيه بغير مسوغ شرعي، وأن يقتل الرعية ويحبسهم، وينفيهم ويغير بهم بغير سبب شرعي وسائر أنواع المظالم ثم ادعى أنه تاب وعاهد وحلف أنه يصلح حاله ثم حنث وأحدث فتنة عظيمة جعلي أمور المسلمين كلها مختلة وأصر على المقاتلة وتمكن منعة المسلمين من إزالة تغلب زيد المذكور، ووردت أخبار متوالية من جوانب بلاد المسلمين ن أنهم يعتبرونه مخلوعاً وأصبح بقاؤه محقق الضرر، وزواله محتتمل الصلاح. فهل يجب أحد الأمرين خلعه أو تكليفه بالتنازل عن الإمامة والسلطنة على حسب ما يختاره أهل الحل والعقد وأولي الأمر من هذين الوجهين؟ كتبه الفقير السيد ضياء الدين تقلا: عن محمد مصطفى الهاللي، السلطان عبد الحميد الثاني، بين الإنصاف والجحود، ص: 227-228.

الثالثة عشرة: أرسل إليه الشيخ محمد بن عبد الرحمن الديسي – رحمه الله – بتشطير بيت مفرد عثر عليه في شارح القاموس ذيله ببيت ثان من نظمه وسأله أن ينظر في تشطيره ويصلح منه ما ظهر إصلاحه، ولما أمعن الشيخ عبد القادر فيه النظر عثر على غلط فيه فأصلحه وشرطه تشطيرا لائقا فقال الشيخ الديسي: إنا لله بيت واحد لم يتيسر لي تشطيره، وقد رزقت أن أنظم النظم البديع ولم أرزق التشطير والحمد لله ونص البيت المشار إليه.

إذا قسم الهوى أعشار⁽¹⁾ قلبي

فسهماك المعلى⁽²⁾ والرقيب⁽³⁾

[انتهى]

تذييله:

تشطير الشيخ محمد عبد الرحمن – رحمه الله –

إذا قسمَ الهَوَى أعشارَ قلبي

فسهماكِ المُعَلَّى والرَّقِيبُ

وذيله بقوله:

ولمَّ لا يا سعادُ وأنتِ شمسٌ وكلُّ النَّيَّراتِ⁽⁴⁾ بها تغيبُ

ونص تشطيره :

إذا قسم الهوى أعشار قلبي

فما فيه لغيركمُوا نصيبُ

وسهْمُ العاذلاتِ عليكِ وِعْدُ

وسهْمَاكِ المُعَلَّى والرَّقِيبُ

تتبعه لتبديله الفاء واوا:

(1) أعشر الجزور: الأنصباء، والعشر قطعة تكسر من القدر أو البرمة كأنها قطعة من عشر قطع والجمع أعشار، وقد ر أعشار قدور أعشير مكسره على عشر قطع

(2) المعلى: سبعة أنصباء والرقيب ثلاثة فإن فاز الرجل بهما غلب على جزور الميسر كلها ولم يطمع غيره في شيء منها وجعل أبو الهيثم اسم السهم الذي له ثلاثة أنصباء الضريب والذي سماه ثعلب الرقيب وقال اللحياني بعض العرب يسميه الرقيب. نقلاً: عن لسان العرب، المجلد الرابع، ص: 574.

(3) ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، 1958م، ص 33.

(4) النور (ج) أنوار ونيران: الضوء أيا كان أو شعاعه، مادة (نور) القاموس المحيط للفيروز آبادي، ص: 512.

فبدل الفاء في فسهماك واوا والمشطر أسير القائل فليس له نقص ولا زيادة ولا تبديل
ولذلك أصلحه الشيخ عبد القادر هكذا:

إذا قسم الهوى أعشار قلبي فمما فيه لغيركمُوا نصيب
وإن رضي العَدُولُ⁽¹⁾ الوغدُ سهمًا فسهماك المعلى والرقيبُ
ثم شطر البيتين كأنهما لقائل واحد فقال :
(إذا قسم الهوى أعشار قلبي)

ولا واش وقد ذهل الرقيبُ
وحاز العاذلاتُ الوغدَ سهمًا

(فسهماك المعلى والرقيب)

(ولم لا يا سعادُ وأنتِ شمسُ)

قدنك اللائماتُ ومن تغيبُ
وهل كالشمس يوجدُ في الدراري

(وكل النيراتِ بها تغيبُ)

وكان الشيخ عبد القادر يقرر لبعض تلاميذه قول امرئ القيس

وما ذرفت⁽²⁾ عيناك إلا لتضر بي

بسهميك في أعشار قلب مقتل

فقال التلميذ أنت أيها الأستاذ أراك لا تحبني كما بينغي ولا تعنتي بشأني

فأجابه

فأجابه الأستاذ بقوله:

(1) العذل: الملامة، كالتعذيل، والاسم العذل محرکه، مادة (عذل)، الفاموس المحيط للفيروز آبادي، ص: 1044
(2) ذرف الدمع: يذرف ذريفا وذرفانا وتذرافا إذا سال، كما يقال دمعت عينه، استعار للحظ عينيها ودمعها اسم السهم لتأثيرهما على القلوب
وجرحهما إياها كما أن السهام تجرح الأجسام وتؤثر فيها. - الأعشار: من قولهم بردة أعشار إذا كانت قطعة، ولا واحد لها من لفظها، - المقتل
المنزل غاية التذليل، والقتل في الكلام التذليل، ومنه قولهم قتلت الشراب إذا قلت غرب صورته بالمزاج، ومنه قول الأخطل:
فقلت اقتلواها عنكم بمزاجها وحب بها مقتولة حين تقتل

وقال حسان إن التي ناولتني فرددتها قتلت قتلت فهاتها لم تقتل . وتلخيص المعنى على هذا القول: وما دمعت عينك وما بليت إلا
لنصدي قلبي بسهمي دمع عينك وتجرحي قطع قلبي الذي ذلته بعشفاك غاية التذليل، وقال آخرون: أراد بالسهمين المعلى والرقيب من سهام
الميسر والجزور تقسم على عشرة أجزاء فللمعلى سبعة أجزاء وللرقيب ثلاثة أجزاء فمن فاز بهذين القدحين فقد فاز بجميع الأجزاء وظفر
بالجزور، نقلا: عن حنا الفاخوري، ديوان امرئ القيس ، ص: 33-34.

يُقامرني على أعشار قلبِي

وسهماه المعلى والرقيب

ملكته الكل فاسجح⁽¹⁾ يا حبيبي

فلا نجح العدول ولا الرقيب

[انتهى]

والمعلى والرقيب: سهمان من سهام الميسر حظ الأول سبعة، وحظ الثاني ثلاثة فإذا قسم الجزور على عشرة فمن حاز المعلى والرقيب فقد استتم العشرة أقسام والوعد ليس

[انتهى]

له شيء⁽²⁾

(1) الأشجاح حسن العفو: مادة (سجح)، القاموس المحيط للفيروزآبادي، ص: 248.
(2) هذه الشروح تمت الإشارة إليها في صفحة سابقة، ولعل الناسخ قد اعتمد على نفس المرجع، أو على مراجع أخرى، وكلها تستند على شرح واحد، وإن تعددت صياغته .

الرابعة عشرة: وكتب في جواب معاتبه من بعض الأصدقاء:

- (1) أَرخَيْتُ مِنْ شَرِّخِ الشَّبَابِ عَنَانِي
وَوَطَّنْتُ مِنْ مَرَحِ النَّشَاطِ عَنَانِي⁽¹⁾
- (2) وَرَكضْتُ خَيْلَ اللّهُو فِي مُرْجِ الهوى
وَلَمْ أَرَعُو مِمَّا عَنَاهُ عَنَانِي⁽²⁾
- (3) وَكَمْ اسْتَمَلْتُ الصَّخَرَ حَتَّى فَجَّرْتُهُ
وَأَجِبْتُ خِدْنًا⁽³⁾ بِالْخُدُورِ دَعَانِي [83]
- (4) فَفَقَا خَلِيلِيَّ عَلَى رِبْعِ عَفَا
بِاللّهِ مِنْ هَذَرِ الْعَنُودِ دَعَانِي
- (5) هَذَا زَمَانٌ لَيْسَ يَعْذِرُ مُعْذِرًا
فَلِزُورِ أَهْلِ الْعَدْلِ كَيْفَ يُدَانِي
- (6) مَالِي بِحَمْلِ خُطُوبِهِ مِنْ مُنَّةٍ
كَأَنَّ وَلا لِلصَّبْرِ عِنْدِي يَدَانِ
- (7) جَلْدِي وَهَى وَالطَّرْفُ مَنِّي قَدَسَهَا⁽⁴⁾
بَيْتِي السُّهَاءَ وَنَدِيمِي الْقَمْرَانَ [84]
- (8) أَرْنُو يَعِينُ لَاتَزَالُ غَرِيقَةً
وَمِنَ الْجَفُونَ الْوَجْدُ أَلْقَمَ رَانِي⁽⁵⁾
- (9) فَمِنْ الْعَجَائِبِ أَنْ أَرُّ مَتَوَانِيًا
أَيْحَقُّ فِي جَنْبِ الْكِرَامِ تَوَانِ

(1) شرح الشباب: أوله ونضارته، المعجم الوسيط، ج1، ص: 478 - العنان (ج) أعنة: وهو لجام الفرس، وقوله (أرخی من عنانه) وهو المراد من قول الشاعر، وهو على سبيل المجاز المرسل، مادة (عن) المعجم الوسيط، ج2، ص: 632.

(2) مرج الشباب: المرج في الأصل الموضع ترعى فيه الدواب، وإرسالها للرعي، مادة (مرج) وقد استعملت هنا على سبيل المجاز. القاموس المحيط للفيروزآبادي، ص: 230 ولعل المعنى مستوحى من قوله تعالى: ﴿مرج البحرين﴾ سورة الفرقان، الآية 53 - العنان ما يبدو لك من السماء إذا نظرت إليها.

(3) الخدن: الصديق (ج) أخذان، مادة (خذن)، المعجم الوسيط، ج1، ص: 222- الخدر بالكسر: ستر يمد للجارية في ناحية البيت، كالأخدور، وكل ما وارك من بيت ونحوه (ج) خدور وأخداز جج أخادير، مادة (خدن) القاموس المحيط للفيروزآبادي، ص: 408.

(4) سها: غفل عنه، مادة (سها)، المعجم الوسيط، ج1، ص: 495.

(5) رنا رنوا: أدام النظر في سكون طرف، مادة (رنا)، المعجم الوسيط، ج1، ص: 376.

(10) كلاً وربَّ العرشِ إني مُعذِّرٌ

والوَجْدُ مُدَّ جَدِّ الفراقُ تَوَانِي

(11) هلْ يَبْتَغِي الإِنْصَافَ حَقًّا مُنْصِفٌ

عند الصَّدِيقِ ولوَأْتَى بِمَثَانِي [85]

(12) هذا وَتَسْرَعُ الوُدُّ قَدْ قالِ اعْزِرُوا

أولاً فَأسْبَابُ الوَدَادِ مَثَانِي

(13) فلكمُ سَلامٌ وَالأحِبَّةُ كُلُّهُمُ

مَاغْنٌ شَادٍ عِنْدَ رَبِّ مَثَانِ

(14) وَاعْزُرُوهُ عَيْنُ المُحِبِّ لِذِكْرِهِ

ذَلِكَ الحِمَى وَتِلْوَاةٍ لِمَثَانِ (1) [86]

[انتهى]

(1) تكررت لفظة المثاني في أضرب الأبيات الأربعة الأخيرة و المقصود من هذه اللفظة كما قيل: إنها الفاتحة لأنها تكرر في الصلاة، و قيل: إنها السور الطوال السبع؛ (البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنعام، الأعراف و الأنفال)، و سميت بالمثاني لأن الأحكام الشرعية تكرر فيها مثل القصاص و الميراث. نقلا: عن عمر بن قينة، الديسي حياته وأثاره وأدبه، ص: 173.

الخامسة عشرة: وقعت ظلامه على الشيخ من قاضي البلدة إذ ذاك اللعين أحمد بن الشيخ بن التاوتي الذي وشى به إلى النصارى فحبس أياما ولما أُطلق سراحه قال:

(1) لئن سرَّ بعضَ الشَّامتين بنا حبسي

فقد ضرَّهم حقا رجوعِي إلى أنسي

(2) وإن غرَّهم أني تواريت مُبعدا

فما ضرني أني تشبهت بالشمس

(3) وما أنا إلا العودُ بالنار سَبْرُهُ⁽¹⁾

ويظهر فضلُ النَّبِرِ بالسَّيِّئِ لا اللَّمسِ

(4) طلعت عليهم مَطْلَعُ البدرِ فانتَبَهوا

على أثرِ بالرَّجسِ والبخسِ والنَّحسِ

(5) ألا قل لِعَادِ طوره في شِنَاعَتِي⁽²⁾

فعضَّ على أَبَاخِسِ الغَيْظِ والبَخَسِ

(6) أما أن أن تلقى الحِمَامِ⁽³⁾ تَغِيظَا

فمركبنا عما قريبٍ بكم تُرسي

[انتهى]

وبعد ذلك سعى الشيخ في عزل ذلك الظالم الغاشم فعزل - [أخزاه الله] - على أسوء حال ثم أدركته عقوبة الملك العدل فرماه حمار كان راكبه في الساقية، في يوم شات فأدرك على آخر رمق وقبض إلى لعنة الله من يومه .

[انتهى]

(1) سبر الشئ: خبره، مادة (سبر)، المعجم الوسيط، ج1، ص: 413.

(2) شِنَاعَتِي بغضي مادة (شِنَأ)، المعجم الوسيط، ج1، ص: 495.

(3) الحِمَام: قضاء الموت وقدره، مادة (حم)، المعجم الوسيط، ج1، ص: 198.

السادسة عشرة: وقعت مشاحنة ببسكرة بين بعض طلبتها في مسألة نحوية في عبارة الأشموني شارح الألفية ، فعاند أحدهم وركب رأسه ونشر سؤالاً في إحدى الجرائد ولكن لم يجبه أحد احتقارا لشأنه، فقال الشيخ متعجبا ومعاتبا له:

(1) ما كنتُ أعهدُ بسكرة

من قبل نشرذا الســــوال [90]

(2) إلا رياضاً يانعا

ت بالعلوم وبالرجــــال

(3) هذا وفي المجند النبأ

عنها بأوصاف الكمال

(4) حتى تعجرفَ جاهل

يُخزِعُ عِبْلَ يحكي الخُبــــال⁽¹⁾

(5) وتمارى⁽²⁾ في خبر لكا

ن بما سوى نصبٍ فقال [91]

(6) إن كان غرك قولهم

رفع إظهار باحتمــــال

(7) فاعلم بأن الخيــــر هو

لا غيرة فــــادر المــــقال

(8) أولاً فبان هــــزالها

قدماً فأهاكــــها الهــــزال [1]

[انتهى]

(1) إشارة إلى قوله :

لقد هزلت حتى بدا من هزالها كلأها وحتى سأمها كلُّ مقلــــس. [92]

(1) تعجرف الأمر: أقدم عليه دون أن يتروى فيه ، مادة (عجر)، المعجم الوسيط، ج 2 ، ص: 585 - خزعل: الحديث المستظرف يضحك منه، مادة (خزع) - الخيال: النقصان، مادة (خبل) ، المعجم الوسيط، ج 1 ، ص: 232 وص: 217. وفي ذلك تلميح إلى قوله تعالى ﴿لو خرجوا فيكم مازادوكم إلا خبالاً﴾ سورة التوبة، الآية 47.
(2) تمارى: شك، مادة (مرى)، القاموس المحيط للفيروز آبادي، ص: 134.

السابعة عشرة: حضر الشيخ يوما بدار الإفتاء بالجزائر، وفيه اجتمع المفتون من العمالات الثلاث، فصافحهم واحدا واحدا إلى أن بلغ مفتي معسكر، وكان يسمى الهاشمي ولما مد إليه الشيخ يمينه ليصافحه مصافحة شرعية مد المفتي إليه شماله على عادة الإفرنج من التسوية بين اليمين والشمال، فظن الشيخ أن ذلك لشلل بيمينه فبقي مفكرا في شأنه يسارقه النظر حتى تبين له أن لا شلل به وإنما ذلك لجهله بسنة المصافحة، فقال مرتجلا:

(1) ولما ترأينا ابتدرت⁽¹⁾ مُسَلِّمًا

كذي مِقة يُبدي سرورا فيفتَر

(2) فلاقيت كزًا⁽²⁾ مُكفَهرا كأثما

يقابله كلُّ عليه ولا وقرُّ

(3) يصافح بالشِّمال شلَّت يمينُه

ويدفع في صدر القيام ولا عُذر

(4) ويدخُرُ اليمنى لنحو امتخاطه⁽³⁾

وبَوَلٍ وخرءٍ هكذا يقتضي الأمر

(5) ومنذ دعوهُ هاشميا حسيبُه

يُطابق وَسَمًا⁽⁴⁾ مثلما زُرِكش القبر

(6) وقَدَمًا يقولون السَّليْمُ تفاؤلا

وذو الكسْر مجبورٌ لِقَالٍ ولا جَبْرٌ

ثم بدل القافية لما قيل له أنه يسمى الهاشمي فقال:

(1) يُسَمَى الهاشمي ويدعيه

ويجهلُ سنةً للهاشميِّ

(1) ابتدره بكذا: عاجله به، مادة (بدر)، المعجم الوسيط، ج 1، ص: 42 - ذي مقت: مقتت فلانا مقتنا أبغضه أشد البغض فهو مقتيت وممقوت القاموس المحيط للفيروز آبادي، ص: 187.

(2) كزا: رجل كز وقوم كز بالضم، والكزاز: البخل، ورجل كز اليمين أي بخيل مثل جعد اليمين مادة (كزز) لسان العرب لابن منظور، المجلد الخامس، ص: 400.

(3) امتخاط: امتخط فلان أخرج ما في أنفه، مادة (مخط)، المعجم الوسيط، ج 2، ص: 857.

(4) الوسم: العلامة، مادة (وسم)، القاموس المحيط، ص: 1177.

(2) يصافح بالشَّمَالِ مُصَافِحِيهِ

وما يدري الذكيَّ من الغبيِّ

(3) ويُفتي العالمين به فنُّوي

مُقَلِّدَهُ مُخَالَفَةَ النَّبِيِّ

(4) عليه لعائنُ الديَّانِ نثرًا

على كَرِّ العَدَاةِ⁽¹⁾ مع العشيِّ

فقام الشيخ العاصي فانتبه على ما فرط منه وطلب من الشيخ أن يتجاوز عنه.

[انتهى]

(1) الغداة والغدية (ج) غدوات وغديات وغدايا وغدو: البكرة أو ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس مادة (غدو) والعشية: آخر النهار (ج) عشايا وعشيات مادة (عشو)، القاموس المحيط للفيروز آبادي، ص: 1323، ص: 1318.

الثامنة عشرة: ألح الشيخ عبد القادر القاسمي رحمه الله مع ولد الشيخ محمد الذي كان كاتبه وصاحب سره وعلى الشيخ عبد القادر ان يهنئ الشيخ صالح بن عاشور رئيس إدارة المكاتب والتحرير بالمجلس الجزائري بوسام الاحترام الذي كان قلده في تلك الأيام فكتب إليه رسالة تهنئة بديعة في بابها وختمها بأبيات نصها:

(1) هِنَاءٌ عَلَى مَرِّ اللَّيَالِي يُجَدِّدُ

وَعِزُّهُ وَإِقْبَالٌ وَفَخْرٌ وَسُؤْدُدٌ

(2) بِمَجْدِ طَرِيفٍ فِي الْخِلَالِ وَتَالِدِ

كَفَى الْقَاسِمِي شَاهِدًا وَمَحْمَدُ [98]

(3) هُمَا أَكْرَدَا مَا بَيْنَنَا مِنْ مَوَدَّةٍ

وَإِنْ لَمْ يَحِنْ يَوْمُ اللَّقَاءِ فَتَسْعَدُ

(4) فَيَا وَاحِدًا فِي الْعَصْرِ إِنْسَانَ عَيْنِهِ

وَيَاغْرَةُ الْمَجْدِ الْمَآثِرِ⁽¹⁾ تَشْهَدُ

(5) وَيَا حَامِلًا لَوَاءِ كُلِّ بِلَاغَةٍ

وَحَسَانَتِهَا سُحْبَانَهَا الْمُنَائِدُ

(6) إِلَيْكَ رَفَعْنَا بِالتَّهَانِي بَاقِيَةَ

عَسَاهَا تَفُوزُ بِالْقَبُولِ وَتُحْمَدُ [99]

(7) وَمَا أَنْتُمَا مِمَّنْ يُهَيَّئُ بَرْتَبَةَ

وَإِنْ عَظُمَتْ فَالْفُضْلُ أَعْلَى وَأَمَجْدُ

(8) فَعَشْ فِي مَعَارِيجِ الْكَمَالَاتِ رَاقِيَا

عَلَى مَا تَوْحَّاهُ الْخِصَالُ تُعْقَدُ

(9) عَلَيْكَ سَلَامٌ بِالتَّهَانِي مَطْرُزِ

يَرُدُّ فِي فَمِ الدُّنَا وَيَجِدُّ

(1) المآثر ج، المآثر والمآثر: البقية من العلم تؤثر، القاموس المحيط للفيروز آبادي، ص: 366.

(10) يُؤَافِي الحمى من شيق للقائكم

وإن شطاً⁽¹⁾ مَغْنَاهُ وَعَزَّ التجلُد [100]

[انتهى]

والحمد لله أولاً وآخراً.

(1) شط: بعد، مادة (شطط) ، القاموس المحيط للفيروز آبادي، ص 596 - 1 المغنى: المنزل الذي غني به أهله ثم ظعنوا، القاموس المحيط للفيروز آبادي، ص: 1325- عز التجلُد: عز: قل، فلا يكاد يوجد فهو عزيز (ج) عزاز ، مادة (عز)، القاموس المحيط للفيروز آبادي، ص: 541.

الخاتمة: لما أصيب الباشاغا يحيى بن السعيد – رحمه الله – بصدمة سيارة ثم أبل من مرضه قال الشيخ مهنتاً له:

- 1) سَلِمَ المَجْدُ والنَّدَى والفَخَارُ
- 2) فلكم أسوءة بخير البرايا⁽¹⁾
- 3) فاصبروا ليس في التَّصْبُرِ نَقْصٌ
- 4) يا وحيدَ الزَّمانِ فَاهِنَ بِإِبْلا
- 5) واعلموا أنه ارتفاعُ مقامٍ
- 6) فَانْهَيْتِكَ بل تُهني البرايا
- 7) وتُهَيِّى أرامِلُ واليَتامى
- 8) ويُهَيِّى الفقيرُ والبائسُ المهضوم والمُجْتَدِي⁽⁴⁾ النَّدى والمُجارُ
- 9) كعبة المُجْتَدِي عَدَّتْكَ العوادي⁽⁵⁾ وحمالك العشي والإبكار [101]

[انتهى]

(1) البرايا: (ج)، (م) البرية: الخلائق أو البشر، مادة (برا)، المعجم الوسيط ج1، ص: 531.

(2) الإبلا: أبل المريض بلا: شفي، مادة (بل) القاموس المحيط للفيروز آبادي، ص: 982.

(3) الدنيا: (ج) الدنيا، المعجم الوسيط، ج1، ص: 299.

(4) المجتدي: الجادي وهو طالب الجدوى، مادة (جاد)، القاموس المحيط للفيروز آبادي، ص: 1276 - المجار: المظلوم، مادة (جار)، القاموس

المحيط للفيروز آبادي، ص: 146.

(5) العوادي: نواب الدهر، مادة (عدا)، المعجم الوسيط، ج2، ص: 589.

الفصل الثاني

وصف وتحقيق الخطوط

1- وصف المخطوط:

تمكنت من الحصول على نسخة مصورة عن النسخة الأصلية التي تحتفظ بها زاوية الهامل (بدون رقم)،مبتورة الأصل، خالية من صفحة العنوان، على الرغم من أهميتها إذ تعتبر هذه الأخيرة ذات أهمية قصوى، لاحتوائها على عنوان الكتاب واسم مؤلفه وما إلى ذلك من المعلومات.

واحتوت الصفحة الأولى على ما نصه: (الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه أجمعين.

وبعد هذه كراسة برسم السيد علي بن سالم المائدي حفظه الله طلبها من مؤلفها وناظمها الشيخ عبد القادر بن إبراهيم أطف الله به أمين .

وهي تشتمل على بعض القصائد من مديح ورتاء لمؤلفها صانه الله.وقد فتشنا على القصائد الموثقة الرنانة من إنشاء الشيخ كتهنته للباشاغا السعيد بن عبد السلام بارتقائه وتنصيب ولده محمد رحمه الله، وقصيدة هنا بها القاضي جلول بن محمد وكان صديقا له وأخرى لرجال الهامل، فما عثرنا إلا على التزر اليسير وقد تناولت الكثير منها يد الضياع وهذا بعض ما عثرنا عليه قيدناه في هاته الأوراق لطالبه ، أما النثر فشيء لا يكاد يحصى والسلام ختام)⁽¹⁾ . إلا أن هذا المخطوط لم تكن موضوعاته في - حقيقة الأمر - مقتصرة على هذه الأغراض التي أشار إليها علي بن سالم المائدي - وإن كانت الأكثر كما والأوفر حظا- بل أن هناك أغراضا أخرى سنوردها في معرض دراستنا لأغراض المسعدي الشعرية في القسم الثاني من الفصل الثاني.

(1) الشيخ أبو الأنوار دحية أمين، زاوية الهامل عبر مقابلات ومراسلات كتابية.

2- تحقيقه: يقع المخطوط في 51 ورقة علما بأن هناك صفحات بيضاء⁽¹⁾ في كل صفحة (8 أسطر)، وفي كل سطر حوالي (6 كلمات) ، نسخ على ورق مسطر حديث ،وعلى دفتر لولبي مسطرته تضمنت القياسات التالية: الطول 30سم، العرض 12 سم خال من تاريخ النسخ والتأليف، باستثناء قصيدتين إحداهما رثى بها الباشاغا سيدنا "محمد أبي القاسم بن الأحرش" نظمها في سنة 1338هـ، وأما الثانية فهي قصيدة هجائية نظمها في القاضي "حشلاف" والتي حدد تاريخها بسنة 1354هـ .

صدر المخطوط بمناسبات تتماشى وطبيعة الموضوع، مرقم بالحروف الأبجدية ولعله اتخذها كشكل من أشكال التعقيد* حيث تكون هذه الأخيرة رقما كذلك وهو « استخدام قليل عرف منذ القرن الثامن الهجري أو قبله »⁽²⁾، وأحيانا يغفل هذا الترقيم كما هو الشأن بالنسبة للمقطوعة السالفة الذكر والمتمثلة في هجاء القاضي "حشلاف" وكذلك القصيدة الأخيرة والتي كانت بمثابة إيذانا بإنهاء هذه المجموعة الشعرية معنونا أياها بـ (الخاتمة) علما بأنه ذكر التعقيد مرة واحدة فقط في القصيدة الثالثة عشرة وذلك في قوله: «فأجابه»⁽³⁾

تعاور على كتابتها شخصان أو أكثر، وبخطين مختلفين، أو لاهما خط المتن الذي قدمت فيه الأشعار، والخط الثاني يتعلق بالهامش وما تحتوي عليه من تعليقات وتنبهات وشروح، وإحالات.

خط المتن كبير، مكتوب بخط مغربي مليح ووضيئ، تسهل قراءته ببسر، جيد الضبط، ومجدول، يكاد يخلو من الأخطاء.

أما خط الهامش فكان بخط مغربي حديث وأصغر من خط المتن مما يدعو إلى استدعاء احتمالين، ويتمثل الاحتمال الأول في كون الكاتب واحد وتعتمد الكتابة بخطين متباينين للتمييز بينهما و"علي بن سالم" أخذها عنه وهنا فهي ملك برسم يشير إلى ملكية هذا الشخص والذي تسلمها من "عبد القادر بن إبراهيم" صاحبها ومؤلفها، وهو ما أكدته

(1) وهي كالاتي ص 11-15-20-26-34-38-45-53-62-88-87-93- مما يوحي إلى ضياع هذه الأوراق، نتيجة للإهمال.

(2) إيراد خالد الطباع ، منهج تحقيق المخطوطات،ص:40.

* التعقيبات قد تكون كلمة، أو جزءا من الكلمة، أو عبارة، أو رقما ، يكتب في آخر كل صفحة ... نقلا: عن المرجع السابق والصفحة ذاتها.

(3) ينظر في الصفحة 80 من أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي النائلي.(المخطوطة).

مقولة أمين الزاوية "الشيخ أبو الأنوار دحية"، بقوله: «لقد أخبرتك منذ البداية أن القصائد مكتوبة بيد الشاعر نفسه، وهو الذي يقول في مقدمتها: برسم وكلمة (برسم) في اللغة المتداولة بين الموثقين خاصة معناها: بطلب من علي بن سالم المايدي، أي: كتبها: بطلب من هذا الشخص».⁽¹⁾

ويعزز هذا الرأي ما ذهب إليه "الميلود قويسم بن الهدار" بقوله: «... ومما كتبه في مقدمة ديوانه بأسلوب الغائب وكأنه شخص آخر يكتب قوله[- رحمه الله-] الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه أجمعين..»⁽²⁾ ثم يضيف قائلاً مبيناً السبب الذي دعا المسعدي إلى ذلك «أقول والذي دعا الشيخ إلى هذا الأسلوب هو معرفته أن لا أحد يقدر أن يقدم لهذا الكنز بهذا التقنن والإجادة وهو من باب التحدث بنعمة الله عليه، أقول والذي أكد لي هذا الإدعاء هو الحاج علي بن سالم نفسه، بل قال إن الشيخ كتبه بيده وبالصمغ بالذات وكفى به شاهداً وشهيداً».⁽³⁾

أما الاحتمال الثاني الذي يمكن ترجيحه أن خط الهامش هو برسم علي بن سالم لا بالاعتماد على اختلاف الخطين فحسب، بل أن هناك سبباً آخر يتعلق بطريقة الكتابة وتتمثل في الآتي: إهمال نقط الحروف وخاصة حرف النون كقوله: (ابن ذي يزن ملك اليمن، غمدان، ابن عباد...).

ونفس الشيء بالنسبة للياء المتطرفة مثل: (رضي، في، الأندلسي يرثي وتوفي...)، وكذلك الأمر بالنسبة للهمزة، والمدة، اللتان لم يجر في كتابتهما على قاعدة ثابتة، فهو في الغالب يسقط رسم الهمزة على الألف مثل: (أرسل، إن، إصلاحه إمعن إزرق...). كما يتخفف في معظم الأحيان من الهمزة الواقعة في وسط الكلمة مثل: (تهنية - المايدي..) دون أن نعدم المتن من هذه الأخطاء إذ لا يخلو من بعض ما سلكه الناسخ في طريقة كتابته ولا سيما بالنسبة لنقط الياء المتطرفة، وهي ظاهرة عامة

(1) الشيخ أبو الأنوار دحية أمين وزاوية الهامل عبر مقابلات ومراسلات كتابية عديدة.

(2) الميلود قويسم بن الهدار، موسوعة التحقيق المتكامل في مناقب وقيم وتقاليده وتراث ونسب أولاد سيدي نايل، (د.ت)، ج3، ص: 226.

(3) المرجع نفسه، ص: 226.

شملت كل قصائده ومقطوعاته ناهيك عن رسمه لمدة على الألف التي تليهما همزة سواء أكانت متطرفة أم لم تكن كذلك مثل: (الاعداء - اقتداء - السماء..)

ومما يدل كذلك على أن خط الهامش من قبيل الناسخ ما ورد على لسانه بصيغة الغائب قوله: (أخذة الناظم فسلبه الجميع، وعدل عن التضمنين وأثبتته لممدوحه كما رأيت)⁽¹⁾، كما يضيف قائلاً في هامش القصيدة التاسعة عشرة: «... ولما طالع القاموس رجع لأنها لغة معروفة في كل فعل ثلاثي معتل اللام على وزن فعل بكسر العين»⁽²⁾ ناهيك عن خلو الكتابة من الشكل إلا نادراً

وحرري بنا في نهاية المطاف أن نقر بأن المخطوط كتب بخطين متباينين، وهو ما يمكن أن نضعه في الحسبان ونأخذه بعين الاعتبار، وهو أمر مائل للعيان ولا يحتاج إلى برهان، كما يجب الإقرار كذلك بأن الناسخ وعلى الرغم مما قيل في حقه فهو - على ما يبدو - على قدر من الثقافة.

ونظراً لكثرة توارد الأخطاء في الهامش ارتأيت عدم إثباتها حفاظاً على عدم تضاعف حجم البحث في غير نفع .

إلا أن كل ما ذكر يبقى محل شك لا يدعو للاطمئنان، لأنني ببساطة تعوزني الحقيقة الساطعة لقطع الشك باليقين، ومرد ذلك إلى شح المعلومات حول هاتين الشخصيتين المغمورتين، الناظم والناسخ على وجه الخصوص ولاسيما وأن شخصية هذا الأخير كانت غائبة أو متغيبية على الرغم بأنني انتقلت إلى مسقط رأس الشاعر "بمسعد" والتقيت ببعض أعيان المنطقة وبعض المقرئين منه⁽³⁾، ومع ذلك لم أظفر بمعلومات قيمة تبديد الشكوك وتجلي كل غامض، فضلاً عن التردد المتكرر بين بوسعادة والجلفة للغرض ذاته.

(1) ينظر: هامش أشعار عبد القادر بن ابراهيم المسعدي النانلي، ص:10. (المخطوطة).

(2) ينظر: هامش المصدر نفسه، ص: 52.

(3) وهم على التوالي بوعكاز عامر شيخ زاوية مقام الأحباب، مسعد - بن دراح أحمد سعيد شاعر ومستشار في التربية (متقاعد) - بن دراح محمد الشريف كاتب (متقاعد) - ناجم على بن دراح (تاجر) بمسعد في 2014/03/26 بمقر الزاوية المذكورة أعلاه.

احتوى المخطوط على أحاديث نبوية شريفة، وشواهد شعرية قمت بتخريجها كما فسرت الكلمات الغامضة، بالإضافة إلى الاختصارات التي استخدمها الناظم والمتمثلة في (إهـ)، (الخ)، (م)*، (صلعم). كما استخدم بعض علامات الترقيم وهي (؟)، (.) وثلاث نقاط للفصل بين شطري البيت الشعري،⁽¹⁾ علاوة على التشطيبات حيث التزم المسعدي بنوع واحد وهو الضرب والذي يعد أفضل طريقة متبعة في المخطوطات العربية.

إضافة إلى ما ذكر استعان المسعدي بحساب الجُمَّل الذي شاع في العهد التركي، حيث يأتي الشاعر بألفاظ تدل حروفها بحساب قيمها العددية على سنة معينة وهو ما نلاحظه في مدونته، وقد توزع على عدد من القصائد، وغالبا ما يحدد المسعدي تلك القيم العددية، والسنة على حد سواء، وهو ما نقف عليه في القصيدة الرابعة:

1344 1214 130

(قل أبشراي أرخ نيل الأمانى)⁽²⁾ ومفتاحه: (أرخ) أي أحسبوا العبارة التي تأتي بعد هذه الكلمة، وتتمثل هذه العبارة في قوله: (نيل الأمانى ...) وحسابها وفقا للقيم المتعارف عليها تتمثل في: $90 = (30+10+50)$ ، $133 = (10+50+1+40+1+30+1)$ ، $142 = (30+10+2+100)$ ، $7 = (1+4+2)$ ، $118 = (50+30+1+30+5+2)$ ، $622 = (50+1+40+500+30+1)$ أما مجموع هذه القيم فهو: 1112، وهي كما نلاحظ لا تتطابق مع السنة الهجرية التي حددها المسعدي والمتمثلة في سنة (1344هـ) وقد تعذر علي الاهتداء إليها على الرغم من مراجعاتي المتكررة لهذه القيم، ومساءلة أهل الاختصاص في هذا المجال.

ويرجع بنا مرة أخرى إلى مراح التاريخ الشعري محددًا السنة والقيم كعادته بعد تزويدنا بكلمة مفتاحها (بأرخ)، وقد وردت في عجز البيت الأخير من نفس القصيدة وذلك في قوله: (طول عيش معزرا بأمان)⁽³⁾

(1) ينظر: ص: 56، ص: 78، ص: 101 من المصدر نفسه.

* تعني (معتمد أو معروف، استعمل الأخيرة أصحاب القاموس...) إباد خالد الطباع، منهج تحقيق المخطوطات، ص: 51.

(2) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي النانلي، ص: 21. (المخطوطة)

(3) المرجع نفسه، ص: 25. (المخطوطة).

45 1080 125 94 عام 1344هـ

وقيمها العددية كالاتي : $45 = (30+6+9)$ ، $380 = (300+10+70)$ ،

$125 = (1+7+7+70+40)$ ، $94 = (50+1+40+1+2)$.

ومن الملاحظ أن كل هذه القيم العددية المحصل عليها قد تطابقت مع القيم المحددة من قبل المسعدي ، باستثناء قيمة (عيش) التي تعذر تطابقها مع القيمة المعزوة من قبله وهي : (1080) ، وهنا يبدو أنه أخطأ في تحديدها ، لأن قيمها بحسب جدول حساب الجمل المعهود هو كالاتي : $(ع=70) + (ي=10) + (ش=300)$ المجموع : 380 ويعود بنا المسعدي مرة ثالثة إلى مربع حساب الجمل ، غير أنه في هذه المرة لا يحدد قيمها ، بل يكتفي بتحديد السنة وهي : (1338هـ) وتتمثل في صدر البيت الأخير من قصيدة رثى بها نجل جابوربي الأول ، وذلك في قوله : (شمس هو الأرخ والتنتان تنقصها...⁽¹⁾). أما الكلمة المفتاحية فهي : (الأرخ) أي احسبوا العبارة التي ترد بعد هذه الكلمة المفتاحية ، أما قيمها العددية فهي كالاتي :

$646 = (1+5+90+100+50+400)$ $1080 = (50+1+400+50+500+30+1+6)$

ومجموعهما : (1684) ، وهي لاتخلو من خطأ ككل مرة . ويرجع بنا المسعدي إلى خانة حساب الجمل ، ويكمن فيمالي :

1110 204 31

(صاحت مؤرخة لا رد حشلاف)⁽²⁾ وأوما لها بكلمة مفتاحية والمتمثلة في : (مؤرخة) والتي تعتبر بمثابة إشعارا ببداية الحساب ، والقيم العددية تتمثل في الآتي : $31 = (1+30)$ ، $204 = (1+200)$ ، $419 = (80+1+30+300+8)$. ومن الملاحظ أن كل القيم قد تطابقت مع ما أشار إليه المسعدي باستثناء قيمة واحدة والمتمثلة في قيمة (حشلاف) ، إذ هي منشأ الخطأ حيث يستحيل الحصول على القيمة العددية التي

(1) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي النانلي ، ص : 44 .

(2) المصدر نفسه ، ص : 57 .

حددها بـ (1110) ، والدليل على ذلك أن قيم هذه الحروف التي تشكل هذه الكلمة وذلك طبقاً لحساب الجمل المعروف هي:

$$(ح=8)+(ش=300)+(ل=30)+(ا=1)+(ف=80) \text{ والمجموع: } 419 \text{ ؟}$$

القسم الثاني

الدراسة

الفصل الأول

عصر الشعراء وحياتهم

تمهيد:

تعد الفترة الممتدة ما بين 1900-1930 حبلى بالأحداث، مما يجعلها محطة هامة لكونها أحفل الفترات مواقف وأحداثا وأزكاها حيوية ونشاطا وأسبقها إلى تجارب رائدة وأشدها جرأة في اقتحام بعض الميادين الحساسة سياسيا وفكريا...⁽¹⁾ ولذا فهي جديرة بالتمعن، والتركيز، والدراسة، وإلقاء الضياء الذي من شأنه أن يوضح الأحداث التي بلا شك ستنتميز على مر الأيام، وتزداد عمقا على محك التجارب، فهي الفترة التي شهدت تحولا في تاريخ ونضال الجزائر ضد الاستعمار، كما شهدت كذلك بروز روافد جديدة للنضال ضده، بعد أن اقتنعت بأن المقاومة غير المنتظمة لا يمكن أن تأتي بثمارها، ما لم تعتمد على ركائز تدعمها، وتستقطب معارضيها - فضلا عن مناصريها- وتجمع شتاتهم، وتلمم شعث شملهم، ليشعروا بقضية المسؤولية الملقاة على عاتقهم، وبالتالي فلا غرو إن قلنا إن هذه العقود الثلاثة بمثابة منبع أساسي لكل الروافد الفكرية، والسياسية التي برزت وأخذت تشق طريقها، ولعله في نفس الفترة نبغ شاعرنا عبد القادر بن إبراهيم الذي واكب هذه الرقعة الزمنية وما بعدها منضويا تحت لوائها .

ولعل أهم المؤهبات التي ساهمت في تحقيق الهدف المنشود، والخروج من هذا النفق المظلم، وإجهاض كل مخطط ينأى عن المسعى عن قصد أو عن غير قصد وأعني بذلك الجمعيات والنوادي التي أنشئت في مختلف مناطق الجزائر في القرن العشرين والتي « ساهمت كلها في خلق جو من التعاون والمشاركة بين الجزائريين كما نشرت مناخا من الثقافة والوعي بواسطة أعمال الخير والإحسان وبناء المدارس والمساجد، ثم إقامة المهرجانات الثقافية والوطنية، مما كان يعزز الوجود الجزائري الوطني»⁽²⁾ واستمرت في تطوير أنشطتها على الرغم من الرقابة الفرنسية التي تترصد تحركاتها، وتسعى للحد من حريتها، وكذلك أذئابها الذين ساروا في ركابها وسخروا لتحقيق أغراضها، غير أن كل ذلك لم يثبط العزيمة، ولم يحبط الإرادة بل

(1) صالح خرفي، الشعر الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ت)، ص: 5.

(2) نور سلمان، الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان - ط1، 1981م، ص: 158.

أنه «طعم الفترة بحيوية المنافسة، وغذاها بحدة المواجهة وأثراها بالمشاريع التي تقف وراء كل اتجاه، تشد جانبه، وتسد ظهر دعائه وأصحابه»⁽¹⁾ ، ولعل أكبر سند هو عدم تحلل الشخصية الوطنية التي بقيت متمسكة «بلغتها وتراثها مع إيمانها بدور الثقافة في تطوير الواقع...»⁽²⁾ من خلال منظور تعليمي اضطلعت به «جمعية العلماء المسلمين» التي أعلنت رسمياً سنة 1931 برئاسة رائد النهضة العلامة عبد الحميد بن باديس وكان لظهورها صدى هائل في الجزائر آنذاك، لأنها كانت تحمل شعاراً أزعج سلطة الاحتلال من ناحية وأثار مخاوف الرجعيين من أبناء الجيل الماضي من ناحية أخرى، هذا الشعار هو العروبة والإسلام، والدفاع عن القومية العربية والدين الإسلامي في سماحته الأولى، وقد لاقت هذه الجمعية في أول الأمر معاناة ومضايقات شديدة، ولكن سرعان ما تطورت وكثر أتباعها»⁽³⁾، والذين أصبحوا يشكلون قوة فاعلة أخذت تهز الشعب هزة، و تبعث فيه روحاً وأملاً جديدين، و من ثم انتشرت الدعوات، وتعالق الصيحات من كل فج عميق .. «تنادي بالنهوض كما تنادي بالتحرك و التحرر من هذه القيود الكثيرة التي رزخ تحتها الشعب أجيالاً طويلة»⁽⁴⁾ ولذلك فحري بنا أن نقول بأنها كانت فترة رصيد من الإرهاصات الفكرية والتطلعات السياسية والإصلاحية والتي برزت مع نهاية الحرب العالمية الأولى، وقبل التطرق إلى الأساليب، والوسائل المنتهجة في مواكبة هذه المرحلة الجديدة، ودورها في خدمة القضية الوطنية، يتعين علينا أن نسلط الأضواء على الحياة العامة بمختلف مناحيها مع محاولة الارتداد إلى منطلق المأساة الجزائرية والمراحل التي مرت بها، وذلك من خلال محاور ثلاثة وهي:

1- الحياة السياسية.

2- الحياة الاجتماعية.

3- الحياة الثقافية .

(1) صالح خرفي، الشعر الجزائري ، ص:6.

(2) نور سلمان، الأدب الجزائري في رحاب الرقص والتحرير ، ص: 160.

(3) أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط3، 1983م، ص: 119.

(4) عبد الله الركيبي، دراسات في الشعر الجزائري الحديث، الدار القومية للطباعة والنشر، العدد178، ص: 17.

أولاً: الحياة السياسية:

يعتبر العصر الذي نشأ فيه الشاعر عبد القادر بن إبراهيم النائلي المسعدي وترعرع في أحضانه، ذروة الاستعمار الفرنسي في الجزائر، كما تشير إلى ذلك كثير من المصادر التي تناولت هذه الأحداث، إذ ولد شاعرنا سنة 1888م، وفي هذا التاريخ دخل الاستعمار إلى الجزائر في جوان 1830م، حيث عرج على احتلال كافة المناطق الشمالية من القطر ثم الجنوبية منها، والتي استعصت على العدو فتحها قبل مطلع القرن العشرين، نتيجة مقاومة سكانها الضارية، والتي تحطمت على صخرتها كل المحاولات ومما يجدر ذكره أن الدولة الجزائرية كانت « قائمة لا تقل عراقية عن مملكة أسرة آل بوروبون التي كانت تحكم فرنسا آنذاك، حيث كان قد مضى على تأسيس الدولة الجزائرية الحديثة على يد الأخوين بوعروج، وخير الدين بربروس أكثر من ثلاثة قرون، كان يرأسها السلطان ثم الباشا في فترة لاحقة، وأخيرا الداوي على التوالي ويسير شؤونها وزراء لهم مهمات لا تختلف عن مهمات نظرائهم الوزراء في المملكة الفرنسية، وكان لهذه الدولة سياسة داخلية، وسياسة خارجية وسلك دبلوماسي أجنبي في الداخل، ومفوضون رسميون في الخارج يبرمون الاتفاقيات ويوقعون المعاهدات باسم الدولة الجزائرية»⁽¹⁾، وقد أنكر المحتلون كل هذه الحجج الدامغة، والأدلة القاطعة، وبرروا غزوهم واستيطانهم للبلد بنفي كل هذه المقومات وإنكارهم لم يكن إلا مكابدة وبحثا عن مبررات للغزو، وأن التصريحات التي صدرت عن قادتهم السياسيين والعسكريين قبل الغزو وبعده، تفند ادعاءاتهم، وتكشف نواياهم الخبيثة، ومن تلك التصريحات أنها « أعلمت قنصلها "دوفال" بالجزائر وطلبت منه أن يتخذ الاحتياطات اللازمة لسلامة الرعايا الفرنسيين المقيمين بالعاصمة وعبادة»⁽²⁾ وما حادثة المروحة إلا ذرّ الرماد في العيون، فهي تتم عن مكيدة مدبرة، وسعي حثيث

(1) أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، دار الكتاب، البليلة - الجزائر - 1963م، ص: 37.

(2) محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ص: 323.

للتعجيل بتنفيذ الخطة، وذلك ما فهمه من كان حاضرا بأن « الحادث كان متعمدا، بل على تواطؤ بين موقفه ورغبة حكومية من أن يثير مشكلا يبرر الحملة القادمة»⁽¹⁾.

وكان الملك " شارل العاشر" نفسه يصرح في ذكرى اعتلائه العرش عن نوازه الصليبية قائلا: «إن العمل الذي سأقوم به ترضية للشرف الفرنسي»⁽²⁾، وأن احتلال الجزائر لم يكن غاية في حد ذاته، وإنما منشؤه ومردده هو صون كرامتها، فيقول مبررا ذلك بقوله: «لم آخذ بالاعتبار سوى كرامة فرنسا ولكن للحفاظ عليها فإني لم أستشر سوى مصلحتها»⁽³⁾، غير أن الثابت و«بالرجوع إلى الوثائق التاريخية والسياسية الاستعمارية المقبلة أن العامل الاقتصادي كان من أهم ما اتفق عليه أرباب الدبلوماسية والتجارة والصناعة في الغزوات التوسعية»⁽⁴⁾.

والدليل على ذلك أن الاستعمار الفرنسي منذ أن وطئت أقدامه أرض الجزائر قد اعتمد على استراتيجية ثابتة تتمظهر في عنصرين أساسيين: أولهما حرب إبادة لإفناء العنصر البشري، وذلك من خلال توسيع رقعة الحرب لجعلها شاملة لكل المناطق الجزائرية، وثانيهما توزيع الأراضي على العنصر الأوروبي، وكان ذلك من أولى الأولويات الاستعمارية، وفي ذلك يقول "كلوزيل": «إن هذه القوة العسكرية التي تحت إمرتي، ما هي إلا وسيلة ثانوية وذلك لأنه لا يمكن أن نغرس العروق هنا إلا بواسطة الهجرة الأوروبية فقط»⁽⁵⁾

غير أن الشعب الجزائري لم يقف مكتوف الأيدي أمام هذا الطوفان الجارف الذي تدفق عبر شواطئ الشمال الإفريقي، بل راح يقاوم بضراوة، وبكل ما لديه من وسائل، منظما المقاومة، ومناديا بالجهاد، ومقيما في كل جهة من جبالها، وسهولها معاقل للكفاح متخذا "عبد القادر بن محي الدين" رئيسا فأظهر هذا الأخير «شجاعة وقدرة حربية لا نظير لها مدة ثمانية عشر عاما»⁽⁶⁾، ولم يكن عبد القادر سياسيا

(1) محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص: 324.

(2) المرجع نفسه، ص: 224.

(3) نور سلمان، الأدب الجزائري في رحاب الرقص والتحرير، ص: 25.

(4) المرجع نفسه، ص: 27.

(5) صالح عباد، المعمرون والسياسة الفرنسية في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1984م، ص: 6.

(6) محمد الطمار، المرجع السابق، ص: 324.

محنكا ومقاوما جسورا فحسب، بل رجل أعمال أيضا فكان كلما « أحدث منشآت جديدة ومعامل ومخازن ومصانع للأسلحة، كان يستعين بهؤلاء الحضر المشردين الذين أخرجوا من ديارهم»⁽¹⁾، وقد اعترف العدو نفسه بمدى مقدرة "الأمير عبد القادر" الذي أصبح شوكة في حلقه، وقذى في عينه، ولذلك كان يتربص به، ويترصده حركاته ويتصيد توجهاته، لإفشال مساعيه، وفي ذلك يقول لويس "فييو": إن قنصل وهران كان « يبذل جميع المساعي لترحيل الباقية من العمال في المدينة، لأن الأمير عبد القادر وضع مشاريع هامة وكان في حاجة إليهم لتحقيقها»⁽²⁾، ولذلك فبفضل هذه العبقرية الفذة فتح التاريخ يومئذ صفحة من أمجد صفحات البطولة، فوق أديم الأرض الجزائرية صفحة سجلتها أيدي الشهداء، مدى هذه الحقبة وتترنم بذكرها الأجيال أبد الأبد، كما يترنم بها الشعراء، والمؤرخ المنصف سيقف موقف الحيرة، والذهول أمام حنكة هذا البطل المغوار وبسالته، التي دوخت الاستعمار، والذي لولا تفوقه في العدة والعتاد «لما نال منه منالا حقا»،⁽³⁾ وعلى الرغم من صغر سنه وقلة تجربته «ينظم الدولة فيحسن تنظيمها ويدون دواوينها ويضبط أمورها ويساك نقودها...»⁽⁴⁾.

وبذلك كان حقيقة: « لمعجزة من معجزات التاريخ، ولقد قلت يوما أثناء خطاب: إن كانت النبوءة بالمعجزات، فشعب الجزائر ولا شك نبي الأمم»⁽⁵⁾، فإن كان كان شعب الجزائر نبيا فما "عبد القادر" إلا رسول يصول ويجول بحيث يعتبر نضاله وما يعتوره من إقبال وإدبار، وهزيمة وانتصار، نذيرا للاستعمار، وامتدادا لثورات لاحقة سابقة كما يسبق الهدوء العاصفة الهوجاء، وتمهيدا للثورة الجزائرية الكبرى، وفي ذلك يقول "صالح خباشة": لئن خضنا الجهاد فما ابتكرنا *** لقد كنا لثورته امتدادا⁽⁶⁾

(1) مصطفى الأشرف، الجزائر: الأمة والمجتمع، ترجمة حنفي بن عيسى، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007م، ص: 217.

(2) المرجع نفسه، ص: 228.

(3) أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، ص: 87.

(4) المرجع نفسه، ص: 86.

(5) المرجع نفسه، ص: 87.

(6) صالح خباشة، الروابي الحمر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (دب)، ص: 122.

وحقا، صدقت مقولة الشاعر، إذ كانت ثورة الأمير عبد القادر امتدادا لثورات ملتهبة ظلت نارها متأججة مضطربة، لا يكاد الاستعمار يخمد منها واحدة هنا، حتى تضطرم له أخرى هناك «حتى أن الذي يحاول تعداد هذه الثورات* في الجزائر خلال فترة الاستعمار الفرنسي يُلفيها تربو على العشر»⁽¹⁾، بل تزيد على المائة حيث «بلغت 300 معركة استشهد فيها 60 ألف جزائري، كما قتل أكثر من عشرين ألف جندي من جنود الاحتلال»⁽²⁾، والتي تعبر مجتمعة عن رفضها وسخطها، وكراهيتها للنظام الاستعماري المستبد، وأساليبه الوحشية التي تفوق التصور، والتي حاول من خلالها أن يطمس بها روح النضال في الشعب الجزائري، ولكن هيهات أن يتأتى له ذلك وهذا ما صرح به الجنرال "لاكوي" محذرا من «النار التي ستبقى في حرب دائمة مع إفريقيا»⁽³⁾، بلى فإنها بقيت كالنار تومض تحت الرماد، ما دام هناك شعب وحق ووراء كل حق طالب، فالجزائر إن خسرت معركة، فلن تخسر حربا، لأنها ستستمر تنظم نفسها إما منفردة، أو مجتمعة تحت زعامة وطنية، مما جعل الاستعمار يجد نفسه مجبرا لكي يتم احتلال الجزائر بكاملها، وأن يحارب كل يوم وفي كل منطقة حربا متصلة أو منقطعة ضد مقاومة عنيفة وحروب كثيرة، شنها في مركز حرج للغاية وفي موقف يزداد سوءا مع الأيام، فلجأ إلى أدنى الأساليب، وهي الغرامات الفادحة والمسؤولية الجماعية للقبائل، وإجبار المجاهدين على وضع السلاح والاستسلام، على الرغم من علمه مسبقا بأنه لا يستطيع بهذه الأساليب الوحشية للإنسانية قهر قوة الشعب المعنوية وكسر شوكته، لأنه أمام وطن عزيز المنال على أعدائه، وشعب كالصخرة الصماء التي تتهالك أمواج البحر أمامها منذ أمد بعيد، على الرغم من تطور أساليب القتال منذ أن تولى الجنرال السفاح "بيجو" القيادة العامة حيث صار «يشكل إستراتيجية مدروسة لها مخططاتها الواضحة وأهدافها المحددة سلفا، كما تطورت فيها أدوات القتل، وتعددت وسائل الإبادة، واستعملت فيها كل أنواع

(1) أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ص: 120.

(2) تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ت) ص: 46.

(3) نور سلمان، الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، ص: 126.

الأسلحة...⁽¹⁾، غير أن ذلك لم يجد نفعا، وها هو أحد القادة الفرنسيين يخاطبهم قائلاً: بأنكم «أمام شعب معتر بنفسه، شعب محارب ومدرب على فنون القتال ومستعد لخوض المعارك على الدوام غير على استقلاله كما يشهد التاريخ بذلك، فإذا أردتم أن تخضعوه وتغيروه وتحرموه من حقوقه لفائدة شعب جديد دخيل عليه، فينبغي أن تكونوا أقوياء إما بتعبئة جيش مجند على الدوام، أو بتقوية عزائم شعبنا وتنظيمه ليكون أقدر على البطش والسيطرة»⁽²⁾، ولم يزداهم ذلك إلا تحدياً، إذ كان بمثابة «مصهر مقدس لتعليم الوطنية ومحك سياسي لتهيئة الشعب إلى خوض غمار النضال المسلح»⁽³⁾، لا من أجل بطولة «استعراضية مزيفة، بل لأن الشعب كان عنده من القوة ومن الحيوية التي لا تقهر، مما جعله يعقد العزم على أنه لا يستسلم قبل أن يستنفذ جميع طاقاته المادية والمعنوية»⁽⁴⁾ وأنى له أن يستسلم؟ حتى وإن فشل فإنه استفاد من كل ألوان الفشل السابقة في مجالي الحرب والسياسة معا ليكتسب خبرة ويخوض ثورة تلو ثورة لتنتشله من مخالب العبودية، ويحدث كل ذلك من خلال الحركة التاريخية ووحدها وذلك النضال القومي الذي ما فتئ ينمو ويتزايد وينتقل من مكان إلى آخر حتى عم سائر أرجاء الجزائر شرقها وغربها شمالها وجنوبها أيضاً حيث امتدت الثورة إلى كل بقعة امتداد النار في الهشيم، وسرت سريان الدم في العروق لتشمّل "مسعد" عاصمة أولاد نائل، مسقط رأس شاعرنا وأحد مرابع طفولته والتي شهدت هي الأخرى أحداثاً مما جعلها محط أنظار العدو وعيونه وخاصة منذ زيارة الأمير عبد القادر إلى أولاد نائل وانعقاد الملتقى الذي عقد على أرض مسعد، بل على صحرائها على وجه الخصوص حضرته وفود من أقطار المغرب العربي الشقيق تدعو إلى توحيد الصفوف وتشكيل قوة المقاومة الاستعمار الغاشم الذي جثم على صدر أقطارهم.

(1) أحمد منور، الأدب العربي باللسان الفرنسي: نشأته وتطوره وقضاياها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ت)، ص: 34.

(2) مصطفى الأشرف، الجزائر: الأمة والمجتمع، ص: 293.

(3) عبد الملك مرتاض، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983م، ص: 22.

(4) مصطفى الأشرف، المرجع السابق، ص: 103.

ولا شك أن هذه الأرض الطيبة الطاهرة التي احتضنت الأمير عبد القادر ومشايخ المغرب العربي وجرت على ثراها معركتان، لا بد أن تكون أرضها قد سقيت بدماء شهدائها، شهداء مضوا، وأسود وقفوا في وجه العدو الغاشم يصدون غزوه، وما الإمام الثائر "عبد الرحمن بن الطاهر المسعدي" المعروف بالشيخ المرابط إلا أحد هؤلاء الأبطال البواسل الذي كانت تتربص به الاستعمار، ويترصده خطاه - كعادته دوماً - إلى أن ألقى عليه القبض وزج به « في سجن سركاجي حيث تم إعدامه في 14 جويلية 1931م المصادف لعيد فرنسا ودفن بمسعد»⁽¹⁾، فضلا عن "التلي بلكل" الذي كان هو الآخر أحد أبطال أولاد سيدي نائل وقاد عدة معارك، منها « معركة ((واد يسر)) في فيفري 1846 والذي تكبد فيها العدو خسائر جسيمة في الأرواح والعتاد، وفي نفس الشهر معركة ((واد السبع)) 1846 و معركة "عين الكحلة"⁽²⁾ بجبل بوكحيل ضد قوات الجنرال يوسف في مارس من نفس السنة بالإضافة إلى معركة عين الناقة بسبب قتل الأهالي لضابط فرنسي بمنطقة المجبارة ويدعى النقيب "ويصال" في 12 أكتوبر 1854»⁽²⁾.

وكان الاستعمار ككل مرة يلجأ إلى أساليبه الوحشية من تقتيل وسلب ونهب وسواها، وما كان ذلك التقتيل والتعذيب والتتكيل والترصد، إلا نتيجة لما لاقاه من مقاومة شرسة أسفرت عن خسائر بشرية ومادية، وها هو "الدوق دورليان" يعترف بذلك قائلاً بأن الحرب «ألحقت بالفرنسيين من الأضرار أكثر مما ألحقته جيوش العدو الأخرى بأكملها، وقد حرمت جيوشنا من النوم، لأنها أرغمته أن يظل دائما في حالة استنفار»⁽³⁾. مما دفع بضباطهم إلى القيام بغارات يتلذذون بما يقومون به، وذلك ما اعترف به الجنرال "شانغاريني" متحدثا عن جنوده الذين خرجوا في عملية عسكرية و« وجدوا خير تسلية لهم في الغارات المتكررة التي كنت أشنها في الشتاء ضد

(1) حفناوي بن عامر غول ، محطات في مسيرة العلامة عبد القادر بن ابراهيم المسعدي النائلي نقلا عن الجلفة انفو/ www.djelfa.info

(2) معركة عين الكحلة ، والتي جرت بجبل بوكحيل وشاركت فيها فرقة أولاد نائل بمعية الأمير عبد القادر ضد الجنرال يوسف، نقلا عن: الجلفة انفو/ www.djelfa.info

(2) حفناوي بن عامر غول ، محطات في مسيرة العلامة عبد القادر بن ابراهيم المسعدي النائلي نقلا عن: عن الجلفة انفو/ www.djelfa.info

(3) مصطفى الأشرف، الجزائر، الأمة والمجتمع ، ص: 104.

القبائل المناهضة لنا»⁽¹⁾ وأضاف مبررا ما يقومون به من أساليب وحشية بأنها مستمدة من "الإنجيل" قائلا: «إن الكتاب المقدس قد علمنا بأن يشوع وغيره من القادة الذين بارك الله في عملهم كانوا يقومون بغارات رهيبة»⁽²⁾ ثم يردف قائلا: «زيادة على الأمثلة لا بد أن أضيف تبريرا لعملنا، بأنه إذا كان من الممكن في الحروب المعهودة في أوروبا أن نرغم العدو على طلب الصلح بعد إلحاق الهزيمة به، في معركة أو معركتين، واحتلال عاصمة بلاده والاستيلاء على الخزينة العامة، وفرض الضرائب الباهظة عليه، وإيقاف الحركة التجارية في بلاده، فليس الأمر كذلك بالنسبة للعرب لأننا بعد أن قضينا على حكم عبد القادر، وشتتنا جيشه، كان لزاما علينا أن نستولي على الأموال والأرزاق، وأن نتلف المحاصيل الزراعية لكي نرغم القبائل على الاستسلام»⁽³⁾، على الرغم من اعترافه بأن الجزائر ليست لقمة سائغة سهلة الابتلاع وورد ذلك على لسان أحد الاقتصاديين الليبراليين^(*) قائلا: إن «الجزائر - نظرا إلى درجة تقدمها- وإلى مؤسساتها وتراثها وإمكانياتها البشرية لا يمكن أن تعد من البلدان القابلة للاستعمار، ولا يجوز أن تعتبر لقمة سائغة لنهب أراضيها الزراعية»⁽⁴⁾، وتلك شهادة يعترف بها العدو ويقر بتقدم الجزائر في كل المجالات غير أنه استمر في القمع والغزو وشن غارات هنا وهناك، والزج بالآلاف في السجون، ودفع بآخرين إلى خوض معارك معه رغم أنهم إلى أن كانت نهاية الحرب العالمية الثانية التي شكلت حدا فاصلا بين مرحلتين: أولاهما: دورانها في حلقة مفرغة قوامها أفكار مضطربة وأصوات ترتفع ثم تخفتو دعوات متناقضة وقوى موزعة مشتتة كالبركان المشحون تهيج حممه طورا فينفجر انفجارا عنيفا، وتسكن هذه الحمم طورا آخر فيثوب إلى الهدوء ولكن إلى حين... فإن مثل هذا الهدوء الذي كانت تعرفه الجزائر لم يطل أمده حيث أعقبته فترة تاهب وتوثب وذلك ثاني الأثافي

(1) مصطفى الأشرف، الجزائر، الأمة والمجتمع، ص: 105.

(2) المرجع نفسه، ص: 107.

(3) المرجع نفسه، ص: 107.

(*) الليبرالية: هي مذهب سياسي أو حركة ووعي اجتماعي، تقوم على قيمتي الحرية والمساواة، تختلف تفسيرات الليبراليين لهذين المفهومين وينعكس ذلك على توجهاتهم، ولكن عموم الليبراليين يدعون في المجمل إلى دستورية الدولة، والديمقراطية، وهي أيضا مذهب سياسي واقتصادي معا نقلا عن عبد الرحيم السلمي " الليبرالية نشأتها ومجالاتها، موقع www.ibtesama.com

(4) مصطفى الأشرف، المرجع السابق، ص: 264.

المشكل لانعطاف أمارت اللثام عن طغيان الاستعمار وجبروته وظلمه وصالفه ومكره وخداعه من جهة أخرى، وثالثتها فشل المسعى السياسي الذي أكد للشعب عدم جدواه وما مأساة (8 ماي 1945م) إلا أكبر دليل على ذلك، ومن الظلم بل من الخزي والعار أن نسدل الستار عن هذه الحادثة الأليمة أو نمر مرور الكرام دون أن نشير إلى تلك المجزرة الرهيبة التي راح ضحيتها (45 ألفا) من المسلمين تلك حصيلة موسم الصيد الآدمي، واضمحلال قرى وخراب جهات فسيحة وإعدام النخبة المفكرة في كامل الجهة، وإذا كان "عبد الملك مرتاض" لا يلقى مثيلا «لهذه المذبحة التي أقامها الفرنسيون في الجزائر خلال شهر مايو من سنة خمس وأربعين، في التاريخ المعاصر، إلا أن يكون ضحايا القنبلة الذرية الأمريكية في هيروشيما باليابان»⁽¹⁾، فإن ما قام به الصليبيون في حملتهم على القدس لا تقل شراسة وهمجية وذلك سنة (492هـ) حيث تركت الآلاف تسبح في مناقع الدم عند «أعتاب مساكنهم، بجوار المساجد وكان بينهم من الأئمة والعلماء والزهاد المتصوفين الذين كانوا في عزلة ورعة في الأماكن المقدسة، ولقد أكره من بقوا على قيد الحياة على القيام بأشق الأعمال، أن يحملوا جثث ذويهم فوق ظهورهم ويكدسوها بلا قبور في الأراضي البور ثم يحرقوها قبل أن يذبحوا بدورهم، أو يباعوا في أسواق النخاسة...»⁽²⁾، ولا غرو في ذلك فكلها حروب مسرلة برداء الصليبية، تلك الحرب التي «صارت من الفنون الجميلة»⁽³⁾. كما اعترف بذلك "توماس دوكوانسي" (Thomas Dequansi) وعلى الرغم من كل هذه المصائب مجتمعة لم تستطع أن تقتلع من هذه الأمة الجزائرية الأبية من (مركب الكمال) فالجزائري الجائع، المريض، البطل المعتري الأمي الذي لا يرى أمام وجهه بابا من أبواب الأمل ومع ذلك لم ييأس، ولم يضعف يوما ولم يضع أنفه في الرغام، ولذلك أثر القيام بثورة منظمة مسلحة لتحرره من تلك الأغلال التي عاشت تحت وطأتها أجيالا طويلة وجعلته يبرز تحت نيرها وكتب

(1) عبد الملك مرتاض، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، ص: 21.

(2) أمين معلوف، الحروب الصليبية كما رآها العرب، ترجمة د/عفيف دمشقية، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط2، 1998م، ص: 13.

(3) مصطفى الأشرف، الجزائر، الأمة والمجتمع، ص: 107.

الفرنسيين التي تباهاوا بطبعها ونشرها سجل حافل بأبشع صفحات الخزي والعار والغدر والخيانة.

وختاما إن كنت قد سمحت لنفسى المضي نحو الأحداث على الرغم من مراعاة الإيجاز والوقوف على زبدة الحياة السياسية في الجزائر تماشيا مع طبيعة البحث التي تستدعي حقبة زمنية سبقت الإشارة إليها، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى خوفا من أن تغتدي تلك التفاصيل غاية في حد ذاتها، على الرغم من أن ذلك يساعد على تتبع الجذور العميقة للنبذة الأدبية، وطبيعة الأرض التي انشقت عنها حتى لا نهتم بالفرع مبتورا عن أصله، أو نستند على أصل مجتث من أرضه بيد أن هذا الفرع يكتنفه غموض بسبب انعدام المرجع والمصدر، وأعني بذلك ناحية الجنوب مرابع طفولة شاعرنا- وهي بذلك لا تختلف في شيء عن النقوش الأثرية الغائصة في الرمال؛ هذا إلى جانب أن الأدب ارتبط بالأحداث ارتباطا وثيقا بسبب أوضاع خاصة سنتبينها فيما بعد، وهذه الأوضاع نفسها تحتاج إلى تحقيق و تدقيق إلا أنه عزيز المنال للسبب المذكور ذاته.

ثانيا: الحياة الاجتماعية:

لقد تبين لنا من الوهلة الأولى من خلال النظرة العامة المقتضية، التي ألقيناها على الحياة السياسية، أنها كانت شديدة الاضطراب، فاضطرب لها حبل الاقتصاد بالنسبة للمواطنين الجزائريين، مما أدى إلى اضطراب اجتماعي ارتدت له الأحوال الاجتماعية ارتدادا كبيرا، نتيجة لتلك السياسة الاستدمارية وما تمخض عنها من أساليب دنيئة من أجل الاستحواذ على المؤسسات الاقتصادية، والاجتماعية التي تزخر بها الجزائر واستغلالها لصالحها لكونها «مليئة بالمغريات المادية وخيراتها البكر التي كانت في انتظار اليد القديرة الطماعة، كما أن موقعها الجغرافي أهلها لدور تجاري كبير، لذلك كانت موضع تعليق الخبراء والاقتصاديين واهتمامهم»⁽¹⁾، ولم تكن تلك وليدة اللحظة وإنما قد أعد له إعدادا محكما منذ أن كانت الجزائر «قد أذنت لفرنسا أن تنشئ مراكز في (القالمة) بشرط ألا تحصن هذه المراكز ولا تسلحها، وأن

(1) نور سلمان، الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، ص: 31.

تدفع ضرائب مقابل السماح لإقامتها»⁽¹⁾، وذلك ما دفعها للسعي إلى اقتلاع جذور الأصلاء وزرع بذور الدخلاء، مما جعل الأحوال الاجتماعية تتطوي على ضنك وقلق شديدين، لما آلت إليه الأوضاع على الرغم من أن المشير "دوبرمون" قد تعهد بـ «احترام الدين وشعائره ومؤسساته وتعهد بحفظ ممتلكات الأتراك، لكنه لم يكذب» يستتب له الأمر حتى أعلن مصادرة أوقاف المسلمين من أرض، وعقا، ومصادرة كل ممتلكات أبناء البلاد من الأتراك ووزعها على الحثالة التي صحبت جيش الاحتلال»⁽²⁾ هذه الحثالة على حد تعبير (محمد الطمار). أخذت تزداد مع السنين «بدرجات متفاوتة فبين سنوات 1830 و1850 استوطن الجزائر 49763 بين فرنسيين وأوروبيين، وبين 1851 و1860 وصل الرقم إلى 103323 مستوطنا وبنهاية عهد الإمبراطورية (1870) وصل الرقم 129898، وقد ازداد هذا الرقم بهجرة الإلزاميين سنة 1871 فوصل سنة 1880 إلى 195418 مستوطنا وعشية الاحتفال المئوي للاحتلال سنة (1929) وصل عدد الجالية الفرنسية في الجزائر إلى 657641»⁽³⁾ ويواصل الدكتور "أبو القاسم سعد الله" كلامه مشيرا إلى عدد السكان الجزائريين، وذلك نقلا عن الإحصاءات الفرنسية التي تمت بحيث إننا إذا «أخذنا بالإحصاءات الفرنسية وحدها فإن عدد السكان الجزائريين تراوح حوالي مليون ونصف سنة 1830 إلى 2183793 سنة 1856، وهو التاريخ الذي يقول الفرنسيون إنهم بدأوا يحصون فيه سكان الجزائر، وقد ظل عدد السكان متفاوتا إلى سنة 1886 حين شهد ارتفاعا ملحوظا وهو: 3264879 ثم وصل عدد السكان إلى 4072089 سنة 1901 بينما وصل سنة 1926 إلى 5648058»⁽⁴⁾، وكم وددت لو أن الدكتور أبا القاسم سعد الله قد أشار إلى عدد تلك الأجناس البشرية التي اجتذبتها الاستعمار للاستئثار بالأرض وبالقوى العاملة الرخيصة، والسلب والنهب والتخريب، وإتقال كواهل الجزائريين بالضرائب ومن ثم

(1) محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص: 323.

(2) المرجع نفسه، ص: 235.

(3) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، 1830، 1954، دار الغرب الإسلامي ط1، 1998م، ج3، ص: 291.

(4) المرجع نفسه، ص: 291.

إصدار قوانين جائزة كالكانون الذي صدر سنة (1832م) الرامي إلى حق الاستثمار، في ملكية كل « أرض لا يستطيع صاحبها أن يستظهر بعقد امتلاكها»⁽¹⁾ كما صدر قانون آخر في سنة 1846 « يبيح للاستعمار كامل الأراضي التي تقيم فيها القبائل الرحالة»⁽²⁾ وذلك سعياً إلى تعمير الأرض بأولئك الوافدين من المعمرين الذين جاءوا بهم إلى الجزائر، وفي ذلك يقول "لامور سيبر" حاثاً أيأهم بضرورة بذل « جميع المساعي لترغيب عدد أكبر ممكن من المعمرين في المجيء فوراً إلى الجزائر وتشجيعهم على البقاء فيها بإقطاعهم الأراضي فور وصولهم»⁽³⁾ ، ظناً منهم بأنهم ببقائهم واقتطاعهم للأراضي سيؤمنون مستقبل الاستعمار وذلك ما صرح به الكونت "دوكازابيا" في 8 أبريل 1851 باسم اللجنة المشيخية المكلفة بدراسة القرار المشيخي: « إن مستقبل الاستعمار لاخوف عليه بعدما تقرر استهلاك الأراضي التي كانت للعرب والمعمرين أنفسهم يطلبون ذلك بإلحاح، ويرغبون أن يتم هذا الأمر في الحين»⁽⁴⁾ وفي هذا السياق يصرح "مارتينيري" بقوله: « بأنه يمكن أن يستتب الهدوء وأن يدوم بعض الوقت، باستنزاف الأهالي وإفقارهم، ولكن ذلك وحدة لا يكفي، بل لابد من إدخال عناصر جديدة من السكان وإخضاع الأهالي للوافدين الجدد وبذلك يمكن تحقيق السيطرة على المناطق المحتلة، وبعبارة مختصرة، فهكذا يتحقق عن طريق الاستيطان»⁽⁵⁾ وقد أدى الاستيطان والتوسع فيه طبقاً لخططهم المدروسة التي ما فتئت السلطات الاستعمارية تصدرها إلى تضيق الخناق على الفرد الجزائري في عقر داره ومحاصرته حتى داخل تلك الأحياء الشعبية الضيقة، وحرمانه من الاحتكاك والاختلاط بالمستوطنين، وهاهو أحد الجزائريين يصف تلك الظاهرة العنصرية التي سنها الاستعمار بقوله: «وقلما كان الجزائري أثناء تجواله داخل المدينة يتعدى بخطواته حداً معيناً، وكانت إدارة البريد المركزي حالياً هي الحد بين الحياة الجزائرية

(1) محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص: 325.

(2) نفس المرجع والصفحة.

(3) مصطفى الأشرف، الجزائر: الأمة والمجتمع، ص: 85.

(4) المرجع نفسه، ص: 12.

(5) المرجع نفسه، ص: 86.

والحياة الفرنسية»⁽¹⁾، وقد أدى ذلك إلى شعوره بالغربة، وهو داخل وطنه بعد أن كانت له مكانة مرموقة على المستوى الداخلي والخارجي على حد سواء، حيث كانت البلاد مزدهرة « بنشاطات مختلفة شملت كل القطاعات من زراعة وصناعة وحياسة وغيرها من المهن والحرف التي يمارسها، بل وحتى على المستوى الخارجي حيث كانت نظم داخلية وخارجية، وتبادلها التجاري مع القطرين الشقيقين، المغرب وتونس وبعض البلاد الأوروبية»⁽²⁾ وقد اعترف "أناتول فرانس" بهذا الحرمان بقوله: «إننا منذ سبعين سنة، قد حرمانا العرب من أراضيهم وطاردهم لكي نجعل الإيطاليين والإسبانيين سكان الجزائر»⁽³⁾، وبذلك أصبحت تلك الأقلية الهجينة أشبه بحصان طرواده cheval de troie ذلك الحصان «الذي أدخلوه إلى المكان من أجل فرض الواقع، والحيلولة دون إيجاد أي تسوية للمشكلة القومية.... ونظرا إلى هذه الاعتبارات السياسية العليا، فإن الدوائر الحكومية الرسمية تستعين في مخططاتها بهذه الأقلية لتأجيل وتعويق حصول البلدان غير المستقلة على حريتها..»⁽⁴⁾ لأن الحرية هي الأساس والأصل الأصل الذي تقوم عليه كل المبادئ من مساواة وكرامة وغيرهما، الأمر الذي دفع بالكثيرين الذين «يعانون من عقدة اللامساواة والحرمان»⁽⁵⁾ - على حد تعبير لاكوست، إلى شد الرحال إلى حيث الأمن والأمان خارج وطنهم الأم من خلال هجرات متعاقبة، لا لكونهم راغبين في ذلك، بل دفعتهم الضرورة الملحة إليها دفعا، وذلك لما عيل صبرهم وازداد خوفهم من استشراف الحاضر الذي دلت عليه تلك الأساليب الوحشية المتكررة إذ جرفها تيار الهجرة التي فاقت كل تصور لم يكن انطلاقها من المدينة فحسب، بل امتدت إلى الأرياف أيضا فغدت كالنزيف الذي أفقد الجزائر خيرة عناصرها وأكثرها تقدما، وفي هذا المجال يقول "أوغسطين بيرك" «كثيرا ما يهاجر الناس في الجزائر إلى المشرق وقد هاجروا

(1) أحمد مربوش، الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، الجزائر، ط2، 2007م، ص: 133.

(2) المرجع نفسه، ص: 273.

(3) مصطفى الأشرف، الجزائر: الأمة والمجتمع، ص: 356.

(4) المرجع نفسه، ص: 161.

(5) نفس المرجع والصفحة.

في 183 و 1832 و 1854، و 1860 و 1870 و 1875 و 1888 و 1898، و 1910 و 1911 «⁽¹⁾ تمعن معي بالله عليك هذه السنوات المتتالية ألا تعد نزيفا حقيقيا، وتيارا جارفا؟ بلى، إنه عدد مخيف بحق! ولم يكن هذا النزيف - أو سمه كما شئت - شاملا لكل المدن بقراها ومدا شرها، وقد نجم عن ذلك تناقص عدد السكان، وتحولت مدنهم إلى دمن مقفرة ولا أدل على ذلك من مدينة قسنطينة والتي وصفها أحد الفرنسيين بقوله: «إن المشهد في قسنطينة رهيب فجميع المباني في خراب، ونصف الديار التي كانت قائمة منذ خمس سنوات قد انهارت، والأهالي في حالة يرثى لها من البؤس والحرمان»⁽²⁾ وقد سحب هذا البؤس والحرمان تقتيل للعباد وتفنن في أساليبه والأمثلة على هذه السادية* وعلى التغني، والتفاخر، وتعذيب الأهالي، أكثر من أن تحصى والتي تمخضت بلا شك عن عقل لم يبق فيه ذرة من الإنسانية، وسأضع بين يدي القارئ عينة منها تتفاوت من حيث الوحشية، والفظاعة، من ذلك ما ذكره "شانفارينبي" قائلا: «لقد كانت التسلية الوحيدة التي أستطيع أن أسمح بها للجند أثناء فصل الشتاء هي السماح لهم بغزو القبائل التي تسكن فيما بين الحراش وبورقيقة»⁽³⁾ ويعقب المؤرخ "د. بوزايد" بكل تبجح ووقاحة وبرودة أعصاب ما نصه: «أما الغنيمة من الحيوان فقد بيعت إلى ممثل قنصلية الدنمارك، وأما بقية الغنائم الصامته فقد عرضت للبيع في سوق باب عزون، وكان من بين الغنائم أساور نساء وهي لا تزال في أيديهن المقطوعة وأقراط نساء، لا تزال تلتصق بها قطع من آذانهن، ثم وزع ثمن كل ذلك على السفاكين من رجال الطابور الفرنسي، وفي ذلك اليوم أصدرت السلطة أمرها لسكان الجزائر المسلمين بأن يضيئوا ليلا حوانيتهم، إظهارا لسرورهم بذلك الانتصار»⁽⁴⁾، ومن الأمثلة السادية كذلك التي تتم عن أفكار خبيثة يعجز العقل عن وصفها واليراع عن تصوير همجيتها، ولولا الدراسة حول الحياة الاجتماعية تقتضي

(1) مصطفى الأشرف، المرجع السابق، ص: 229. نقلا عن:

Augustin Berque: la Bourgeoisie algérienne. In revue Hespé, TxxxV, 1948.

(2) نقلا عن: عن مصطفى الأشرف الجزائر: الأمة والمجتمع، ص: 219.

(3) أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، ص: 89.

* السادية: نسبة إلى البارون دي ساد، ويقصد بها الميل المرضي للتعذيب. نقلا عن مصطفى الأشرف، المرجع السابق، ص: 291.

(4) أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، ص: 90.

سرد أحداث منها لما ذكرتها لهول فظاعتها، ومن ذلك حادثة "حريق الكهف" الذي أوت إليه قبيلة فارة من فظاعة جند الاستعمار والتي غدت مضرب المثل في الخسة والدناءة والوحشية، إذ ما كاد «الجند يكتشف ذلك الكهف الفسيح، حتى وضع أمامه وعلى مداخله أكواما من الحطب والقش ثم أوقد عليها النيران واستمر يغذي تلك النار كامل الليلة، فما جاء الصباح ودخل الجند الكهف حتى كانت جثث (780) من الضحايا البريئة بين رجال ونساء وأطفال مفككة الأوصال ممزقة الأشلاء تحت أقدام الثيران والحيوانات التي دفعتها غريزتها نحو الباب، فداست كل شيء ثم لقيت حتفها»⁽¹⁾ ثم يردف "أحمد توفيق المدني" كلامه معقبا على ذلك المشهد الفظيع الذي لم تكن جزئياته وحيثياته، من بنات أفكاره، أو من وحي خيال جامع، وإنما هي حقيقة مرة ماثلة للعيان ناطقة بالحق، شاهدة على موبقات الاستعمار، ووحشيته وصلفه، تطل من جنبات الكهف وتتمثل في: «رجل أسلم الروح وهو ممسك بقرن أحد الثيران دفاعا عن امرأته وصبيه، وقد مات الرجل والمرأة والصبي، والثور وهم على هذا الوضع»⁽²⁾، وبدون تعليق أو اصل سرد نموذج آخر لا يخلو من فظاعة ووحشية بموقعة حريق الكهف والتي سردها الكولونيل "بيليسي" مصرحا بعمله الإجرامي بمنطقة الظهره حيث كان أولاد رياح قد لاذوا مع نسائهم، وأطفالهم، بالمغارات فهلكوا اختناقا وقد أشعل الجيش النار في كمية كبيرة من الحطب، لمدة تزيد على أربع وعشرين ساعة وقد وصف المؤرخ "روسي" هذا المشهد الرهيب بالعبارات التالية: «كان الحريق قد وصل إلى أمتعة اللاجئين وفي الليل خيل للجنود أنهم يسمعون... ضجة لا تكاد تبين وصيحات خافتة، ثم ساد صمت عميق، وفي وقت مبكر من الصباح استطاع بعض الرجال أن يخرجوا من المغارات فسقطوا مخنوقا الأنفاس أمام الحرس، وكان الدخان الذي انتشر في المغارات كثيفا مؤذيا إلى حد أن الجنود لم يتمكنوا في بداية الأمر من الدخول على أننا كنا بين الحين والآخر نرى مخلوقات بشرية مشوهة تخرج من المغارات زحفا عن البطون، فيحاول آخرون ممن بقي

(1) أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، ص: 91 .

(2) نفس المرجع والصفحة .

تمسكا بمبادئه إلى آخر رمق أن يمنعوهم من الخروج... وحينما تمكنا في آخر الأمر من زيارة ذلك الجحيم بعد أن خدمت فيه النيران عددنا أكثر من خمسمائة من الضحايا، ما بين رجال ونساء وأطفال وقد أصيب جميع الحاضرين بوجوم شديد لهول الفاجعة»⁽¹⁾، غير أن مصطفى الأشرف يشك في هذا العدد من ضحايا المغارات فيقول: «والحقيقة أن قوله: ((أكثر من خمسمائة من الضحايا)) يعني ما يزيد عن الألف»⁽²⁾، ويبدو أن لعبة الموت هذه بالنار والدخان قد استهوت ضباطا آخرين فراحوا يتنافسون في استعمالها غير أبهين ما دام قائدهم يشجعهم عليها- وقد برز من بينهم على الخصوص الجنرال "سانت أرنو" الذي قال: «لقد كنت أستطيع مع جنودي اقتفاء أثر القائد العام دون أن أضل الطريق، لأنني كنت أسير على ضوء الحرائق التي يوقدها قبلي في القرى والمداشر والدواوير العربية التي كان يمر بها»⁽³⁾، وهناك صفحة أخرى مفعمة بالخزي والعار سجلها الاستعمار على نفسه، وتتمثل فيما سجله الكولونيل "فوري" forey الذي قال في إحدى تقاريره: «لم أر في حياتي ولم يخطر ببالي أن أرى ما رأيته من تجمعات سكانية في جبال بني عويش، وبني بومالك أن بيوت السكان هنا ليست أكواخا متناثرة ومتباعدة عن بعضها، بل هي عبارة عن قرى أشبه ما تكون بقرانا في فرنسا: فهي مرتبة أحسن ترتيب، وكلها محاطة بحدائق وحقول مترامية الأطراف من أشجار الزيتون... وقد اندهشنا كلنا أمام تلك المناظر الطبيعية الخلابة إلا أن الأوامر كانت صارمة وأحسبني أدبت مهمتي على أكمل وجه إذ أننا دمرنا تدميرا كاملا جميع القرى والأشجار والحقول والخسائر التي ألحقها طابورنا بأولئك السكان لا تقدر، وإذا تساءل البعض هل كان عملنا خيرا أو شرا؟ فإنني أجيبهم بأن هذه هي الطريقة الوحيدة لإخضاع السكان وحملهم على الرحيل»⁽⁴⁾ رحيل يعقبه استيلاء عنوة واقتدارا بواسطة لصوصيه فقتل وإعدام جماعي فتدمير كامل للقرى - كما مر بنا- ثم حصول على تلك الأراضي «التي كانت عنصر عيش

(1) مصطفى الأشرف، الجزائر: الأمة والمجتمع، ص: 113.

(2) نفس المرجع والصفحة.

(3) أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، ص: 92.

(4) المرجع نفسه، ص: 85.

الجزائريين وكانت تكفي حياة هنيئة وتسمح بتصدير الفائض إلى الخارج في تجارة واسعة تشمل عشرين مليون هكتار»⁽¹⁾.

ولم يكن هذا الوضع المتردي مقتصرًا على المزارعين والملاك فحسب، بل طال حتى الحرفيين الذين كانوا يعتاشون من ريع تلك المهن التي قد توارثوها أبا عن جد، فأخذت في التراجع بسبب تضيق الخناق عليهم من قبل الاستعمار، مما أدى إلى تأزم الحالة الاقتصادية، ناهيك عن حل اتحاد الحرفيين سنة 1860 و«تشتيت رجالها وإرغام عددا كبيرا من الصناع الماهرين على إهمال فنونهم والتحقوا إلى ميادين أخرى لسد رمق أسرهم أو إلى الهجرة»⁽²⁾ ولقد أوعزوا كل هذه الأعمال اللإنسانية إلى فساد الطبع حيث يقولون: «غنائم السلب والنهب أفسدته فأصبح يقوم بأفطع المناكر»⁽³⁾، غير أن هذا بمثابة ادعاء لا أساس له من الصحة، حيث ذهب كلير إلى القول: «لا بد من الاعتراف بأنني كثيرا ما واجهت صعوبات مع الجنود الذين تتألف منهم سريتي، فأصل هؤلاء الجنود لا تخفي عليكم من السجون ومن حالات الجيش»⁽⁴⁾ مما جعلهم يتفنونون في أساليبهم الوحشية على الرغم من تصريحهم بأنها مهنة كريهة، ولكنها لا تخلو في نظرهم - من متعة كما صرح بذلك "كافينياك" بأنها «مهنة كريهة ومع ذلك وجدتي متعلقًا بها ولكن لا يبقى منها سوى الندم، لأنها قاسية أشد القسوة، مع أنها لا تخلو من متعة»⁽⁵⁾، وكان ذلك كله من أجل أن يترقى في الرتب العسكرية التي تتم وفق ما أتقنه من أساليب وحشية فضلا عن المتعة والتسلية التي يحققها من جراء ذلك وبأي ثمن «لأن الخدمة العسكرية ينبغي أن تضمن لهم الربح كأية مؤسسة أخرى وكأي تجارة، وهكذا قام بينهم تنافس شديد من أجل الترقى بسرعة لنيل مراتب الشرف وبذلك برزت لدى ضباط الجيش عقلية نفعية، وهي من الدلائل على استلام البورجوازية الجديدة للسلطة»⁽⁶⁾، الحصول على «المزيد من

(1) أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، ص: 108.

(2) نور سلمان، الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، ص: 43.

(3) مصطفى الأشرف، الجزائر: الأمة والمجتمع، ص: 111.

(4) نفس المرجع والصفحة.

(5) المرجع نفسه، ص: 294.

(6) المرجع نفسه، ص: 297.

الأوسمة والرتب العسكرية»⁽¹⁾، وخاصة إذا كان هؤلاء الذين يطاردونهم «قطعان الغنم والمستضعفين من السكان العزل الوافدين تحت وطأة الجوع والشقاء»،⁽²⁾ ولذلك فلا مانع من إرسال عظامهم بعد الفتك بهم « من الجزائر إلى فرنسا بالقناطير لكي تستخدم في بعض الصناعات»⁽³⁾ لكونهم لا يختلفون عن الكلاب – أعزكم الله – وفي ذلك يقول "شارل" مجيباً صديقه في إحدى مراسلاته: « هكذا يا صديقي العزيز ينبغي أن نحارب العرب، ينبغي أن نقتل كل الرجال ابتداء من سن الخامسة عشرة، وأن نأخذ جميع النساء والأطفال، وأن نضعهم في السفن ونبعث بهم إلى جزر الماركيز* وغيرها. وبكلمة مختصره، ينبغي أن نقضي على كل من لا يركع أمامنا كالكلب»⁽⁴⁾، ذلك الانتصار الذي أحرزه أحفاد "سان لويس" * * أصحاب المهمة السامية السامية المجيدة وممثلي التقدم الإنساني الذين ما جاؤوا إلى الجزائر إلا من أجل « أداء واجبات مقدسة، ورغم كل الدسائس التي يقوم بها ذوو العقول الضعيفة المتخوفون دائماً من المشاريع الكبرى،... فسنبقي هناك للقيام برسالتنا المقدسة مدفوعين في عملنا بالعبادة الإلهية»⁽⁵⁾، حيث أوكلت تلك المهمة إلى الجيش الذي لم يدخر "شارل ريشال" وسعا في الثناء عنه حيث قال: « الجيش البطل العظيم الذي اختارته العناية الإلهية ليحمي وينشر الحضارة الإنسانية»⁽⁶⁾، والذي استحق في نظرهم أن يلبسوه ألقاباً فتارة بـ (الطوابير الجهنمية) * * * وطورا بـ (جولة الموت) * * * *

وكانت نتيجة هذه السياسة الميكافيلية قد أدت إلى دمار شامل فأهلكت الحرث والنسل، وقضت على الزرع والضرع وتسببت في مجاعات، أودت بحياة مئات

(1) المرجع نفسه، ص: 112.

(2) المرجع نفسه، ص: 343.

(3) المرجع نفسه، ص: 374.

(4) مصطفى الأشرف، الجزائر: الأمة والمجتمع، ص: 334.

(5) المرجع نفسه، ص: 336.

(6) المرجع نفسه، ص: 337.

* الماركيز: هي مجموعة من الجزر البركانية تقع جنوبي المحيط الهادي. نقلا عن "ويكيبيديا الموسوعة الحرة" الشبكة العنكبوتية.
* * سان لويس: هم ملوك فرنسا الذين حملوا اسم لويس و تداولوا على عرشها وعددهم 18 ملكا، نقلا عن "ويكيبيديا الموسوعة الحرة" الشبكة العنكبوتية.

*** تسمية أطلقها كبار الضباط والمؤرخين على طوابير التخريب التي سلطها "بيجو" على الجزائر، نقلا عن مصطفى الأشرف، الجزائر: الأمة والمجتمع، ص: 333.

**** جولة الموت: تسمية أطلقها مونتياك على النخبة من جيشه، نقلا عن المرجع السابق، ص: 334.

الآلاف من الأرواح، وكثيرا ما تتصافر في معظم الأحيان المجاعة والجفاف مع الأوبئة كالكوليرا والتيفوس، مما ينجم عن ذلك مضاعفة عدد الضحايا وسنوق فيما يلي شهادتين على ما آلت إليه وضعية الكثير من الجزائريين، ما جاء على لسان الجنرال "دوكاستينال" والذي ساهم بشكل مباشر في صنع ذلك الوضع المزري قائلاً: «وكانوا رجالا ينتحرون تأكلهم الحمى، يلبسون أطمارا، يغطيهم القمل، ويغوصون في الوحل ويتصارعون مع الموت، كانوا بلا زاد، يتنازعون فيما بينهم على أحشاء الحيوانات الميتة»⁽¹⁾ ، ولا تكاد شهادة الكاردينال تختلف عن سابقه متحدثا عن المجاعة التي وقعت سنتي 1867 و1869 والتي يقول بأنها وقعت «منذ شهور عديدة كان هناك عدد كبير من العرب لا يعيشون إلا على حشائش الحقول، أو ورق الشجر التي كانوا يقضمونها كالبهائم، إنهم يموتون جوعا، تراهم عرايا إلا من أطمار ينتقلون جماعات في الطرقات بجوار المدن فيعمد إلى طردهم، تجنبا لأي نوع من خرق النظام ونشاهدهم ينتظرون عربات القمامة ليتنازعوا على ما بداخلها ويلتهموه»⁽²⁾.

وكيف لا يقتاتون من القمامة ويتنازعون عليها وقد سدت أمامهم كل منافذ أبواب الرزق، حيث استحوذ الاستعمار على كل شيء مبعدا الجزائريين عن الأرض وعن الوظائف الحكومية والإدارية، وانعدام الصناعة وكذلك التجارة، وبالتالي حكم «على الأمة كل يوم حكما جديدا بالإفلاس والإملاق»⁽³⁾ ، ذلك الإملاق الذي تسبب فيه الاستعمار وتفنن في عمليات التجويع والتي عدها من البطولات العسكرية الزائفة، وهذا ما أدلى به الضابط "فوري" حين قال: «إن محاصرة ذروة الجبل الذي أهلكنا فيه عددا كبيرا من السكان بالجوع والعطش ليعد من البطولات العسكرية الرائعة»⁽⁴⁾ هذه البطولات العسكرية التي تبجح بها "فوري" قد ضربت حتى جنوبنا، حيث كانت الجلفة وما جاورها تعيش أسوأ المراحل في ظل الاستعمار ولم يكن الوضع الاقتصادي والاجتماعي أحسن حالا مما كانت عليه الجزائر حيث تبدو «صور مظاهر الحرمان

(1) مصطفى الأشرف، الجزائر: الأمة والمجتمع، ص: 55.

(2) أحمد منور، الأدب العربي باللسان الفرنسي، نشأته وتطوره وقضاياه، ص: 41.

(3) أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، ص: 126.

(4) مصطفى الأشرف، الجزائر: الأمة والمجتمع، ص: 296.

والبؤس والفقر والعوز خاصة وأن المنطقة عرفت مجاعات مثل عام القحط والجفاف الذي يعرف بعام " التشيشة" .. وتقلبات اجتماعية واقتصادية، إذ كانت محرومة ومعزولة وخارج إطار الحكم المدني حيث جعلتها فرنسا ضمن المحميات العسكرية عكس مناطق الشمال التي كانت تتمتع بحكم مدني وهذا باعتبار المنطقة نقطة تمرد ضد فرنسا...» (1).

وانطلاقا مما تقدم يتبين لنا أن العناصر التي ارتكزت عليها السياسة الفرنسية هي التجويع والتجهيل والإبادة والشقاء، وهي عبارات تتردد على ألسنتهم كأنها أهداف محددة، أو برنامج مدروس، أو طريقة ناجحة لإخضاع السكان .. تلك بعض الجوانب من حياة اجتماعية، ظهرت بطريقة عرضية في كل ربوع الجزائر والتي تومئ إلى حياة مأساوية، مستوحاة من واقع الحياة المعيش سردها بعض مرتكبيها ممن جاء بهم الاستعمار، والتي تحولت أرض الجزائر من جرائها مسرحا لتعاسة الإنسان الجزائري إذ « هبت تيارات الشقاء التي طوقت الجزائريين من كل جهة، الأمراض الفتاكة تنتشر بشكل خطير مخلفة آلاف الضحايا، ومن هذه الأمراض الطاعون الذي بليت به الجزائر في بداية الخمسينات دون أن تجد من يقضي عليها، أو يقلل من انتشارها، ومن جهة أخرى كان المستعمر يتمادى في اعتداءاته على الشعب الضعيف...» (2) والمقهور والذي لم يكن أمامه إلا نزعتهان تتجاذبانها إنهما نزعتهان رفيفتا أيام الشدة والعسر، نزعته إباحية غذاها المستعمر ونماها من شرب للخمر وقطع للطريق وغيرها من الآفات الاجتماعية التي يندى لها الجبين ويتعفف القلم من سردها، وغدت منتشرة في كل مكان كالوباء المعدي، وتهدف في مجملها إلى تحطيم مقومات الأمة الإسلامية فانبرى لها الأدباء واعتبروها « من المحرمات كالقمار والمسكرات ... ونوع اعتبروه من العادات المستهجنة كالرقص والتطرف في بعض الأزياء...» (3)

(1) حفناوي بن عامر غول، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في التعليم العربي الحر بمنطقة أولاد نائل، ج1، (دون ترقيم الصفحة)

(2) الوناس شعيباني، تطور الشعر الجزائري منذ سنة 1945 حتى سنة 1980م، ديوان المطبوعات الجامعية، (دب)، ص: 40.

(3) ديوان محمد العبد آل خليفة، دار الهدى، عين مليلة - الجزائر - 2010 م، ص: 250.

ولا يسعني في ختام هذه الصفحة القذرة من تاريخ الاحتلال الفرنسي إلا أن أشاطر أحمد توفيق المدني " فيما ذهب إليه بقوله: « وكفى كإنسان تعتريني حمرة الخجل، وأنا أسطر وصف هذه الفظائع والأهوال، لكني كوطني، وكعربي وكمسلم أشعر وأنا أكتبها أو أرويها بثورة الدم في عروقي حتى لتكاد تنفجر، وتتهيج أعصابي حتى لتكاد تتمزق وبغشاوة حمراء على عيني حتى لأكاد أرى كل شيء أمامي دما ونارا ... ولولا الوقار العلمي الذي يجب أن يلازم هذا العرض حتى نهايته، ولولا تعهدي بأن يكون عرضا تصويريا تحقيقيا، لحالة الشعب الجزائري دون أن أسير مع التأثير الشخصي، والانفعال النفسي، أو العاطفة، لكان مكتوبا بلغة أخرى ولربما اخترقت صفحاته بمداد هو السم الزعاف وتحت أنفاس هي اللهب المتصاعدة»⁽¹⁾

ثالثا: الحياة الثقافية:

قبل الشروع في الحديث عن الحياة الفكرية بجزئياتها ومن ثم النهضة ودعائمها يجدر بنا بادئ ذي بدء أن نشير إلى الحياة الثقافية السائدة في الجزائر قبل الغزو الفرنسي حيث كان الفكر والثقافة في الجزائر مزدهرا ازدهارا كبيرا ومما يدل على ذلك «كثرة المعاهد العلمية والمؤسسات الثقافية كانت منتشرة في البلاد تنشر العلم والمعرفة بين الجزائريين في القرن التاسع عشر الميلادي وهو القرن الذي دخل فيه الفرنسيون في بداية ثلثه الثاني إلى الجزائر، وقضوا على معظم تلك المعاهد والمؤسسات»⁽²⁾، وكان يتولى التدريس بها أساتذة على قدر كبير من التمكن العلمي في شتى فروع العلوم المعتمدة في معاهد العالم العربي والإسلامي، وشهد الفرنسيون أنفسهم بذلك، والفضل ما شهد به الأعداء كما يقول المثل، فالكاتب "يولارد" في كتابه "تعليم الأهالي في الجزائر" يقول: «لقد كانت الجزائر فيما مضى تضم معاهد علمية عظيمة الشأن، فالفلسفة والآداب والعلوم والطب وقواعد اللغة والقانون الإسلامي وعلم الفلك يقوم بتدريسها أساتذة جزائريون كبار، كما كانت هناك مدارس عديدة متخصصة

(1) أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، ص: 94.

(2) تركي رايح، الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم، ص: 90.

في تعليم القضاء الشرعي الإسلامي والعلوم الأخرى»⁽¹⁾، ومما لاشك فيه أن هذه العلوم هي خلاصة أفكار لفيث من العلماء وتجاربهم وإبداعاتهم التي أثروا بها الساحة الأدبية بالعديد من التآلف، تناولت شتى حقول المعرفة، منها: التاريخ والسير ومن بين هؤلاء العلماء: كمحمد بن مرزوق، وحسن بن أبي القاسم بن باديس، وأبوزكريا يحيى بن أبي عمران المزوني وله من التآليف كتابه المشهور باسم (الدرر المكنونة في نوازل مازونة) وعبد الكريم بن محمد الفكون عالما أدبيا شاعرا ناثرا، ونتيجة لهذا الثراء المعرفي وتنوعه أنشئت مدارس عديدة ومتخصصة ومراكز تتمتع بمستوى فكري وثقافي وتربوي متطور، ومن بينها تلمسان التي كانت تشع بنور العلم مضاهية في ذلك الزيتونة والقيروان، يؤمها طلبة العلم من كل حدب وصوب، في حين كان الغرب يتخبط في ظلام دامس من الجهل والهمجية وقد لاحظ ذلك "ألسيبي كوب" بأمر عينيه مشيدا بطلبة تلمسان الذين «يتدافعون بالمناكب ليظفروا بالحضور على أساتذتها الأعلام ذوي الشهرة الذائعة...»⁽²⁾ غير أن مدينة تلمسان لم تكن وحدها عاصمة للثقافة آنذ، بل شاطرتها في ذلك عدد من المدن التي أخذت تنمو بعدد سكانها وتشع بمدارسها ومساجدها ثقافة يتغذى منها المجتمع روحيا وعقليا ومن هذه المدن «قسنطينة، وبجاية ومازونة، ووهران والجزائر وعنابة وبسكرة... وكانت حلق الدروس حول كل أستاذ مشهور سواء في المدرسة أو الجامع أو في الزاوية هي المنبع الذي ينهل منه تلاميذ وطلاب القرن التاسع، وهو المنبع نفسه الذي ظل يغذي أجيال المتعلمين المسلمين بثقافة تقليدية»⁽³⁾ وقد نتج عن انتشار التعليم والثقافة بين الجزائريين قبل الاحتلال كثرة المتعلمين بصفة عامة وقلة الأمية نسبيا بين السكان وقد لاحظ هذه الظاهرة غير واحد من الذين زاروا الجزائر ومن بين هؤلاء "فالاري" في سنة 1834 قائلا: «إن العرب تقريبا يعرفون القراءة والكتابة وتوجد في كل قرية مدرستان، وبالإضافة إلى المدرسة توجد الزاوية وهي مؤسسة ريفية تماما»⁽⁴⁾ ويقول

(1) يحيى بو عزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، دار الهدى - عين مليلة-الجزائر 2009 م، ج-2-ص: 378.

(2) الوناس شعباني، تطور الشعر الجزائري منذ سنة 1945 حتى سنة 1980، ص: 9.

(3) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، ص: 35.

(4) تركي رايح، الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم، ص: 91.

المؤرخان الجنرال "ولسن استرهازي" و"إسماعيل اوربان" في هذا الباب ما نصه: إن الجزائريين الذين يحسنون القراءة والكتابة كانوا في ذلك العهد أكثر عددا من الفرنسيين الذين كانوا يقرؤون ويكتبون، ولاحظ الاثنان أن 45 % من الفرنسيين كانوا أميين حينذاك»⁽¹⁾، ثم استطرادا قائلين: «يجب علينا أن نعترف احتراما للحقيقة أن المسلمين في إفريقيا الشمالية رغم انخفاض مستوى العلوم فيها وقلة الكتب، كانوا يولون مسائل التربية والتعليم عناية لها قيمتها»⁽²⁾ وعلاوة على ما شهد به المؤرخان "ولسن استرهازي" و"إسماعيل اوربان" من ارتفاع نسبة التعليم عند المتدرسين الجزائريين ومدى اهتمامهم بمسائل التربية فضلا عن نبوغ «رجال أفذاذ تألق اسمهم في كامل بلاد العالم الإسلامي، من أشهرهم عيسى بن محمد الثعالبي، ويحيى بن صالح الملياتي صاحب التأليف الشهيرة، وسعيد المقري، وأحمد بن عمار الجزائري، وعمر بن محمد المنقلاتي، وطائفة عظيمة من شيوخ الإسلام وعظماء المدرسين أفادوا الأمة بعلمهم وبعملهم»⁽³⁾، غير أن هذا الازدهار الذي عرفه هذا العهد في حقل العلم والمعرفة آل إلى النقيض بعد الغزو الاستعماري حيث شنت فرنسا هجوماتها على الثقافة العربية والإسلامية، وما كانت تتميز به من لغة عربية وآدابها وفنونها وتراثها العلمي مما دفع بالطبقة المثقفة من علماء وفقهاء إلى ترك وظائفهم وانساحوا في الأرض مما أحدث اضطرابا بالغا في أوساطهم بمختلف فئاتهم وذلك ما اعترف به "دولارد" حيث قال: «...اضطر العلماء والفقهاء أن يتركوا وظائفهم ويتشتتوا ويتشردوا، كما اضطر الطلاب والتلاميذ أن يتشتتوا كذلك ويتفارقوا ويسعوا لطلب العلم سرا وخفية بعد أن كانوا يطلبونه ويتلقونه علانية...»⁽⁴⁾.

ولا أدل على ذلك طلبية «معهد بن باديس بقسنطينة، وطلاب جامعة القرويين بفاس، وطلبة جامع الزيتونة بتونس كانوا يستتقون من قبل أعوان الاستعمار حين كانوا يؤوبون إلى أهلهم بالقرى النائية أثناء العطل الصيفية، وكان هؤلاء الأعوان

(1) يحي بو عزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ص: 378.

(2) أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، ص: 375.

(3) يحي بو عزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ص: 378.

(4) المرجع نفسه، ص: 379.

متكالبين على هؤلاء الطلبة تكالبا خسيسا ضاريا يجعل هؤلاء الطلاب المساكين يقضون عطلهم في جحيم بحيث لا يكادون يظهرون في الأماكن العامة والأسواق علنا»⁽¹⁾، ولم يضيق الخناق على هؤلاء الطلبة فحسب، بل إنه طال حتى من كانوا يتلمذون في المنشآت العامة مما أدى إلى تقلص عدد المتدربين، وذلك ما اعترف به الضابط "لويس زين" خارجا عن هذا المسار حيث يقول: «إن السلطات المحتلة قد وضعت يدها على المنشآت العامة كلها تقريبا ولم تترك إلا بعض المدارس القديمة التي لم تكن تضم سوى ثلاثين ألف تلميذ(30000)، وهو عدد لا يمثل مستوى خمس العدد الإجمالي الذي كان من المفروض أن تضمه المدارس قبل ذلك»⁽²⁾، وقد عد ذلك أمرا طبيعيا يتماشى ورسالتها التمدينية وإيهم» يرجع الفضل في أداء هذه المهمة السامية المجيدة...»⁽³⁾.

والتي يتوقف أداؤها ونشرها عن طريق الخلاء والخراب، لأنهم لا يرون مانعا في «أن يكون مآل هذه المؤسسات (ويقصد بها المدارس العربية والمساجد) إلى الخراب، وأن يرجع الشعب العربي إلى عهود الجهالة الأولى...»⁽⁴⁾، لأنهم بذلك يتسنى لهم تحطيم الشعب الجزائري ماديا ومعنويا، وذلك ما صرح به الجنرال "دوكرو": «يجب علينا أن نضع العراقيل أمام المدارس الإسلامية والزوايا كلما استطعنا إلى ذلك سبيلا... وبعبارة أخرى يجب تحطيم الشعب الجزائري ماديا ومعنويا»⁽⁵⁾، ثم أضاف صاحب التقرير:

«وعكس هذا ما يجب أن نفعله مع العنصر الأوروبي: فلنعمل إذن على تنمية الروح العسكرية وإحكام التنظيم العسكري لدى المعمرين بكل الوسائل الممكنة»⁽⁶⁾ لأنهم باختصار ممثلو التقدم الإنساني وأحفاد "سان لويس" وأما المعمر فقد

(1) عبد الملك مرتاض، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، ص: 35.

(2) مصطفى الأشرف، الجزائر: الأمة والمجتمع، ص: 338.

(3) المرجع نفسه، ص: 336.

(4) المرجع نفسه، ص: 339.

(5) المرجع نفسه، ص: 129.

(6) نفس المرجع والصفحة.

فقد أصبح « منذ إصدار النظام المدني عام 1870 السيد غير المنازع في أرض الجزائر والمسير المستقل الواسع النفوذ في البلاد»⁽¹⁾.

تلك شهادات حية أدلى بها أصحاب الحضارة والتمدن، وذلك من أجل «تخطيم الأمة الجزائرية و تقويض أركانها وتشتيت قيمها وقتل إحساسها وجعلها أمة من السائمة ، أو أقل من السائمة لا دين لها ولا لغة، ولا جنسية ولا رابطة، ولا أخلاق ولا علم ولا عمل: أمة من العبيد في يد شر النخاسين»⁽²⁾ ، وذلك سعيا من أجل تحقيق "النظام المنسجم الأمتل" الذي ينبغي أن يتحقق في البلاد، وذلك ما نشرته جريدة "التل el tell" التي تصدر بالجزائر حيث كتبت تقول: « على كل واحد من سكان البلاد الجندي بسيفه والمعمر بمحراثه، والراهب بصلاته، والعربي بخضوعه، على كل هؤلاء أن يجعلوا من هذه القوة كتلة واحدة لكي تحقق الجزائر المستقبل الزاهر الذي كتبه الله لها»⁽³⁾، لأن الجزائر في حد زعمهم قطعة من فرنسا ولغتها الفرنسية ولم يكن القصد « من تعليم الجزائريين الاستجابة لصوت الأمة المتعطشة للعلوم والعرفان، وإنما تقريبهم من فرنسا بواسطة اللغة الفرنسية حتى يسهل ابتلاعهم وإدماجهم »،⁽⁴⁾ وتلك حقيقة صارخة تتم عن الهدف الذي تسعى إليه من خلال رسالتها التمدنية المزعومة والتي تتنافى مع الازدهار المزعوم؟ وسياسة التجهيل كانت إلى جانب سياسة التفجير «شعار الاستعمار الفرنسي في قطر الجزائر، والقانون الذي سار عليه منذ يومه الأول إلى يوم قيام الثورة الكبرى التي ستبدل بها الأرض غير الأرض بمشيئة الله، وإرادة الشعب»،⁽⁵⁾ وقبل تحقيق ذلك اليوم المشهود الذي بفضل الله وفضله نعمنا بالحرية والعيش الكريم واصلت فرنسا قرصنتها - إذا جاز التعبير - على المدارس والمعلمين إذ فرضت « رقابة شديدة حتى على معلمي القرآن الكريم في الكتاتيب القرآنية، ومنعت من فتح أي كتاب أو مدرسة إلا بإذن محافظ الشرطة أو

(1) المرجع نفسه، ص: 316.

(2) أحمد توفيق المدني ، هذه هي الجزائر، ص : 94.

(3) مصطفى الأشرف، الجزائر: الأمة والمجتمع ، ص: 315.

(4) محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص: 327.

(5) أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 140.

رجال الدرك ورؤساء الدوائر...»⁽¹⁾، تلك نغمات سادية عزفت على نفس العود وجرت على نفس الأسلوب السادي المرضي المتشبع بروح الحقد والضغينة والهدم والدمار لما بقي من جوامع بعد التي « حولت إلى كنائس أو هدمت لإصلاح الطريق أو بناء قلعة أو استعملت تكتة للجند، أو غير ذلك فأصبحت البلاد خالية ولم يبق فيها من المدرسين بالجوامع إلا ما يعد على الأصابع وقل الطالب والمطلوب، وهجرت ربوع العلم، وخربت دور الكتب وصارت الديار مرتعا للجهل والجهلاء، وكانت تدرس معالم اللغة العربية الفصحى وتطرقت إلى اللغة العامية الكلمات الأجنبية، بل أصبحت اللغة الفرنسية هي لغة التخاطب في العواصم، مثل وهران والجزائر وقسنطينة وعنابة وغيرها من السواحل والثغور»⁽²⁾، وتلك شهادة حية أخرى يدلي بها أحد الزائرين إلى ربوع الوطن والتي بلا شك أعطت صورة عن حالة التعليم المأساوية التي « تساوي في هولها وفضاعتها مأساة الأرض، فهذه حرمت على أبنائنا حياتهم المادية وتلك حالت بينهم وبين النور والحياة الإنسانية الفاضلة»⁽³⁾، فبعد أن تطرق " أحمد توفيق المدني" إلى أهمية الغذائين البدني والروحي أضاف إحصائيتين تناول فيهما التعليم بشقيه الثانوي والجامعي بقوله: « وتنحدر نسبة التعلم للمسلمين بارتفاع درجة التعليم، فالتعليم الثانوي بقطر الجزائر وهو فرنسي كله، يزاول في 49 مدرسة ثانوية من درجة ((ليسي)) و((كوليج)) وهو يشمل 34.868 بين فتيان وفتيات ، 5.300 فقط من فتيان الجزائريين و 952 من فتيانهم»⁽⁴⁾، ثم يضيف إحصائية أخرى تبين الهوة السحيقة التي كلما ازدادت صعودا في سلم التعليم العالي حيث يرسب فيها أبناء الجزائريين، وهاهو نجده يشير إلى عدد المتمدرسين في كلية الجامعة الجزائرية مقارنا بينهم وبين غيرهم من الطلبة الأوروبيين في كامل الفروع بحيث أنه من بين 5146 طالبا في كليات الجامعة الجزائرية لا يوجد يوم إعلان الثورة الكبرى إلا 557 طالبا ليس إلا أما توزيعهم فهكذا:

(1) المرجع نفسه، ص: 142.

(2) الزعيم المصري الأستاذ "محمد فريد بك" أثناء جولته إلى الجزائر في صانفة 1901 م، نقلا عن: عن: تركي رابح، الشيخ عبد الحميد

بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم، ص: 92.

(3) أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، ص: 141.

(4) نفس المرجع والصفحة.

الحقوق: 1528	أوروبي	179 جزائري
الطب: 714	أوروبي	110 جزائري
الصيدلة: 369	أوروبي	34 جزائري
الآداب: 1157	أوروبي	173 جزائري
العلوم: 762	أوروبي	62 جزائري

ثم يضيف قائلاً: « وهكذا يوجد طالب واحد لكل 227 نسمة من الأوروبيين بينما لا يوجد إلا طالب واحد لكل 15.500 من المسلمين »⁽¹⁾ ، ولا يكاد الدكتور يحي بوعزيز في إحصائيته يختلف عمّا ذهب إليه أحمد توفيق المدني والتي تتعلق هي الأخرى بعدد المتخرجين في مختلف التخصصات، حيث أثبتت الإحصاءات « أننا لا نجد في الجزائر سوى 150 محامياً جزائرياً و 80 طبيباً و 40 صيدلياً و 20 طبيب أسنان و 20 أستاذ ثانوي و 5 مهندسين و 8000 معلم ابتدائي، وأصبح هنا مليونان من الأطفال الجزائريين في سن الدراسة لا مقعد لهم في المدارس مشردين في الشوارع والأزقة والأحياء القصديرية»⁽²⁾ ، وعند مقارنة ل كلا الإحصاءين اللذين يدور رحاهما حول المتمدرسين في الدراسات العليا والمتخرجين وإن كانت إحصائية الدكتور أحمد توفيق المدني تخلو من المقارنة، ولعله ضرب عنها صفحا لهولها ندرك حدة هذه القرصنة التي شنها الاستثمار مجندا لها كل ما يملك من قوة وسيطرة وإغراء ولم يقف عند هذا الحد فحسب بل ضرب حجاباً صفيحاً - كما لاحظنا بين الجزائر وبين العربية والعروبة - بغرض محو الجزائر من سجل التاريخ العربي لأنها جزء لا يتجزأ من فرنسا ولذلك فهم الأدرى بمصلحته واحتياجاته، ولأنه من الخطأ الفادح كما يقول ريشار: « أن نستشيريه حول ما قد يحتاجه اذ نحن المسؤولون عن اختيار المؤسسات التي تلائمه وعن تطبيقها مهما كان رأيه فيها»⁽³⁾ ، غير أن ذلك كان بعيد المنال، وما هو إلا من نسيج بنات أفكارهم، ومن وحي خيالهم، مستوحى من فكر

(1) أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر ، ص: 143 .

(2) يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب ، ص: 380.

(3) مصطفى الأشرف ، الجزائر: الأمة والمجتمع، ص: 337 .

أعرج وبصيرة عمياء، لأن الجزائر لا يمكن «أن تكون فرنسا، ولا تريد أن تصير فرنسا ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت، بل هي أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد في لغتها وفي أخلاقها وفي عنصرها وفي دينها...»⁽¹⁾، ومن هنا يتضح لنا أن كل الآراء تتفق على أن الاستعمار وجه ضربة قاصمة في الصميم إلى العلم، لأن العلم قبسة من نور الله، والجهل عدو الفكر يحول بين « المرء والمعرفة فيبقى الإنسان أسير جهله، سجين أو هامه بعيدا عن الحق والحقيقة...»⁽²⁾، ولذلك فهما ضدان متغالبان فكما عم الجهل سهل انقياد الجهلاء، بخلاف العلماء الذين يؤرقون مضجعه بمواقفهم الثورية، ولذلك فكل إدارة مستبدة تسعى جاهدة في إطفاء نور العلم وحصر الرعية في حالك الجهل ذلك الجهل الذي هو ثاني الأثافي الذي سعت فرنسا إلى تحقيقه سعيا حثيثا - كما مر بنا - إلا أن الجنوب قد مرق عن سرب الجهل وامتطى ركب الحضارة والتقدم وبالتالي انعكس ذلك على الحياة الثقافية التي عرفت «أزهى فتراتها وانتشار الزوايا في كل ربوع الولاية»⁽³⁾، وهو أمر يدعو إلى التساؤل عن حقيقة هذا الازدهار وكيف حدث ذلك؟ ومتى؟ وعلى أي أساس قامت هذه الحياة الثقافية؟ وكيف تم هذا الانتشار للزوايا؟ وهل الجنوب لم تطله يد الاستعمار؟ كلا لأن الاستعمار بعد أن نجح في التوغل في الريف أيضا شدد المراقبة على المعلمين والتلاميذ، مما أدى إلى ضعف التعليم هناك أيضا و«حوصر إداريا بالقوانين ولغويا بالفرنسية»⁽⁴⁾.

ولذلك تصدى لها ابن باديس ليحرر العقول من الشرك والضلال فغضت فرنسا هي الأخرى الطرف لكونها تسير في ركابها؟ أم أنه يعني بذلك بعض الزوايا التي استعمل أحد مؤسسيها العلم غطاء للتصوف واستعمل التصوف غطاء للعلم كما استعملها غطاء للسياسة»⁽⁵⁾، وأعني بذلك الشيخ محمد القاسم الذي اهتدى إلى هذه

(1) عبد الحميد بن باديس، تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، جمع وترتيب د/محمد توفيق شاهين ومحمد الصالح رمضان، دار الفكر، بيروت، ط 3، 1979، ص: 390.

(2) محمد عجاج الخطيب، لمحات في المكتبة والبحث والمصادر، بيروت، ط 2، 1391 هـ - 1971 م، ص: 15.

(3) حفناوي بن عامر غول. محطات في مسيرة عبد القادر... نقلا عن الجلفة انفو. www.djelfa.info

(4) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3، ص: 31.

* ينظر: كتاب موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب للدكتور يحي بوعزيز، ص: 265 و 295.

(5) المرجع نفسه، ص: 218.

الحيلة من أجل الاضطلاع برسائله العلمية الملقاة على عاتقه، والحق يقال بأن الجنوب هو الآخر عانى الأمرين من ويلات الاستعمار وجرت على ثراه معارك* وصدرت في حقه قوانين تعسفية جائرة من ذلك ما ورد على لسان الحاكم العام الذي أمر بالقبض على كل طالب (معلم) منسوب إلى الجمعية حال جولاته باسمها أو دعوته إليها وذلك ما أشار إليه رائد النهضة الجزائرية وقطب رحاها في مقاله الموسوم بـ « ماذا في الجنوب أندجينا*جديدة بعد 108 سنوات »⁽¹⁾ كما تعرض طلاب العلم إلى التعذيب حال التحاقهم بمعلمين مستهدفين ومن بينهم "المسعودي"*** كما أن صاحب المقال قد أشار إلى الانتشار الواسع للزوايا غير أنه لم يوضح طبيعتها وعددها، وهل أقيمت خصيصا للدروشة؟- كما أسلفنا الذكر- أم أنها كانت مصادر إشعاع تسطع علما ومعرفة تستقطب مرديها، فإذا كان القصد من وراء ذلك هو كون الزاوية مدرسة لنشر العلم بالمفهوم التقليدي فعددها قليل نسبيا « ويمكن أن نقول إنها لا تتجاوز العشرة وهناك مدرسون لم يؤسسوا زوايا، وإنما اتخذوا التعليم وسيلة وقربة إلى الله في منازلهم ومساجدهم، مثل ما فعل الشيخ محمد بن علي بن شبيرة وأخوه أحمد في بوسعادة، وما فعل الشيخ محمد بن عبد القادر من نفس المدينة وكذلك ما فعل الشيخ محمد بن يوسف أطفيش في ميزاب والشريف بن الأحرش في الجلفة وعشرات غيرهم في بسكرة والوادي وتقرت والأغواط»⁽²⁾ والعدد (عشرة) لا يوحى بالانتشار ولا يشكل ظاهرة تدل على الازدهار إلا إذا كان المقصود بذلك الزوايا التابعة لرجال الطرق والتي كانت واسعة الانتشار حقا في القرن التاسع عشر والتي بلغ «نفوذها درجة مذهلة ووصل عدد أتباعها ومرديها إلى حوالي 300.000 تابع ومريد... وهي قوة هائلة تقف حجرة عثرة في وجه التطور والتقدم وصارت كل محاولة إصلاحية أو سياسية تقوم في البلاد لتغيير أوضاعها الشاذة، تلقى مقاومة عنيفة منهم خوفا على مصالحهم أن تنهار عندما يستفيق الشعب من الغيبوبة الفكرية والروحية، التي نشرها

** الأندجين، أي الأهالي من سكان البلاد، نقلا عن: مصطفى الأشراف، الجزائر الأمة والمجتمع، ص: 171.

(1) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج3، ص: 257.

** ينظر التعريف بحياة الشاعر " المسعودي" . ص: 111 وما تلاها (الفصل الأول)

(2) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، ص: 214- 215.

في أوساطه باسم الدين والتصوف المزعوم»⁽¹⁾، وذلك نتيجة لتسلط شيوخ جهلة استغلوا «مكانة الزوايا في قلوب العامة، فخلعوا على أنفسهم الحقيبة صفات الألوهية وأوهموا المريدين، فصار الناس يعتقدون أن رضا شيخهم هو الذي يكفر ذنوبهم ويدخلهم الجنة، وسقط هؤلاء الشيوخ في شبكة الاستعمار يسخرهم لمصلحته، ف وقعت بينهم وبين زعماء النهضة معارك ظهر إثرها الحق وزهق الباطل»⁽²⁾ وذلك ما أشار إليه المسعدي منبها الطريقة التي «قضت على نفسها بنفسها بتدجيل رؤوس الجهال ومجاهرة أكابرها بارتكاب الكبائر والتلبس بالفسق والفجور والضلال...»⁽³⁾ كما ثار العلامة عبد الحميد بن باديس بحملة واسعة للقضاء على هذه الخرافات الباطلة والعادات البالية لتنظيف العقول مما عشت فيها مع الزمان من الأوهام المضادة لمجرى التقدم، وللحيلولة دون بلوغ ذلك كان الاستعمار بالمرصاد لكل خطوة تتحو نحو تحقيق الهدف المنشود إذ يزج بالكثيرين وراء القضبان وذبهم في ذلك نشر العلم ومحاربة الطريقة، وفي ذلك يقول العلامة ابن باديس في معرض حديثه عن أولئك المسجونين ومن بينهم «أهل "سوف" الذين ذاقوا من التفرغيم والنفي والسجن ما ذاقوا وروعوا في ديارهم وأهليهم أفضع ترويع ثم يثبت عليهم شيء مما رموا به إلا رغبتهم في العلم، وطرحهم لسربال الطريقة الوسخ الثقيل...»⁽⁴⁾، ويقول الشيخ البشير الإبراهيمي في هذا الصدد: «كان من نتائج الدراسات المتكررة للمجتمع الجزائري بيني وبين ابن باديس منذ اجتماعنا بالمدينة المنورة (1913) أن البلاء المنصب على هذه الشعب المسكين أت من جهتين متعاونتين عليه: وبعبارة أوضح من استعمارين مشتركين يمتصان دمه ويتعرقان لحمه، ويفسدان عليه دينه وديناه:

1- استعمار مادي هو الاستعمار الفرنسي يعتمد على الحديد والنار.

(1) تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم، ص: 94-95.

(2) محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص: 236.

(3) عبد القادر بن إبراهيم المسعدي يرد على مقال نشره بعض الطريقيين والموسوم بـ (بلاد بوسعادة هي أم الخبائث)، نقلا عن البصائر، عدد 168، الجمعة 13 ربيع الثاني 1358هـ - 2 جوان 1939، ص: 5.

(4) نقلا عن: عن كتاب نهضة الأدب العربي المعاصرة في الجزائر للدكتور عبد الملك مرتاض، الشركة الوطنية، للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1983، ص: 64.

2- واستعمار روحاني يمثله مشائخ الطرق المؤثرون في الشعب والمتغلغلون في جميع أوساطه. المتجرون بالدين، المتعاونون مع الاستعمار عن رضى وطواعية، وقد طال أمد هذا الاستعمار الأخير وثقلت وطأته على الشعب حتى أصبح يتألم، ولا يبوح بالشكوى أو الانتقاد خوفا من الله بزعمه، والاستعمار ان متعاضدان يؤيد أحدهما الآخر بكل قوته، ومظهرهما معا تجهيل الأمة لئلا تفيق بالعلم فتسعى في الانفلات، وتفقيرها لئلا تسعى بالمال على الثورة»⁽¹⁾، غير أنه وللأمانة العلمية أن لا ننهم كل الزوايا والطرق الصوفية، بل أن هناك من الطرق والزوايا من قامت بالمحافظة على الثقافة العربية الإسلامية، واللغة العربية خصوصا، كما أنها أدت دورها كاملا وإلى يومنا هذا حيث «نشرت الدين والثقافة ونبغ في معاهدها علماء كان لهم الأثر الحسن في النهضة الحديثة»⁽²⁾ كزاوية بن أبي داوود" و"زاوية الشلاطة" فضلا عن زاوية الهامل التي ولدت في العهد الاستعماري نفسه التي أسسها محمد بن القاسم، وتولى التدريس بها بمعية عدد من الشيوخ، ومن أشهرهم ابن أخيه محمد بن الحاج ومحمد بن عبد الرحمن الديسي، وعاشور الحنفي وبرنامج التعليم الذي راج في زاوية الهامل هو نفسه البرنامج القديم للدراسات العربية والإسلامية، إذ كان «يقلد برنامج جامع الزيتونة وأمثاله، فهناك مراحل ومستويات من الابتدائي إلى الدروس العالية وهناك دورات انتقالية، والعلوم المتداولة هي العلوم الدينية والعربية، بالإضافة إلى ذلك فان الفلك والحساب والمنطق والعروض كانت تدرس أيضا في الزاوية وتعتبر دروس الشيخ محمد القاسمي (الهاملي) والديسي من الدروس العالية»⁽³⁾، ومن هذه الزاوية تخرج شاعرنا عبد القادر بن إبراهيم النابلي المسعدي، غير أن تلك الزاوية حادت عن مسارها الذي سطره مؤسسها وذلك بعد وفاته سنة 1315هـ / 1897م وأصبح الشيخ مصطفى القاسمي الهاملي رئيسا لها وكان معارضا للاتجاه الوطني الذي مثلته جمعية العلماء وحزب الشعب، وقد وصفه ابن بكار بقوله: «...ولعله كان الأفضل للشيخ مصطفى وللجزائر أن يواصل رسالة الزاوية الأولى في التعليم بعيدا عن هذه اللجان

(1) تركي رايح، الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم، ص: 96.

(2) محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص: 236.

(3) تركي رايح، الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم، ص: 222.

الرسمية وجامعة الزوايا والمعاهد العلمية الدينية الصوفية التي كانت تأتمر بأمر الإدارة الفرنسية»⁽¹⁾

ومن الطبيعي أن عودة أولئك الرواد القوميين من كتبة وشعراء الصفوة قد أسهمت في بث الروح في النفسية العربية، فاستيقظت من سباتها العميق بالإضافة إلى الصحافة الوطنية الجزائرية التي كانت بمثابة مرآة عاكسة لكل مجريات الحياة من سياسة وأحداث يومية، وآراء في المشاكل العالمية من استعمار وتسلط وثورات وتحرر» وأهم هذه الصحف إطلاقاً وأكبرهن شأنًا وأطولهن عمراً "الشهاب" و"البصائر"⁽²⁾ ولعل الشهاب أكثر أهمية ناهيك عن طول عمرها لكونها في مجموعها تمثل « دائرة معارف جزائرية بالمفهوم الواسع، إذ يظفر فيها القارئ بكل ما يتصل بالسياسة الجزائرية، الثقافة الجزائرية، والنهضة الجزائرية، والمجتمع الجزائري بوجه عام أثناء حقبة معينة من التاريخ»⁽³⁾ وهاهو أحد الشعراء يثني على الشهاب والعلامة ابن باديس* اعترافاً بالجميل حيث قال محمد بن بسكر:

وقل رعاك الذي أعطاك موهبة	حزماً، وعزماً و تأليفاً وتديسا
لله درك يا عبد الحميد لقد	محوت عن ديننا المحبوب تديسا
حي الشهاب وحي الشيخ باديس	واسأل له الله توفيقاً وتأييسا
جوزيت أجراً وإحساناً وتكرمة	وزادك الله في الأيام تنقيسا
سار الشهاب على رغم الحسود خطى	يطوي المراحل تأويباً وتغليسا
لله أنواع أعجاب يزاولها	قد تمنع المرء تهويماً وتعريسا
في بحر خمسة أعوام أنار لنا	روحاً مكهربة ، أذكت فوانيساً ⁽⁴⁾

بالإضافة إلى جمعية العلماء المسلمين التي أسسها العلامة ابن باديس* بجمعية عصابة من رجالات الفكر والإصلاح في الجزائر و التي لعبت دوراً بالغ الأهمية في

(1) أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3 ، ص: 223 .
 (2) وهذه المنطقة من الوطن غنية بتراتها العلمي والديني، وغنية بعلمائها ومؤلفيها ويزواياها ونظمها وكذلك غنية بآثارها ومكتباتها، نقلاً عن: أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق، ص: 260 .
 (3) عبد الملك مرتاض، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر ، ص: 97 .
 (4) المرجع نفسه، ص: 106 .
 (5) المرجع نفسه ، ص: 107 .
 * ومما يذكر أن العلامة ابن باديس تردد في نشر هذه القصيدة لما فيها من ذكر لاسمه وإطراء لعمله .نقلاً عن الدكتور عبد الملك مرتاض ، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، ص: 107 .

تاريخ الجزائر الحديث ولقد كان العلامة ابن باديس من الرواد الأوائل الذين وجهوا كل طاقاتهم وجهودهم للمحافظة على اللغة العربية والثقافة القومية سواء في ميدان «التربية والتعليم، أو في ميدان الإصلاح الديني والاجتماعي، أو في ميدان الصحافة والتوجيه القومي العام، فقد وقف بالمرصاد لدعاة الفرنسية وحاربهم حربا شعواء، كما قاوم دعاة الإدماج والتجنيس، وحارب دعاة التغريب وإنكار الشخصية الجزائرية في التاريخ وعمل على توجيه الجزائر وجهة عربية إسلامية تتفق مع تاريخها وجنسها وحضارتها العربية الإسلامية»⁽¹⁾، ومما لا جدال فيه بأنها مهمة صعبة ليس من السهل على أي مصلح الاضطلاع بها غير أن ابن باديس واجهها وكشف عن موطن الداء وشرع في تطبيق وسائل العلاج على الرغم من استئراء ذلك الداء واستفحاله وتوطنه بصفة مرعبة ومخيفة، وكان ذلك كله «بفضل الحدس القوي والحيوية الفطنة التي كان يتوفر عليهما والصبر الكبير الذي كان يتصف به والشجاعة الزائدة التي كان يتوفر عليها واستطاع أن يسلك طريقا واضح المعالم ويتبع الأساليب الناجعة التي كفلت له الوصول إلى نتائج جيدة ومشجعة»⁽²⁾

ومن خلال ماتقدم يتضح لنا أن الجزائر كانت ميدانا للإضطهاد الفكري الذي قضى بتأخر نهضتها في مختلف المجالات، ومنها مجال الأدب، إلا أن بوادر تلك النهضة ساهمت بشكل كبير في نسف غبار التأخر والجمود ونزع لباس الخمول المهيمن على العقول والذي تراكم عليها ما يربو عن القرن، وذلك بفضل كل الوطنيين الشرفاء في كامل أصقاع ربوع الوطن بلا استثناء، وبذلك وجدنا الثقافة العربية قد استطاعت أن تفرض وجودها وأن تنتصر انتصارا كبيرا وأصبحت «تنافس الفرنسية وتضابقها وذلك بتأسيس المطابع العربية، وإصدار الصحف الوطنية وبناء المدارس العصرية الحرة التي كانت تشرف عليها الأحزاب الوطنية وجمعية العلماء...»⁽³⁾ وكان كفاح العلماء مريرا في مصارعة الإجراءات الإدارية ضد المدارس والمعلمين بالعربية فجدد لها "ابن باديس" قلمه وحنكته وسمعته لرفع الضيم عن المدارس

(1) عبد المالك مرتاض، المرجع السابق، ص: 97 .

(2) يحي بو عزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج 2، ص: 312 .

(3) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، ص: 258 .

والمعلمين، وبذلك اتسعت رقعة التعليم الحر «لتشمل كل ربوع الوطن في المدن، وفي الأرياف بمثابة حملة للتنوير والضوء»،⁽¹⁾ ولعله يعد عاملا آخر ساهم في إثراء الثقافة العربية والتي نجم عنها حركة أدبية مباركة أنت أكلها وكان شاعرنا أحد المنضوين تحت لوائها من خلال ما أجادت به عصارة فكره وهو مانقف عليه من خلال التعريف بهذه الشخصية التي هي موضوع دراستنا .

(1) المرجع نفسه، ج 3 ، ص: 259.

4- عصر الشاعر وحياته:

أ- التعريف بالشاعر:

مما لا شك فيه أن ذاكرة التاريخ تحتفظ بأسماء شعراء كبار ودعوا الحياة والإبداع بعد أن منحوا عالم الشعر عملا معطاء ليقهروا بالإرادة الصلبة والموهبة الفذة عامل الزمن الذي وصفه شاعر عربي قديم (يمضي علينا ثم يمضي بنا)، وكذلك الظروف والمعاناة والأحداث والقلقل التي تترك بصماتها ماثلة تعجز يد الدهر عن محوها، وما شاعرنا إلا أحد هؤلاء الماضين والذين عاشوا في خضم جو مضطرب تقاذفته أمواج عاتية من بحر انطلقت منه تيارات أدت إلى تقلبات سياسية عنيفة كانت سائدة، في تلك الفترة القلقة المتأرجحة بين الإقبال والإدبار والمد والجزر والألم والأمل، ولد شاعرنا عبد القادر بن إبراهيم النائلي⁽¹⁾ المسعدي، هذه الشخصية على الرغم من أنها خلدت نفسها في سجل التاريخ الحافل بالأحداث والمواقف العظام، كما تشهد بذلك رسائله التي تبادلها مع كثير من الشخصيات الإسلامية البارزة من أمثال العلامة "عبد الحميد بن باديس" والشيخ الإبراهيمي وسواهما، فإن التاريخ قد عزف عنه ومضى بإيعاز من بعض صانعيه وذلك ماسنتطرق إليه في معرض دراستنا لهذه الشخصية المغمورة، والتي هي موضوع بحثنا، فمن تكون هذه الشخصية ياترى؟

1- مولده ونشأته: ولد شاعرنا عبد القادر بن إبراهيم، المعروف «بالطعبي

السعداوي»⁽²⁾ والملقب «بالعقبي لإنكاره للبدع والشرك والخرافة في زمنه⁽³⁾» المسعدي مولدا ومنشأ ومماتا، النائلي بطنا، جاء إلى هذا العالم من مخاض دوار عرش أولاد طعبة في سفوح مسعد، بالجلفة جنوبي الجزائر سنة 1301هـ الموافق لـ 1888 ونشأ في أسرة عرفت بالتقوى والصلاح، وقد حرصت والدته على تربيته، وتنشأته على القيم، والمبادئ وكانت تخدمه بنفسها صغيرا وكبيرا، وقد أثمرت فيه تلك التربية

(1) نسبة إلى الشيخ محمد بن عبد الله الملقب بـ: نائل والذي ينتهي نسبه الشريف إلى الحسين بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء، رضي الله عنهم، وأصله من المغرب الأقصى، تتلمذ على يد سيدي أحمد بن يوسف الراشدي دفين مليانة، والذي توفي سنة 931هـ الموافق لـ 1525م، وبذلك يكون سيدي نائل من أهل القرن العاشر الهجري. وبعد وفاة شيخه ارتحل إلى الجزائر ومكث فيها يعلم عدة سنوات ثم تحول إلى الوئشريس ونزل عند سيدي شعيب بن سيدي بوزيد فتلقاه بالإكرام وأنزله خير منزل، نقلا عن عامر بن المبروك محفوطي، تحفة السائل من تاريخ سيدي نائل، مطبعة النعمان، برج الكيفان - الجزائر ط1، 2002م.

(2) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، ص: 259.

(3) نقلا عن: محمد شكيب الرايس حفيد الشيخ محمد بن عبد الرحمن المسعدي المعروف بمحمد الرايس، عن مقال تحت عنوان أعلام منسيه، ص: 2.

الصالحة، كما كان والده أحد أعيان العرش السعداوي، وقد عاصر كل هذه الأحداث من سياسية، واجتماعية، وثقافية، واقتصادية، وما اهدت إليه من معلومات إزاءها كان بفضل المعاصرة لا بفضل استيحاءه من مصدر خاص - إلا النزر القليل - إذ لم أعر للشاعر على ترجمة وافية تشير إلى تاريخ ميلاده، ونشأته، وحياته، وشيوخه وتلاميذه، ومصنفاته، ولعل أول من أفرد له ترجمة مستقلة عادل نويهض في كتابه (معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر)، وعمر بن قينه في كتابه (الديسي حياته وأثاره وأدبه)، وهما ترجمتان قصيرتان جدا - ولاسيما الأخيرة - لانتشيان الغليل، فذكر الأول في كتابه مانصه: «المسعودي: شاعر تقليدي من أهل الجلفة جنوب الجزائر، اشتغل بالتدريس وانضم إلى جمعية العلماء المسلمين، ومن آثاره (شرح لامية الأفعال) لابن مالك، و(ديوان شعره) مخطوط (أوراق جزائرية)». (1)

وذكره عمر بن قينه في كتابه في الهامش مرتين في معرض حديثه عن الرسائل التي بعث بها الديسي إلى عبد القادر المسعودي «بمدينة مسعد جنوب مدينة الجلفة في الصحراء، وكان يتزاور مع الديسي ويتبادلان الرسائل» (2)، ثم يذكره في صفحة أخرى بل في هامش آخر قائلا: «وكانت حالته المادية ضعيفة ينتقل بين مسكن له في حي متواضع بمسعد وبين البادية» (3)

2- تعليمه: تلقى عبد القادر بن إبراهيم المسعودي النائي تعليمه على الطريقة التقليدية فحفظ القرآن الكريم في سن مبكرة (سبع سنوات)، كما اطلع على متون العلم المتداولة آنذاك) - حيث أخذ يعب من مناهلها عباً، من ذلك: "لامية الأفعال" لابن مالك و"القاموس المحيط"، و"السيرة النبوية" لابن هشام، و"العقد الفريد" لابن عبد ربه، وغير ذلك من المؤلفات حتى تعمقت ثقافته، وأثريت موهبته الأدبية، وعرف «بسعة الخيال، وقوة الذاكرة، وغازرة العلم، وبذلك أصبح له قلم فياض وأسلوب يجمع بين

(1) مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت - لبنان - ط2، 1400 هـ - 1980 م.
 (2) الديسي حياته وأثاره وأدبه، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع (د.ت) بنظر هامش رقم 1، ص: 187.
 (3) عمر بن قينة، الديسي حياته وأثاره، بنظر: هامش رقم 1، ص: 214.

النقد والفاكاهة»⁽¹⁾ ولا سيما وأنه أصبح منتسبا إلى زاوية الهامل لمزاولة تعليمه العالي، تلك الزاوية التي لا تقل شأنًا عن شقيقتها داخل القطر الجزائري وخارجه حيث كان للزاوية دور كبير في ميدان التعليم ونشر الوعي الديني بين السكان، كما أن دورها لم يقتصر على الوظيفة الدينية والتعليمية فحسب بل كانت كذلك عبارة «عن رباطات أو نقط أمامية ضد الأعداء، فكان المرابطون يقودون أتباعهم في الحروب الجهادية وينصرون المجاهدين ويطعمونهم في زواياهم ويتحالفون مع الأمراء من أجل الدين وحماية البلاد»⁽²⁾.

3- شيوخه: من الطبيعي أن يكون عمدة التعليم هو المعلم، لكونه هو المثل الأعلى للتلميذ من الصبا إلى المراهقة، بل إلى الشباب والكهولة، وهو ناشر العلم بين الناس بلسانه وآرائه وسلوكه، وعلى الرغم من هذا الدور المنوط بالمعلم، إلا أن شاعرنا لم يطلعنا عن شيوخه ولعل السبب في ذلك يرجع إلى فترة دراسته الوحيدة بتقرت «والتي بقيت راسخة في ذهن المسعدي»⁽³⁾، بحيث لا نعرف إلا اثنين أولهما «الشيخ الطاهر: العبيدي الذي التحق به بتقرت ودرس عليه النحو والأدب... وختم الألفية في حضرته بقراءتها عليه في صفر 1328هـ»⁽⁴⁾.

أما معلمه الثاني فهو «الشيخ محمد بن علي حساني والذي درس عليه اللغة الفرنسية والتي أجادها بإتقان ليصبح نابغة عصره في اللغة والفقهاء»⁽⁵⁾.

ويبدو أن شاعرنا إن حاله الحظ في بعض الأمور، فإنه أدبر له في بعضها الآخر، حيث تلقى ضربات موجعة تمثلت في فقدان والده وأخيه، كما زج به في السجن في حكم الكومندان "شومر" وفرضت عليه الإقامة الجبرية في منطقة (المعلبة) وقد ذكر ذلك في رسالة بعث بها إلى صديقه "ابن عياش بن الطيب" يذكر فيها أنه «أقام بالمعلبة وقد سئم البقاء فيها»⁽⁶⁾. بالإضافة إلى وشاية أفضت به إلى السجن

(1) حفناوي بن عامر غول، محطات في مسيرة العلامة عبد القادر بن ابراهيم، نقلا عن: عن الجلفة انفور. www.djelfa.info.

(2) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، ص: 258.

(3) حفناوي بن عامر غول، محطات في مسيرة العلامة عبد القادر بن ابراهيم. نقلا عن: عن الجلفة انفور. www.djelfa.info.

(4) نفس المرجع والموقع، نقلا عن الجلفة انفور. www.djelfa.info.

(5) نفس المرجع والموقع، نقلا عن: عن الجلفة انفور. www.djelfa.info.

ونبهت الاستعمار إلى أمره، مما جعله يترصد خطاه ويتعقب تحركاته وعدّه خطراً على الأمن العام وعلى فرنسا، وفي ذلك يقول المسعدي: «أما سجنني فلأغراض شخصية فانصرف أولئك الطلبة بدافع المنافسة والحسد على الرتبة العلمية والمواهب الربانية فقط من قاضي البلدة وحاكمها، كما أوضحتها الجرائد الحرة وما بقي سينشر بأوضح بيان وأجلى برهان وهأنذا - بحمد الله طليق - أتبع القضية شرعاً بعد أن عرف أولوا الأمر بأنها تهمة مزورة ودعوى مغرضة زائفة غير مبررة والبحث جار ونحن الطالبون، ولن يضيع حق وراءه طالب ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره نجاحكم الكافرون، وسيعلم الذين ظلموا أي مقلب ينقلبون»⁽¹⁾. وقد ساهمت كل هذه الإفرازات للأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في جعله يائساً ناقماً على الوضع متمرداً على البيئة التي نشأ فيها عازفاً عن ملذات الحياة.

وذلك ما نستشفه من رسالته التي أرسلها إلى صديقه الديسي شاكياً من الزمان الذي لم يصفه ذا ما إياه باللفظ الجارح والمعنى القبيح، ذلك الزمان الذي انقلبت فيه الموازين، أصبح فيه الأرزاق سادة فقال: «... لا حي الله هذا الزمان، ولا يباه، أعمى مقل الكرام، وأعلى كعب اللئام، فلا بارك الله فيه، ولأرد يده إلى فيه، زمان سادت أرادله، وشاطت أباطله، عفت فيه القوافي، ولم يبق منها سوى الرسوم العوافي»⁽²⁾ كما يشتكي أيضاً من أهيل هذا الزمان الذين لم يقدره حق قدره ولم ينصفوه، مما جعله غير راغب في العيش بين ظهرائهم، وفي ذلك يقول: «على أي بين أظهر بني نائل، ولم استظهر من نائل، وبين بني سعد ولم يسعدني سعد»⁽³⁾.

ويبدو أن شاعرنا قد بلغ به اليأس درجة كبيرة مما جعله يتصور بأنه شخص

غير مرغوب فيه لدى قومه وفي ذلك يقول:

أصبحت في مسعد وليس يسعدني دهر بلا صحب ولا دين

كأنني جئت أغتال العقو ل أو أعلمهم طيش السراحي⁽⁴⁾

(1) عبد القادر بن ابراهيم، يرد على بعض الطرقيين: (بلاد بوسعادة هي أم الخبائث) عدد 18، ص: 225.

(2) عمر بن قينه، الديسي حياته وآثاره وأدبه، ص: 215.

(3) نفس المرجع والصفحة.

(4) السراحي: سرح - سرحا: سراحين، وسراح: الماشية مادة سرح (المعجم الوسيط)، ج1، ص: 425.

أو كأني مصحف في بيت طاغية هلباجة⁽¹⁾ من أهيل ذمة الدين⁽²⁾
وأصبح حاله كحال ابن الرومي الذي صب جام غضبه على القوافي وعدها خصما
لدودا فقال يخاطبها:

ويح القوافي مالها سفسفتَ حظي كأني كنتُ سفسفتُها
ألم تكن هوجًا فسددتها ألم تكن عوجًا ففقتُها⁽³⁾

4- رحلته: لعل أول رحلة للمسعودي كانت إلى "تقرت" من أجل التحصيل
المعرفي فضلا عن تردده على دور العبادة، بحيث إن المسجد كان «ملتقى العباد
ومجمع الأعيان، ومنشط الحياة العلمية والاجتماعية، وهو قلب القرية في الريف
وروح الحي في المدينة... وهو الرابطة بين أهل القرية والمدينة أو الحي...»⁽⁴⁾

بالإضافة إلى تنقله بين الفينة والأخرى لزيارة شيوخه، أو حضور اجتماعات
خاصة، كرحلته إلى زاوية الهامل^(*) لإلقاء دروس وزيارة صديقه الديسي المدرس
بنفس الزاوية والالتقاء بالشيوخ والأعلام الذين كانوا يزورون الزاوية بانتظام
لأهميتها وكذلك بشيخه الطاهر لعبيدي، كما كان كثير التردد على مدينة آفلو لزيارة
صديقه البشير الإبراهيمي في منفاه. أما العاصمة فكانت زيارته لها من أجل حضور
اجتماعات جمعية العلماء المسلمين، هذه الجمعية التي كان شاعرنا من الأوائل الذين
التحقوا بها حيث «شارك في الاجتماع التأسيسي المنعقد بتاريخ 17 ذي الحجة
1349هـ الموافق لـ 5 ماي 1931 بنادي الترقى»⁽⁵⁾. الذي كان «مأقطا عظيما
يطفح بالنشاط الأدبي ويفيض بالخصب الفكري ويكتظ بالعلم والعلماء، ويحفل بالخطب
والخطباء»⁽⁶⁾. وكان هذا الاجتماع الحافل بفضاحة العلم والأدب وأساطين الإصلاح

(1) هلباجة: ج: هلابج: الأحمق الذي لا أشد منه حمقا مادة هلبج(المعجم الوسيط)، ج2، ص: 991.
(2) حفناوي بن عامر غول، محطات في مسيرة العلامة عبد القادر بن ابراهيم . نقلا عن الجلفه انفو. www.djelfa.info (د.ص)
(3) القوافي: القصاد - سفسف: صار رديئا - هوج: أحمق، نقلا عن: ديوان ابن الرومي، ص: 250 .
(4) أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ص: 266.
(5) زاوية الهامل بولاية المسيلة، تقع في سفح جبل بين مدينة بوسعادة و مدينة عين الملح، تبعد عن بوسعادة بنحو 15 كلم في الجنوب الغربي منها . نقلا عن عمر بن قينه، الديسي حياته وآثاره وأدبه، ص: 17.
(6) * الترقى الذي أنشئ سنة 1926 بفكرة من أحمد توفيق المدني . نقلا عن تركي رايح المرجع السابق، ص: 67 .
(5) حفناوي بن عامر غول، محطات في مسيرة العلامة عبد القادر بن ابراهيم . نقلا عن الجلفه انفو. www.djelfa.info
(6) عبد الملك مرتاض، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، ص: 40.

من أجل « وضع القانون الأساسي للجمعية والمصادقة عليه⁽¹⁾ ». تلك الجمعية التي كونها ابن باديس مع عصابة من أنصاره لنشر «التعليم العربي على نطاق واسع حتى شملت مدارسها كافة المناطق الجزائرية، كما شمل مجهودها العمال الجزائريين في فرنسا»⁽²⁾.

5 - نشاطه: لعل أول عمل قام به المسعدي بعد عودته إلى مسقط رأسه تأسيسه لمجلس علم « وتربية سياسية فعلم الناشئة علوما كثيرة، وعمل على تغيير بعض المفاهيم الخاطئة، وعبأ جماهير غفيرة للتحرك ضد الاستعمار»⁽³⁾ مما جعله يتعرض للسجن والتعذيب مرات عديدة وللنفي كذلك .

امتهن التعليم منذ أن وعى بما حباه الله من علم ودراسة بقدسية التعليم، ومدى مشروعيته إذا اعتبره واجبا دينيا شرعيا، وجهادا يضطلع به، فيقول: « لم يكن ببلدي من يحسن هذه الصنعة مثلي، ولذلك وجب علي التعليم شرعا»⁽⁴⁾.

ولعل ذلك ما نادى به العلامة ابن باديس مبينا مسؤولية العلماء أمام الله، وأجيال المسلمين المتعاقبة حيث يقول: «مسؤولية العلماء عند الله فيما أصاب المسلمين في دينهم لعظيمة، وان حسابهم على ذلك لشديد طويل ذلك بما كتبوا من دين الله، وبما خافوا في نصرة الحق سواء بما حفظوا على درجاتهم عنده وبما شحوا ببذل القليل من دنياهم فيما يرضيه وبما بذلوا وأسرفوا في الكثير من دينهم فيما يبغضه... ونصحوا الله ورسوله وكتاباه ولعامة المسلمين وخاصتهم، فقامت بهم حجة الله وتداولت بهم أجيال المسلمين إرث النبوة واتصل بهم سند الحق، وانفضحت بهم شبه الباطل...»⁽⁵⁾.

وإيماننا بهذه المسؤولية الملقاة على عاتقه ، وتشربا بروح الرسالة النبيلة، لم يأبه بما تعرض له من مضايقات كثيرة، لا من قبل الاستعمار فحسب بل من قبل بعض

(1) حفناوي بن عامر غول. المرجع السابق ، نقلا عن: عن الجلفه انفو: www.djelfa.info

(2) تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس، فلسفته وجهوده في التربية والتعليم ، ص: 354.

(3) حفناوي بن عامر غول ، محطات في مسيرة العلامة عبد القادر بن ابراهيم . نقلا : عن الجلفه انفو. www.djelfa.info

(4) حفناوي بن عامر غول ، بتصرف عن مقال: حفناوي يقرأ المسعدي أو من يتذكر العلامة عبد القادر بن ابراهيم النائلي، التبيين عن الجمعية

الجاحظية، العدد: 31، سنة 1908 . نقلا: عن الجلفه انفو. www.djelfa.info

(5) عبد الحميد بن باديس، العلماء والإصلاح الإسلامي، البصائر، العدد 11، الجزائر، 30 مارس 1936، ص: 1.

المعلمين وأئمة النظام المواليين للاستعمار، ورجال الطرق، والدجالين، إذ عملوا كل ما في وسعهم للوشاية بالعلماء البارزين الذين نافسوهم على رئاسة العلم والدين، وفي ذلك يقول: «ولما تعاطيت التعليم رفض بعض الناس جميع الطلبة — أي المعلمين والأئمة الذين كانوا يترأسون الدين ولغة القرآن لما لم يجدوا فيهم الكفاية بل قالوا أنهم ماكنتم تجهلون»⁽¹⁾

ثم يضيف قائلاً متحدثاً عن نفسه وعن معاناته مع هؤلاء السائرين في ركاب العدو، مبيناً سبب هذه الأحقاد قائلاً: «وهذا هو السبب الوحيد الذي أوغر صدورهم وأثار فيهم كثيراً من الأحقاد عني، ولكنهم لم يجدوا لدى العامة مطعناً في علمي ولا عرضي..»⁽²⁾. غير أن تلك الأحقاد، والضغائن، والمكائد، والدسائس، ما هي إلا «سحابة داكنة لم يسلم منها أفق أديب جزائري يعيش مأساة بلاده»⁽³⁾. تلك المأساة التي لم تتوقف عند حدود المضايقات فحسب بل كانت سبباً — بالنسبة للمسعدي في سجنه وتعذيبه ونفيه، والأدل على ذلك من أنه اشتغل بالتعليم في الجلفة التي نفي إليها « ليكون على مرأى ومسمع من قيادة المستعمر»⁽⁴⁾ كما علم في مسعد، متخذاً من بيته مدرسة، ومن المساجد معهداً، لإيصال رسالة العلم والمعرفة، وبالإضافة إلى مساره التعليمي فقد تم تعيينه مفتياً في الجلفة سنة 1928، حيث وجدت رسائل عديدة أتت من «مختلف الأقطار وحتى من عند العبيدي والديسي يسألونه في بعض المسائل ومن أشهر فتاويه ما شكل على علماء ميزاب من ميراث المخنث، وهي الفتوى التي بلغ بها صيته المربع المجاورة وخاصة الإخوة الميزابيين»⁽⁵⁾، ومملاً شك فيه أن أعلى وظيفة كان « يتولاها العالم هي الفتوى، وذلك أن الفتوى تحتاج إلى درجة عالية من العلم والتعمق في مسائل الفقه ومعرفة قوية للقرآن وعلوم الحديث والقياس ونحو ذلك، كما تتطلب قوة الشخصية والنزاهة والصلاح والشجاعة في الرأي والثبات على قول

(1) حفناوي بن عامر غول، بتصرف عن مقال: حفناوي يقرأ المسعدي أو من يتذكر العلامة عبد القادر بن ابراهيم النائلي، التبيين عن الجمعية الجاحظية، العدد: 31، سنة 1908، نقل عن: عن الجلفة انفو. www.djelfa.info

(2) نفس المرجع والموقع، نقل عن: عن الجلفة انفو. www.djelfa.info

(3) نفس المرجع والموقع، نقل عن الجلفة انفو. www.djelfa.info

(4) نفس المرجع والموقع، نقل عن: عن الجلفة انفو. www.djelfa.info

(5) نفس المرجع والموقع، ج2، نقل عن: عن الجلفة انفو: www.djelfa.info

الحق»⁽¹⁾. ولعل شاعرنا كان مصيبا حين قال عن نفسه «وباعتباري عالم دين لغويا شاعرا عربيا، كنت منذ اثنتين وعشرين سنة متطوعا بإرشاد من استرشدني إلى التعاليم الدينية الإسلامية واللسان العربي مجانا..»⁽²⁾ كما انتسب إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، «وتصدر في اللسان العربي الفصيح»⁽³⁾ فكان أحد أقطاب الحركة الإصلاحية بالجزائر التي يترأسها العلامة عبد الحميد بن باديس، وكوكبة من صفوة العلماء، والمناهضين للعدو، وخططه الرامية، إلى الإمعان في تجهيل الشعب إلى جانب تفقيره.

وكانت إجادته للغتين ومشاركته بإسهاماته في صحف^(*) الجمعية صداها الواسع ولا سيما هذه الأخيرة بحيث تعتبر الصحافة «منبر الكاتب والشاعر والمعلق السياسي والمصلح الديني والاجتماعي، وكان لها الفضل في نشر اللغة العربية والحفاظ عليها أداة للتداول والتعبير الحي، كما كان لها الدور الكبير في إقامة الروابط وتقويتها بين بلاد المغرب العربي والمشرق العربي الإسلامي»⁽⁴⁾. فضلا عن إرساله «لمقالاته وكتاباته إلى الجرائد المحلية والعالمية»⁽⁵⁾.

6- تلاميذه: تخرج على يديه تلاميذ عديون، ومن بين هؤلاء التلاميذ الذين أفادوا من علمه الإمام "محمد بن عبد الرحمن الرايس"، والذي يعترف بأن له «دور كبير في توجيهه وإرشاده للدين الحق المستمد من الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح»⁽⁶⁾

والشيخ "ابن عياش"، والقاضي "عربي عطا الله"، هذا الأخير الذي كان «يكيد له الدسائس [وأصبح] عينا من عيون الاستعمار، كما كان سببا في قضائه 23 يوما

(1) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص : 398.

(2) حفناوي بن عامر غول، المرجع السابق، ج 2 ، نقلا : عن الجلفة انفو : www.djelfa.info

(3) نفس المرجع والموقع ، نقلا عن: عن الجلفة انفو. www.djelfa.info.

(*) ولعله من باب الإفادة أن أشير إلى صحف سبقت صحف: جمعية العلماء المسلمين وأول صحيفة عربية هي (جريدة الحق)، (جريدة المهاجر) في دمشق سنة 1912، وكان لها دور راند في حقلي الفكر والوطنية. (جريدة الاتحاد الإسلامي)، 1913، (صحيفة الفاروق)، (ذو الفقار)، وهما في نفس سنة 1913 ، بالإضافة إلى مجلة المغرب بالفرنسية أما بالنسبة لصحف الجمعية فهي غنية عن التعريف. نقلا عن عبد الملك مرتاض نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر 1925-1954م، ص : 114.

(4) نور سلمان، الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، ص : 166.

(5) نفس المرجع والصفحة.

(6) حفناوي بن عامر غول ، محطات في مسيرة العلامة عبد القادر بن ابراهيم. نقلا ، عن الجلفة انفو www.djelfa.info

في السجن بعد وشاية منه»⁽¹⁾، علما بأن سيات الاستعمار لم تسلط على المسعدي فحسب بل لم ينج منها حتى من كانوا يتلمذون على يديه، وفي ذلك يقول: «... وفي هذه السنة قام حاكمنا الحالي، بإغراء من أولئك الأعداء، فصار يتبع جميع من يأتيني لطلب العلم بالحبس والتغريم، والضرب ومنتف اللحي، ويقول لمن يحبسه: لا أترك سبيلك حتى تضع خط يدك على أن عبد القادر بن إبراهيم، عدو للدولة، فمنهم من وضع خطه جبرا، ومنهم من امتنع، واحتمل الضرب، ومنتف اللحية، والتغريم مرارا عديدة⁽²⁾» لكون التعليم الحر يشكل خطرا على الاستعمار، ولذلك كان له بالمرصاد غير أن ذلك كله لم يؤثر على مساره العلمي والعملية على حد سواء، وقد اعترف بذلك حيث قال متحديا الزمان الذي عاث بحظه ولم يكن حليفة بأنه لم تخفه صروفه ونوائبه فقال متحديا:

عاث الزمان بحظي ثم عاندي * * بجده عند أطوار من اللعب

وما درى أن مثلي لا يروعه * * وقع الزمان ولا هس إلى طرب.⁽³⁾

لأن وقع الزمان وما يترتب عنه من إحن فهي لا تزيد المرء إلا إصرارا و تصلبا وتحديا وخاصة إن كان يؤمن بأن ما يقوم به بمثابة رسالة سامية تقتضي منه التضحية وذلك ما قام به عبد القادر الذي كرّس حياته للتعليم العربي الحر لتلقين أبناء الشعب مبادئ اللغة والقرآن الكريم كما مر بنا .

7- مكانته العلمية وأقوال العلماء فيه: حظي المسعدي بمكانة مرموقة، من قبل شيوخه ومعاصريه ، ومن بينهم شيخه الطاهر بن العبيدي الذي وصفه بقوله: «غرة جبين الآداب، ودرة الجاحجة* الأنجاب، الراوي من الكلام صحيحه، والزاوي* من اللسان العربي فصيح، الضرغام الذي إن تكلم أفهم وأفحم، وإن كتب أربع وأرهب وإن ناضل قضم وقصم، وإن نازل قهر وطهر، الأديب الذي لا يجارى ولا يماري وما

(1) محمد بن عبد الرحمن الرايس، أعلام منسيه، ص: 2.

(2) نقلا عن: عن جريدة المحور ، عدد 04 ، بورترى عبد القادر بن إبراهيم المسعدي، بقلم حفناوي بن عامر غول ، عن الجمعية الجاحظية، العدد 31 سنة 2008م. الموقع: www.djelfa.info

(3) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي النائلي ، ص: 32. (المخطوطة)

أدراك ما هو بلغ القصارى ، وأدرك آيات كبرى...»⁽¹⁾. إلى أن يقول في رسالة أخرى: «الجهبذ المقدام ، القطريف*** الهمام ، بدر الأدب واللسان عذب الصيقل والسنان ذو الفضل الظاهر، والفخر الباهر الشيخ سيدي عبد القادر...»⁽²⁾. كما يعبر عن إعجابه به في أبيات شعرية حيث يقول:

وفدتك نفسي من همام مصقع خاض القريض وما عبا بعبابه
خضت الخضم من القريض وأنت في الـ أدب العريض تجيد جوب صعابه
أما اللسان فكنت قائد جنده وعريف دولته وقيل صحابه
إن قال هذا القطر هل من نابح كفاء يكف الخصم سيف جوابه
ركض العلوم وجابها وأجادها من قام في ناد الفخار سطا به
قلنا (فعبد القادر) الحبر الرضى جواب آكام العلى ورحابه
لازال فـي أهل اللسان مجددا عهد البلاغة ينتمي لجنابه⁽³⁾

ويصفه الشيخ عبد الرحمن الديسي بقوله: «قس البراعة وأفضل من أقر على أنامله البراعة بدر بني سعد، وإن لم ينصفوه قبل وبعد، إذ لو أنصفوه لتجوه... خير جليس وأفضل أنيس»⁽⁴⁾ كما نوه بشاعريته كذلك الشيخ المدني حيث يقول:

فبالآداب كم حييت نفوسا وكم كسيت به حلل المطارف
وكم حصل اتصال وانبساط به تم الوداد مع التناصف⁽⁵⁾

كما نال حب الكثير من العلماء والمشايخ الذين اعترفوا له بالأستاذية خاصة الشيوخ: البشير الإبراهيمي والعاصمي وبلقاسم بن جابوربي.

8 - معاصروه : لقد عاصر المسعدي مجموعة من العلماء والأدباء ومشايخ كبار من أمثال الطاهر بن لعبيدي، وشقيقه أحمد، والشيخ محمد عبد الرحمن الديسي، وأحمد الأمين العزوزي ، ومحمد حشلاف ، ومحمد الصغير مختاري ، والشيخ محمد القاسمي

(1) عامر بن المبروك محفوظي (تخريج) ، تحفة السائل بباقة من تاريخ سيدي نائل ، مطبعة النعمان ، برج الكيفان - الجزائر - ط1 2002 م، ص : 129.

(2) المرجع نفسه، ص : 130.

(3) المرجع نفسه، ص: 129 - 130.

(4) نفس المرجع والصفحة.

(5) المرجع نفسه، ص: 135.

والطاهر بن لعكف الطعبي⁽¹⁾، والعلامة عبد الحميد بن باديس، والشيخ البشير الإبراهيمي، وغيرهم..

9- إجازته: أجازه شيخه الطاهر بن العبيدي إجازة عامة في المعقول، والمنقول ويقول في مطلعها:

حمدا لمن قد جعل الإجازة توصل بالأستاذ من أجازه
أشكره تخصيصه بالسند أمة خير المرسلين سندي

ومما قاله كذلك مشيدا بذكائه وما منحه الله من المفهوم واللطائف وأسرار المعارف

ثم المجار في غاية التحرير فاز بفضل الله في أدنى زمن
تحسبه من غاية التحرير مجددا بلاغة الحريري
يقول من أبصره وأنصفا الله يعطي من يشاء وكفى
ذاك ابن إبراهيم وهو مسعدي لازال يقفو، و كل نهج مسعد
أجزته في كل مالفقته من نثر أونظم لقد نمقته⁽²⁾

كما أنه أجاز هو الآخر «صديقه الروحي ابن عياش بن الطيب بالحديث المرفوع إلى السند حيث يذكر: « كتبت وأنا أضعف خلق الله البار الرحيم عبد القادر بن إبراهيم لطف الله بي في الدارين أمين»⁽³⁾.

10- آثاره:

عند تصفح مسيرته العلمية، التي تنوعت روافدها، وذلك بتنوع مصادر ينابيعها التي اغترف منها، والتي صبت كلها في فكر واحد، تغذى بما جادت به قرائح أولئك العلماء، في ذلك العصر وشيوخه الذين أخذ على أيديهم العلم والأدب، وما أقوال معاصريه إلا شهادة حية تقر بأدبيته الفذة، - والتي أشرت إليها آنفا- مما يتبادر إلى الذهن بأن هذه الثقافة المتنوعة الروافد قد أتت أكلها بما لذ وطاب من النتاج الخصيب وتناولت هذه التأليف التي تركها الشاعر تشمل الأدب بشقيه الشعر والنثر، والتي لا

(1) الميلود قويسم بن الهدار، موسوعة التحقيق المتكامل، في مناقب وقيم وتقاليده وتراث ونسب أولادسيدي نائل، ص: 210.

(2) عامر بن المبروك محفوطي، تحفة السائل ببقافة من تاريخ سيدي نائل، ص: 137.

(3) نفس المرجع والصفحة.

لا زالت مخطوطة على حد تعبير "ابن عامر غول" - إلا أنني يعوزني الدليل لكي أفند أو أقر بصحة ما ذهب إليه وتتمثل هذه الآثار في الآتي:

- 1- شرح لامية الأفعال لابن مالك.
- 2- طرفة البيان على نظم تحفة الإخوان.
- 3- الكلام عن الولاية في الإسلام.
- 4- تفضيل البادية بالأدلة البادية « وهما عبارة عن رسالتين تبادلهما مع عبد الرحمن الديسي »⁽¹⁾.
- 5- الصلاة.
- 6- البدعة في الإسلام.
- 7- شرح لامية العرب.
- 8- مظالم حاكم رباط مسعد المتوالية دكتاتوريه غير متناهية.
- 9- شرح على تحفة الأفاضل للشيخ العبيدي.
- 10- شرح مخطوط على رسالة البيان المنثورة التي ألفها الشيخ أحمد الدردير، أحد أقطاب علماء المالكية بالأزهر الشريف وهي متداولة الآن بين الطلبة.⁽²⁾
- 11- طرفة البيان على نظم تحفة الإخوان وهي شرح منظومة العبيدي التي نظمها في البلاغة للدردير.
- 12- ديوان شعر مخطوط^(*) (والذي لم نتمكن من الظفر به)، بالإضافة إلى دروس مكتوبة عبر كناشات كان يستعملها، ولعل هذه الأشعار التي هي قيد الدراسة من مجموع هذه الدروس المشار إليها أعلاه.
- 13- وله مراسلات كثيرة لا تعد ولا تحصى ضاع منها الكثير حيث كان يتبادلها مع أعلام عصره أصدقاء وحكام وأعيان وفي أغلبها أدبية و«كانت المراسلات بين العلماء من أهم وسائل الاتصال بينهم، وفي المراسلات تبادل المعلومات وحفظ

(1) عمر بن قينه، الديسي، حياته وأثاره وأدبه، ص: 212.

(2) عامر بن المبروك محفوظي، تحفة السائل ببقافة من تاريخ سيدي نائل، ص: 120.

(*) أوراق جزائرية، نقلا عن: عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت - لبنان - ط 2، 1400هـ - 1980م، ص: 298.

للعلائق الودية ووضوح للمسائل العلمية الغامضة»⁽¹⁾. كما أنها تتناول الأحداث الدولية ولا سيما التي شهدتها العالم الإسلامي «كالانفلات الذي قاده كمال أتاتورك ضد الخلافة العثمانية»⁽²⁾. ومراسلاته أغلبها تداولها مع العلامة عبد الحميد بن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي، والطاهر بن العبيدي، وأخوه أحمد العبيدي، ومحمد بن عبد الرحمن الديسي. سيتم ذكر نماذج من هذه الرسائل في الملاحق.

11- وفاته : وهكذا استمر شاعرنا طول حياته معطاء، ينشط في مختلف

الميادين الوطنية في حقل التربية، جوابا أوأبا، ناشرا العلم بين مريديه، وفي ميدان الصحافة، وفي مجال الإبداع الأدبي، ثم يؤثر في أواخر أيامه الاعتزال متخذا من «الضفة الشرقية يستقبل رواده ومستفتيه»⁽³⁾ إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى سنة 1375هـ الموافق لسنة 1956 م وقد جاوز السبعين سنة ، ودفن بمقبرة مسعد وقد رثاه شيخه الطاهر بن العبيدي مخاطبا مدينة مسعد، حيث يقول:

- | | |
|---------------------------------|-----------------------------|
| 1) مسعد حسرتي فقدت سعادته | وخلعت تاج العلا والسياده |
| 2)كنت بين القرى محط رحال | في بني نائل كقصر إشاده |
| 3) كان نور العلوم فيك شريفا | إن فقد العلوم فقد السعاده |
| 4) كان(عبد القادر) نجل إيرا | هيم فيك أنواره وقاده |
| 5) كان سباق غاية في الخفايا | والخفايا إذا جال جواده |
| 6) وهو في الذوق والفهوم وفي الـ | إنشاء بحر يجري صنوف الإفاده |

إلى أن يقول معزيا ذويه ، ومترحما على الفقيد :

- | | |
|---------------------------|--|
| فنعزي كل النوائل فيه | وذويه ومن أحس افتقاده |
| ربنا ارحم فقيدنا واعف عنه | ثم هبه الحسنى وزده زياده. ⁽⁴⁾ |

كما رثاه زميله الشيخ أحمد العبيدي قائلاً:

(1) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص : 408.
(2) حفناوي بن عامر غول. حفناوي يقرأ المسعدي أو من يتذكر العلامة عبد القادر بن إبراهيم النائلي، التبيين عن الجمعية الجاحظية، العدد 31 سنة 1908، نقلا عن: الجلفة انفو: www.djelfa.info
(3) الميلود قويسم بن الهدار، موسوعة التحقيق المتكامل في مناقب وقيم وتقاليد وتراث ونسب أولاد سيدي نابل، ج4، ص: 228.
(4) عامر بن المبروك محفوظي ، تحفة السائل بباقة من تاريخ سيدي نائل، ص: 138.

- 1) نعي أتى منه الشوامخ ترهب
 - 2) بينا الفتى في سربه متأمنا
 - 3) إذ جاءه الموت المشتت بغتة
 - 4) لله أكبر ساعني فقد الرضى
 - 5) عبد أضيف لقادر من مسعد
- والموت يسرع بالخيار و يذهب
يرجو الحياة وطولها يترقب
خطر جليل و المطامع تلعب
خلي الوفي وذاك خطب يكره
سعدت به الأدبا و زال الغيب

ويمضي قائلا منوها بمكانة الفقيه العلمية، ومقدما تعازيه :

- 1) يا راحلا قد كنت شهما جججا
 - 2) إن جلت في الإنشا أتيت كما تشا
 - 3) فالديسي عدك من فحول حواضر
 - 4) صبرا جميلا يابنيه وآله
 - 5) إنا اشترطنا في المصاب به فنر
 - 6) ويحله الجنات مع أهل التقى
 - 7) ما قال مدهوش لفقد خايله
- أسفا عليك و دمع عيني يسكب
وقريظكم منه الحريري يعجب
بمحاضرات بحرها لا ينضب
فالموت حتم ليس منه المهرب
جو الله يوليه الجميل ويكتب
فله السلامة والسلام الأطيب
نم كالعروس مهنتا لا ترعب⁽¹⁾

(1) عامر بن المبروك محفوظي ، تحفة السائل بباقة من تاريخ سيدي نائل ، ص: 139 - 140

الفصل الثاني

أشعاره وأغراضه

شعره:

تعددت أشعاره، وتلونت بحسب الأغراض الشعرية المعهودة التي طرقها الشعراء منذ العصر الجاهلي، تلك الأغراض التي شكلت ظاهرة عامة تجلت في «كل الدواوين الشعرية الجزائرية الصادرة ما بين (1925م - 1954م)، فلا تكاد تخلو مجموعة من هذه الأغراض»⁽¹⁾

وإيماناً بما قاله ابن خلدون من خلال تجاربه الخاصة: «إن الشعر على قدر البقاع وأن المبدع بقدر المحتوى الذي هضمه»⁽²⁾، وبالتالي فإننا لا نعجب إن تمسك الشاعر بتلابيب تلك الفنون ونسج على منوالها منظومته والتي تمثلت في: التهنية والثناء والمدح، والغزل، والإخوانيات، بالإضافة إلى التشطير، والرسائل* وقد رتبها بحسب أولويتها، ويبلغ عدد الأبيات الواردة بالمخطوطة (321 بيتاً) موزعة بحسب الأغراض والبحور الخليلية وهي كالآتي:

الطويل: (8 قصائد)، البسيط: (4 قصائد)، الوافر: (قصيدتان)، الكامل: (قصيدتان)، الخفيف: (قصيدتان)، المجثث (قصيدة واحدة)، مجزوء الكامل: (قصيدة واحدة).

أغراضه:

موضوعات شعره هي موضوعات تقليدية متوارثة كما مر بنا، كما أنها تتأى بنفسها عن التجديد: إذ التقليد ماثل في كل قصيدة، إذا استقرينا أكثر أبواب شعره من تهنية ومدح وثناء وغير ذلك لمسنا أثره، سواء كان ذلك في اللجوء إلى أساليب قديمة أم في اقتباس معان ردها عدد جم من الشعراء الذين تقدموه. ولعل من نافلة القول أن نقدم نماذج من شعره بحسب الأغراض⁽³⁾ التي ذكرناها آنفاً وأول غرض يصادفنا هو كالآتي:

(1) محمد ناصر الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية، 1925م، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان - ط1، 1985م، ص: 75.
(2) محمد الهادي السنوسي الزاهري، شعراء الجزائري في العصر الحاضر، إعداد وتقديم، عبد الله حمادي، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، ط 2، 2007م، ج1، ص: 23.
(3) كتبت أشعاره بالرسم الحديث.

أولاً: التهاني:

تعريف التهئة لغة: جاء في القاموس المحيط، للفيروز آبادي أن: هنأه بالأمر، قال له:

ليهنئك، مادة (هنأ) (1)

وجاء في المعجم الوسيط: هنأ فلانا بالأمر تهئة: خاطبه راجياً أن يكون هذا الأمر مبعث سرور له - قاله: ليهنئك هذا الأمر مادة (هنأ) (2).

أما تعريفها اصطلاحاً: فهي كلام رقيق يقوله المهني لمن تهنئه في مناسبة سارة، يظهر به مسرة بهذه المناسبة، والتهئة ضد التعزية، وهي تختلف في عباراتها حسب طبيعة ما يهنأ به، وهو ما نتلمسه من خلال تصفحنا لشعر المسعدي حيث وردت تهانيه، وفقاً للمناسبات التي تستدعيها الأحوال، وتقتضيه مجريات الأحداث، وهي تكاد تنحصر في التهئة بالعيد، أو بمولود جديد، أو ختم ملحمة، أو ترقية في وظيفة حكومية، وغيرها من المناسبات.

ولم تكن تهانيه حكراً على القاسميين فحسب، بل شملت بعض رجال السياسة كذلك وبعض الأصدقاء، وهي كالاتي: - د -

[إليك رفعنا بالتهاني] [من الطويل]

القصيدة الأولى: ألح الشيخ عبد القادر القاسمي (3) رحمه الله مع ولد الشيخ محمد الذي كان كاتبه وصاحب سره وعلى الشيخ عبد القادر أن يهنئ الشيخ صالح بن عاشور (4) (رئيس) (إدارة) المكاتب والتحرير بالمجلس الجزائري بوسام الاحترام الذي كان قلده في تلك (الأيام) فكتب (إليه) رسالة (تهئة) بديعة في بابها وختمها (بأبيات) (5) نصها:

(1) هناءً على مرّ الليالي يُجَدِّدُ وعزُّ وإقبالٌ وفخرٌ و(سوَدُّ) (6)

(2) بمجد طريف في الخلال وتالدٍ كفى القاسميُّ شاهداً ومحمدُ [98]

(1) القاموس المحيط للفيروز آبادي، ص: 85.

(2) أخرجه إبراهيم مصطفى وآخرون، ج2، ص: 996.

(3) هو أحد علماء زاوية الهامل وكان عضواً في المجلس الجزائري، عن أمين زاوية الهامل "أبو الأنوار دحية".

(4) هو أحد المنتخبين في المجلس الجزائري، كما أنه أحد المقربين بالشيخ عبد القادر القاسمي الذي كان منتخبا هو الآخر في نفس المجلس، نقلاً عن أمين الزاوية دحية أبو الأنوار.

(5) لم يتم التنبيه إلى أخطاء الأصل التي وردت من قبل الناسخ في جميع القصائد والمقطوعات، وذلك لكثرتها من جهة، ومن جهة أخرى لم أر في ذكرها غرضاً غير تسويد الرسالة وتضييع أوقات من يتكرم بقراءتها فيما لا يجدي، ولا سيما وأن الأخطاء قد تمحورت حول إسقاط الهمزات غالباً، ولعل مرد ذلك إلى سهو، أو سبق، قلم، أو لا مبالاة، وتم التركيز بصفة خاصة على أخطاء المتن.

(6) في الأصل (سوَدُّ).

- (3) هُما أكدا ما بيننا من موْدَةٍ
 (4) فيا واحدا في العصر إنسانَ عِينِه
 (5) ويا حاملا لواء كلِّ بلاغةٍ
 (6) إليك رفعنا بالتهاني باقِة
 (7) وما أنتموا ممّن يُهَيِّى برتبةٍ
 (8) فعش في معاريج الكمالات راقيا
 (9) عليك سلام بالتهاني مطرز
 (10) يُوافي الحمى من شيق للقائكم
- وإن لم يحن يومُ اللقاء (فَنَسَعَدُ)⁽¹⁾
 وياغرة المجد (المأثر)⁽²⁾ تشهدُ⁽³⁾
 وحسانها سحبانها⁽⁴⁾ المتأيدُ
 عساها تفوزُ بالقبول وتحمَدُ [99]
 وإن عظمت فالفضلُ أعلى وأمجدُ
 على ما توخَّاه الخناصرُ تُعقدُ
 يردد في فم الدنا ويجدد
 وإن شطَّ مغناه وعزَّ التجلُدُ⁽⁵⁾ [100]
 والحمد لله أولا وآخرا
- [انتهى]

— ر —

[لو صاغها غيري لعدت من السحر] [من الطويل]

القصيد الثانية: في تهنئة السيد يحيى بن السعيد بن عبد السلام⁽⁶⁾ — رحمه الله — بعيد الأضحى ونصها:

- (1) تَهَيَّيْ بَعِيدِ الْفَتْحِ وَالْفَضْلِ وَالنَّصْرِ
 الْعَصْرُ⁽⁷⁾
 (2) وبالمجد والفخر المؤثّل مثل ما
 (3) أبا مالكٍ والفضلُ عبدٌ ملكته
 (4) وطوّقت أعناق الزّمان صنائعا
 (5) كتبت على جبين دهرك أسطرا
- وبالعزّ والإقبال يا مُفردَ الْعَصْرِ⁽⁷⁾
 تُهَيَّيْ بِكَ الْأَعْيَادُ فِي الْفِطْرِ وَالنَّحْرِ⁽⁸⁾
 فَأَلَيْسَتْ تاجَ الْعِزِّ مِنْ مَقْرَقِ الدَّهْرِ [1]
 مُنْظَمَةٌ نَظْمَ الْعُقُودِ مِنَ السُّدْرِ
 شَهْدَنْ يَفْضُلُ مِنْ لُجَيْنٍ وَمَنْ تِيرِ

(1) في الأصل (فَنَسَعَدُ).

(2) الأصل (المأثر) واحدها مأثرة، بضم حرف التاء .

(3) المأثر: ج، م المأثرة والمأثرة البقية من العلم تؤثر، القاموس المحيط للفيروز آبادي، ص: 366.

(4) هوسحبان بن زفر بن أياد الوائلي الخطيب المصقع المضروب به المثل في البلاغة والبيان، اتخذه معاوية للملامات وتوكأ عليه عند المفارقة، نقل: عن جواهر الأدب، للسيد أحمد الهاشمي، ج2، ص: 120.

(5) شط: بعد، مادة (شطط) - المغنى المنزل الذي غني به أهله ثم ظعنوا، القاموس المحيط ص: 695 و ص: 1325- عز التجلد عز قل، فلا يكاد يوجد فهو عزيز (ج) عزاز القاموس المحيط، ص: 541.

(6) تلميذ الشيخ الديسي وحاكم قبيلة زينة (الإدرسية حاليا) وما جاورها نقلًا عن تحفة السائل بباقة من تاريخ سيدي نايل، عامر بن مبروك محفوظي، ص: 131.

(7) المنفرد من الناس: المنقطع النظير الذي لا مثيل له في جودته، مادة (فرد)، المعجم الوسيط، قام بإخراجه ابراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر محمد علي النجار، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، اسطنبول، تركيا، (د.ت) ج1، ص: 680.

(8) المؤثّل: الأصيل، مادة (أثّل)، المعجم الوسيط، ج1، ص: 6.

- (6) رَمَيْتَ يَسْهَمَ الصُّنْعَ نَسْرَ مَفَاخِرِ
 (7) وَلَوْ لَمْ يَكُنْ بِنَجْلِكَ أَكْرَمُ وَالِدِ
 (8) وَلَا غَرَوْ أَنْ تُدْعَى (نَبِيَّ) (2) فَضَائِلِ
 (9) بِآيَاتِ جُودٍ مُحْكَمَاتِ رَوَاسِحِ
 (10) يَحِنُّ إِلَيْكَ شَارِدُ الْفَضْلِ مِثْلَمَا
 وَالْوَكْرُ (4)
- (11) شَوَارِدُ مَجْدٍ فِي الْكِرَامِ تَفَرَّقَتْ
 (12) فَكُنْتَ الْأَنَامَ وَاحِدًا مُتَقَرِّدًا
 (13) وَيَوْمَآكَ يَوْمٌ لِلْمُرُوءَةِ وَالنَّدَى
 السُّمْرِ (5)
- (14) وَمَنْدُ رَأِينَا اللَّهُ أَحْيَا بِكَ الْعُلَا
 (15) تُتَادِيكَ بَلْ تُوَالِيكَ مَا أَنْتَ أَهْلُهُ
 (16) سَجَدْنَا اقْتِدَاءً بِالْمَفَاخِرِ وَالْعُلَى
 (17) تَطِيرُ بِنَا نُوقُ الرَّجَا يَسْتَحْتِئُهَا
 (18) تَوْمٌ بِنَا رَبِّ الْجَمِيلِ وَوَاهِبِ الْـ
 وَالسَّرِّ (7)
- (19) هُمَامَا سَمَا فَوْقَ الْأَنَامِ بِهِمَّةٍ
 (20) وَلَوْلَا رِجَالٌ مِنْكَ غُرٌّ أَمَا جَدِ
- وَدُسْتُ عَلَى الْعَلْيَاءِ فِي هَامَةِ النَّسْرِ (1)
 سَمَوْتَ بِفَعْلِ الْمُعْجَزَاتِ مِنَ الْبِرِّ [2]
 بُعِثْتَ لِإِتْمَامِ الْمَكَارِمِ وَالْفَخْرِ
 نَسَخْنَ حَدِيثَ حَاتِمٍ وَأَبِي الصَّقْرِ (3)
 تَحْنُ الْحَمَامُ الْوُرُقُ لِلْإِلْفِ وَالْوَكْرِ (4)
 فَجَمَعْتَهَا جَمْعًا عَلَى أَكْمَلِ الْأَمْرِ [3]
 وَلَيْتَنَا عَلَى الْأَعْدَاءِ غَيْثًا إِلَى الْحُرِّ
 وَيَوْمٌ لِإِعْمَالِ الْمُتَّقَةِ السُّمْرِ (5)
 فَقَامَتْ وَكَانَتْ تَحْتَ مُنْدَرَسِ الْقَبْرِ
 وَتَخَطَّبُ مِنْكَ وَاحِدَ الْفَضْلِ وَالْقَدْرِ [4]
 وَجُبْنَا مُتَوْنِ الْبَيْدِ وَالْمَهْمَةِ الْقَفْرِ (6)
 حُدَاهُ إِشْتِيَاقٍ بِالسِّيَاطِ مِنَ الذِّكْرِ
 جَزِيلِ عَقِيدِ الْجُودِ فِي الْجَهْرِ وَالسَّرِّ (7)
 وَأَثَعِبَ مَنْ يَتْلُوهُ فِي الْأَعَصْرِ الْغُبْرِ [5]
 يَحْفُونَكُمْ كَهَالَةَ الْبَدْرِ بِالْبَدْرِ

(1) الحمام الورق: جنس من الطير مفردا ورقاء، مادة (ورق)، المعجم الوسيط، ج2، ص: 1026.

(2) في الأصل (نبي).

(3) هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك، ولد في إحدى قرى دمشق سنة 113هـ، ولما حلت النكبة ببني أمية فر بأهله وولده إلى ناحية الفرات، ثم إلى الأندلس مؤسسا دولة بني أمية بها، لقبه أبو جعفر المنصور، بصقر قريش وكان لقباً بليق بعبد الرحمن الذي ظل نحو ثلاثة وثلاثين عاما - هي مدة حكمه - في جهاد متصل وعمل دائب من أجل تحقيق هدفه الكبير، ثم مات سنة 172هـ - 788م بعد أن حقق ما كان يريد، وكان شاعرا مجيدا وناثرا بليغا. نقل عن: أحمد هيكل، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، دار المعارف، مصر، ط7- 1979 ص: 92-93

(4) المتقفة السمر: الرماح، ثقف الرمح قومه وسواه، مادة (ثقف) المعجم الوسيط، ج1، ص: 98.

(5) متون: ج متن: ما ارتفع وصلب من الأرض مادة (متن) المعجم الوسيط، ج2، ص: 853.

(6) المهمة القفر: المفازة البعيدة مادة (مهمه) المعجم الوسيط، ج2، ص: 890

(7) عقيد جود: العقيد في الأصل رتبة عسكرية فوق المقدم ودون العميد (محدثه)، ويقال عقيد كرم، وعقيد لوم كريم ولثيم مادة (عقد) المعجم الوسيط، ج2، ص: 614.

- (21) لَقُلْنَا رَأَيْنَا الْمَجْدَ شَخْصًا مُصَوَّرًا يُوَالِي النَّدَى طَلَّقَ الْبَشَاشَةَ وَالْيَشْرَ
(22) كَيْلَا رَاحَتِكَ الْبَحْرُ، لَا الْمَتْحُ غَضَّهَا وَلَا الْعُدْمُ وَالْإِثْرَاءُ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ⁽¹⁾

(1) المتح: جذبك رشاء الدلو تمد يد وتأخذ بيد على رأس البئر مادة (متح) لسان العرب لابن منظور، المجلد الثاني، ص: 696.

- 23 (تَبَارَكَ مَنْ سَوَّكَ خَلْقًا مُرَكَّبًا)
 24 (فُذْمٌ وَارْفَلْنُ فِي بُرْدٍ عَزْزٍ وَرَفْعَةٍ)
 25 (وَضَعُ تَاجِ مُلْكٍ فَوْقَ هَامَةِ سَيْدٍ)
 26 (لَأَنْتَ بِنَاجِ الْمُلْكِ أَوْلَى مِنَ الَّذِي)
 27 (تَحِيَاتُ أَشْوَاقِي إِلَيْكَ تَرْفُفُهَا)
 28 (عَرَائِسُ أَبْكَارٍ عَنِ الْغَيْرِ صُنَّتْهَا)
 29 (بَدَائِعُ لَوْ يَمْدَحُ غَيْرُكَ (أَلْحَمْتُ))⁽³⁾
 30 (يَتِيمَاتُ دُرٍّ فِي نُحُورِ (جَازِرٍ))⁽⁵⁾
 31 (أَطِيرُ إِلَى زُهْرِ الْكَوَاكِبِ نَاطِمًا)
 32 (وَهَذَا وَإِنِّي فِي عُلَاكُ مُقْصِرٌ)
 33 (وَلَوْلَا الَّذِي أَرَاهُ مِنْ قِدَمِ الْإِخَا)
 34 (لَجَاءَتْكَ مِنْ بَدِيعِ شِعْرِي رِصَائِعٌ)
 35 (فَعِشْ سَالِمًا وَارِقَ الْمَعَالِي صَاعِدًا)
- تُجَمِّعُ أَشْتَاتَ الْفَضَائِلِ وَالْفَخْرِ ⁽¹⁾ [6]
 تُرَوِّي رُبُوعَ الْمَحَلِّ بِالسِّيْحِ وَالْقَطْرِ
 مَعْوَدَةٍ كَفَّاهُ لِلْتَمِّ وَالنَّصْرِ
 ثَوَى شَادَ مُهْرًا أَوْ يَغْمَدَانِ وَالْجِسْرِ ⁽²⁾
 خَرَائِدُ فِكْرٍ مَا بَرَحْنَ مِنَ الْخِدرِ [7]
 لِعِزَّةٍ كَفُوْا لَا لِحُلُوانٍ أَوْ مَهْرٍ
 لَكَانَتْ تُعَدُّ فِي ضُرُوبِ مِنَ الْهَذْرِ ⁽⁴⁾
 وَلَوْ صَاغَهَا غَيْرِي لَعُدَّتْ مِنَ السِّحْرِ
 وَأَجْنِي يَتِيمَ الدُّرِّ مِنْ لُجَجِ خُضْرٍ [8]
 وَمَا جِئْتُ مِنْ مِعْشَارِ فَضْلِكَ بِالْعُشْرِ
 وَصِدْقِ وِلَاءٍ فِي الشَّرَاسِيفِ وَالصِّدْرِ ⁽⁶⁾
 تَسِيرُ بِهَا نُجْبُ الْأَصَائِلِ وَالْبُكْرِ
 يَهْمَتُكَ الشَّمَاءُ دُسُّ صَفْحَةِ الْبَدْرِ [9]

[انتهى]

(1) (2) (3)

(1) تبارك الذي سواك: أي الله، تقدس وتنزه وتعالى، مادة (بارك)، المعجم الوسيط، ج 1، ص: 51.
 (2) شادا مهرا: بلاد مقفرة في جزيرة العرب تقع جنوبي شرقي ساحل الأوقيانوس الهندي بين حضر موت وعمان قاعدتها قيشين فيها آثار سبأ، لغة سكانها (المهري) وقد تختلف بأصولها عن العربية - غمدان قصر في صنعاء (اليمن) كان يعتبر من عجائب الدنيا، خربه الأحباش في حروبهم عن اليمن، (525م).
 (3) في الأصل (الحمتم).
 (4) الهذر: سقط الكلام، مادة (هذر)، المعجم الوسيط، ج 2، ص: 979.
 يتيمات در: فريدة من نوعها، مادة (يتم)، المعجم الوسيط، ج 2، ص: 1062.
 (5) في الأصل (جاندز)، و الجوذز: ولد البقرة الوحشية (ج) جاندز، المعجم الوسيط، ج 1، ص: 103.
 (6) الشراسيف: الطرف اللين من الضلع مما يلي البطن، مادة (شرس)، المعجم الوسيط، ج 1، ص: 473.
 الصدر مقدم كل شيء، صدر القوم رئيسهم، مادة (صدر)، المعجم الوسيط، ج 1، ص: 501.

كتب في هامش الأصل تعقيبا على الناظم من قبل الناسخ مانصه :

(2) (إشارة) إلى قول (أبي) الصلت (1) مخاطبا الملك سيف بن ذي يزن (2) من جملة (أبيات) وذلك حين استقر له ملك اليمن

قال: اشرب هنيئا عليك التاج مرتفعا*** في رأس غمدان دارا منك محلا لا . وغمدان والسدير قصران للملك باليمن .

(1) (إشارة) (إلى) قول الطيب (أبي) محمد المصري مخاطبا الملك (أبا) القاسم محمد بن عباد (بالأندلس) وهو قوله:

اشرب هنيئا عليك التاج مرتفعا بشاذ مهر ودع غمدان لليمن

وأنت (أولى) بتاج الملك تلبسه من هودة بن علي وابن ذي يزن (3) [انتهى]

(أخذه) الناظم فسلبه الجميع وعدل عن التضمين و(أثبتته) لممدوحه كما رأيت . فالذي ثوى بشاذ مهر هو المعتمد بن عباد والذي بغمدان هو الملك سيف، والذي بالجسر هم ملوك العبابسة (لأن) الرصافة والجسر موضع نزهة الملوك والأدباء ببغداد قال علي بن الجهم:

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث (أدري) و(لأدري)(4). الخ

(1) ابن أبي الصلت هو أمية بن عبد الله الثقفي (... 629م) شاعر ولد ومات بالطائف له ديوان جمعه شولتس، نقلا عن كالموسوعة العربية الميسرة، بإشراف محمد شفيق غربال، طباعة ونشر دار الشعب ومؤسسة فرانكلين 1965م، ص: 9.

(2) سيف بن ذي يزن، بطل يمني سليل بيت من ملوك حمير، كان له شأن عظيم في التاريخ القومي العربي، إذ يعود له الفضل في طرد الأحباش من الجزيرة وبسط سلطانه على أرض أجداده مما جعل المخيلة الشعبية تحيطه بالكثير من الأساطير والخروقات، وغدت سيرته تحتل مكانا بارزا من السير الشعبية، وقد طبعت هذه السيرة مرات عديدة، وتقع في 17 جزءا، درسها بعض المستشرقين والعرب نقلا عن: الموسوعة العربية الميسرة، ص: 1049.

(3) وفي رواية أخرى: اشرب هنيئا عليك التاج مرتفعا بصوت شاذ ودع شادا وغمدانا إن كان ألبست العليا ابن ذي يزن تاجا فقد ألبست اليوم تيجانا

ابن معصوم المدني، الشبكة العنكبوتية، الموقع كنوز - أدب عربي، شعر وأمثال، ص (د.ترقيم)
(4) ديوان علي بن الجهم، عني بتحقيقه مردم بك، لجنة التراث العربي، بيروت - لبنان - ط2، (دبت)، ص: 220.

- ر -

[البدر أخلفه بدر] [من الطويل]

القصيدة الثالثة: قطعة اشتملت على تعزية وتهنئة لمشيخة زاوية الهامل

- (1) أَحَقَّا عِبَادَ اللَّهِ قَدْ أَقْلَ الْبَدْرُ وقد ضَمَّهْ بَعْدَ الْعُلَى فِي الثَّرَى قَبْرُ⁽¹⁾
- (2) وَضُعُوعَ رُكْنِ الدِّينِ أَظْلَمَ جَوْهُ وَغَاضَ مَعِينَ الْفَضْلِ بَنَلْ نَضَبَ الْبَحْرِ⁽²⁾
- (3) يَفْقِدُ إِمَامَ الْعَارِفِينَ وَقُطْبِهِمْ أَبِي الْقَاسِمِ الْمُقْضَالَ قَدْ عَزَبَ الصَّبْرُ⁽³⁾
- (4) وَكَيْفَ التَّسْلِيِ وَالتَّصَبُّرُ وَاجِبٌ وَلَا غَرَوَ أَنَّ الْبَدْرَ أَخْلَفَهُ بَدْرُ [35]
- (5) وَلِمَ لَا وَأَنَّ الْقَاسِمِيِّينَ مَعَشْرُ صَغِيرُهُمْ عِنْدَ الْمَعَالِي لَهُ الصَّدْرُ⁽⁴⁾
- (6) كِرَامٌ فِخَامٌ قَادَةٌ وَأَجَلَّةٌ خُلَاصَةٌ مَنْ يَرْسُو بِهِ الْمَجْدُ وَالْفَخْرُ
- (7) وَلَا سِيَمَا شَمْسُ الْمَعَارِفِ أَحْمَدُ هُمَامٌ، إِمَامٌ كَلَّمَا التَّبَسُّبُ الْأَمْرُ
- (8) فَشَادَ مَنَارَ الدِّينِ بَعْدَ انْدِرَاسِهِ وَأَرْغَمَ أَنْفَ الْحَادِثَاتِ وَمَا يَطْرُقُ⁽⁵⁾ [36]
- (9) لِيَهْنَأَ بِهِ الدِّينُ الْحَنِيفُ وَحِزْبُهُ وَتَهْنَأَ بِهِ الدُّنْيَا وَيَهْنَأَ بِهِ الدَّهْرُ
- (10) وَتَهْنَأَ بِهِ أَيْتَامُهَا وَأَرَامِلُ وَطَالِبِ عِلْمٍ (عِضَّةٌ)⁽⁶⁾ الْأَزْلُ وَالْفَقْرُ⁽⁷⁾
- (11) وَنَسَأَلُ رَبِّي أَنْ يُطِيلَ بَقَاءَهُ وَعَلَى خَيْرِ حَالٍ حَقَّةُ الْفَتْحِ وَالنَّصْرُ [37]

[انتهى]

(1) أفل البدر: أفلا وأفولا غاب فهو أفل ج أفل وأفول مادة (أفل) المعجم الوسيط ج 1، ص: 21.

(2) ضعضع: ركن الدين يقال ضعضع البناء هدمه حتى الأرض ويقصد به الشاعر هنا ركن من أركان الدين وهو تعبير مجازي، مادة (ضعضع)، المعجم الوسيط، ج 1، ص: 529.

(3) القطب: سيد القوم مادة (قطب) المعجم الوسيط، ج 1، ص: 538.

(4) الصدر مقدم كل شيء، وصدر القوم رئيسهم، مادة (صدر)، المعجم الوسيط، ج 1، ص: 509.

(5) درس درسا ودروسا: عفا وذهب أثره وتقادم عهده، اندرس مطاوع درس، المعجم الوسيط، ج 1، ص: 280.

(6) الأصل (عظه)، انظر القاموس المحيط، مادة (عضض)، ص: 669.

(7) الأزل: ضيق العيش، شدة الزمان، المعجم الوسيط، ج 1، ص: 16.

- ر -

[ياوحيد الزمان] [من الخفيف]

الخاتمة: لما أصيب الباشاغا⁽¹⁾ يحيى بن السعيد - رحمه الله - بصدمة سيارة

ثم (أبل) من مرضه قال الشيخ مهنأ له:

- 1) سلمَ المجدُ والتَّدى والفخارُ
 - 2) فلكم أسوةً بخير البرايا
 - 3) فاصبروا ليس في النَّصْبِ نقصُ
 - 4) يا وحيدَ الزَّمانِ فاهنَّ بإيلا
 - 5) واعلموا أنه ارتفاعَ مقامٍ
 - 6) فلنُهنيَّيكَ بل نُهني البرايا
 - 7) ونُهنيَّي أراملُ واليتامى
 - 8) ويُهنيَّي الفقيرُ والبائسُ المهضومُ
 - 9) كعبةَ المُجتدي عدتكَ العوادي
- مُدَّ سَلِمَتَ وليس في الضَّرِّ عارُ
جَدَّكُمْ أَنْتُمْ وارثوه الخيارُ⁽²⁾
واشكروا فضلَ مُقَدِّدِ يختارُ
لِ يَتَلَوهُ الشِّفاءُ والإكِّبارُ⁽³⁾
لا يُنَالُ بغيرِ ذا وافتخارُ
وئُهنيَّي الدُّنا وتلك الدارُ⁽⁴⁾
وئُهنيَّي العُودِ والزرُّوارُ
والمُجتدي النَّدى والمُجارُ⁽⁵⁾
وحماكَ العَشِي والابكارُ⁽⁶⁾ [101]

- ل -

[خليل به تحيا العلوم] [من الطويل]

القصيدة الخامسة: ومما قال بالهامل وقد وافى ختم ملحمة الحريري للسيد الخليل نجل

الشيخ سيدي مصطفى القاسمي⁽⁷⁾ - رضى الله عنهما - وقد سئل (أن) يقول في ذلك

وكان ولده محمد في صحبتته فقال مخاطبا له:

(1) الباشا : هو لقب الباشوات في الجزائر منذ العهد المعروف بعهد الباشوات أي منذ سنة 1075م. نقلا عن: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، ص: 197. أما الأغا فهو وزير الحرب، نقلا عن أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، ص: 71. ولعل يحيى بن السعيد قد جمع بين الوظيفتين ولذلك دعي بالباشاغا.

(2) البرايا : (ج)، (م) البرية الخلائق أو البشر، مادة (برا) المعجم الوسيط، ج 1، ص: 531

(3) الإبلا: أبل المريض برا، مادة (بل) القاموس المحيط، ص: 982

(4) الدنيا: (ج) الدنيا، المعجم الوسيط، ج 1، ص: 299.

(5) المجتدي: الجادي وهو طالب الجدوى، القاموس المحيط ص: 1276 - المجار المظلوم، مادة (جاد) القاموس المحيط ص: 146

(6) العوادي: نواب الدهر، مادة (عدا) المعجم الوسيط، ج2، ص: 589.

(7) هو أحد مشايخ الجلفة وقد أشار إليه الديسي وإلى غيره من العلماء وذلك في قوله (ورجعت إلى الديس وقصدت الجلفة ومسعد، وفيها التقيت برجال رفيعهم العلم ورفوعه وطوروه ونشروه، كسيدي الشريف بن الأحرش، وأخيه سيدي بلقاسم، وسيدي محمد بن أحمد السنوسي، وسيدي مصطفى وسيدي البشير وسيدي عبد القادر، وسيدي محمد بن أبي القاسم) نقلا عن أبي القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، المكتبة العتيقة، دمشق- سوريا، 1975، ص: 182.

- (1) محمدٌ بَشَّرَنِي بِعِزِّهِ وَإِقْبَالِ
 (2) إِذَا مَا نَزَلْنَا بَيْنَ لَيْثٍ وَأَشْبَلِ
 (3) هُمُ الْعُرْوَةُ الْوَثْقَى⁽³⁾ هُمَا كَعْبَةُ النَّدَى
 (الآل)⁽⁴⁾

- (4) هُمَا حَرَمُ اللَّاجِيءِ عَزَّ نَصِيرُهُ
 [16] وإكسيرُ ذي فقرٍ لِنَصْرِوْإِفْضَالِ⁽⁵⁾ [16]

- (5) لَعَمْرُأَبِيكَ الْخَيْرُ مَا خَابَ ضَارِعٌ
 (6) إِمَامُ الْهُدَى بَحْرُ النَّدَى قَامِعُ الْعِدَى
 (العالِي)⁽⁶⁾
 (7) إِلَيْهِ لَقَدْ أَمَّتْ بَلِيلُ رِكَابُنَا
 (الْمَالِي)⁽⁷⁾

- (8) هَمَامٌ إِذَا يَلْقَاكَ يَلْقَاكَ بِاسْمَا
 (9) يَحْفُ بِهِ (الآل)⁽⁸⁾ الْكِرَامُ كَهَالَةٍ
 وَإِكْمَالِ

- (10) لَدَى الْمَسْجِدِ الْمَعْمُورِ حُمٌّ لِقَاؤُنَا
 (11) بِهِ خَتَمَ الْخَلِيلُ شَرَحًا لِمُلْحَةٍ
 أَنْجَالِ⁽⁹⁾

1

- (12) وَكُنَّا نَرَى أَنْ الْخَلِيلَ إِمَامُنَا وَشَيْخُ شِيُوخِ الْعِلْمِ فِي الْعَصْرِ الْخَالِي [18]

(1) عريسة رثيال: ماوى الأسد مادة (أعرس) المعجم الوسيط، ط2، ص: 592.

(2) اللأواء: ضيق المعيشة، مادة (لأى) المعجم الوسيط، ج2، ص: 811.

(3) العروة الوثقى: أي من يستمسك بهم ويعتصم على سبيل المجاز مادة (عرا)، المعجم الوسيط، ج2، ص: 597.

(4) في الأصل (الاءال)

(5) إكسير: شراب في زعمهم يطيل الحياة مادة (أكرس)، المعجم الوسيط ج1، ص: 22.

(6) مجلي الصدا: مزيل العطش الشديد المعجم الوسيط مادتي (جل) ص 121، و(صدي)، ص: 511.

(7) أمت ركاتينا: قصدت رواحلنا من الإبل مادة (ركب) لسان العرب لابن منظور، المجلد الأول، ص: 428.

(8) في الأصل (الاءال). الآل النعم، مادة (الآ) المعجم الوسيط، ج1، ص: 25.

(9) الملح: ملح الإعراب منظومة في النحو لقاسم الحريري (ت1122) شرحها الرملي والسيوطي وابن مالك مادة (ملح) المعجم الوسيط ج2

ص 883. وكانت شائعة بين طلاب زاوية الهامل، نقلنا عن عمر بن قينه الديسي حياته وأثاره وأدبه، ص: 168.

13) فقد بَعَثَ الرَّحْمَنُ مِنْ قَيْضٍ فَضْلَهُ خَلِيلاً بِهِ تَحْيَا الْعُلُومُ بِأَعْمَالِ

14) هَنِيئاً لَنَا إِذَا انْتَضَمْنَا بِسِمْطِهِ مِنْ عَرَفِ الْخِضَمِّ يَزْرِي بِأَوْشَالِ⁽¹⁾ [19]

[انتهى]

(1) انتضمنا بسمطه: أي نظم واحد، مادة (سمط) المعجم الوسيط، ج 1، ص: 448. أو شال مياه تسيل من أعراض الجبال تجتمع ثم تساق إلى المزارع ويقال جاؤوا أو شالا يتبع بعضهم بعضاً، مادة (وشل)، المعجم الوسيط، ج 2، ص: 1053.

كتب في هامش الأصل تعقيب من قبل الناظم - على ما يبدو - مانصه :

(1) هو الخليل بن (أحمد) شيخ سيوييه ومخترع ومؤلف فن العروض - رحمه الله ورضي عنه - وفيه يقول ابن عبد ربه (الأندلسي):

ما فلسف البطليس جالينوس⁽¹⁾ وصاحب القانون بطليميس⁽²⁾ .
ولا الذي يدعونه بهرمس وصاحب (الاركند) و(الاقليدس)⁽³⁾ .

- ن -

[بأبي القاسم الأغر أهني] [من الخفيف]

القصيدة السادسة: سأله الشيخ سيدي (أحمد) بن الحاج محمد القاسمي⁽⁴⁾ - رحمه الله - (أن) يقول في (تهنئة) بولد فقال متفائلاً بلفظ القرآن الكريم:

130 1214 1344 هـ

(1) قُلْ أَبْشِرَاي أَرْحُ نَيْلِ الْأَمَانِي بهلال بدا فَبَيْلَ الثَّمَانِ
(2) ذَا هِلَالِ الْفَخَارِ حَقَّ لَهُ سَبَبُ ق هلال الإفطار إذ هو ثان
1
(3) جَاءَ فِي الْعِشْرِ رَاصِدَا لَيْلَةِ الْقَدِ ر يُزَاحِمُ آيَهَا وَالْمِثَانِي
(4) وَاسْتَهَلَّ وَمَا اسْتَقَلَّ غَلَامُ الْـ (آل)⁽⁵⁾ إِعْتَتَ لَهُ الثَّقْلَانُ⁽⁶⁾ [21]
(5) (آل)⁽⁷⁾ بَيْتِ النَّبِيِّ مِنْ ذَا يُسَامِي أَوْ يَسَاوِي عُلَاكُم أَوْ يُدَانِي
(6) شَهَدَ اللَّهُ فِي الْكِتَابِ لَكُمْ بِالطُّهْرِ قَبْلَ التَّكْوِينِ قَبْلَ الزَّمَانِ
(7) أَنْتُمْ الْأَكْرَمُونَ أَصْلًا وَفِرْعَا وَسِوَاكُمْ مَعْلَلٌ بِالْأَمَانِي
(8) بِأَبِي الْقَاسِمِ الْأَغْرَاهْنِي جَمَعَكُمْ وَلَهُ يَحِقُّ التَّهَانِي [22]
(9) بِأَبِيهِ الْهُمَامِ (حَاوِي)⁽⁸⁾ الْمَزَايَا أَحْمَدَ الْقَاسِمِي وَحِيدَ الْأَوَانِي

(1) جالينوس (130-200م) طبيب وكاتب يوناني ولد في بير جامون، ثم انتقل إلى روما وأقام بها ، وفيها ذاع صيته ،اختاره "مرقص أوربيليوس" طبيبا لبلاطه ، نقلا: عن الموسوعة العربية الميسرة، ص:597.

(2) بطليموس، عالم فلك ورياضة ، ومؤرخ يوناني مصري ،نشأ بالأسكندرية، في الربع الثاني من القرن الثاني الميلادي وتوفي سنة 161. من مؤلفاته كتاب (المجسطي) يبحث في الفلك والرياضة، كما يحتوي على مسائل وتفسيرات للأجرام السماوية وعلاقتها بالأرض. نقلا: عن الموسوعة العربية الميسرة، ص:381.

(3) لم أعر على قائل هاتين البيتين والتين نظمهما ابن عبد ربه - كما أشار إلى ذلك الناسخ - إشارة إلى آثار الفراهيدي التي تنوعت مما يدل على تبحره في كافة العلوم، حتى قيل عنه(بأنه قد أبدع الخليل بدائع لم يسبق إليها). وكما قيل أيضا (وما رأى الراؤون مثل الخليل ولا رأى الخليل مثل نفسه) نقلا عن خير الزركلي، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين،بيروت - لبنان - ط15، 2002م، ص:314.

(4) شيخ آخر من شيوخ زاوية الهامل، نقلا: عن أمين الزاوية " دحية أبو الأنوار".

(5) في الأصل (الءال).

(6) الثقلان : الجن والإنس مادة (ثقل)، المعجم الوسيط، ج1، ص:98.

(7) في الأصل (ءال)

(8) في الأصل (حَاوِي).

- 10) عالمٌ عاملٌ إليه انتهى الفضلُ
 11) وبعمِّ عمِّ الأنامِ نوالاً
 12) وبخالٍ في فيضيه البحرُ خالٌ
 13) وبجدِّ بجدِّه أدركَ السابا
 14) بقومِ هموا الخلاصةُ من عد
 15) أخجلَ البدرَ نورُهُ ليس يدعَا
 16) عشُ أبا القاسمِ الأبرَّ دهورا
 17) واتبعَ سنَّةَ الجدودِ اقتداء
 18) طببتَ أصلاً ومولداً عشُ بأرخ
- ومِنَ أصلِ نوره النَّيرانِ
 وارتقى فتقاصرَ الفرقَدانِ⁽¹⁾
 ليثُ يومَي كَريهةٍ وطِعانِ⁽²⁾ [23]
 بقُ أتعبَ لاحقاً غيرَ واني
 نانَ خيرَ الأنامِ في كلِّ ءانِ
 إذْ له قد تقارنَ القَمَرانِ
 تُحي مجدَّ الأباءِ دونِ ثوانِ [24]
 مَهدياً هادياً رفيعَ المكانِ⁽³⁾
 طوَلَ عَيْشِ مُعزِّزاً بأمانِ⁽⁴⁾ [25]

45 1080 125 94 عام 1344هـ

كتب في هامش الأصل تعقيب من قبل الناظم - على ما يبدو - ما نصه :

- (1) (إشارة) (إلى) ماجاء في ليلة القدر، قال صلى الله عليه وسلم: ((التمسوها في العشر الأواخر من رمضان))⁽⁵⁾

(1) الفرقدان: نجمان في السماء لا يغريان مادة (فرقد)، لسان العرب، لابن منظور، المجلد 3، ص: 334.
 (2) يوم كرية وطعان: الحرب، أو الشدة في الحرب ج كرائه مادة (كره)، المعجم الوسيط، ج 2، ص: 785.
 (3) اقتدى اقتداء بالجدود: تسنن بهم وفعل فعلهم، مادة (اقتدى)، المعجم الوسيط، ج 2، ص: 719.
 (4) طببت أصلاً: وحسن وحلا وجاد مادة (طاب)، المعجم الوسيط، ج 2، ص: 573.
 (5) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب فضل ليلة القدر والحث على طلبها...، رقم الحديث: 1989

ثانياً: الرثاء:

هو أحد أغراض الفن الغنائي منذ أقدم العصور، يتمثل في تعداد مناقب المرثي والتفجع عليه، وكان الشاعر القديم كثيراً ما يفرع إلى العزاء، ويذكر بمرارة الموت وما ينجر عنها من ألم وحرقة وحزن وأسى، ومن «عادة القدماء أن يضربوا الأمثال في المرثي بالملوك الأعزّة، والأمم السالفة ...»⁽¹⁾ فردد ذلك جل الشعراء على مر السنين وتعاقبها، ومنهم شاعرنا الذي أثر فحول القدماء بين ضربهم الأمثال في التأيين والرثاء، مضيفاً إليها من فكره بعض التأمّلات في حقائق الموت وسنن الوجود وتبلغ عدد مرثيه (5) قصائد، واحدة خص بها الأسرة القاسمية تتصدرها قصيدة اشتملت على تعزية وتهنئة نظمها لمشيخة زاوية الهامل وقدرتبت القصائد والمقطوعات بحسب الحروف الأبجدية انطلاقاً من الروي الخاص بكل قصيدة .

(1) أبو الحسن بن رشيق، العمدة في محاسن الشعر، وآدابه، ونفده، تحقيق محمد محي الدين عيد الحميد، دار الجيل، بيروت - لبنان - ط4
1974م، ص:150.

- الهمزة (ء) -

[تأس بقوم هم الأصفياء] [من المجتث]

القصيدة الأولى: توفي ولد الشيخ سيدي (أبي) القاسم بن جابوربي⁽¹⁾ فحزن عليه حزنا شديدا فكتب (إليه) في رسالة مطولة هذه (الآبيات):

- (1) لِلْمَوْتِ حَقًّا لِقَاءٌ * وَالنَّاسُ فِيهِ سَوَاءٌ * وَمَنْ تَخَطَّاهُ سَهْمٌ * * * فَمَا بَقَاءُ بَقَاءُ⁽²⁾
- (2) فَمَا الْقَرَارُ بِدَارٍ * * * بِهَا الْقَرَارُ سُرَاءُ⁽³⁾ * وَالْخَيْرُ مَنْ لَفَّ زَادًا * * * لَهُ يَحَقُّ الْهِنَاءُ⁽⁴⁾
- (3) يَبْغِي خَلَاصًا يَتَوَّبُ * * * لِمَنْ لَهُ مَا يَشَاءُ * * * مَا لِلزَّخَارِفِ فِيهِ * * * مَطَامِحُ وَابْتِغَاءُ
- (4) وَلَا يَبْقَى لِبَعْدٍ * * * شَيْبًا فَزَالَ الْفَنَاءُ * * * وَإِنْ يَنْلُ رِزْقَ يَوْمٍ * * * فَلِلزَّمَانِ الْعَفَاءُ⁽⁵⁾
- (5) وَلَمْ يَكَاثِرْ بِدُنْيَا * * * يَأْتِيهِ فِيهَا عَزَاءُ * * * كَالطَّيْرِ يَغْدُو خِمَاصًا * * * وَالْعَيْشُ فِيهَا كِفَاءُ⁽⁶⁾
- (6) ذَا إِنْ يَمِتُّ فَأَمَانٌ * * * وَإِنْ يَعِشُ فَنَتَاءٌ * * * كَلِيبٌ وَائِلٌ⁽⁷⁾ حَقًّا * * * لَمْ يَحْمِهِ (الاحْتِمَاءُ)⁽⁸⁾ [54]
- (7) وَمَنْ لَهُ كُلُّ يَوْمٍ * * * بُؤْسٌ وَيَوْمًا رَخَاءٌ * * * وَلَا ابْنَ أَرْوَى⁽⁹⁾ كَفَاهُ * * * صَنِيعُهُ وَالثَّرَاءُ وَالثَّرَاءُ
- (8) وَحَاتِمٌ ذُو الْمَعَالِي * * * أَخْنَى عَلَيْهِ الْعِنَاءُ⁽¹⁰⁾ * * * وَخَيْرٌ مَنْ قَامَ يَسْعَى * * * قَدْ حَقَّ فِيهِ الْعَزَاءُ
- (9) وَصَحْبُهُ قَدْ تَسَامَوْا * * * مَا سَامَتْهُمْ سَمَاءٌ * * * وَمَنْ غَدَوْا كَنْجُومًا * * * لِمُقْتَدٍ فَأُضَاءُوا
- (10) لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ بَقَاءٌ * * * كَلَّا فَحَقَّ الْبِكَاءُ * * * وَمَا الْبِكَاءُ بِمَجْدٍ * * * كَلَّا وَ لَا الْبُرْحَاءُ⁽¹¹⁾
- (11) وَالشُّكْرُ لِلَّهِ أَعْلَى * * * وَالصَّبْرُ فِيهِ سَنَاءٌ * * * وَرَأْسُ مَالِكٍ فَرَضٌ * * * وَالنَّقْلُ رِبْحٌ جَلَاءُ⁽¹²⁾
- (12) وَالزَّادُ مَا قَدَّمْتُهُ * * * يَدَاكَ فَهُوَ الْفِدَاءُ * * * وَلَنْ تُشَاكَ بِشُوكٍ * * * إِلَّا وَفِيهِ جَزَاءُ
- (13) إِصْبِرْ تَأْسَ بَقُومٍ * * * هُمَا هُمَا الْأَصْفِيَاءُ * * * إِذْ كُلُّ مَنْ زَادَ قُرْبًا * * * زَادَتْ عَلَيْهِ الْبَلَاءُ

(1) أحد أعيان علماء المنطقة، نقل: عن أمين زاوية الهامل.

(2) تخطى: تجاوزه وتعداه، مادة (اختطى)، المعجم الوسيط، ج1، ص:244.

(3) القرار: الإقامة مادة (قر)، المعجم الوسيط، ج2، ص:724.

(4) لف: ادخر مادة (لف)، المعجم الوسيط، ج2، ص:832.

(5) العفاء: الزوال والهلاك ويقال على الدنيا العفاء.

(6) خماص الطير: جائعة مادة (خمص) المعجم الوسيط، ج1، ص:256.

(7) أخو الشاعر المهلهل، ولد سنة440م، بلغ من عزه أنه كان يحمي الكلاب فلا يقرب حماه ولا يتكلم أحدا في مجلسه وأصبح مضرب المثل أعز من كليب وائل1 نقل: عن: وليد ناصف وراء كل مثل قصة، ص:151، طعنه جساس، وكان ذلك مدعاة لقيام حرب عرفت بحرب البسوس2، نقل: عن: تاريخ الأدب العربي، لـ حنا الفاخوري، المطبعة البوليسية، ط6، (د.ت)، ص:69.

(8) في الأصل (الإحتماء).

(9) أروى بنت الحارث (... - 970م) قرشية صحابية اشتهرت بالفصاحة، مقامها بالمدينة، عاشت إلى زمان معاوية، لها أقوال جريئة معروفة وماتت بالمدينة. وهناك أروى بنت عبد المطلب (... - 636م) وهي عمه الرسول (ص) من فضليات النساء في الإسلام والجاهلية أسلمت وعمرت إلى خلافة عمر (ض) نقل: عن الموسوعة العربية الميسرة، بإشراف محمد شفيق غربال، ص:126،

(10) أخنى عليه الفناء: أهلكه وأتى عليه، مادة (خنا)، المعجم الوسيط، ج1، ص:26.

(11) البرحاء: الشدة والأذى مادة (برح)، المعجم الوسيط، ج1، ص:46.

(12) النقل: ما شرع زيادة عن الفريضة والواجب، مادة (نقل)، المعجم الوسيط، ج2، ص:942.

(14) والشكرُ يظهرُ منه * * نِجَادُهُ والرِّدَاءُ * واعلم بأنها نُعمى * * حَقَّتْ فَحَقَّ الهَنَاءُ⁽¹⁾ [55]

(15) والله يُبْقِيكَ بدرًا * * والبحرُ فيكَ إضَاءُ * ثم الرجوعُ لربِّ * * له النَّنَاءُ والبقَاءُ [انتهى] [56]

— ق —

[تبقى وغير الله ليس بباقي] [من الكامل]

القصيدة الثانية: قطعة تعزية كتب بها للشيخ سيدي (أبي) القاسم ابن جابوربي

[لما] توفي (أعز) بنيه (أبو بكر) — رحمهما الله — مسليا له فقال:

- | | |
|---|--|
| 1) تبقى وغيرُ الله ليس بباقي | يا من رقى أوجَ العلا بمراق |
| 2) والدهرُ يسجدُ شطرَ بيتِ حماكموا | والسعد يَخْدِمُكُمْ بكلِّ وفراق |
| 3) والمجدُ يُلبسُكُمْ شِفَافَ بُرودِهِ | والفضلُ يلقاكُمْ بكأسِ دِهَاقٍ ⁽²⁾ [58] |
| 4) والعزُّ قامَ مناظلا عن عزِّكُمْ | يُرْدِي عَدُوَّكُمْوا بكلِّ مُحَاقٍ ⁽³⁾ |
| 5) وسَحَائِبُ النَّصْرِ العَزِيزِ هَوَاطِلُ | برُبوعِ عَزَّكُمْوا الأثيلِ سَوَاقٍ |
| 6) طَوَّقَتْكُمْ جِيدَ الزَّمانِ جَوَاهِرَا | منْ بعدَ مَحَلِّ العَيْشِ و الإِملاقِ ⁽⁴⁾ |
| 7) بِفِرَاسَةٍ وَسِياسَةٍ وَنَفَاسَةٍ | وَدِيانَةٍ وَدِمَائِهِ الأَخلاقِ ⁽⁵⁾ [59] |
| 8) وَتَدْرُجُ بِجَمِيلِ صَبْرٍ فائِقِ | هذي لِعَمْرِي مِئَةُ الخَلاقِ |
| 9) ماذا التَّعزِّيُّ عندَ أربابِ النُّهَى | بل ذا التَّعزُّزُ والهَنَاءُ الباقي |
| 10) هذي الفضائلُ فَاحِمدِ اللهِ الذي | أولا كَها من دون ما اسْتِحْفاقِ |
| 11) وابتشِرْ بِصَبْرِكَ للمَكَارِهِ إنَّه | مَهْرُ الجِنانِ وَأَنْفَسِ الأَعلاقِ ⁽⁶⁾ [60] |
| 12) ولكم سلامُ الله ما دَاعِ دعا | تَبْقَى وغيرُ الله ليس بباقي [انتهى] [61] |

(1) النعمى: النعماء وهي الخفض والدعة، مادة (تنعم)، المعجم الوسيط، ج2، ص: 935. ملاحظة لم يفصل الشاعر بين هذه القصيدة الرثائية السالفة الذكر وبين مقطوعة أخرى ذات صبغة هجائية قالها في القاضي "حشلاف" وقد أشار إليها بكلمة (زيادة)، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى كون هذه الحادثة جاءت عرضا وهو مانستشفه من خلال مناسبتها.

(2) دهق الكأس دهقا ودهاقا: ملاًها، المعجم الوسيط، ج1، ص: 300.

(3) محاق: المحاق في الأصل ما يرى في القمر من نقص في جرمه وضوئه بعد انتهاء ليالي اكتماله والمراد به هنا هلاك العدو وإبادته مادة (محق)، المعجم الوسيط، ج2، ص: 856.

(4) المحل: انقطاع المطر وبيس الأرض من الكلا مادة (محل) المعجم الوسيط، ج2، ص: 856.

(5) دمت الرجل دماتة ودموتة: سهل خلقه، مادة (دمت)، المعجم الوسيط ج1 ص: 295. - منة الخلاق: إحسانه وإنعامه، مادة (من) المعجم الوسيط، ج2، ص: 890.

(6) مهر الجنان، الجنان: القلب، مادة (جن)، المعجم الوسيط، ج1، ص: 141 والمراد به هنا على سبيل المجاز وكأن الصبر صدق الجنان.

- ل -

[من ذا نجا من مضيق الحنف والأجل] [من البسيط]

- القصيدة الثالثة:** مرثية في الباشاغا سيدنا محمد بن (أبي) القاسم (الأحرش)⁽¹⁾ مرتبة على حروف اسمه - رحمه الله - هكذا م ح م د ب ن ا ب ي ا ل ق ا س م الخ
- (1) نصها = م: ماذا التعزُّزُ بالأنصار والخَوَل والناسُ مُرْتَحِلٌ في إثرٍ مُرْتَحِلٍ
(2) ح: حَلَّتْ مَنَاهِلُ ذِي الدَنِيا لَوَارِدِها من حيثُ لم يدر أن السُّمَّ في العسل⁽²⁾
(3) م: مَدَّتْ شِراكا على الأَنجادِ وارٍ تَصَدَّتْ حَبائِلَ الغَدْرِ بالأغوارِ والسُّبُلِ⁽³⁾ [39]
(4) د: دَبَّتْ عَقارِبُها للعائِذين بها فلم يَبِتْ أَحَدٌ إلا على وَجَلٍ
(5) ب: بدت عليها صِدَارٌ من صَدَا قَتِها وَاسْتَشَعَرَتِ بِحِدادِ الغَدْرِ وَالِدَغَلِ⁽⁴⁾
(6) ن: نَعَتْ إلينا فَرِيدَ العَصْرِ فانبَعَثَتْ مدامع أضحكت قوما من الجَدَلِ
(7) ا: إن كان أضحكهم هُلكَ المَجادَةَ فالدَّ دهرُ الدَّهاريِرُ يُبْكِهم على عَجَلٍ⁽⁵⁾ [40]
(8) ب: بأيِّ دمعٍ أو قِيَّ المَجِدِ حِصتَهُ بأيِّ صَبْرٍ أَعشَ في الحادِثِ الجَلَلِ
(9) ي: ياشامتين أضلَّ اللهُ سَعِيگَمُ من ذانجا من مَضيقِ الحَنفِ والأجلِ
(10) أ: أين الذين جميعَ الأرضِ قد مَلَكُوا للطُولِ والعَرَضِ من سَهْلٍ ومن جَبَلٍ
(11) ل: لم يتركِ الدهرُ من شَخصٍ ولا أَثَرٍ منهمْ ولا خَبِرا من أكثرِ الدُولِ [41]
(12) ق: قل للذي بات بالآمالِ مُغْتَبِطا وكلُّ ذِي أَمَلٍ يَسعَى إلى أَجَلٍ
(13) ا: إن كنتَ تَجْهَلُ ما قَدْ قِيلَ عن لَبِدٍ وعُمُرُ لُقمانه باللهِ قِيفٌ وَسَلٌ⁽⁶⁾
(14) س: سبحانَ مَنْ حُكْمُهُ بالموتِ عَمَّ فمملوكٌ كمنْ مَلَكُهُ يُسمو إلى زُحَلِ
(15) م: مالي أرى الشمسَ بعد المجدِ طالعةً كأنما العالمُ العلويُّ لم يَهْلُ [42]

(1) هو أحد أعيان الجلفة بالجنوب الجزائري. يُقلا عن: عمر بن قينة، الديسي، حياته وأثاره وأدبه، ص: 156.

(2) المنهل: ح مناهل المورد أي الموضع الذي فيه المشرب مادة (نهل)، المعجم الوسيط، ج2، ص: 959.

(3) الأغوار: مفرداها الغور، ما انخفض من الأرض مادة (غور)، المعجم الوسيط، ج 1، ص: 152، ص: 129.

(4) الدغل: الحقد المكتنم، مادة (دغل)، المعجم الوسيط، ج2، ص: 688.

(5) مجد فلان: يمد بضم حرف الجيم، مجادة كان ذا مجد فهو مجيد (ج) أمجاد، مادة (مجد)، القاموس المحيط للفيروز آبادي، ج2، ص: 854.

(6) لبِد: اسم آخر نسور لقمان بن عاد وقد ذكرته الشعراء وفي المثل طال الأمد على لبِد، مادة (لبِد)، لسان العرب لابن منظور، المجلد الثالث ص: 386.

- 16) ب: بدرٌ فَقَدْنَا ه لا كالبدر طَلَعَتْهُ
 بحرٌ (ولكنه) ⁽¹⁾ عذبٌ لدى التَّهَلِّ
 17) ن: نَسِيْتُ إِلَّا غَدَاةَ الدَّقْنِ لِيَتَّهَمُوا
 يذرون كم دَفَنُوا للناس من أمل
 18) ا: إن قِيلَ غَيَّبَهُ قَبْرٌ بِمَضِيْعَةٍ
 فَقَبْرُهُ لم يَزَلْ بالقلب لم يَحُلْ
 19) ل: لله شِيرٌ حَوَى البَحْرَ المُحِيْطُ كَمَا
 تَجَمَّعَ الدينُ والدنيا بذا الرَّجُلِ [43]
 20) أ: أضْحَى أسيرَ الرَّدَى ولاتَ حينَ فِدَا
 لو كان يُفْدَى فِدَاهُ النَّاسُ بِالمَقْلِ
 21) ح: حامي الحقيقة ل م ينفك قاصدُهُ
 من فَيْضِ جَدْوَاهُ بين الحُلِيِّ والحُلِّ
 22) ر: رحبُ الفِئَاءِ لو أن الدهرَ أنْسَأَهُ
 لما شكَا أحدٌ في الدهرِ من خَلِّ ⁽²⁾
 23) ش: شمسٌ هو الأَرُخُ والتَّنْتَانُ ينفصها
 كسَفُ الوفا وغروب العلم والعمل ⁽³⁾ [44]

[انتهى]

1338 هـ

(1) في الأصل (لاكنه).

(2) نسا الشيء أو الأمر: أخره، مادة (نسا)، المعجم الوسيط، ج 2، ص: 916.

(3) هو الأرخ: أرخ التاريخ تعريف الوقت والتاريخ مثله والمراد به هنا أنه لا يقل شأننا عن الشمس من حيث الرفعة والضيء والتاريخ أيضا مادة (أرخ)، لسان العرب، لابن منظور، المجلد الثالث، ص: 3.

- ن -

[من البسيط] [قد كنت سلك قلوب القوم]

القصيدة الرابعة: طلب منه جماعة من طلبة (الأغواط) (أن يرثي الشيخ البشير بن الحاج⁽¹⁾ فقال:

- (1) قامت إليّ قبيل الصُّبحِ تَعْدِ لني
 (2) قد رُمْتُ كِثْمَانَهَا سِرِّي فقامَ لها
 (3) تقول مُشْفِقَةً إِذْ شَاهَدَتْ أَرْقِي
 (4) لقد صَبَوْتُ⁽³⁾ بُعِيدَ (الارْعَاءِ)⁽⁴⁾ إِلَى
 (5) أم قد خَشِيتَ عَدُوًّا أَنْتَ تَرْهَبُهُ
 (6) أم من سَقَامٍ نَبَا جَنَّبَاكَ عَن فُرْشِ
 (7) فقلتُ: وَاللَّهِ مَا أَمْرِي كَمَا ذَكَرْتَ
 (8) (لكن)⁽⁶⁾ (صُرُوفَ)⁽⁷⁾ اللَّيَالِي قَدْ بَرَّتْ جَسَدِي
 (9) لم نسمع الدهرَ أن البدرَ مكتملاً
 (10) كلا ولا قيدُ شبرٍ قد حَوَى جَبَلًا
 (11) هذا وطوؤُ العلاءِ البشيرِ أَقْصَدَهُ
 (12) قامت نواذِبُهُ مِن كُلِّ صَارِخَةٍ
 (13) ضَجَّتْ وَعَجَّتْ وَنَجَّ الدَّمْعُ مِنْهُمْ مَلًا
 (14) تخالُ شمسُ الضُّحَى وَالشَّمْسُ طَالِعَةً
- لَمَّا رَأَتْ عَبْرَتِي تَنْهَلُ كَالْمُزْنِ
 بِهِ الدَّلِيلَانِ مِنْ دَمْعِي وَمِنْ شَجَنِ
 مَالِي أَرَاكَ طَلِيحًا ذَاهِبَ الْوَسَنِ⁽²⁾
 مَنْ كُنْتَ تَأْلَفُهُ فِي سَالِفِ الزَّمَنِ⁽⁵⁾ [46]
 وَكُنْتَ لَا تَرْهَبُ الضَّرْعَامَ فِي العُرْنِ
 قَدْ كُنْتَ تَأْلَفُ فِيهَا النَّوْمَ مَعَ سَكَنِ
 هُنْدًا وَلَا رَغْبَتِي فِي الإِنْفِ وَالْوَطَنِ
 مَدَّ قِيلَ لِي البَدْرُ رَهْنُ القَبْرِ وَالْكَفَنِ⁽⁸⁾ [47]
 (مَنْ قَبْلُ)⁽⁹⁾ ذَا قَدْ هَوَى التَّوَاءَ بِالثُّكْنِ
 كَانَتْ بِهِ تَهْنَدِي السُّقَارُ فِي السَّقَنِ
 رَيْبُ المَنُونِ وَأَصْمَتُهُ يَدُ المِحَنِ
 حَتَّى لَقَدْ عُدَّ مِنْهَا الطَّيْرُ فِي الغَصَنِ [48]
 كَأَنَّ فِي كُلِّ بَيْتٍ أَلْفَ مُمْتَحِنٍ⁽¹⁰⁾
 أَنْ قَدْ هَوَتْ فَتَوَتْ فِي هُوَّةِ الجَنَنِ

(1) سبقت الإشارة إليه، في هامش رقم 1، ص: 131.

(2) طليحا: المهزول، والمجهود مادة (طلع)، لسان العرب لابن منظور، المجلد الثاني، ص: 629 - الوسن: النعاس والنوم الخفيف مادة (وسن)، المعجم الوسيط، ج 2، ص: 1033.

(3) صبوت الصب: هو العاشق الولهان مادة (صب)، لسان العرب، لابن منظور، المجلد الأول، ص: 518.

(4) في الأصل (الإرعاء).

(5) رعن رعن رعنا ورعونة الرجل: حمق فهو أرعن (م) رعناء (ج) رعن مادة، لسان العرب، لابن منظور، المجلد الأول، ص: 222.

(6) في الأصل (لاكن).

(7) في الأصل (صُرُوفُ).

(8) برى جسدي: هزله، مادة (برى)، المعجم الوسيط، ج 1، ص: 53.

(9) في الأصل (من قبل).

(10) عجت: رفعت صرتها وصاحت، مادة (عج)، المعجم الوسيط، ج 1، ص: 584.

- 15) يا منهلّ البارد السّلسال مالك قد صرت الأجاج على الرّوادِ والقطن⁽¹⁾
- 16) يا كوكبَ (الاهتدا)⁽²⁾ للسائرين لدى الظ ظلماء غبتَ فمن يهدي إلى السقن [49]
- 18) يا راكبا فرسَ الإظلام معتكفا لقد غدتَ بعدكم مخلوعة الرّسن⁽³⁾
- 19) يا صائما في نهار القَيْظِ مُحْتَسِبا لقد تركتَ ذويك عُرْضةَ الفتن.
- 20) قد كنتَ سلكَ قلوبِ القومِ تجمَعها فاليومَ قد ذكرُوا ما كانَ من إحن⁽⁴⁾ [50]
- 21) واروِّكَ رغما وما يدرون من فزَع ولو دروا صارتِ الأكبَادُ كالشعَن
- 22) أقول للنفس صبرا وهي من جَزَع طارتَ عليه شعاعا من لظى الحزن
- 23) لئن يك استأثرَ الثرى بأعظمه فقد بَقِيَ¹ أثرٌ من ذكره الحسن
- 24) صبرا ذوي ودّه، فإن مَن فقَدَت عيُونُكم حيٌّ في رزق وفي مَن [51]
- 25) عليه من رحَماتِ الله أو سَعها ما صاح ناع وناح الطيرُ في فنن [52]

[انتهى]

كتب في هامش الأصل، ولعله من قبل الناسخ.

1- تنبيه : استتكر بعض الأدباء لفظ بقى وقال (إنما) هو بقي . ولما طالع القاموس رجع (لأنها) لغة معروفة في كل فعل ثلاثي معتل اللام بالياء على وزن فعل بكسر العين⁽⁵⁾.

[انتهى]

(1) السلسال : وقال ماء سلسال سهل المرور في الحلق لعذوبته وصفائه، مادة (سلسل)، المعجم الوسيط، ج 1، ص: 443. الأجاج : ما يلدغ الفم بمرارتها ملوحته، مادة (أجاج) ، المعجم الوسيط، ج 1، ص: 6، ويراد به هنا، أنه يعد موتك انقطع جودك وفضلك وانصرف المجنون الذين كانوا يترددون عليك بما يتردد الناس على المنهل العذب .

(2) في الأصل (الاهتدا).
(3) الرسن: رسن رسنا الدابة شد عليها والمراد به هنا تلك المظالم فك رباطها بمجرد فراقك كما يفك الرسن عن الدابة وهو على سبيل المجاز مادة (رسن)، المعجم الوسيط، ج 1، ص: 345.

(4) الإحن: (م) الإحنة الحقد والضغن، مادة (أحن)، المعجم الوسيط، ج 1، ص: 8.
(5) تجمع كل القواميس، على أن الكلمة (بقي) الشيء، يبقى بقاء، دام وثبت، نقلا عن: لسان العرب لابن منظور، ص: 330، والقاموس المحيط للفيروز آبادي، ص: 1271، وكذلك المعجم الوسيط، ج 1، ص: 66.

ثالثاً: المدح:

المدح هو ثناء على الممدوح، وتجلية للخصال الحميدة، وهو أوفر أبواب الشعر العربي شيوعاً، فقد طرقة جم من الشعراء، وأغرقوا في التقنن فيه، وما لبثوا أن أتوا على عموم ما يمكن أن يقال فيه من معان، فاضطر كل شاعر أن يكرر ما قاله سابقوه فقل الإبداع في هذا الباب وذاع التقليد، ومن المعاني التي لا تفتأ أن يبرزها الشاعر في فنه المدحي هو علو المنزلة، وسعة السلطان، والسخاء، والشجاعة، وكرم الأصل وشرف نسب، والحلم، وما إلى ذلك من الفضائل وهكذا استمر حال الشعراء منذ العصر الجاهلي يكررون ويلوكون تلك المعاني، ناهيك عن إلباسها معان جديدة استمدت من القرآن الكريم، فزادها غنى وثراء، وازداد معها تعظيم رتبة الممدوح وما تكسب صاحبها من مكانة لدى الله، والاتصال بالنسب النبوي، ليزيده شرفاً، وإتيانه بالمعجزات، وذلك بعد إفراغ تلك المعاني في قالب شخصي مع الحرص على إظهار العواطف التقليدية على نحو من الود والإخلاص يحاكي الصدق أحسن محاكاة.

وعلى هذا النهج سار شاعرنا المسعدي مادحا شخصاً أو قضية أو قد أحب في ذلك الشخص أو في تلك القضية أشياء لاقت في نفسه رضى، واستحساناً. والذين خصهم بمدحه يختلفون، فهم إما رجال علم ودين، أو أقطاب سياسة وحكم، أو أصدقاء علماء، أو تلاميذ مقربون.

ومدحه ميثوث في جميع قصائده، دون أن يستقل بوحدة إلا نادراً، مما يتعذر التأمل في أشعاره افتكاك قصيدة تنفرد بهذا الغرض المدحي من أول قصيدة إلى آخر قصيدة نظمها، كما أنه في كل قصيدة يلقاك فيض من الخلال التي سبق ذكرها، بحيث يسبغ على ممدوحه هالة من العظمة والقداسة، كما يضيف عليهم هالة من الهيبة، ويصفهم بالأنبياء أحياناً .

- د -

[وغنتنا البشائر] [من الوافر]

القصيدة الثانية: ومنها قصيدة قابل بها العلامة الشيخ سيدي الحاج بن عمر بن حرز الله الحركاتي⁽¹⁾ بمسعد:

تَشَرَّفَتِ المَرَابِعُ والنَّوَادِي
وَأَقْبَلَتِ المَجَادَةُ فِي حُلَاهَا
وغنتنا البشائرُ عن لُحُونِ
بإقبالِ الخُلاصةِ من قريشِ
هُماما من بني حركاتِ يسمو
بني نائلٍ لقد سُدَّتْمْ وشِدَّتْمْ
فلو أن القبائلَ من لُجِينِ
وَلِمْ لَّا والرَّسُولُ أَبٌ وَأُمٌّ¹
سَرَاةُ النَّاسِ عَالِنُكُمْ وَأَنْتُمْ
وَشَانِيُكُمْ هُوَ المَحْرُوبُ حَقًّا
فَلَا بَرَحَتْ أَكْفُكُمْ بِحُورًا
وَلَا بَرَحَ الحَسُودُ بِكُمْ مَغِيظًا²
وَمِنْكُمْ كُلٌّ مَهْدِيٌّ وَهَادٍ [13]
رَبِيعُ المَحَلِّ حَصْنٌ فِي الجِلَادِ⁽⁵⁾
بذِي الدُّنْيَا وَمَحْرُومُ المَعَادِ⁽⁶⁾
لَوَارِدِهَا دُعَا فَا لِأَعَادِي⁽⁷⁾
وَبِحَرِّ الفَضْلِ مِنْكُمْ فِي (إزدياد) [14]
[انتهى]

كتب في هامش الأصل تعقيب، ولعله من قبل الناظم - على ما يبدو - مانصه:

1- (إشارة) (إلى) قوله صلى الله عليه وسلم :

((جعلت ذرية كل نبي في صلبه، وجعلت ذريتي في صلب علي بن أبي طالب))⁽⁸⁾.

2- (إشارة) (إلى) قوله - [صلى الله عليه وسلم] - ((فاطمة بضعة مني)) الحديث⁽⁹⁾.

(1) هو واحد من أعيان العلماء ، وتدل النسبة على أنه من أولاد " حركات " وهي قبيلة من قبائل الصحراء نقلا عن : أمين زاوية الهامل.
(2) المربع: الموضع المقام فيه زمن الربيع مادة (ربيع)، المعجم الوسيط، ج1، ص: 325- تشرفت المربع: نالت الشرف وارتفع مقامها مادة (تشرف)، المعجم الوسيط، ج1، ص: 479.

(3) في الأصل (الخيزلأ). الخيزلأ، الخوزلأ: مشية فيها تتأقل وتبختر، مادة (خزل)، لسان العرب، لابن منظور، المجلد الثالث، ص: 232.
(4) الهمام: السيد الشجاع السخي من الرجال، مادة (هم)، المعجم الوسيط، ج2، ص: 995.

(5) ربيع المحل: المحل انقطاع المطر ويبس الأرض من الكلا، مادة (محل)، المعجم الوسيط، ج2، ص: 855 أما المراد بقول الشاعر ربيع المحل أي أنهم كانوا بمثابة الربيع لذلك المكان المجذب بجودهم وعطاياهم.

(6) شناه شننا وشنانا: أبغضه، والثناء أشد البغض، المعجم الوسيط، مادة (شنا)، ج1، ص: 495.
وفي هذا تلميح إلى قوله تعالى ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا...﴾، سورة المائدة، الآية 8.

المحروب: هو من سلب منه كل شيء ج تحاريب، مادة (حرب)، المعجم الوسيط، ج1، ص: 163.

(7) دُعَا فَا: سما قاتلا من ساعته ج دُعِفَ ويقال مَوْتٌ دُعَا فَا سَرِيعٌ، مادة (دُعِفَ)، المعجم الوسيط، ج1، ص: 212.

(8) رواه الإمام أحمد في مسنده، أول مسند المدنيين أجمعين، حديث السائب بن خالد أبي سهيلة (مسند أحمد رقم: 15965 الحديث).
(9) وفي رواية أخرى عن المسور بن مخرمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال { فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني } أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب مناقب قرابة رسول الله ومنقبه فاطمة بنت النبي، رقم الحديث: 3437.

- ر -

رابعاً: الاقتضاء والاستنتاج [من ترجم الأفكار] [من الطويل]

تعريفه: الاقتضاء والاستنتاج هو « طلب حاجة وباب التلطيف فيه أجود، فإن بلغ الأمر العتاب، فإنما هو طلب الإبقاء على المودة والمراعاة، وفيه توبيخ ومعارضة لا يجوز معها بعد الاقتضاء، إلا أن الناس خلطوا هذين البابين وساروا بينهما»⁽¹⁾

ويعتبر ابن رشيقي هذا الفن باباً منفصلاً، ويعيب على من يدرج العتاب في الاقتضاء، والاقتضاء في العتاب ويرى بأن « غير هذا المذهب أصوب »⁽²⁾

ولعل ذلك ما راعاه المسعدي حيث تلطف في الاقتضاء، وشخصه في قطعة وحيدة كتبها خصيصاً (إلى) حاكم مترجم عرضت له حاجة عنده، وهو مانستشفه من هذه القطعة والتي نصها:

- | | |
|--|--|
| 1) سلامي على شخص المكارم والفخر | وَمَنْ جَمَعَ الْأَدَابَ لِلْقَهْرِ وَالنَّصْرِ |
| 2) وَمَنْ قَادَتِ (الْأَمَالَ) ⁽³⁾ فِيهِ رَكَائِبِي | فَأَلْقَيْتُ رَحْلِي فِي حِمَى مُقَرِّدِ الْعَصْرِ ⁽⁴⁾ |
| 3) وَمَنْ جَمَعَ الْبَحْرَيْنِ مِنْ رَائِقِ اللَّغَا | وَفِي مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ مُتَلَقِّطِ الدُّرِّ ⁽⁵⁾ |
| 4) وَمَنْ تَرَجَّمَ الْأَفْكَارَ حَتَّى كَأْتَمَا | يَحِلُّ مَحَلَّ النَّفْسِ مِنْ كَاتِمِ السَّرِّ [27] |
| 5) فَلَوْ لَمْ يَكُنْ مَلِكُ ابْنِ دَاوُدَ ⁽⁶⁾ قَبْلَهُ | لَأَعْرَبَ عَنْ نَطْقِ الصَّوَادِحِ فِي الْوَكْرِ ⁽⁷⁾ |
| 6) هُمَامَا إِذَا يَلْقَاكَ يَلْقَاكَ بِاسْمَا | وَعِنْدَ ابْتِسَامِ الْبَرَقِ يُرْجَى نَدَى الْقَطْرِ ⁽⁸⁾ |
| 7) وَقَفْتُ لَهُ أَبْغِي الْمُنَى مُتَيَّقَنَا | وَلَوْلَاهُ لَمْ أَفْهَ يَنْظُمُ وَلَا نَثْرُ |

(1) أبو الحسن بن رشيقي، العمدة في محاسن الشعر، وآدابه، ونقده، ص: 158.

(2) نفس المرجع والصفحة .

(3) في الأصل (الأمال).

(4) ألقى رحله: أي أقام مادة (ترحل)، المعجم الوسيط، ج 1، ص: 334.

(5) راق من الماء الصافي، مادة (راق)، المعجم الوسيط، ج 1، ص: 364.

(6) لغى بالماء: أكثر منه وهو لا يروى مع ذلك، مادة (لغى)، المعجم الوسيط، ج 2، ص: 831 والمراد به في قوله (رائق اللغا) أنه لا يقل جودة وكراً عن البحر الذي يضرب به المثل في الجود والندى

(7) هو سليمان بن داود، عليهما السلام، تفضل الله عليهما وأتاهما علم الشرائع والأحكام، ولما مات داود ورثه سليمان، دون سائر أبنائه في النبوة والملك، وقد ورد ذكرهما في القرآن الكريم، نقلاً عن: عفيف عبد الفتاح طباره، مع الأنبياء في القرآن الكريم، دار العلم للملايين بيروت - لبنان - ط 14، 1985م، ص: 28.

(8) الصوادح: صدح الطائر صدحاً وصداحاً رفع صوته فأطرب، مادة (صدح) لسان العرب لابن منظور، المجلد الثاني، ص: 600.

(9) قطر الندى، القطر: المطر، الندى في الأصل ما يسقط في الليل من غبار الماء المتكاثف والمراد هنا ما يوجد به الممدوح من فضل وخير، مادة (ندى)، المعجم الوسيط، ج 2، ص: 912.

- (8) فهشَّ وبشَّ فعَلَ ذِي المجدِ وَالثُّهَى
 (9) وردَّ حَسودِي بالمُعَاظَةِ راجِعَا
 (10) وَقَدْ عُدْتُ مَثَلُوجَ الفؤَادِ مِنَ المُنَى
 (11) سألزِمَ نَفْسِي مَا حَيَّيْتُ امْتِدَاحَه
 (12) وَمَا أَنَا مَمَّنْ يُكْفَرُ الصُّنْعَ عِنْدَه
 (13) عَلَيْهِ سَلامُ اللهِ مَا قالَ مُنْشِدٌ
- وَمِنْ عَادَةِ الأَمْجادِ تَلْقَاكَ بِالبِشْرِ⁽¹⁾ [28]
 يَعْضُ عَلَيَّ أَنَا مِثْلَ الدُّلِّ وَالقَهْرِ
 وَقَدْ مَلَكْتُ أَفضالَهُ الحَرِّ مِنْ شَكْرِي
 وَإِنْ مُتُّ عَنْهُ سَوْفَ يُخَلِّفُنِي شَعْرِي
 وَلَيْسَ كَمِثْلِ الصُّنْعِ يَمْلِكُ لِلحَرِّ [29]
 سَلامِي عَلَيَّ شَخْصِ المَكَارِمِ وَالْفَخْرِ [30]

[انتهى]

(1) هش هشاشة: انشرح صدره سرورا به، مادة (هش)، بش بشاشة كان طلق الوجه، مادة (بش)، المعجم الوسيط، ج 1، ص 58، ج 2، ص:

- ل -

خامسا: العتاب [بان هزالها] [من مجزوء الكامل]

— تعريف العتاب لغة: عتب عليه يعتب ، يعتب عتبا وعتابا و تعتابا ومعنبا⁽¹⁾

العتب: الموجدة، عتب عليه يعتب ويعتب عتبا وعتابا ومعنبا ومعنبة أي وجد عليه .

الإعتاب والعتبى: فهو رجوع المعتوب عليه إلى ما يرضي العاتب.

الاستعتاب: طلبك إلى المسيء الرجوع عن إساءته.⁽²⁾

— تعريفه اصطلاحا:

قال الأزهري: التعتبُ والمعاتبُ والعتاب: كل ذلك مخاطبة الإدلال وكلام المُدلين أخلاءهم طالبين حسن مراجعتهم، ومذاكرة بعضهم بعضا ماكرهوه مما كسبهم الموجدة⁽³⁾ لم يكن العتاب غرضا من الأغراض الشعرية كالمديح وغيره في العصر الجاهلي، ثم أخذ بعد ذلك يتسع تدريجيا حتى صار أحد الأغراض البارزة في العصر العباسي وما بعده من عصور، يلجأ إليه الشاعر حين يكون لديه إحساس بالتحول عن المودة من المعتوب عليه، فتدفعه بواعث متباينة إلى غرض يتوسط فيه بين أن يلوم المعتوب عليه، وقد عده ابن رشيق (باب من أبواب الخديعة يسرع إلى الهجاء وبسبب وكيد من أسباب القطيعة والجفاء فإذا قل كان داعية الألفة، وقيد الصحبة وإذا كثر خشن جانبه وثقل صاحبه...) ⁽⁴⁾، وهو يضع الشاعر في موقف يحتاج إلى اتخاذ الحذر والحيطة والفتنة حتى يكون عتابه متوازنا بين عواطفه عواطف المعاتب، ولذلك تعددت طرائق العتاب واختلفت باختلاف أساليب الشعراء في بواعثهم وموضوعاتهم، فمنهم (من يمازجه الاستعطاف والاستئلاف ومنه من يداخله الاحتجاج والانتصاف، وقد يعرض فيه المن والإجحاف، مثل ما يشركه الاعتذار والاعتراف)⁽⁵⁾ ولعل النوعين الواردين في تعريف ابن منظور وهما الإعتاب والعتبى ، وكذلك الاستعتاب قد وظفهما الشاعر في قصيدتيه، ففي القصيدة الأولى وظف الاستعتاب حيث وقعت مشاحنة ببسكرة بين بعض

(1) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مادة (عتب)، ج2، ص: 581.

(2) ابن منظور، لسان العرب، ج32، ص: 2792.

(3) المرجع نفسه، ص: 2793.

(4) ابن رشيق، العمدة، ج2، ص: 160.

(5) نفس المرجع والصفحة.

طلبتها في مسألة نحوية في عبارة (الأشموني)⁽¹⁾ شارح (الألفية) ، فعاند (أدهم) وركب (رأسه) ونشر سؤالاً في (إحدى) الجرائد، ولكن لم يجبه (أحد) احتقاراً لشأنه فقال الشيخ متعجبا ومعاتبا له:

- | | |
|------------------------|---|
| 1) ما كنتُ أعهدُ بسكرة | من قبل نشرذا السؤال [90] |
| 2) إلا رياضاً يانعاً | ت بالعلوم وبالرجال |
| 3) هذا وفي المجد النبأ | عنها بأوصاف الكمال |
| 4) حتى تعجرفَ جاهلٌ | بخزعبل يحكي الخبال ⁽²⁾ |
| 5) وتمارى في خبر لكا | ن بما سوى نصبٍ فقال ⁽³⁾ [91] |
| 6) إن كان غرك قولهم | رفع لظاهر باحتيال |
| 7) فاعلم بأن الخير هو | لا غيره فادر المقال |
| 8) أولاً فبان هزالها | قدماً فأهلكها الهزال [1] |

]

انتهى]

كتب في هامش الأصل تعقيب، ولعله من قبل الناسخ — على ما يبدو — مانصه:

- (1) (إشارة) إلى قوله : لقد هزلت حتى بدأ من هزالها *** كلاها وحتى سامها كل مقلس . [92]

(1) أحمد بن محمد الأشموني الحنفي، كان نحويًا فاضلاً بالعربية مشاركاً في الفنون، نظم في النحو لامية تدل على علو قدره وشرحها، وصنف أيضاً في فضل (لا إله إلا الله) نقلاً عن: إميل بديع يعقوب، موسوعة علوم اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان - ط1، 1427هـ - 2006م المجلد الأول، باب الهمزة، ص: 231.

(2) تعجرف الأمر: أقدم عليه دون أن يتروى فيه، مادة (عجر)، المعجم الوسيط، ج2، ص: 585 - خزعل الحديث: المستظرف يضحك منه، مادة (خزع) - الخبال: النقصان، مادة (خبل) المعجم الوسيط، ج1، ص: 232 وص: 217، وفي ذلك تلميح إلى قوله تعالى: ﴿ولو خرجوا فيكم مازادوكم إلا خبالاً﴾ سورة التوبة، الآية 47.

(3) تمارى: شك، مادة (مرى)، القاموس المحيط للفيروز آبادي، ص: 134.

- ن -

[شرح الود قد قال اعذروا] [من البحر الكامل]

كما وظف العتاب والعتبى في القصيدة الثانية، وذلك ردا على جواب معاتبة من بعض (الأصدقاء):

- (1) أرخيتُ من شرخ الشباب عَنانِي
 (2) وركضتُ خَيْلَ اللّهُو في مُرْجِ الهوى
 (3) وكَم استملتُ الصَّخْرَ حَتَّى فَجَّرْتُهُ
 (4) فَفَقَا خَلِيلِيَّ عَلَى رَبْعِ عَفَا
 (5) هَذَا زَمَانٌ لَيْسَ يَعْذِرُ مُعْذِرًا
 (6) مَالِي يَحْمَلُ خُطُوبِهِ مِنْ مُنَّةٍ
 (7) جَلْدِي وَهَى وَالطَّرْفُ مَيِّ قَدَسَهَا
 (8) أُرْتُو بَعَيْنَ لَاتِزَالُ غَرِيقَةً
 (9) فَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ (أر) مُتَوَانِيًا
 (10) كَلَّا وَرَبُّ الْعَرْشِ إِنِّي مُعْذِرٌ
 (11) هَلْ يَبْتَغِي الْإِنْصَافَ حَقًّا مُنْصِفٌ
 (12) هَذَا وَشَرَعُ الْوُدِّ قَدْ قَالَ اعْذِرُوا
 (13) فَلَكُمْ سَلَامٌ وَالْأَحْيَاءُ كُلَّهُمْ
 (14) وَأَعْرُورِقْتِ عَيْنُ الْمُحِبِّ لِذِكْرِهِ
- [انتهى]

- وَوَطِئْتُ مِنْ مَرَحِ النَّشَاطِ عَنَانِي⁽¹⁾
 وَلَمْ أَرْعَوْ مِمَّا عَنَاهُ عَنَانِي⁽²⁾
 وَأَجِبْتُ خِدْنَا بِالْخُدُورِ دَعَانِي⁽³⁾ [83]
 بِاللّهِ مِنْ هَذَرِ الْعَذُولِ دَعَانِي
 فَلِزُورِ أَهْلِ الْعَدْلِ كَيْفَ يُدَانِي
 كَلَّا وَاللَّصْبَرِ عِنْدِي يَدَانِ
 بَيْتِي السُّهَاءُ وَنَدِيمِي الْقَمْرَانِ⁽⁴⁾ [84]
 وَمِنَ الْجَفُونِ الْوَجْدُ الْقَمَّ رَانِي⁽⁵⁾
 أَيَحِقُّ فِي جَنْبِ الْكِرَامِ تَوَانِ
 وَالْوَجْدُ مُدَّ جَدَّ الْفِرَاقُ تَوَانِي
 عِنْدَ الصَّدِيقِ وَلَوْ أَتَى بِمَنَانِي [85]
 أَوْلَا فَأَسْبَابُ الْوُدَادِ مَنَانِي
 مَاغَنَّ شَادٍ عِنْدَ رَبِّ مَثَانِ
 ذَاكَ الْحِمَى وَتِلَاوَةِ لِمَثَانِ⁽⁶⁾ [86]

(1) شرخ الشباب: أوله ونضارته، المعجم الوسيط، ج1، ص: 478 - العنان (ج) أعتة: وهو لجام الفرس، وقوله (أرخى من عنانه) وهو المراد من قول الشاعر، وهو على سبيل المجاز المرسل، مادة (عن)، المعجم الوسيط، ج2، ص: 632.
 (2) مرج الشباب، المرج في الأصل: الموضع ترعى فيه الدواب، وإرسالها للرعي، مادة (مرج)، وقد استعملت هنا على سبيل المجاز. القاموس المحيط للفيروزآبادي، ص: 230 ولعل المعنى مستوحى من قوله تعالى ﴿مرج البحرين﴾ سورة الفرقان، الآية 53. العنان: ما يبذورك من السماء إذا نظرت إليها.
 (3) الخدن: الصديق (ج) أخدان، مادة (خدن)، المعجم الوسيط، ج1، ص: 222 - الخدر، بالكسر: ستر يمد للجارية في ناحية البيت، كالأخدور وكل ما وارك من بيت ونحوه (ج) خدور وأخدارج أخدابر، القاموس المحيط للفيروزآبادي، ص: 408.
 (4) سها: غفل عنه، مادة (سها)، المعجم الوسيط، ج1، ص: 459.
 (5) رنا رنوا: أدام النظر في سكون طرف، مادة (رنا)، المعجم الوسيط، ج1، ص: 376.
 (6) تكررت لفظة المثاني في أضرب الأبيات الأربعة الأخيرة و المقصود من هذه اللفظة كما قيل: إنها الفاتحة لأنها تكرر في الصلاة، وقيل: إنها السور الطوال السبع؛ (البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنعام، الأعراف والأفال)، و سميت بالمثاني لأن الأحكام الشرعية تكرر فيها مثل القصاص والميراث. نقلًا: عن عمر بن قينة، الديسي حياته وأثاره وأدبه، ص: 173.

سادسا: الغزل:

باب رئيسي في الشعر سواء كان نبضا إنسانيا ، أو أسلوبا تقليديا، وفي كلتا الحالتين استطاع أن يفرض نفسه استجابة أو مجازاة، وندر أن تخلو منه دراسة تعالج الشعر العاطفي في القديم أو الحديث، غير أن هذه التجربة العاطفية والتي تعددت تسمياتها وتتنوع مريدوها لم يكن مرغوبا فيها في الشعر الجزائري، إذ أنه ضيق عليه الخناق وكاد يطمس ملامحه بين الفنون الشعرية الأخرى، بل أنه طمست في قالب قومي سياسي، فرضته المأساة الفرنسية، والتقاليد القومية، وتلك هي التعلّة التقليدية لشعراء الجزائر، في عزوفهم عن الشعر العاطفي، على نحو ما نلقاه عند المسعدي، حيث لم يكن غزله فنا مستقلا في شعره، ولم يكن أيضا خارجا عن الأسلوب والمعاني القديمة فهو خال من كل عاطفة وحياة، إذ أن الشاعر لم يكن ليعبر بتلك الأبيات عن عاطفة ما، وإنما هو تليفق أدبي معروف، ويتجلى ذلك من خلال الآتي:

- ب -

(تشطير) [سهماك المعلى والرقيب] [من الوافر]

(أرسل) (إليه) الشيخ محمد بن عبد الرحمن الديسي⁽¹⁾ - رحمه الله - بتشطير بيت مفرد عثر عليه في شارح القاموس ذيله ببيت ثان من نظمه وسأله (أن) ينظر في تشطيره ويصلح منه ما ظهر (إصلاحه)، ولما (أمعن) الشيخ عبد القادر فيه النظر عثر على غلط فيه فأصلحه وشرطه تشطيرا لائقا فقال الشيخ الديسي: إنا لله بيت واحد لم يتيسر لي تشطيره، وقد رزقت (أن) (أنظم) النظم البديع ولم (أرزق) التشطير والحمد لله، ونص البيت المشار (إليه).

إذا قسم الهوى أعشار⁽²⁾ قلبي فسهماك المعلى⁽³⁾ والرقيب⁽⁴⁾

[انتهى]

(1) ولد محمد بن عبد الرحمن الديسي، بقرية الديس سنة 1270هـ-1854م، قضى حياته متعلما، ومدرسا، وأديبا منتجا، توفي سنة 1339هـ - 1921م، ومن آثاره ديوان شعري (منة الحنان المنان)، جواهر الفوائد وزواهر الفرائد (مخطوطة)، تفضيل البادية بالأدلة الواضحة البادية (مقامة) وغيرها من التأليف، نقلا عن: عمر بن قينة، الديسي حياته وأثره وأدبه، ص: 13 وما تلاها.

(2) أعشر الجزور: الأنصباء، والعشر: قطعة تكسر من القدر أو البرمة كأنها قطعة من عشر قطع والجمع أعشار، وقد ر أعشار قدور أعشير مكسره على عشر قطع

(3) المعلى: سبعة أنصباء والرقيب: ثلاثة فإن فاز الرجل بهما غلب على جزور الميسر كلها ولم يطعم غيره في شيء منها وجعل أبو الهيثم اسم السهم الذي له ثلاثة أنصباء الضريب والذي سماه ثعلب الرقيب وقال اللحياني بعض العرب يسميه الرقيب. نقلا عن لسان العرب المجلد الرابع ص: 574.

(4) ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة 1958م، ص: 33.

تذبيله: ونص تذبيله و تشطير الشيخ محمد عبد الرحمن – رحمه الله –

إذا قسم الهوى أعشار قلبي

فسهماك المعلى والرقيب

وذيله بقوله:

ولم لا يا سعاد وأنت شمس وكل النيرات⁽¹⁾ بها تغيب

ونص تشطيره :

إذا قسم الهوى أعشار قلبي

فما فيه لغيركموا نصيب

وسهم العاذلات عليك وغد

وسهماك المعلى والرقيب

تتبه لتبديله الفاء واوا:

فبدل الفاء في فسهماك واوا والمشطر (أسير) القائل فليس له نقص ولا زيادة ولا تبديل

ولذلك أصلحه الشيخ عبد القادر هكذا:

إذا قسم الهوى أعشار قلبي فما فيه لغيركموا نصيب

وإن رضي العذول⁽²⁾ الوغد سهما فسهماك المعلى والرقيب

ثم شطر البيتين كأنهما لقائل واحد فقال :

(إذا قسم الهوى أعشار قلبي)

ولا واث وقد زهل الرقيب

وحاز العاذلات الوغد سهما

(فسهماك المعلى والرقيب)

(ولم لا يا سعاد وأنت شمس)

فدتك اللائمات ومن تغيب

وهل كالشمس يوجد في الدراري

(1) النور (ج) أنوار ونيران: الضوء أيا كان أو شعاعه، مادة (نور)، القاموس المحيط للفيروز آبادي، ص: 512.

(2) العذل: الملامة، كالتعذيل، والاسم العذل محركه، مادة (عذل) القاموس المحيط للفيروز آبادي، ص: 1044.

(وكل النيرات بها تغيب)

وكان الشيخ عبد القادر يقرر لبعض تلاميذه قول امرئ القيس

وما ذرفت عيناك إلا لتضر بي

بسهميك في أعشار قلب مقتل⁽¹⁾

فقال التلميذ (أنت) (أيها) (الأستاذ) أراك لا تحبني كما بينغي ولا تعنتي بشأني

فأجابه الأستاذ بقوله:

يقامرني على أعشار قلبي

وسهماه المعلى والرقيب⁽²⁾

ملك الكل فاسجح يا حبيبي

فلا نجح⁽¹⁾ العذول و لا الرقيب [انتهى]

- تعقيب من قبل الناسخ - على ما يبدو - والمعلى والرقيب سهمان من سهام الميسر حظ (الأول) سبعة، وحظ الثاني ثلاثة (فإذا) قسم الجزور على عشرة فمن حاز المعلى والرقيب فقد استتم العشرة (أقسام) والوعد ليس له شيء⁽³⁾.

على الرغم بأنه يصرح في أبيات مبثوثة في قصيدة أخرى ولعلها من نتاج عهد الشباب كما يبدو يعترف فيها لخلانه بأنه ارتدى في أحضان اللهو والمرح عابثاً ومتغزلاً. حيث يقول:

أرْخَيْتُ من شَرْخِ الشبابِ عِنَانِي ووطِئْتُ من مَرَجِ⁽⁴⁾ النشاطِ عِنَانِي

وركَضت خيلَ اللهو في مَرَجِ الهوى ولم أَرعُو مما عناه عِنَانِي

ويبدو التكلف ما ثلا للعيان وذلك في قوله:

(1) ذرف الدمع يذرف ذريفا وذرفانا وتذرافا : إذا سال، كما يقال دمعت عينه، استعار للحظ عينها ودمعها اسم السهم لتأثيرهما على القلوب وجرحهما إياها كما أن السهام تجرح الأجسام وتؤثر فيها. - الأعشار من قولهم برده أعشار إذا كانت قطعة، ولا واحد لها من لفظها، - المقتل المذل غاية التذليل، والقتل في الكلام: التذليل، ومنه قولهم: قتلت الشراب إذا قلت غرب صورته بالمزاج، ومنه قول الأخطل: فقلت اقتلوا عنكم بمزاجها *** وحب بها مقتولة حين تقتل.

وقال حسان: إن التي ناولتني فرددتها *** قتلت قتلت فهاتها لم تقتل ، وتلخيص المعنى على هذا القول وما دمعت عينك وما بليت إلا لتصدى قلبي بسهمي دمع عينك وتجرحي قطع قلبي الذي ذلته بعشك غاية التذليل، وقال آخر ون أراد بالسهمين المقلي والرقيب من سهام الميسر والجزور تقسم على عشرة أجزاء فللمعلى سبعة أجزاء وللرقيب ثلاثة أجزاء فمن فاز بهذين القديحين فقد فاز بجميع الأجزاء وظفر بالجزور نقلا: عن حنا الفاخوري ديوان امرئ القيس ، ص: 33-34.

(2) الأسجاح: حسن العفو، مادة (سجج)، القاموس المحيط للفيروزآبادي، ص: 248.

(3) هذه الشروح تمت الإشارة إليها في صفحة سابقة، ولعل الناسخ قد اعتمد على نفس المرجع، أو على مراجع أخرى، وكلها تستند على شرح واحد، وإن تعددت صياغته.

(4) كذا في الأصل (مرج، مرجا) يتسكين الراء وجاء في القاموس المحيط، المرج محركة الإبل ترعى بلا راع، للواحد والجمع، والفساد والقلق والاختلاط، والاضطراب ص: 230 ، وفي المعجم الوسيط، "مرج" مروجاً مرجاً الأمر، اختلط، ومرج الناس مرجاً: اختلطوا ص: 860.

وكم استملت الصخرَ حتى فَجَرْتُهُ
ثم يستوقف صاحبيه - متوهما جريا على سنن الشعراء القدامى -
من أمام الأطلال قائلاً:

فَقفا خَليليَّ على رَبِّع عَفا بالله من هَذر العَدول دعاني⁽¹⁾

ويستمر هذا الضرب من الغزل في هذه القصيدة خلال 5 أبيات. ومن خلال ما تقدم يتضح لنا أن ما جاء من شعر غزلي، - إذا جاز التعبير - في افتتاحية قصيدته العتابية ما هو إلا خواطر لا تشكل موضوعاً غزلياً بآتم معنى الكلمة ولعل السبب في ذلك يرجع إلى كونه عالماً محترماً، يعيش بين طلابه وزملائه، في وسط ديني خالص، ولذلك فإن نظرتة للفن غير نظرتة للعلم وللأخلاق.

(1) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي النائي ، ص:84(المخطوطة).

- ب -

سابعا: الاعتذار [من البسيط]

هو فن قديم من فنون الشعر العربي، ويعد النابغة الذبياني أول من فتح باب الاستعطف أو الاعتذار، وذلك باعتذارياته التي توجه بها إلى النعمان، ولا يكاد عصر من العصور المتعاقبة يخلو منه، وقصيدة الاستعطف تدور أكثر معانيها عادة « على ترفق الشاعر ومحاولة استمالة قلب المستعطف أو المعتذر له... وتتفاوت أساليب الشعراء من حيث القوة والضعف»⁽¹⁾. ولعل المسعدي حاول من خلال هذه القطعة أن يعتذر فيها للقبطان الحسين المترجم وكان تلميذا له، وطلب منه (أن) يرافقه في سفره فتخلف، وهاهو يشرح الأسباب التي حالت دون ذلك فيقول:

- (1) (اليوم)⁽²⁾ قَدْ أَدْرَكْتَنِي حَرْفَةُ الْأَدَبِ وَشَوُّمَهَا عَاقَنِي عَنْ مُعْتَلِي الرُّتَبِ
(2) (دعا)⁽³⁾ حُسَيْنٌ جَزَاهُ اللَّهُ صَالِحَةً لِأَنَّ أَجُوبَ الْفَلَا فِي صُحْبَةِ الْأَدَبِ⁽⁴⁾
(3) وَمَا دَرَى أَنَّ حِظَّ الْعِلْمِ تَبَطَّنِي فَمَا أَفْكَرَ فِي جَاهٍ وَلَا نَشَبَ⁽⁵⁾ [31]
(4) لَوْ اعْتَصَمْتُ بِرَأْسِ التِّيْقِ أَدْرَكَنِي طُوفَانُهُ مِنْ عُيُونِ الْهَمِّ وَالْكَرْبِ
(5) وَلَوْ أَقَمْتُ مَقَامَ الْحَوْتِ فِي لَجَجِ لَخِفْتُ مَوْتَ الظَّمَا أَوْ مَسَّةَ الْقَتَبِ⁽⁶⁾
(6) عَاثَ الزَّمَانَ بِحِظِّي ثُمَّ عَانَدَنِي بِجِدِّهِ عِنْدَ أَطْوَارِ مِنَ اللَّعِبِ
(7) وَمَا دَرَى أَنَّ مِثْلِي لَا يُرَوِّعُهُ وَقَعُ الزَّمَانَ وَلَا هَشَّ إِلَى طَرْبِ [32]
(8) وَطَنْتُ نَفْسِي عَلَى حُبِّ الْخُمُولِ وَلَوْ رُمْتُ الظُّهُورَ لَنَا جَانِيٍّ مِنْ كَثْبِ
(9) فَاعْزِرْ حُسَيْنَ أَخَاكَ فِي تَقَاعَسِهِ وَاكْرَعْ هُدَيْتَ مَعِينِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ⁽⁷⁾
(10) وَاجْمَعْ إِلَى الْعِلْمِ حِلْمًا كِي يَعَادِلَهُ كَمَا جَمَعْتَ مَعَانِي الْعُجْمِ وَالْعَرَبِ [33]

[انتهى]

(1) عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، ط2، 1396 هـ - 1976 م، ص: 238.

(2) في الأصل (اليوم).

(3) في الأصل (دعى).

(4) الفلاة: الأرض الواسعة المقفرة (ج) فلا، وفلوات، مادة (فلا)، المعجم الوسيط، ج2، ص: 702.

(5) الجاه: المنزلة والقدر مادة (جاه)، المعجم الوسيط، ج1، ص: 148. - النشب: المال والعقار، مادة (نشبت) لسان العرب، لابن منظور، المجلد الأول، ص: 757.

(6) القتب: الرجل الصغير على قدر سنام البعير (ج) أقتاب، مادة (قتب)، المعجم الوسيط، ج2، ص: 714.

(7) أكرع معين العلم: كرع في الماء أو الإناء، كرعاً وكروعا تناوله بفيه من موضعه من غير أن يشرب بكفية ولا بإناء والمراد به هنا نهل العلم وهو تعبير مجازي مادة (كرع)، المعجم الوسيط، ج2، ص: 783.

- س -

ثامنا: المظلمة [وما أنا إلا العود بالنار سبره] [من الطويل]

جاء في لسان العرب: الظلّمة والظليمة والمظلمة: ما تطلبه عند الظالم، وهو اسم ما أخذ منك.

الظلّمة اسم مظلمتك التي تطلبها عند الظالم ويقال: أخذها منه ظلّمة، مادة(ظلم)⁽¹⁾ وجاء في القاموس المحيط: المظلمة (بكسر اللام) ما تظلمه الرجل، وأراد ظلّامه ومظالمته أي ظلمه. مادة (ظلم)⁽²⁾

وجاء في المعجم الوسيط: المَظْلِمَةُ: الظلّامة: (ج) مظالم. أظلم ظلّما ومَظْلِمَةً: جاز وجاوز الحد. وفي المثل: "من أشبه أباه فما ظلم" ما وضع الشبه في غير موضعه، وفي المثل أيضا "من استرعى الذئب فقد أظلم" يضرب لمن يولي غير الأمين (مادة) ظلم⁽³⁾ أما تعريفها اصطلاحا فيتبين لنا من خلال هذه التعاريف أن المظلمة هي: وقوع الظلم على المرء من شخص أو عدة أشخاص، (وأول من طبق النظر في المظالم هو النبي(ص) — مع ندرتها — ومن ذلك ما وقع بينه وبين "اللتبية الأزدي" حين استعمله رسول الله على صدقات (بني سليم) فلما جاء حاسبه — وهو ما يرويه "أبوحميد الساعدي" فقال: هذا مالكم وهذه هدية.

فقال رسول الله: « فهلا جلست في بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقا ثم خطبنا وحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإني استعمل الرجل منكم على العمل مما ولاني الله فيأتي فيقول هذا مالكم، وهذا هدية أهديت لي. أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته، والله، لا يأخذ أحد منكم شيئا بغير حقه إلا لقي الله يحمله يوم القيامة، فلأعرفن أحدا منكم لقي الله يحمل بغيرا له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر. رواه البخاري.

ثم أخذ قضاء المظالم في العصر الراشد في التدرج منذ عهد الخليفة أبوبكر (ض) ثم بدأ يتوزع أكثر في عهد عمر بن عبد العزيز— رحمه الله — ثم تطور النظر في

(1) ابن منظور، تج: عبد الله علي الكبير وآخرون، مادة(ظلم)، ج 31، ص:2757

(2) مادة (ظلم)، ص:1145.

(3) مادة (ظلم)، ج2، ص:577.

المظالم حتى أخذ شكلاً ناضجاً جداً في منتصف القرن الخامس الهجري ، حيث أصبح للمظالم ديوان مستقل أي ما يعادل وزارة مختصة في زماننا الآن ، ويستمر الاهتمام بقضاء المظالم في العصر الأندلسي باسم (خطة المظالم) في وقت مبكر منذ الدولة الأموية في الأندلس ، ولا يختلف الأمر مما كان عليه من الاهتمام في عصر الولاة والمماليك الذين اهتموا بولاية المظالم ، وعينوا لها خيار القضاة والفقهاء ، وكانوا يحاسبون حتى معظم أجهزة الدولة بما في ذلك الفقهاء على تقصيرهم في أموال الرعية»⁽¹⁾

وانطلاقاً مما تقدم يتبين لنا أن نظر الخلفاء والأمراء في المظالم على مدار تاريخ الحضارة الإسلامية، يؤكد لنا أن كل الناس تحت طائلة القانون والمحكمة على غرار ما نراه في عصرنا الحالي، حيث أقيمت محاكم للنظر في مظالم الناس، ولعل ذلك ما حدث لشاعرنا حيث وقعت ظلامه عليه من قاضي البلدة أحمد بن الشيخ بن التاوتي⁽²⁾ الذي وشى به إلى النصارى فحبس أياماً ولما أطلق سراحه قال:

- (1) لئن سرَّ بعضَ الشَّامتين بنا حبسي فقد ضرَّهم حقا رجوعي إلى أنسي
- (2) وإن غرَّهم أني تواريت مُبعداً فما ضرني أني تشبهت بالشمس
- (3) وما أنا إلا العودُ بالنار سبَّره ويظهر فضلُ التبرِّ بالسبيك لا اللَّمس⁽³⁾
- (4) طلعت عليهم مَطَلَعَ البدر فانتنوا على أثرِ الرِّجس والبخس والنَّحس
- (5) ألا اقلِّ لِعَادِ طوره في شِنَاءتِي فعضَّ على أباحس الغيظ والبَخس⁽⁴⁾
- (6) أما (أن)⁽⁵⁾ أن تلقى الحِمَامَ تَغِيظًا فمركبنا عما قريبٍ بكم تُرسي⁽⁶⁾

[انتهى]

كتب في هامش الأصل تعقيب من قبل الناسخ - على ما يبدو -

وبعد ذلك سعى الشيخ في عزل ذلك الظالم الغاشم فعزل - [أخزاه الله] - على أسوء حال ثم أدركته عقوبة الملك العدل فرماه حمار كان راكبه في الساقية ، في يوم شات فأدرك على آخر رمق وقبض إلى لعنة الله من يومه . [انتهى]

(1) راغب السرجاني، ديوان المظالم في العصور الإسلامية، نقلا عن الشبكة الإسلامية (إسلام ويب) (islamweb.net) بتاريخ 2012.
(2) كان قاضيا مغمورا بمدينة مسعد، وهو من كانت بينه وبين الشيخ عبد القادر منافرة، وسوء تفاهم، ألجأه إلى رفع دعوى عليه لدى الحاكم الفرنسي آنذاك، وأودع من جرأته السجن، ثم أفرج عنه نقلا عن أمين زاوية الهامل.
(3) سير الشئى : خبره ،مادة (سبر)، المعجم الوسيط، ج 1، ص: 413.
(4) شِنَاءتِي: بغضي مادة (شنا)، المعجم الوسيط، ج 1، ص: 495
(5) في الأصل(ءان) ، أن، أبنا حان، مادة (أن)، المعجم الوسيط، ج 1 ص:35.
(6) الحمام: قضاء الموت وقدره (حم) المعجم الوسيط، ج 1 ، ص: 198

تاسعا : الهجاء

- ر -

[إصافح بالشمال] [من الطويل]

الهجاء فن أدبي أصيل، يختلف عن معظم فنون الشعر الأخرى، يصدر عن ذات الشاعر غير متأثر باعتبارات المجاملة أو المصلحة، وغالبا ما يكون ثمرة لمعاناة شخصية نتيجة لعوامل وضغوطات جمّة، يتعرض لها الشاعر، فيسن سلاح لسانه إما ناصحا من أجل النصيحة، أو هاجيا ليشفى غليله.

والهجاء هو نقيض المديح، فإذا كان المديح يقوم على عاطفة الإعجاب والتقدير، فإن الهجاء يقوم على سلب مآثر الشخص أو الجماعة.

وقلما خلا عصر من العصور من شعر الهجاء، إلا أن بواعثه تختلف من عصر إلى آخر، إذ تكثر في عصر وتكثر في عصر آخر، وذلك وفقا لطبيعة العصر وحيثياته، ويتخذ الهجاء سبيلين في الشعر العربي .

الأول: يتناول العيوب الجسدية ويقوم على السخرية من المهجو، ورسم صورة مضحكة له، وهو بذلك أشبه ما نطلق عليه في وقتنا الراهن بالرسم (الكاريكاتورية)

الثاني: يتناول فيه الشاعر العيوب النفسية المعنوية من خلال معاني الهجاء التي تقوم على سلب المهجو من الخصال والصفات الحميدة، ورميه بنقيضها من صفات اللؤم والغدر والخيانة، وما إلى ذلك من الصفات المعنوية الذميمة ، ويعد « أجود ما في الهجاء أن يسلب الإنسان الفضائل النفسية وما تركب من بعضها مع بعض»⁽¹⁾ وأشد الهجاء أعفه وأصدقه»⁽²⁾ على نحو ما نلقاه عند شاعرنا من خلال هجائه لمفتي (معسكر) وكذلك قاضي (الجلفة) .

حضر الشيخ يوما بدار (الإفتاء) بالجزائر، وفيه اجتمع المفتون من العمالات الثلاث، فصافحهم واحدا واحدا إلى (أن) بلغ مفتي معسكر، وكان يسمى الهاشمي ولما مد (إليه) الشيخ يمينه ليصافحه مصافحة شرعية مد المفتي (إليه) شماله على عادة (الإفرنج) من التسوية بين اليمين والشمال، فظن الشيخ (أن) ذلك لشلل يمينه فبقي مفكرا في شأنه

(1) أبو الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر، وآدابه ونقده، ج2، ص: 174 .

(2) المرجع نفسه، ص: 170 .

يسارقه النظر حتى تبين له (أن) لا شلل به و(إنما) ذلك لجهله بسنة المصافحة، فقال مرتجلا:

- | | |
|--|---|
| كذي مِقة يُبدي سرورا فيفتّر | 1) ولما (تراعينا) ⁽¹⁾ ابتدرت ⁽²⁾ مُسلما |
| يقايله كلُّ عليه ولا وقر ⁽³⁾ | 2) فلاقيت كزًا مكفهرًا كأثما |
| ويدفع في صدر القيام ولا عُذر | 3) يصافح بالشِّمال شلّت يميئُه |
| وبولٍ وخرءٍ هكذا يقتضي الأمر ⁽⁴⁾ | 4) ويدخرُ اليمنى نحو امتخاطه |
| يُطابق وسمًا مثلما زركش القبر ⁽⁵⁾ | 5) ومنذ دعوهُ هاشميا حسيئُه |
| وذو الكسر مجبورٌ لِقَالٍ ولا جبرٌ | 6) وقَدَمًا يقولون السَّليمُ تفاؤلا |

(1) في الأصل (تراينا).

(2) ابتدره بكذا: عاجله به، مادة (بدر)، المعجم الوسيط، ج1، ص 42 - ذي مقت مقت فلانا مقتا: أبغضه أشد البغض فهو مقيت وممقوت القاموس المحيط للفيروز آبادي، ص: 187.

(3) كزا رجل كز وقوم كز بالضم، والكزاز، البخل، ورجل كز اليبدين أي بخيل مثل جعد اليبدين مادة (كزز) لسان العرب، لابن منظور، المجلد الخامس، ص: 400.

(4) امتخط فلان: أخرج ما في أنفه، مادة (مخط)، المعجم الوسيط، ج2، ص: 857.

(5) الوسم: العلامة، مادة (وسم)، القاموس المحيط، ص: 1177.

- ي - [من الوافر]

ثم بدل القافية لما قيل له أنه يسمى الهاشمي فقال:

- (1) يُسَمَى الهاشمي ويدّعيه
ويجهلُ سنةً للهاشميِّ
- (2) يصافح بالشّمّال مُصافحيه
وما يدري الذكيّ من الغبيِّ
- (3) ويُفتي العالمين به فنثوي
مُقلِّدَه مُخالِفَه النبي
- (4) عليه لعائنُ الديان تثرًا
على كَرِّ الغداة مع العشيِّ⁽¹⁾ [انتهى]

كتب في هامش الأصل تعقيب من قبل الناسخ - على ما يبدو - مانصه:

فقام الشيخ العاصي فانتبه على ما فرط منه وطلب من الشيخ أن يتجاوز عنه . [انتهى]

(1) الغداة والغدية (ج) غدوات وغديات وغدايا وغدو: البكرة أو ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس مادة (غدو) و العشي ، العشية: آخر النهار(ج) عشايا وعشيات مادة (عشو) القاموس المحيط للفيزول أبادي، ص: 1323 وص: 1318.

- ف -

[لقد جنيت الذي زرعته] [من البسيط]

اتفق (أن) الشيخ مر يوما على محكمة الجلفة فسمع القاضي حشلاف⁽¹⁾ يقول:
(ما أولاد نائل و) (أكثرهم) لغير رشدة وخيرهم الباشاغا لو (أشاء) (أطلق) (عليه امرأته)
(فأسرها) الشيخ في نفسه وانتظر الفرصة حتى (إذا) (أمكنته) سعى له حتى عزل على
(أسوأ) حال، وعند ذلك (أنشد) الشيخ:

- (1) قل كيف أصبح قاضي القوم حشلاف؟
(2) بل قد تبيّنت أن الأمر كارثة
(3) لقد جنيت الذي زرعتَه سلفا
(4) فاشكر أو أكفر وُدق ما قد جنيت ولا
(5) لئن صُرفت بعزل سرّ شامتكم
(6) وكم جفوت ذوي علم ومكرمة
(7) وكم مسخت نصوص الشرع عن شره
(1) قد عشت جلقًا بجلفه وهي ساخطة
(2) لا عدل فيك ولا وزن ومعرفة
(3) جمعها وكذا التاريخ سجّلها
(4) أنت عليك جيوش العدل منهزما
(5) عليه من لعنات الله أكبرها
- أم قد تظنّيت أن القول إرجاف⁽²⁾
تأتي عليك وما في الحكم إسراف
مثلا بمثل وما في الوعد إخلاف
تجزع فعاقبة الإجحاف إجحاف
كم عبت من زانه عدل وإنصاف
ولم تُراعهموا والقوم أضياف⁽³⁾
بيعت ببخس لديك فهّي أزياف⁽⁴⁾
عليك فأرحل بدوم الخزي حشلاف⁽⁵⁾
طابقت نيزك إن اللوم أصناف⁽⁶⁾
(عارا)⁽⁷⁾ عليك فراحت وهي اوصاف
1110 204 31
صاحت مؤرخة لا ردّ حشلاف
تترى على لحظات الدهر آلاف⁽⁸⁾
عام 1354 هجرية

(1) كان قاضيا شرعيا بمحكمة الجلفة في الثلاثينات، أصله من منطقة "بوقيراط" (مستغانم) ترك عدة مؤلفات من بينها (سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول) المطبعة التونسية 1347هـ - 1929م. نقلا عن: عبد القادر فيطس، الشعر الملحون الديني بمنطقة الجلفة، شعراء الحاسي بجيج نماذج 1832، 1962م جمع ودراسة رسالة ماجستير، تلمسان ص: 37، وحدث للشيخ عبد القادر مناقرة معه أفضت إلى هجائه، وألب عليه المواطنين والسلطات، فعزل من منصبه، نقلا عن أمين الزاوية.

(2) الأرجاف: الخبر الكاذب المثير للفتن والاضطرابات (ج) أراجيف، مادة (رجف)، المعجم الوسيط، ج 1، ص: 322.

(3) جفا جفاء، وجفوا: غلظ خلقه، مادة (جفا)، المعجم الوسيط، ج 1، ص: 128.

(4) أزياف: فعل الخير (ج) مكارم مادة (كرم)، المعجم الوسيط، ج 2، ص: 785.

(5) الجلف (م) جليفة (ج) أجلاف، وجلوف: الغليظ، الجافي، مادة (جلف)، المعجم الوسيط، ج 1، ص: 297.

(6) النيزة: العياب للناس بالقباب السوء، مادة (نيز)، المعجم الوسيط، ج 2، ص: 897. وفي ذلك تلميح إلى قوله تعالى ﴿...ولاتنابزوا

بالألقاب بسئ الاسم الفسوق بعد الإيمان...﴾ سورة الحجرات من الآية 11.

(7) في الأصل (عار). بالألقاب ﴿بسئ الاسم الفسوق بعد الإيمان...﴾ سورة الحجرات من الآية 11.

(8) تترى: يتابع وتتوالى، مادة (ترى)، المعجم الوسيط، ج 1، ص: 85.

- د -

عاشرا: التشطير: * [تشطير الحميدية] [من الطويل]

تعريفه: الشطر لغة: نصف الشيء وجزؤه، ج: أشطر وشطور⁽¹⁾

أما اصطلاحا: فهو « فن من فنون الشعر له علاقة وثيقة بأوزان الشعر وقوافيه»⁽²⁾ والمقصود أن يعتكف الشاعر على أبيات مشهورة لغيره من الشعراء فيقسم أبياتها إلى شطرين، ويضيف إلى كل شطر منها شطرا من عنده (مراعىا تناسب اللفظ بين الأصل والفرع، ويشترط في التشطير ألا يكون في تركيبه كلفة ولاحشو، بل أن يزيد الأصل جلاء ومعنى لطيفا).⁽³⁾

كما يعرفه الدكتور حسني عبد الجليل بقوله: « التشطير هو أن يتوازن المصراعان والجزآن تتعادل أقسامها مع قيام كل منهما بنفسه واستغنائه عن صاحبه»⁽⁴⁾

ومن خلال التعاريف السالفة الذكر، يتضح لنا أن التشطير هو توازن المصراعين، بحيث يكون شطر من قبل الناظم، وآخر من قبل المشطر، وهو ما قام به شاعرنا المسعدي، إذ شطر الحميدية وغيرها من القصائد، وذلك بإيعاز من الناظم عبد الرحمن الديسي والذي أرسل إليه هذه القصيدة الموسومة بالتشطيرية، وترتيبها الثانية عشرة ليعمد إلى تشطيرها، وذلك لما خلع (الأتراك) السلطان عبد الحميد⁽⁵⁾ بن عبد

(1) الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مادة(شطر) ، ص: 440.

(2) أبو جوري، فن التشطير والتخميس في الشعر العربي ، مؤسسة الرؤيا الحادة للبصريات 1992. (ب ص)

(3) عبد الحسيب الخناني ، تشطير ديوان الإمام الشافعي ، مؤسسة الأهرام للنشر (د.ت).

(4) حسني عبد الجليل يوسف، موسيقى الشعر العربي، دراسة فنية وعروضية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1989، ص: 175:

(5) ولد السلطان عبد الحميد الثاني في 21 سبتمبر 1842 ، وتلقى تعليمه بالقصر السلطاني ، وأتقن من اللغات الفارسية والعربية ، كما درس التاريخ والأدب. اعتلى سدة الحكم في 31 أوت 1876م في ظل ظروف قاسية تعصف بالدولة العثمانية من ديون تزرع تحتها إلى تكالب الدول الأوروبية واليهودية التي كانت تنتظر موت الرجل المريض لاقتسام ثروته ولاسيما البترول⁽¹⁾ إلا أن السلطان استطاع أن يحفظ الإمبراطورية العثمانية المتداعية من الانهيار...⁽²⁾ كما بذل جهودا لكسب ود وحب صداقة العرب والخطوات التي اتبعها لزيادة الثقة بينه وبين زعمائهم ..⁽³⁾ فضلا عن كونه يعد أعظم خليفة في عصر انحطاط الدولة العثمانية ، وأنه قام بأعمال جليلة لدولته ولأمته الإسلامية.. كما اهتم بالجيش اهتماما كبيرا، وتعتبر إصلاحاته العسكرية هامة جدا⁽⁴⁾ وهو ماتم التنويه به من خلال القصيدة "الحميدية" إثر خلعه عن العرش من قبل الاتحاديين ، بموجب فتوى شيخ الإسلام وكان ذلك سنة 1327هـ 1909م ، وبقي في منفاه حتى وفاته سنة 1918.

(1) - حسان حلاق، دور اليهود والقوى الدولية في خلع السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش، 1908- 1909، دار بيروت المحروسة، ط2، 1993، ص: 115.

(2) مصطفى الهلالي، السلطان عبد الحميد الثاني بين الإنصاف والجحود، دار الفكر بدمشق، ط1، 1425هـ 2004م، ص: 160.

(3) المرجع نفسه ، ص: 110.

(4) المرجع نفسه، ص: 121.

* وقد علق عمر بن قينة على هذا التشطير من قبل المسعدي بقوله (ومما يدل على تقدير الشاعر لموضوع قصيدته، واهتمامه به، أنه بعث بها إلى الشيخ عبد القادر المسعدي طالبا منه تشطيرها، فكانت قصيدة المسعدي دون مستوى قصيدة الديسي بكثير معن ولفظا) [نقلا عن الديسي حياته وآثاره وأدبه، ص 117، علما بأن عمر ابن قينه لم يشر إلى أبيات المسعدي ليشارك القارئ في الحكم على هذه الأشعار، وكانى به يرجع بنا إلى أولى محطات النقد، ولو تقطن إلى ما كتبه الديسي نفسه لما تلفظ بذلك ، وهاهو الديسي يعبر عن إعجابه بتشطير هذا الأخير وذلك بقوله (وقد وصلنا تشطيركم البديع، المزرى بأزهار الربيع ، الذي أشهد له من صميم فؤادي بالفضل.... حتى كأن الكلامين من متكلم واحد، وهذا

المجيد و(أبطلوا) الخلافة و(أكرهوا) شيخ (الإسلام) على (الإفتاء) بلزوم ذلك امتعض المسلمون من جراء ذلك وأنشد (الأستاذ) الشيخ محمد عبد الرحمن الديسي شيخ مشيخة الهامل قصيدة سماها الحميدية في (تابين) الخلافة ونعى على (الأتراك) ما فعلوا ثم (أرسلها) إلى الشيخ عبد القادر بن (إبراهيم) طالبا منه تشطيرها ذلك لما رأى - رحمه الله - تشطيره لقصيدته (العقبية)⁽¹⁾ (فأعجبه) ذلك غاية (الإعجاب)، و(إليك) نصها وفصها الشطر (الأول) (للأصل) والثاني والثالث للمشطر والرابع للأصل كما تراه (إن) شاء الله مبينا.

- (1) (ثنائي على عبد الحميد حميد) وشوقي إليه طارف و تليد
- (2) وصبري فان والتحسر زائد (وحزني عليه ما حيتت جيد)
- (3) (ووجدني به يحي وشجوي خالد) وقلبي عامر وفكري شريد
- (4) وطرفي ربيع والسرور محرم (ودمعي يحي جعفر⁽²⁾ ويزيد)⁽³⁾ [64]
- (5) (ومالي لا أبكي عليه وإئنه) منار الهدى أحنى عليه مبيد⁽⁴⁾
- (6) له همة تعلقو وتشهد إئنه (لأمة خير المرسلين عميد)
- (7) (وحامي حمى الإسلام بالبيض والقنا) متى ركعت يسجد لهن مريد
- (8) له فكرة كم خيست من مخلق (وتدبيره في العضلات سديد)⁽⁵⁾ [65]
- (9) (وقد كان طودا لا يرام قراعاه) منيعا يكل الطرف وهو حديد
- (10) وحصنا لمن يرجو التجاة ورأيه (يفل آراء القوم وهي حديد)

يصعب على الفرد النادر الغواص على الفرائد، اللوذعي القناص للشوارد²، ويقول كذلك في تشطيره لبيت امرئ القيس مانصه (إنا لله بيت واد لم يتيسر لي تشطيره وقد زرقت أن أنظم النظم البديع ولم أرزق التشطير والحمد لله³، ألا يعد هذا عيب يؤخذ على بحث أكاديمي يسعى إلى تقديم دراسة مركزة وموضوعية تكشف عن مجهول وتضيف جديدا إلى الدراسات الأدبية، وتوقف القارئ على حقائق لا يتمكن من التوصل إليها بمفرده.

المراجع 2 عامر بن المبروك محفوظي، تحفة السائل بباقة من تاريخ سيدي نابل، ص: 124. 3 - أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي، من مقدمة القصيدة الثالثة عشر، ص: 77

(1) نسبة لسيدي عقبة بن نافع الصحابي الجليل عندما زار ضريحه الناظم صحبة الشيخين الفاضلين محمد الصغير الجليلي ومحمد بن الحاج محمد الهاملي، نقلا: عن عامر بن المبروك محفوظي، تحفة السائل بباقة من تاريخ سيدي نابل، مطبعة النعمان، برج الكيفان - الجزائر - ط1، 2002، ص: 119.

(2) ثاني خلفاء بني العباس، حكم ما بين (754-775هـ)، ويعد المؤسس الحقيقي للدولة العباسية، تولى الحكم والدولة مضطربة، والطامعون فيها كثيرون، فتمكن من توطيدها، بفضل تمرسه بالإدارة قبل توليه الحكم، وبفضل دهائه وشدة وقاره. نقلا عن الموسوعة الميسرة، ص: 1754.

(3) هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، تولى الخلافة بعد أبيه معاوية واستمرت خلافته ثلاث سنوات ونصف تقريبا، نقلا عن: أبي جعفر محمد بن جرير الطبري تاريخ الرسل والملوك، تح: أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ط2، 1387هـ - 1967م، ج5، ص: 499.

(4) أحنى عليه مبيد: أهلكه وأتى عليه مادة (حنا)، المعجم الوسيط، ج 1، ص: 26.

(5) خيس: بلغ شدة الذل والأذى مادة (خاس)، المعجم الوسيط، ج 1، ص: 265.

- (11) (فيا خالعيه قد خلعتُم بخلعه) (لُبَابَ الهدي فما سواكم طريد
(قلوبَ جميع المسلمين قبيدوا) [66]
- (12) وأزعجتُموا دينَ (النبيِّ) ⁽¹⁾ وغلظتُم
(13) (غدرتُم أميرَ المؤمنين وخنتُموا)
وما هو إلا للعهود قعيد
(عقَابُكموا عند (الإله) ⁽²⁾ شديد)
- (14) وأعفيتُموا نهجَ (النبيِّ) وصحيه
(15) (جسرتُم على من طالما بات ساهرا)
حسيرا يُراعي النجمَ وهو قريد ⁽³⁾
- (16) ويركبُ لجلَى مجيدا محافظا
(17) (خرقتُم سياجَ الدين والدولة التي)
لي رشدكم إذ ليس فيكم رشيد ⁽⁴⁾ [67]
- (18) وكانت به تختالُ فخرا وأصبحتُ
(19) (وكذبتُم بهذا الخلع دينَ مُحَمَّد)
لها مجلسٌ في الفرقدين وطيد ⁽⁵⁾
(لستوتيهَا صُمُ الجبال تَميد)
- (20) فَجُوزِيئُمُوا (الخدلان) ⁽⁶⁾ في كلِّ موقفٍ
(21) (ستجنونَ شؤمَ البغي حصداً بسيفه)
وقد كان في بُردِ الجلال يفيد
(ومن كاد دينَ الله فهو مكيد) [68]
- (22) وما هو إلا للمذلة جالبٌ
(23) (شمتُم بنا الأعداء يا عصابة الخنا)
وما البغي إنا للعناء وصيد
(وبالبغي أعناقُ البغاة حصيد)
- (24) وأضحتُ جميعَ الكائنات تدمُكم
(25) (تسميئُموا حزبَ الترقِي ⁽⁸⁾ سفاهة)
فأصبحَ عزُ الدين وهو فقيد ⁽⁷⁾
(فأنتم لعمري سؤفة وعبيد) [69]
- (26) وكيف الترقِي والهوى بكموا هوى
(27) (وما اللفظُ بالدستور إلا وسيلة)
وهل يترقى جاهل وبليد
(وصنعكموا (للانحطاط) ⁽⁹⁾ بريد)
- (28) وما هو إلا حيلةٌ وحيلة
(29) (فلاسفة معطلون أجانِبُ)
لمن هو للدين القويم نديد
(لباغ خرابَ المسلمين يُريد)
أبالسة للشيصبان تحيد [70]

(1) في الأصل (النبيء).

(2) في الأصل (الإلاه).

(3) حسير: أتعب حتى هزل ، مادة (حسر)، المعجم الوسيط، ج 1، ص: 172

(4) يركب للجلي، الأمر الشديد والخطب العظيم ، وفي المثل لا يدعي للجلي إلا أخوها) أي لا يندب للأمر العظيم إلا من يقوم به ويصلح له، مادة

(جل)، المعجم الوسيط ج 1، ص: 131.

(5) الفرقدين: الشمس والقمر، مادة (فرق)، المعجم الوسيط، ج 2، ص: 686.

(6) في الأصل (الخدلان).

(7) عصابة الخنا : جماعة الفحش ، مادتي (عصب) و (خنا) المعجم الوسيط ج 1 ص 360، ج 2، ص: 603.

(8) هو اسم حزب كونه المتواظنين على السلطان عبد الحميد ،والذين كانوا سببا في إسقاط الخلافة الإسلامية، نقل عن عامر بن المبروك

محموطي، تحفة السائل ببقاة من تاريخ سيدي نابل، ص: 119.

(9) الأصل (للانحطاط).

- (30) فما منكمُوا مَنْ راقبَ اللهُ رَبَّهُ (كأنْ لم يكنْ حقًا لديكم وَعَيد)
- (31) (فلدَّينِ حامٍ من سِواكم وناصرٍ) وفي كلِّ قرنٍ لا يَعوزُ نَجيدٌ
- (32) كذا لا يزالُ العزُّ يرفَعُ بُنْدَهُ (وحافِظُه ربُّ تعالَى مَجيدٌ)⁽¹⁾
- (33) (ظننتم بدون الشَّرْعِ إصلاحَ أمرِكمُ) فلا الشَّرْعُ مَتَّبوعٌ ولا القومُ صَيدٌ [71]
- (34) رَفَعْتُمْ لواءَ الفَيْسَلوفِ وَرَغَمْتُمْوا (وذلك جَهْلٌ ما عليه مَزِيد)
- (35) (وأكرهْتُمْوا شيخًا فأفتى تَقِيَّةً) وما قالَ إلَّا للنَّجاةِ يَصِيدُ
- (36) فأكسَفَ شمسَ الدِّينِ منه بِفِئْتِيةٍ (وما قالَ عن صوبِ الصَّوابِ بَعِيد)
- (37) (فهلا اقتديتمُ بالأنارُوبَّا التي ارتقتُ) فأضحى لها في الخافِقينِ قَديدٌ⁽²⁾ [72]
- (38) تعالتْ فأعلتْ كلَّ ذي هِمَّةٍ علَّتْ (فَتَعْظِيمُها لِمصْلِحِها أكِيد)
- (39) (وسلطانُكمُ قد كانَ أكبرَ مُصلِحِ) به النصرُ يسمُو والجُودُ تَزِيدُ
- (40) فألَّفَ بينَ المُبغضينِ وأصبحتْ (له عُدَّةٌ مرهُوبَةٌ وَعَديد)
- (41) (وسلِّمَ قسرًا ساسه القومَ فضله) وفي صدرِ أعداءِ (الإلهِ)⁽³⁾ وقَيدٌ⁽⁴⁾ [73]
- [73]
- (42) أفرُّوا وخرُّوا ساجدينِ لِيأيه (وقالوا جميعًا إنَّه لُوحيِد)
- (43) (فكم رتقَ الفتنقَ المَهولَ بعزمه) فأصبحَ عزُّ الكُفْرِ وهوَ وئيدٌ⁽⁵⁾
- (44) وأحيا من الدينِ الحنيفِ رُسومَه (وأعلى منارَ المُلْكِ فهوَ مَشيد)
- (45) (وكم بدَّ مُحْتالًا وأرغمَ حاسِدا) تقاصرَ عنه والدُّ ووليدٌ⁽⁶⁾ [74]
- (46) وسدَّ ثغورا أصبحَ الأمنُ سائدا (فسالِمَ جَبَّارٌ ولانَ عَيد)
- (47) (وقلِّمَ لليونانِ أظفارَ بأسِهِم) فراحتْ رماحُ القومِ وهى قَصيدٌ⁽⁷⁾

(1) مجيد: الخير الكثير، مادة (مجد)، القاموس المحيط، ج 2، ص: 343.

(2) الخافقين: أفق المشرق والمغرب (ج) خوافق، مادة (خفق)، المعجم الوسيط، ج 1، ص: 247.

(3) في الأصل (الإلاه).

(4) الوقيد: الذي يغشى عليه لا يدري أميت هو أم حي، مادة (قد)، المعجم الوسيط، ج 2، ص: 1048.

(5) رتق الفتنق: أصلح ذات بينهم، مادة (رتق) المعجم الوسيط، ج 2، ص 226 وفي ذلك تلميح لقوله عز وجل ﴿أو لم ير الذين كفروا أن

السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما...﴾ سورة الأنبياء من الآية 29-30.

(6) بد محتالا فاقه، مادة (بد)، المعجم الوسيط، ج 1، ص: 45.

(7) إشارة إلى الحرب التي خاضها مع اليونان سنة 1897م نقلا: عن الموسوعة الميسرة بإشراف محمد شفيق غربال، ص: 1180.

- (48) جَلَبَبَهُمْ خَسْفًا فَأَرَعَبَ رُوسَهُمْ (وكان لهم قصدٌ يسوء مديد)⁽¹⁾
- (49) (وجتد أجنادا وأسس نافعاً) فظلَّ زهيدُ العيش وهو رَغِيد
- (50) وأبرأ سقمَ الدين والعزُّ مُقبِلٌ (وناهيكم خطُّ الحجاز شهيد) [75]
- (51) (فأعماله مبرورة وفصوده) وما هو إلا للصَّلاح مُريد
- (52) له عزماتٌ كاملاتٌ تواقِبُ (وتلك تُنادي إني لسعيد)⁽²⁾ [76]

هذه هي أهم المعالم البارزة في شعره، تعبيرا عن قلبه، وما يضطرم في زواياه من مشبوب العواطف، وما يختلج فيه من تيارات نفسية عارمة، مما يؤكد على أن الشعر ظل وترا يعزف عليه الشعراء لحنا خالدا، منذ أن وجد الإنسان، على صفحة التاريخ، معبرين عن نفثات قلوبهم، وخلجات نفوسهم، وتجاربهم، مسجلين لآمالهم، وطموحاتهم، ورغباتهم، وأحزانهم، وأفراحهم، ومخلدن لأمجادهم، وبطولاتهم، عبر هذا الفن السحري الذي كان صدى لحياتهم بكل أبعادها وجوانبها الروحية والمادية وترجمة لتلك النوازع، والمشاعر والأحاسيس، والقيم والمبادئ الإنسانية الخالدة.

(1) خسفا: مذلة وهلاك، مادة (خسف)، المعجم الوسيط، ج 1، ص: 224.

(2) العزيمة: يقال هذه عزيمة من عزمات الله حق من حقوقه، والمراد بقوله عزمات كاملات أي كل ما عليه من حقوق خالقه. مادة (عزم)، المعجم الوسيط، ج 2، ص: 599.

*نص فتوى بوجوب خلع السلطان عبد الحميد) إذا اعتاد زيد الذي هو إمام المسلمين أيرفع من الكتب الشرعية بعض المسائل المهمة الشرعية، وأن يمنع بعض هذه الكتب ويمزق بعضها ويحرق بعضها وأن يبذر ويسرف في بيت المال، ويتصرف فيه بغير مسوغ شرعي، وأن يقتل الرعية ويحبسهم، وينفيمهم ويغير بهم بغير سبب شرعي وسائر أنواع المظالم ثم ادعى أنه تاب وعاهد وحلف أنه يصلح حاله ثم حنث، وأحدث فتنة عظيمة جعلي أمور المسلمين كلها مختلة وأصر على المقاتلة وتمكن منعة المسلمين من إزالة تغلب زيد المذكور، ووردت أخبار متوالية من جوانب بلاد المسلمين ن أنهم يعتبرونه مخلوعا وأصبح يقاؤه محقق الضرر، وزواله محتمل الصلاح. فهل يجب أحد الأمرين خلعه أو تكليفه بالتنازل عن الإمامة والسلطنة على حسب ما يختاره أهل الحل والعقد وأولي الأمر من هذين الوجهين؟ كتبه الفقير السيد ضياء الدين، تقلا: عن محمد مصطفى الهلالي، السلطان عبد الحميد الثاني، بين الإنصاف والجدود، ص: 227-228.

الفصل الثالث

الأبعاد الشعرية

إن البحث عن الأبعاد التي حملها شعر المسعدي في مضامينه، من خلال اهتمامه بقضايا محيطه، على وجه التحديد، في إطار التفاعل الإيجابي مع كل ما يحدث متفاوت من حيث وروده، فبعضه جاء بشكل مسهب، وبعضه الآخر كان محدودا في تفاعله وتأثيره، وذلك ما نستشفه من شعره من خلال هذه الأبعاد المزمع تجليها والمتمثلة في الآتي:

أولا : البعد الديني: كل ثنائية في هذا الوجود إلا ودلت على معنيين متضادين اثنين لا تعدوهما، ومن بين هذه الثنائيات الأرض والسماء، الشمس والقمر، الحياة والموت الإيمان والكفر، وما إلى ذلك مما لا يعد ولا يحصى منها، كما أن لكل ثنائية مفهومين أحدهما خاص، والآخر عام، ولكل منهما خصائصه وأبعاده المنوطة به، تختلف عن سابقتها.

ولا تختص هذه الثنائية بمجال دون الآخر، بل أنها تتسحب على كل مجال دينيا كان أم دنيويا، وما يهمننا هنا هو المجال الديني بمفهوميه السالفي الذكر، ومدى ارتباطهما بالشعر، باعتبار هذا الأخير مرجعا يحفظ كل المواقف، ويجسد شتى العواطف والمشاعر الإنسانية، وهذا ما أبرزته الذاكرة الشعرية على مدى مرور الزمن، وعبر المراحل المختلفة، محاكي الإنسان في مختلف صورته وحالاته وأوضاعه، مبرهنا بصفة عامة على مصداقيته، ومكانته، بحمله مضامين وأبعاد تستشف من الشعر، بحسب ما يقتضيه البحث وتستدعيه الأبعاد، ومنها البعد الإسلامي والذي يشكل أحد أقطاب هذه المدونة ولذلك فلعنه من الأخرى أن نشير في بادئ الأمر إلى مفهوميه العام والخاص، وما معناهما؟ وما مدى ارتباطهما بالشعر؟ وما هو حظهما من التوظيف؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة تباعا يمكن القول بأن المفهوم العام: نعني به تلك الروح الإسلامية التي طبعت الشعر وصبغته بصبغة دينية أفضى إليها تيار كان صنيعه بعض المؤثرات التي سبق وأن تطرق إليها البحث في معرض الحديث عن الحياة الثقافية⁽¹⁾ ولعل أهم هذه المؤثرات الحركة الإصلاحية وزعمائها — وقد سبقت الإشارة إلى ذلك في غير هذا الموضع — باعتبارهم كانوا سدنة الشعر وحراسه، حيث أسهموا

(1) تنظر الحياة الثقافية، ص: 99-111 من الفصل الأول

في توجيهه هذه الوجهة منذ «بدأت اليقظة الفكرية والثقافية تظهر في أفق الجزائر برزت إلى الوجود فكرة إصلاحية تعتمد في مبادئها على الرجوع إلى منابع الأولى للدين والتاريخ والثقافة العربية الإسلامية...»⁽¹⁾

ويعتبر القرآن أول هذه الروافد الثقافية، لأنه الكتاب الركيزة الذي استندت عليه الحضارة العربية الإسلامية في انطلاقها وتطورها عبر القرون، كما كان كذلك وراء ازدهار علوم مهمة في تاريخها كال تفسير والنحو والأدب وغيرها من العلوم.

ومن البديهي أن أهمية الكتاب لا تتبع من كونه كتابَ دين فحسب، بل هو كتاب دين ودنيا معا، وبالتالي كان النواة لأي مكتبة صغيرة وكبيرة على امتداد رقعة وتاريخ الإسلام، إذ فما من مكتبة خطية إلا وكان المصحف الشريف يتصدرها ينهلون منه موظفين النص القرآني في كتاباتهم على اختلافها، ولاسيما الشعراء الذين ما انفكوا يعجبون منه ليزداد الشرح غنى وإثراء، والغايات تحقيقا، والآراء تدعيما، مما ساعدهم على تطوير مسيرتهم الشعرية، وإغنائها بتعابير رفيعة في الكتابة الأدبية، لتزيد لغتهم متانة، ومفرداتهم وضوحا، ومعانيهم إشراقا، ولقد أسهم ذلك كله في إضفاء حلة قشبية أسبغت عليه، — أي الشعر — مسحة جمالية لا مثيل لها.

ويستمر هذا المدد والعب من هذا المنبع على امتداد التاريخ الإسلامي والرقعة الجغرافية العربية والإسلامية في كل أصقاع المعمورة، وبذلك ظلت جذوة الإسلام عقيدة وحضارة مستعرة فيه لا تستوقفها العقبات حتى في أحلك الفترات والأدل على ذلك بلادنا إبان الاحتلال الفرنسي، إذ كان هو الملجأ الحصين والملاذ الأمين الذي يركن إليه الشاعر « يقيه ويحفظه من التمزق والهزات ويدفع عنه أطماع الطامعين ومكائد الظالمين، فبفضله تم دحر الغزاة في أكثر من محاولة عبر أزمنة متعاقبه»⁽²⁾ فضلا عن الاعتزاز به والإخلاص له عملا وقولا، كما ظلت، جذوة الإسلام كذلك معيننا يستمد منه الشعراء القيم الخالدة، والمثل العليا، محاولين إيقاظ الضمير الوطني، وإحياء النفوس التي أشرفت على الممات أو كادت، ولذلك فلا غرو أن تتعالى أصوات هنا

(1) عبد الله الركبي، قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، مطبعة الجبلاوي، 1970 م، ص: 1

(2) مصطفى بيطام، الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998، ص: 266

وهناك تدعو إلى الرجوع إلى هذا الرافد القوي والتزود منه، وتذوق مآثره الأدبية ونفحاته البيانية وقد كان لهذه الدعوات، وهذه الصيحات صداها وأثرها في كتابات الأدباء، والشعراء الإصلاحيين، كيف لا والإسلام هو الدين الذي تدين به كافة الشعوب العربية والإسلامية، والشعر كما هو معروف ابن بيئته، والشاعر لسان مجتمعه، ومن ثم كان لهذا الاتجاه أدباؤه، وشعراؤه المختصون بإثرائه.

ولما كان المجتمع الجزائري من أكثر المجتمعات العربية تمسكا بالعقيدة وارتباطا بالإسلام، وتعاليمه في ذلك الوقت الراهن، وبالتالي كان لا بد من العض بالنواجز على العقيدة حفاظا على شعبها وأصالتها، وانتمائه الإسلامي، وبالتالي فلا ضير وأن يكون هناك تيار إسلامي قوي في محيط الشعر.

ولعل أهم وأبرز المعاني، في الشعر الجزائري، هي الدعوة إلى الإصلاح وطلب العلم وغيره، وذلك من خلال جمعية العلماء المسلمين التي حملت على عاتقها أعباء المسؤولية المنوطة بها، درءا مما يصيب أبناءها من تشرذم من جراء الاستعمار كما مر بنا، وهذا ما نستشفه من مقولة "محمد ناصر": « هذه العناية بالقرآن قد تركت بصمات واضحة في أساليب الكتابة لدى الأدباء الإصلاحيين الشعراء منهم والكتاب على حد سواء، فقد طبعتها بطابع القوة والمتانة وأكسبتها جزالة في التعبير وأسرا في التركيب..... »⁽¹⁾، وبالفعل فإن شعراءنا لم يكونوا بمنأى عن هذا التأثير بالقرآن الكريم والعب من حيافة لكونه الحصن المنيع والدرع الواقي للشعب الجزائري بصفة عامة وللشاعر بصفة خاصة بحيث وجد «فيه» باعتباره قوة حفظت للشعب عقيدته — ملاذه الذي يلتجئ إليه..... »⁽²⁾، ونصيرا قويا للحفاظ على اللغة العربية من الاندثار خاصة في العهد الاستعماري البغيض الذي عمل على تهجير اللغة العربية، وإحلال اللغة الفرنسية «وتقاقتها محلها لإحداث تغيير جذري في الفكر الوطني باعتبار اللغة ذاكرة الشعوب، وناقلة الحضارة»⁽³⁾

(1) الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية، ص: 44

(2) محمد الهادي السنوسي الزاهري، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، ص: 18

(3) محمد ناصر بوحجام، أثر القرآن في الشعر الجزائري الحديث، ط1، المطبعة العربية، غرداية، (دت)، ج1، ص: 20

وحرصا على هذه اللغة لجأ الشعراء إلى الاحتفاء بالدين الإسلامي والانضواء تحت لواء الحركة الإصلاحية التي ترأسها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والتي مازالت « منذ نشأتها الأولى تقدم إلى هذا الدين القيم الحنيف الأعمال الصالحات والخدمات الجلى، وتسير سير ذي رشد إلى غايتها السامية وإلى المثل الكامل من نشر العلم ومكارم الأخلاق»⁽¹⁾، لأن هذه الجمعية هي من رفعت راية الإصلاح ودعت إلى الرجوع إلى التراث والذي يتصدره القرآن الكريم حيث بدئ التمهد له منذ نعومة أظفار المتمدرس تربية وتوجيها وسعيا لتحقيق هدف يكمن في تكوين رجال كرجال السلف، وإلى ذلك يشير زعيم الإصلاح العلامة ابن باديس في معرض حديثه قائلا: «إننا والحمد لله نربي تلامذتنا على القرآن من أول يوم، ونوجه نفوسهم إلى القرآن في كل يوم، وغايتنا التي ستحقق أن يكون القرآن منهم رجالا كرجال سلفهم....»⁽²⁾ كما يضيف قائلا مؤكدا ومستشرفا المستقبل: «إن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين هي آخر معقل لك تلتجئ بعد الله إليه، وتنتيط به آمالك الوطيدة لمستقبل بنيك...»⁽³⁾ ويتضح لنا من خلال هذا الخطاب الأخير بأن الجمعية لم يكن اهتمامها منصبا على النشء فحسب، بل كان يشمل الفرد الجزائري ككل، كما قوى هذه العلاقة الشعراء الذين كانوا مرتبطين بالحركة الإصلاحية في الجزائر «وهي حركة سلفية بكل معنى الكلمة في الدين أو في الأدب، في السياسة أو في الأخلاق، وقد تركت طابعها وبصماتها على الأدباء والشعراء كذلك، فإن ثقافة هؤلاء في معظمها ثقافة تقليدية تستوحي صورها من الأدب العربي القديم»⁽⁴⁾، فضلا عن البيئة التي شب فيها الشعراء وترعرع عوافي مرابعها، والتي كان لها الأثر الواضح لكونها محافظة وكل ما فيها مصبوغ بصبغة دينية محضة بدءا بالكتاتيب وانتهاء بالزوايا.

ونلمس أثر القرآن الكريم في الشعر الجزائري «بصفة جلية في التعبير والتصوير معا، ولا يتمثل هذا الوضوح في الاقتباس والتضمين فحسب، وإنما يتعداهما

(1) عبد الحميد بن باديس، بيان من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، تحت عنوان موقف علماء الجزائر من الإمام محمد بن عبد الوهاب مجلة الشهاب ج 2، م 10، بتاريخ 6 شوال 1352 هـ الموافق لـ 22 جانفي 1934 م، ص: 85-86.

(2) محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، ص: 43.

(3) عبد الحميد بن باديس، المرجع السابق، ص: 85-86.

(4) عبد الله الركبي، قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، ص: 147.

إلى كونه مصدرا من مصادر الصورة الشعرية التي نتلمسها في موضوعات الشعر ومضامينه، وقد أدى الاعتناء بتطوير المضامين إلى إهمال الناحية الجمالية إلا قليلا كاعتماد اللغة القوية، والتزام الأشكال التقليدية في النظم واللجوء إلى بعض المحسنات اللفظية والمعنوية في عملية الإبداع بشكل لافت للنظر»⁽¹⁾

وإذا بحثنا عن مدى استلهاش الشعراء للمعاني التي يتضمنها القرآن الكريم والدلالات العميقة التي يحملها لوجدنا أنفسنا أمام حشد هائل منها تدفع بالقارئ إلى أن «يعترف بتعلق الشعراء بالقرآن وتشربهم لروحه ومعانيه، وإصدارهم عن وحيه، ويقر برغبة هؤلاء في توجيه أقوامهم - بهدي القرآن - إلى التي هي أقوم في هذه الحياة.....»⁽²⁾، ولذلك كانوا باستمرار يلحون على الدين في قصائدهم بحيث «لا تكاد قصيدة تخلو من الإشارة للدين الإسلامي وبالخصوص شعراء الجيل السابق الذين عاشوا فترة كان فيها الحماس للدين في أوجه بعد أن ظهرت الحركة الإصلاحية الجزائرية. ذلك أن هذه الأخيرة ركزت على الدين في سعيها للنهضة الإصلاحية والاجتماعية والفكرية، وكان شعراؤها دعاة للدين والعروبة معا. وربطوا بينهما في كثير من المناسبات واعتبروهما مقومين أساسيين للشخصية الجزائرية التي تنتمي للعروبة في الأصل والجنس، وللإسلام في العقيدة الروحية»⁽³⁾.

وانطلاقا مما سبق يجدر بنا أن نشير إلى العلاقة التي تربط بين التجربتين الدينية والشعرية واللذان تتدفقان من منبع واحد أو تكاد «تكون واحدة في منبعها الروحي وما لها الخارجي في رؤية العالم وما وراء العالم، في الحاضر وما قبله وما بعد كما يلتقيان في البحث المستمر عن النموذج الأكمل والشيء المثالي في الحياة وفي الطبيعة وما وراء الطبيعة وفي الأخلاق»⁽⁴⁾، علاوة على كون الشعر «مفتاحا لإدراك

(1) محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية، ص: 37

(2) المرجع نفسه، ص: 43

(3) عبد الله الركبي، قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، ص: 168

(4) معمر حجيج، البعد الوطني والقومي والإسلامي في ديوان التراويح وأغاني الخيام لأحمد الطيب معاش دراسة تحليلية فنية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، 1412 هـ - 1413 هـ، 1992م - 1993م، ص: 179

بلاغة القرآن...والذي لا شك أنه كان ميدان القوم إذا تحاوروا في الفصاحة والبيان، وتنازعا فيهما قصب الرهان»⁽¹⁾

أما بالنسبة للمفهوم الثاني ألا وهو المفهوم الخاص للبعد الإسلامي للشعر: فهو بمثابة استثمار للقضايا الإسلامية التي تتعلق بالمسلمين وتشكيلها في بوتقة شعرية – إذا أجاز التعبير – وقد أثارت علاقة الدين بالشعر جدلا كبيرا. منذ فجر التاريخ الإسلامي بين مؤيد ورافض، ولكل منهما آراؤه الخاصة التي استند عليها .

وفي مقابل ذلك لا بد من الإشارة إلى أن علاقة الشعر بالدين، كانت أوثق، لأنه دين سماوي أكمل ما قبله، ونسخ ما سبقه، وارتضاه الله تعالى لعباده خاتما للأديان والأدل على ذلك أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – قد اتخذ شعراء ينافحون عن الدعوة الإسلامية ويذودون عن حياضها ومبادئها، إذ انبرى "حسان بن ثابت" و"كعب بن مالك" و"عبد الله بن رواحة" للرد على الحملة الشرسة التي نظمها شعراء قريش ضد النبي (ص) وأصحابه مما جعل الرسول (ص) يثني عليهم قائلا: ((هؤلاء النفر أشد على قريش من نضح النبل))⁽²⁾، كما قال لشاعره حسان: ﴿أَهْجُهُمْ أَوْهَاجُهُمْ وَجَبْرِيلُ مَعَكَ﴾⁽³⁾، فضلا عن كونهم «يمدحونه، ويسمع منهم ويُصغي إليهم ويأمرهم بالرد على المشركين فيقولون في ذلك ويعرضون عليه، وكان عليه السلام يذكر لهم بعض ذلك، كالذي روي من أنه صلى الله عليه وسلم قال لكعب: ((ما نسيَ ربُّكَ، وما كان ربُّكَ نسيًّا، شعرا قلته)) قال وما هو يارسول الله؟ قال: ((أنشده يا أبا بكر)) فأنشده أبو بكر رضوان الله عليه:

زَعَمَتْ سَخِيئَةٌ أَنْ سَتَعْلِبَ رَبَّهَا وَلِيُعْلَبَنَّ مُعَالِبُ الْعَابِ⁽⁴⁾

كان شعرهم مفعما بمعان جديدة لم تكن معروفة لدى الجاهليين، استمدها الشعراء من القرآن الكريم ومن هدي النبي، ومن هنا يمكن أن ندرك مدى العلاقة بينهما. أما رجعنا

(1) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق أبو فهر محمود محمد شاكر، - مطبعة المدني، القاهرة - مصر ط3، (دت)، المجلد الأول،

ص: 8

(2) موجود بلفظه في العمدة في محاسن الشعر وآدابه، لابن رشيق القيرواني، وذكره كذلك النشابي الأربلي في المذاكرة في ألقاب الشعراء

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرجع النبي من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة

(5) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، صحح أصله محمد عبده ومحمد محمود التركي الشنقيطي، ووقف على تصحيح

طبعه وعلق على حواشيه محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان - ط1، 1409 هـ - 1988 م، ص: 17

إلى دواوين الشعر الجزائري بصفة خاصة نجدها لا تخلو من القصائد التي تمجد الدين وتدافع عنه باعتباره طريق الخلاص والتحرر، ومن ثم كان الشعر الديني سلاحا بتارا امتنقه الشعراء وأولوه عناية كبيرة، على الرغم من أن هناك من عده نفاقا وزيفا لا يرق إلى مصاف الشعر، وهو ما نستخلصه من مقولة "إليزابيت درو" حيث تقول: «إنني أسأل نفسي لماذا كان الشعر الديني رديئا، ولماذا لم يبلغ أبدا مرتبة سامية في الشعر؟ ذلك في نظري يرجع لحد كبير إلى نوع النفاق الديني ذلك أن الذين يكتبون الشعر الديني إنما يكتبون عما كانوا يودون أن يحسوا به.⁽¹⁾ لاعما يحسون...» ...

لا أوافق "إليزابيت" فيما ذهبت إليه حول الشعر الديني ، إذ أن رأيها لم يجانبه الصواب في معظمه، لكونه حكما عاما لا يمكن أن نطلقه على جميع الشعراء، لأن هناك من كانت له خلفية ثقافية إسلامية تغلغت في أعماق نفسه، إلى جانب أخلاق قرآنية أخرى، فضلا عن التعمق في علوم الشريعة، مما جعل الشعر الديني يتبوأ مكانة مرموقة، ويحظى بالنصيب الأوفر من قبلهم، وزخرت به دواوينهم قديما وحديثا والشواهد في هذا المجال أكثر من أن تعد وللبرهنة على صدق ما ذهبن إليه، تستوقفنا أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي النائلي التي تتم على أن ناظمها أحد هؤلاء الذين نهلوا وترووا منه بحيث نتلمس أثر هذا الرافد ماثلا في جل أشعاره حتى لتكاد هذه النزعة تطغى على كل قصيدة، بل كل بيت تشهد بهذا الكم الهائل منه مستلهما منه الكثير من خواطره وأفكاره، وهادفا في أكثر ما يقول إلى غاية دينية واضحة وولعني لا أكون مفتقرة إلى التدليل على مثل هذه الخاصية، فهي عامة مبنوثة في كامل شعره يستطيع أن يهتدي الطريق إليها الخاص والعام ومتوسط الثقافة، وتلك دلالة واضحة وأمانة ناصعة تبين مدى صلته بالدين، تلك الصلة التي كانت أقوى من أن تقاوم، وأوضح من أن تكون محل مناقشة .

ولعله من نافلة القول أن نشير إلى هذه المعاني والقضايا التي استأثرت باهتمام الشاعر علما بأنه سيتم الوقوف على بعض النماذج وذلك لكثرتها الكاثرة وحسبنا منها

(1) درو إليزابيت ، الشعر كيف نفهمه ونتذوقه،ترجمة محمد إبراهيم الشوش، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بيروت، نيويورك، ص : 314

ما يثبت قيام الظاهرة أو ورود هذا المعنى أو ذلك وهذا ما نحاول عرضه في الصفحات التالية ومن هذه المعاني المستخلصة مايلي:

أ- **الصبر**: الصبر ركيزة أساسية في بناء شخصية المؤمن، ولذلك جعل الله جزاءه عظيماً جليلاً، وبشر أهله قائلاً عز شأنه: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾⁽¹⁾، كما قال أيضاً ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾⁽²⁾، وقال كذلك: ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾⁽³⁾، وقال أيضاً: ﴿إِنَّمَا يُوقَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾⁽⁴⁾، إلى غير ذلك من الآيات القرآنية التي تنوه بالصبر، إذ أن «القرآن لم يكثر من ذكر خلق من أخلاقه كما فعل في شأن الصبر، حتى قال الإمام أحمد الصبر في القرآن نحو تسعين موضعاً»⁽⁵⁾.

والصبر فضيلة تعددت مجالاتها، كما تعددت أسماؤها، وأكثر أخلاق الإيمان داخلية في الصبر، ولذلك لما سئل عليه السلام مرة عن الإيمان قال: ((هو الصبر))⁽⁶⁾.

والصبر كله مشقة وعنت للنفس، لأن فيه «حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع أو عما يقتضيان حبسهما عنه، وضد الصبر هو الجزع»⁽⁷⁾، ولذلك جاء في القرآن الكريم: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ﴾⁽⁸⁾ ولذلك قال العلماء:

«إن الصبر واجب بإجماع الأمة، ولا عجب فهو نصف الإيمان، لأن الإيمان شطران فنصفه صبر، ونصفه شكر»⁽⁹⁾. ومما لاشك فيه أن هذه المعاني السامية السالفة الذكر التي حملها القرآن الكريم، قد وظفها شاعرنا عبد القادر بن إبراهيم النائلي المسعدي

(1) سورة البقرة، من الآية: 155.

(2) سورة البقرة، من الآية: 177.

(3) سورة القصص، الآية: 54.

(4) سورة الزمر، من الآية: 10.

(5) أحمد الشرباصي، موسوعة أخلاق القرآن، دار الرائد العربي، بيروت - لبنان - ط1، 1401 هـ - 1981 م، ج1، ص: 195.

(6) المرجع نفسه، ص: 193.

(7) المرجع نفسه، ص: 191.

(8) سورة إبراهيم، من الآية: 21.

(9) أحمد الشرباصي، موسوعة أخلاق القرآن، ج1، ص: 196.

الذي تشبع بروح الدين، كما أسلفنا الذكر، وهاهو يخاطب نفسه داعيا إياها أن تتحلى بالصبر وعدم الجزع وذلك في رثائه للشيخ البشير بن الحاج:

أقول للنفس صبورا، وهي من جزع طارت عليه شعاعا من لظى الحزن
ثم يتوجه بالخطاب إلى ذويه طالبا منهم التصبر، وأن من فقده فهو حي يرزق عند ربه، فيقول:

صبرا ذوي وده فإن من فقدت عيونكم حي في رزق وفي منن⁽¹⁾
وقد مزج الشاعر هنا بين آيتين حيث استوحى الشطر الأول من البيت من قوله تعالى:
﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾⁽²⁾ ، لأن الله عز وجل يأمرنا بالتواصي بالحق وبالصبر، كما أنه استوحى معنى الشطر الثاني من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾⁽³⁾.

ويقول في قصيدة أخرى في رثاء ابن الشيخ أبي القاسم بن جابوربي وقد ربط بين الشكر والصبر وكلاهما واجب، لأن للشكر في نظر الدين «منزلة رفيعة ومكانة مجيدة حيث ورد عن ابن مسعود أن الشكر نصف الإيمان، وكذلك ورد أن الإيمان شطران هما الصبر والشكر»⁽⁴⁾ وفي ذلك يقول:

والشكر لله أعلى ** والصبر فيه سناء * ورأس مالك فرض ** والنفل ربح جلاء
ثم يحضه على الصبر والتأسي بمن رحلوا عن هذه الدنيا من الأصفياء فيقول :
اصبر تأس بقوم ** هموا هموا الأصفياء * إذ كل من زاد قربا ** زادت عليه البلاء
ثم يستطرد مرة أخرى مؤكدا على فضيلة الشكر مبينا منزلتها عند الله تعالى حيث يقول:

(1) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي النانلي، ص: 52 (المخطوطة)

(2) سورة العصر ، من الآية الثالثة

(3) سورة آل عمران، من الآية 169

(4) أحمد الشرباصي، موسوعة أخلاق القرآن، ج 1 ، ص: 113

والشكر يظهر منه***تجاهه والرداء* واعلم بأنها نعمى**حققت فحق الهناء⁽¹⁾

وهو مستوحى من قوله تعالى: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾⁽²⁾

ب - نظرات للحياة والموت: كما كان للشاعر نظرات تأمل واعتبار في الحياة والآخرة، لكون الأولى حياة زائلة بمتاعها وزخارفها، فكل شيء فيها محكوم عليه فيها بالزوال، وأما الثانية فهي باقية ولذلك فلا بد للمرء أن يفكر فيها، وأن يدخر زاداً ينفعه ويحقق له الهناء لأن «الإنسان البصير المتخلق بأخلاق الخير وخصال البر يحسب حساب الغد، فيدخر له ما يستطيعه من وسائل الصيانة وأسباب الحصانة وأن يبادر فيجعل له عند ربه رصيد من الزاد والعتاد، مما ينفعه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم»⁽³⁾، وهو ما راعاه المسعدي حيث اهتم بهذا الجانب، وهو ما يمكن استخلاصه من هذه النماذج، التي استمد معانيها من القرآن الكريم وروحه التي ملأت جوانح نفسه، وفي ذلك يقول:

للموت حقا لقاء***والناس فيه سواء***ومن تخطاه سهم***فما بقاء بقاء

فما القرار بدار***بها القرار سراء***والخير من لف زادا***له يحق الهناء

يبغي خلاصا بتوب***لمن له ما يشاء***ما للزخارف فيه***مطامح وابتغاء

ولا يبقي لبعده***شيئا فزال العناء***إن ينل رزق يوم***فللزمان العفاء⁽⁴⁾

وهي مستوحاة من قوله تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾⁽⁵⁾، ومن

قوله كذلك عز شأنه: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ، أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾⁽⁶⁾. كما أن السنة

المطهرة أيضا قد أشارت إلى ذلك، حيث قال رسول الله (ص): ﴿اعْتَمِمْ خَمْسًا قَبْلَ

خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك،

(1) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي النانلي، ص: 56 (المخطوطة)

(2) سورة آل عمران، من الآية 144.

(3) أحمد الشرباصي، موسوعة أخلاق القرآن، ج1، ص: 76

(4) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي النانلي، ص: 54 (المخطوطة)

(5) سورة المائدة، الآية 48

(6) سورة الواقعة، الآية 10-11

وحياتك قبل موتك⁽¹⁾ ، وهذه الحال تجعل صاحبها يحسن الإعداد والاستعداد، كما جاء في الأثر الإسلامي القائل: «أحرز لِدنياك كأنك تعيشُ أبداً واعملْ لآخرتك كأنك تموتُ غداً»⁽²⁾.

كما يصّر الشاعر على ادخار الزاد ليجده في الدار الباقية فيقول :

والزاد ما قدمته *** يداك فهو الفداء *** ولن تشاك بشوك *** إلا وفيه جزاء

ومن الملاحظ أن الشاعر هنا ينبه إلى غرور الدنيا وإغرائها ويعتبرها مطية إلى الآخرة يغتتم فيها ما يسعده في الدار الباقية، ففيها حياته الحقيقية، بعد رجوعه إلى ربه، حيث يقول:

والله يبيقك بدرا *** والبحر فيك إضاء* ثم الرجوع لرب *** له الثنا والبقاء⁽³⁾

وهي معاني مقتبسة من قوله تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلُعِبٌ، وَإِنَّ الدَّارَ

الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾⁽⁴⁾ ، وقوله أيضا: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ

الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾⁽⁵⁾. وكما قال كذلك عز شأنه: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي

بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾⁽⁶⁾

تلك هي بعض المعاني المستوحاة من القرآن والسنة وقد وقفنا عند بعضها للاستدلال — كما مر بنا آنفاً — على مدى تشبثه بالقرآن وتوظيفه لمعانيه .

ج — الدعاء: كان لتربية الشاعر عبد القادر بن إبراهيم المسعدي أثرها في كثرة الدعاء

في قصائد الرثاء « وليس هذا بجديد، وإنما هو من البنية الدلالية في القصيدة التقليدية

في موضوع الرثاء»⁽⁷⁾ ، وذلك ما نستشفه من قصائده الرثائية حيث يدعو لمرثيه

بالرحمة وسعة المغفرة ومن ذلك قوله في رثاء الشيخ البشير بن الحاج:

(1) أخرجه الحاكم في المستدرک ، کتاب الرقائق، برقم: 7846

(2) ابن حجر العسقلاني، المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، تح ، سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشثري وآخرين ، دار العاصمة، دار الغيث، السعودية، ط1، 1419 هـ، 1998م ، ص : 120.

(3) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي الناطلي ، ص:54 (المخطوطة)

(4) سورة العنكبوت، الآية 64.

(5) سورة غافر، الآية 39.

(6) سورة يس ، الآية 83.

(7) معمر حجيج، البعد الوطني والقومي والإسلامي في ديوان التراويح وأغاني الخيام لأحمد الطيب معاش، دراسة تحليلية فنية ، ص:202

عليه من رحمت الله أوسعها ما صاح ناع وناح الطير في فنن⁽¹⁾
 إلا أن دعاءه أحيانا يكون للأحياء كما هو الشأن بالنسبة لقصائد المدح في مقطوعة
 يمدح فيها مشيخة زاوية الهامل داعيا الله أن يطيل عمره فيقول:

ونسأل ربي أن يطيل بقاءه على خير حال حفه الفتح والنصر⁽²⁾

وكذلك بالنسبة للمترجم الذي عرضت له حاجة عنده:

عليه سلام الله ما قال منشد سلامي على شخص المكارم والفخر⁽³⁾

ويقول في قصيدة أخرى:

عش أبا القاسم الأبر دهورا * تحيي مجد الآباء دون توان⁽⁴⁾

بالإضافة إلى هذه الألفاظ الدعائية التي وظفها في المدح والثناء على حد سواء، فإن
 هناك ألفاظا أخرى من الحقل نفسه تدخل في نسيج القصيدة، ولكنها تختلف في
 مدلولاتها عن سابقتها، وهي ألفاظ وعبارات اللعنة والقسم التي يلتجئ إليها الشاعر
 « ليضفي على بعض مواقف الشعرية بعدا إسلاميا يرفض الواقع أو يثور عليه أو يجعل
 منه بديلا لانفعاله الوجداني»⁽⁵⁾، ومن ذلك قوله في معاتبة القاضي حشلاف:

عليه من لعنات الله أكبرها تترى على لحظات الدهر آلاف⁽⁶⁾

كما يدعو على أولئك الشامتين بالضلال ويحذرهم من مغبة ذلك لأن كل من عليها
 فان فقال:

يا شامتين أضل الله سعيكم من ذا نجا من مضيق الحتف والأجل⁽⁷⁾

وقوله أيضا لاعنا مفتي معسكر الذي صافحه باليسرى بدلا من اليمنى وقوله:

(1) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي النانلي، ص: 52 (المخطوطة)

(2) المصدر نفسه، ص: 37 (المخطوطة)

(3) المصدر نفسه، ص: 30

(4) المصدر نفسه، ص: 24

(5) معمر حجيج، البعد الوطني والقومي والإسلامي في ديوان التراويج وأغاني الخيام لأحمد الطيب معاش دراسة تحليلية فنية، ص: 204

(6) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي النانلي، ص: 57 (المخطوطة)

(7) المصدر نفسه، ص: 40.

عليه لعائن الدين تترا على كر الغداة مع العشي⁽¹⁾
كما أنه وظف بعض ألفاظ القسم التي لا تبرح الشعر الجاهلي وهي لفظة:

(لعمرى) وما شاكلها أو ما اشتق منها، ومن ذلك قوله:

لعمر أبيك الخير ما خاب ضارع أتى المصطفى يرجوه في هيج أهوال⁽²⁾
ولعل قوله (طود العلى) من صيغ القسم حيث قال مخاطبا زوجته:

هذا وطود العلى البشير أقصده ريب المنون وأصمته يد المحن⁽³⁾

كما وظف لفظة (رب العرش) في الدعاء وذلك في رده على من عاتبه من أصدقائه:

كلا ورب العرش إني معذر والوجد مذ جد الفراق تواني⁽⁴⁾

ومن خلال ما تقدم يمكن القول بأن الشاعر قد استثمر عدة مناسبات، وألبس بعضها لبوسا دينيا وصاغه على شكل موضوع شعري، فهو مرة يتأمل مشاكل عصره وأحيانا المناسبات الدينية وسواها مقتصرًا على حقائق وأخبار متداولة، وأحيانا يقف وقفة متأمل ممعن النظر فيما حوله، دفعه إلى ذلك إيمانه وتقواه وورعه، ويتجلى ذلك بصفة خاصة في الرثاء لكونه أبرز أبواب الشعر العربي باستبطانه المعاني الدينية تبعا لطبيعة الموضوع وما يثيره الموت من تساؤلات، ونقطة انطلاقه في الغالب فكرة، وقد طغت على القصيدة التي رثى بها بن جابوربي تحديدا نزعة الإغراق في ازدياء الدنيا والدعوة إلى القناعة، وكان مدارها أن الدنيا لا تستأهل شيئا من العناية والاجتهاد في سبيلها فهي مجمع أباطيل خداعة زائلة، حافلة بالمكر، والخداع والألم والخيبة، والتقلب وقد تتفصح أحيانا لشيء من المسرة والمتعة، إلا أنها لا تعتم أن تهوي بذلك إلى القبر حيث يبلي، متسائلا عن تهافت الناس على ملذاتها، يلهون عن هذه الحقائق القاسية ويخوضون غمار العيش والمنكرات، ويسرفون في طلب المال وفي البخل، كأن القبر ليس خاتمة الحياة في نظرهم، وكأن ليس وراء القبر من حياة، فليرجع الناس إلى نفوسهم وليبيدوا منها الأوهام والمطامع وليسلكوا سبل الخير كما جلى معالمها الدين

(1) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي النائلي، ص: 96.

(2) المصدر نفسه، ص: 17 (المخطوطة)

(3) المصدر نفسه، ص: 48

(4) المصدر نفسه، ص: 85

مزدرين الحياة بما فيها من متعة ومال قانعين بما قسم لهم من خير، مكتفين منه بالضروري اليسير، متزكين بما زاد ليشتروا أجورا للأخرة جديرة بالاعتبار وخير ما يتزود به المرء في سبيلها الزهد والتقوى.

ولعل مرثياته خير دليل على تجليات ثقافته الدينية بشكل كبير في معرض موقفه من الموت هذا المصير المحتوم الذي يعلله تعليلا دينيا فيذهب إلى أن بين الحياة الأولى والحياة الأبدية – الموت – الذي هو عبارة عن جسر «ينقل المرء بواسطته من حياة زائلة إلى حياة دائمة، ويرى الشاعر أن الإنسان وديعة ولا بد أن ترد الودائع إلى صاحبها»⁽¹⁾ غير أن المتأمل في هذه المرثيات لا يجد جديدا بل سبقه إلى ذلك كثير من الشعراء، ولو أننا «أبنا القهقري إلى تاريخ الأدب العربي القديم، لألفيناه متسما بالظاهرة الدينية منذ مهده، نجد ذلك عند بعض الجاهليين أمثال زهير في أشعاره وقس بن ساعده في خطبه. كما أن طرفة لم يعد شعره مسحة دينية ولا سيما معلقته التي كثيرا ما أثارت قضية الموت، وهذه القضية ليست وقفا على الفلسفة وحدها، بل أن القرآن الكريم كثيرا ما دعا إلى الاعتبار بمصيبة الموت، كما أننا نجد حسّان بن ثابت يصور كثيرا من المواقف التي حدثت على عهد الرسول وهذه المواقف في جملتها ذات صبغة دينية، حتى إذا تقدمنا قليلا وجدنا كثيرا من الشعراء ينافحون عن مذاهبهم الدينية. كما نجد ذلك عند الخوارج والشيعة»⁽²⁾

ثانيا: البعد الفكري

مما لا شك فيه أن الثقافة الوطنية قد طبعت بطابع عربي إسلامي، إذ يعد عنصرا أساسيا وجوهريا من عناصر الشخصية الوطنية، ووفقا لهذه القناعة والإيمان العميق بها كان التراث الإسلامي منبعا ثرا يغترف منه، وذلك ما كان ينزع إليه رجال الإصلاح حيث يسعون إلى أن تكون « النهضة الأدبية في الجزائر مبنية على أسس التراث العربي القديم، ويعتبرون هذا التراث رافدا قويا يرفد اللغة العربية المضطهدة

(1) الوناس شعباني، تطور الشعر الجزائري، ص: 42.

(2) عبد الملك مرتاض، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، ص: 12.

في الجزائر»⁽¹⁾ ، ولعلنا لا نستطيع أن ندرك تمام الإدراك أسباب هذا التشبث القوي بالتراث إلا إذا أدركنا ما كان «يتعرض له هذا التراث من محاولات المسخ والتشويه من طرف المستعمر الفرنسي ومن تخرج في مدارس»⁽²⁾ لأن هذه المدارس ما هي إلا بمثابة «ثورة ثقافية في الجزائر، ولم تكن إلا نذيرا أو بشيرا، يقرب نهاية وجود الاستعمار ونظامه القذر»⁽³⁾ ذلك النظام القذر – على حد تعبير الدكتور عبد الملك مرتاض – الذي لم يلق بظلاله على ميدان واحد فحسب بل شمل الميادين كلها وبالأخص ميدان الثقافة فضلا عن ميدان المعركة الذي هو أس البلاء ولعل الأول أمضى سلاحا وأشد تقويضا للحياة الإسلامية والعقل الإسلامي كيف لا وميدان «الثقافة قد بقيت معاركه فيه متتابعة جيلا بعد جيل، بل عاما بعد عام، بل يوما بعد يوم، وكانت هذه المعركة أخطر المعركتين وأبعدهما أثرا...»⁽⁴⁾ ، ومعركة الثقافة لا يمكن اختزالها في ميدان واحد فحسب بل إن ميادينها لا تعد ولا تحصى إذ «تشمل المجتمع كله في حياته وتربيته وفي معاشه، وفي تفكيره، وفي عقائده وفي آدابه، وفي فنونه، وفي سياسته، بل كل ما تصيح به الحياة حياة إنسانية، كما عرف الإنسان منذ كان على الأرض»⁽⁵⁾ ، لأن تلك المذكورات التي صنفها "مالك بن نبي" ما هي إلا مقومات تنهض بها حياة الشعوب الحرة بخلاف الشعوب التي تعاني من اضطهاد الاستعمار الذي يسعى جاهدا للقضاء عليها، حتى يسهل له انقيادها كلما طال أمد احتلاله لها، كما هو الشأن بالنسبة للجزائر التي كان يود أن يجعل شعبها معدودا في المتلاشيات«فلولا بقية من ذكاء هذا الشعب وقبس من نور الإسلام وطرف من تاريخه الأصيل»⁽⁶⁾

وهي بلا شك حقائق معلومات محددة تضم تفاصيل هامة عن تاريخ الجزائر لا مجرد تعميمات غامضة وذلك ما ندركه من خلال استقراء «واقع الجزائر، عشية قيام أول نوفمبر 1954 يكشف حقيقة أساسية تساعد على فهم الثورة الجزائرية وهي أن

(1) محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث ، ص: 45.

(2) المصدر نفسه ، ص: 63.

(3) عبد الملك مرتاض، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر ، ص: 32.

(4) مالك بن نبي، مشكلات الحضارة، الظاهرة القرآنية، ترجمة عبد الصبور شاهين، تقديم محمد عبد الله دراز، ومحمود محمد شاکر، دار

الفكر ، دمشق - سوريا - ط4، 1987م، إعادة 1420هـ - 2000م ، ص: 20.

(5) المرجع نفسه ، ص: 19.

(6) عبد الملك مرتاض، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر ، ص: 33.

الكفاح من أجل الاستقلال في بلد مثل الجزائر مطبوع بالطابع العربي الإسلامي، لغة ودينا وثقافة لا يمكن إلا أن يقوم على أساس تأكيد العناصر الحضارية التي تبلورت حولها كل أشكال المقاومة الجزائرية منذ 1830-1954، وهذا يقود إلى التسليم بأن حركة التحرر الوطني الجزائري لا يمكن تصورهما منفصلة عن النهضة الثقافية العربية وعن بعث القيم الإسلامية وتجديدها»⁽¹⁾

ولعلنا نستشف من مقولة مبارك بن محمد الميلّي التأكيد على مدى التلاحم بين البعدين الوطني الجزائري والبعث العربي الإسلامي واستحالة الفصل بينهما، كما نستشف أيضا مدى الانفتاح والتفاعل «مع نظريات التجديد الإسلامي التي نادى بها جمال الدين الأفغاني والإمام محمد عبده وفكرة الوحدة العربية التي حمل لواءها الأمير شكيب أرسلان والأفكار الاشتراكية التي عبر عنها الإصلاحيون والمتفقون»⁽²⁾

ومن الطبيعي أن تتطافر هذه التيارات الفكرية وتتلاحم مع الكفاح، وتكون معه جنبا إلى جنب، ولم يكن ذلك مفاجئا بل نتيجة حتمية لتراكم خيبات مشحونة بالمرارة قوامها سعي إلى الوصول إلى حل سلمي ونضال فكري غير أنهما لم يجديا نفعا — على الرغم من أن تلاحمهما لم يكن مفاجئا كما ذكرنا آنفا— وما يهمننا هو الأخير الذي لم يكن تحرير البلاد «ممكنا بواسطته وحده، بسبب العقبات التي كانت تقف في وجه المفكرين والمصلحين وأبرز تلك العقبات فقدان حرية التعبير وتقصير الإمكانيات عن مكافحة الأمية المتفشية مكافحة مستمرة، ثم إن الغزو الثقافي الأجنبي كان يطغى غالب الأحيان على محاولات التنقيف والتنوير الوطنية والمحلية لأسباب سياسية ومادية، لكون المحتل هو الحاكم ومالك زمام الأمور»⁽³⁾ وفي نفس السياق يقول مالك بن نبي مبينا الهدف المنشود الذي يسعى العدو إلى تحقيقه لا على مستوى الجزائر فحسب بل على مستوى امتداد العالم العربي ككل فيقول: «لم يكن غرض العدو أن يقارع ثقافة

(1) نور سلمان، الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، ص 246 نقلا: عن الثقافة، عدد 23 رمضان شوال 1394 هـ أكتوبر نوفمبر

1974م محمد الميلّي، المتفقون الفرنسيون والثورة الجزائرية، ص: 12-13.

(2) نور سلمان، الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، ص: 247

(3) المرجع نفسه، ص: 249

بتقافة أو أن ينازل ضللا بهدى، أو أن يصارع باطلا بحق، أو أن يمحو أسباب ضعف بأسباب قوة، بل كان غرضه الأول والأخير أن يترك في ميدان الثقافة في العالم الإسلامي، جرحى وصرعى لا تقوم لهم قائمة، وينصب في أرجائه عقولا لا تدرك إلا ما يريد لها هو أن تعرف، فكانت جرائمه في تحطيم أعظم ثقافة إنسانية عرفت إلى هذا اليوم، كجرائمه في تحطيم الدول وإعجازها مثلا بمثل، وقد كان ما أراد الله أن يكون وظفر العدو فينا بما كان يبغى ويريد»⁽¹⁾

حقا إن الاستعمار قد استطاع أن يحقق مبتغاه بعد أن استقر به المقام بعض الاستقرار أو كله في بعض بلدان العالم العربي والإسلامي، ولكنه قد فشل في تحقيق ذلك في بعض الآخر ومنها الجزائر، لأن شعبها كان أصلب الناس عودا، وأشدهم عنادا وأكثرهم تمسكا بشخصيتهم التاريخية العريقة، وثقافتهم التي بقيت راسخة، صامدة أمام — حتى لا أتهم بالتعصب والانحياز للثقافة العربية في الجزائر تحديدا — ثقافة العدو لم تتمكن تمكنا عميقا إلا من نسبة قليلة من الجزائريين الذين أتيح لهم أن يدرسوا في المدارس الفرنسية على نحو واسع، أما عامة الشعب الجزائري فقد ظلوا جاهلين «بالأدب الفرنسي، والتاريخ الفرنسي والفكر الفرنسي في عمقه وأصالته»⁽²⁾ لكون المثقفين بالعربية نهضوا لصراع الاستعمار وكأنه «صراع طبيعي لتأصل جذوره في أنفسهم مع ما كان يجشمهم ذلك الصراع من عذاب ونكال»⁽³⁾، وكان هذا الصراع على أشده بين قوة غاشمة طاغية وشعب مقهور يحاول بكل قواه المحافظة على قيمه. وما شاعرنا عبد القادر المسعدي إلا أحد أفراد هذه الأمة الذين تجشموا في ذلك من متاعب ومصاعب كثيرة.⁽⁴⁾ أما إذا ما استقرأنا مدى تغلغل هذا البعد في شعره فهو قليل لعدة أسباب وقد تمت الإشارة إليها في غير هذا الموضوع، وإليك نماذج منها:

1- ختم نجل مصطفى لملحة الحريري حيث يقول مهنتا:

(1) مالك بن نبي، مشكلات الحضارة، الظاهرة القرآنية ترجمة عبد الصبور شاهين، تقديم محمد عبد الله دراز ومحمود محمد شاكر

ص: 21

(2) عبد الملك مرتاض، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، ص: 29

(3) المرجع نفسه، ص: 34

(4) تنظر حياة الشاعر، ص: 112 - 122 من الفصل الأول

لدى المسجد المعمور حُمَ لقاؤنا فكان لنا عيدا عظيما بإجلال
به ختم الخليل شرحا لملحة وناهيك بالخليل من خير أنجال

ثم يشير إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي شيخ شيوخ العلم فيقول:

وكنا نرى أن الخليل إمامنا وشيخ شيوخ العلم في العصر الخالي
فقد بعث الرحمن من فيض فضله خليلا به تحيا العلوم بأعمال⁽¹⁾

2- وقوع مشاحنة بين طلبة بسكرة في مسألة نحويه في عبارة الأشموني شارح الألفية
فرد الشاعر على ذلك قائلا :

ما كنت أعهد بسكره من قبل نشر ذا السوأل
إلا رياضاً يانعا ت بالعلوم وبالرجال
هذا وفي المجد النبأ عنها بأوصاف الكمال⁽²⁾

ومما يدل أيضا على اهتمامه برجال الفكر والأدب والإشادة بأعمالهم التي خلدت
ذكراهم ، التنويه بحاتم الطائي الذي اشتهر بالكرم وضرب فيه باعا طويلا مما أكسبه
صيتا واسعا على مدى العصور فضلا عن كونه شاعرا، وعلى الرغم من كرمه وجوده
فإنه قد رحل عن هذه الدنيا ولم يشفع له جوده وفي ذلك يقول:

وحاتم⁽³⁾ ذو المعالي *** أحنى عليه الفناء * وخير من قام يسعى *** قد حق فيه العزاء⁽⁴⁾

كما نجده في قصيدة أخرى والتي هنا بها صالح بن عاشور بمناسبة تقليده وسام
الاحترام مشيدا بعلمه وأنه حامل لواء حسان شاعر الرسول (ص) وسحبان الخطيب
المصقع حيث يقول:

(1) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي النائلي ، ص: 20 (المخطوطة)

(2) المصدر نفسه، ص: 90-91.

(3) حاتم الطائي (ت 605) شاعر جاهلي اشتهر بشجاعته وسخائه وكرمه حتى ضرب به المثل (أجود من حاتم)، له ديوان طبعه في لندن لأول
مرة (رزق لله حسون) سنة 1872 وطبع فيما بعد مع ترجمته الألمانية سنة 1897

(4) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي النائلي ، ص: 56 (المخطوطة)

ويا حاملا لواء كل بلاغة

وحسانها⁽¹⁾ سحبانها⁽²⁾ المتأيد⁽³⁾

ومن خلال ما تقدم يتضح لنا أن بين الأدب والفكر علاقة وطيدة خاصة إذا علمنا أن الموضوعات الأدبية يجسدها الفكر، ويقوم عليها كونا من المعاني والأفكار، الشيء الذي يعطي الموضوع الأدبي فكرا ثقافيا وموضوعا فنيا يمشي في دروبها العمل الأدبي أو العمل الفني نحو المتلقي الذي يستفيد منه فكريا وثقافيا وأدبيا، وذلك ما نبتغيه ونرجوه من عملنا هذا المتواضع - بإذن الله - من خلال هذه المجموعة الشعرية والتي تدل على الرغم من ندرة هذا الجانب - كما لاحظنا - إلا أن شاعرنا لم يهمله .

ثالثا: البعد الاجتماعي

قبل التطرق إلى مناقشة هذا البعد ومدى تناول الشاعر له من خلال أشعاره يجدر بنا بادئ ذي أن نعرف بماهية المجتمع أهدافه المشتركة بين أفراده؟ وما هي أبعاده؟ وللإجابة عن هذه الأسئلة يمكن القول بأن مفهوم المجتمع كمصطلح، قد تناوله علماء الاجتماع ، ومن ثم تعددت تعاريفه، ومنها تعريف البروفيسور "هو بهوس" بقوله: « بأنه مجموعة من الأفراد تقطن على بقعة جغرافية محددة من الناحية السياسية ومعترف بها ولها مجموعة من العادات والتقاليد والمقاييس والقيم والأحكام الاجتماعية والأهداف المشتركة التي أساسها الدين واللغة والتاريخ والعنصر. وهناك من عرفه بأنه جميع العلاقات بين الأفراد وهم في حالة تفاعل مع منظمات وجمعيات لها أحكام وأسس معينة كما عرف المجتمع تعريفا آخر ربما يعد مغايرا لما سبقه إذ « يتمثل في مجموعة من الأفراد تكون في حالة اتصال دائم ولها أهداف ومصالح مشتركة متبادلة وبالالاتصال الدائم ويعني جميع التفاعلات والروابط التي تجمع بين الأفراد مهما تكن هذه الروابط مباشرة أم غير مباشرة شعورية أو لا شعورية تعاونية أو عدائية»⁽⁴⁾

(1) حسان بن ثابت (ت 4 هـ 647م) هو أبو الوليد حسان بن ثابت من قبيلة الخزرج، شاعر الرسول (ص) وأشهر الشعراء المخضرمين، ينحدر من بني النجار من أهل المدينة مات في خلافة معاوية نقلا عن المنتخبات، بتصرف، ص: 232

(2) سحبان هو سحبان بن زفر بن أياد الوائلي، الخطيب المصقع المضروب به المثل في البلاغة والبيان، ولما ظهر الإسلام أسلم وتقلبت به الأحوال حتى التحق بمعاوية، وكان يعده للملمات ويتوكأ عليه عند المفارخ، نقلا عن: جواهر الأدب لأحمد الهاشمي جواهر الأدب، تحقيق لجنة من الجامعيين، منشورات مؤسسة المعارف، بيروت - لبنان - (دت)، ج 2، ص 120

(2) أشعار عبد القادرين ابراهيم المسعدي التالي، ص: 99 (المخطوطة)

(1) ديبكن ميتشيل ترجمة ومراجعة د إحسان عيد المحسن، معجم علم الاجتماع، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1986م، ص: 226

ولعل هذا التعريف الأخير هو الأنسب والمفضي إلى مدى تحقيق هذه الأهداف ومن الجدير بالذكر أن إرهاباته الأولى – أي المجتمع – بدأت في الظهور من خلال الشعراء الصعاليك دون غيرهم من الشعراء الذين لانلمح في أشعارهم أثرا لهذا اللون الاجتماعي لكونه – أي الشعر – يدور في فلك الخلفاء والأمراء والوزراء في هيئة مدائح ومرات، لأن الشعراء ربما أدركوا بعدم الجدوى في التحدث عن أدواء الناس في هذه الحقبة الزمنية بالذات، ثم أخذ بالظهور بصورة واضحة في العصر الإسلامي وما تلاه من عصور متعاقبة متمثلا في خواطر تفتقر إلى العمق والتحليل والعمومية إذ يعطي صورة منعزلة عن حيوات بعض الفئات المحدودة .

أما في العصر الحديث فإن هذا التيار الاجتماعي قد بدأ في الازدهار والتوسع، منذ بداية النهضة ، حيث كانت مشاكله، وقضاياه كثيرة، ومتعددة، فإلى جانب المشكلات السياسية التي تمثلت في محاربة الاستعمار والاستبداد، كانت هناك مشكلات اجتماعية خطيرة تعاني منها البلاد، وكانت هذه المشكلات الاجتماعية متداخلة ومتشابكة مع المشكلات السياسية، إلى حد كبير فكان الشعب جاهلا فقيرا موبوءا بالأمراض الفتاكة. والشعوب المصابة بهذه الأمراض تعتبر متخلفة، وبالتالي فلا تقدر على المقاومة والنضال لأخذ حقوقها، ولهذا عني الشعر بالناحية الاجتماعية عناية كبيرة، وركز على محاربة تلك الأدواء ومقوماتها للخلاص منها ،لكي يبعث في الشعب روح المقاومة والكفاح ،ولعل أهم مظاهر التخلف التي سادت المجتمع في ذلك الوقت الجهل، وهو من الأمراض الخطير في المجتمعات البشرية، لذا فقد كان من أهم واجبات الشعر بيان الحاجة إلى التعليم، والدعوة إلى تطوير الحياة الثقافية، وتوجيه النشء إلى اكتساب العلم، والعناية به إذ أن العلم هو الوسيلة الناجحة في صحوة الأمم ونهوضها، وقد اتخذ الشعر الاجتماعي اتجاهين

أحدهما مباشر: هدفه إصلاحي تربوي لمعالجة بعض القضايا ذات الصبغة الاجتماعية: كالعدالة الاجتماعية ،ونشر التعليم ،ومشاكل العمل ، ومحاربة الانحلال الخلقي، والحث على الإصلاح ..الخ

وثانيهما غير مباشر: ولعل هذا الأخير من أنجع السبل لمعالجة مثل هذه الأدواء التي تفتت في المجتمع الجزائري ولاسيما إبان الاحتلال الفرنسي.

وتعد التجربة الشعرية الاجتماعية من أهم التجارب في حياة الشعراء، لأن الشاعر وإن بالغ في التوقع على نفسه، أو حلق بخياله إلى عالم آخر، فإنه مهما تكلف هذا أو ذاك فإنه لا بد من وجود رابط يربطه بمجتمعه لكون الأديب يبقى: «عنصرا حساسا نابضا في المجتمع لا بد أن ينفعل إبداعه أمام المظاهر السلبية منها والإيجابية على السواء معبرا عن رأيه و موقفه تجاهها، وهو موقف الإنسان المرتبط لا الإنسان المنعزل عما يجري حوله فهو شاهد عيان في مجتمعه... وهو مرآة شعبه فهو ليس أصغر منه وأفتى ولا أكبر وأسن»⁽¹⁾

وهو ملازم له في كل مرحلة، ولعلنا بذلك - في اعتقادي - نكون قد أجبنا عن السؤال المطروح في صدر هذا البعد، ومن خلاله يمكن تبيان مدى تجاوب الشاعر مع أحداث مجتمعه وما أبعاد ذلك؟ وهل كان ابن عصره؟ وابن معاناته؟ وابن الواقع الواقعي الذي عاشه؟

والحقيقة التي لا ينبغي أن تغيب عن الأذهان، والتي يجب أن ننظر على ضوءها لشعر المسعدي - كما سبق وأن أشرنا إلى ذلك آنفا - أنه كان دائما وأبدا إلى جانب مجتمعه - إن لم نقل محيطه - يواسيه في كل ملمة تلم به، أو رزء يصاب به، أو منا سبة ما تقام هنا وهناك، لأن الشاعر نموذج للإنسان المرهف الرقيق، فهو يتألم لأبسط القضايا ويعبر عنها بعفوية وبساطة تضاهي بساطته وعفويته مما يجعل شعره بعيدا عن العمق ملامسا للتكلف أحيانا وذلك ما تم استخلاصه من شعره - على الرغم من كونه مجرد مجموعة من الأشعار قد لا تشكل ثلث ديوانه المفقود الموسوم بـ«أوراق جزائرية»⁽²⁾ وهو بلا منازع ذو صبغة محلية في معظمه يدور حول حياة الجنوب ويصورها تصويرا واقعيًا صادقًا، الرغم من أن هذه الأشعار تدور في معظمها في فلك الباشوات والآغات، وبعض الشخصيات الفاعلة في المجتمع، والبارزة في ذات الوقت

(1) نور سلمان، الأدب الجزائري في رحاب الرضى والتحرير، ص: 252 - 253

(2) عادل نويهيض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ص: 298

فإنها لا تخلو من نفحات اجتماعية صادقة تلوح من بين تضاعيف القصائد وثنايا المقطوعات أفصح فيها عن آراء موجزة ذات طابع اجتماعي صرف، إذ فما من قصيدة إلا وفيها تلميح إلى مسألة تمت بصلة إلى واقع مجتمعه ومعاناته، ولاسيما في تلك الفترة التي كانت بلادنا ترزح تحت وطأة الاستعمار⁽¹⁾ ويعاني المجتمع فيها من هداة الفقر والحرمان⁽²⁾. وقبل التطرق إلى القضايا الاجتماعية التي عالجها الشاعر من خلال شعره، يجب أن نشير إلى وقفته من الناس والتي كانت ذات مواقف مختلفة فتارة يضج ويصخب ويشك، وتارة أخرى يفتح قلبه ويمد يده مصافحا معلنا ولاءه للعواطف الرقيقة والمشاعر الصادقة وذلك ما نقف عنده في معرض حديثنا عن هذه القضايا التي عالجها والمتمثلة في: (1) طلب العلم – (2) الاقتداء بالعالم الأوروبي – (3) البؤس الاجتماعي – (4) اليتيم والأيتام – انتقاده (5) لبعض الخلال الذميمة .

أ- العلم: لقد أمر الله تعالى بالعلم في أولى آيات التنزيل الحكيم، وذلك في قوله: ﴿ إقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم ﴾⁽³⁾، ولو تأملنا هذه الآيات وغيرها من الآيات التي تتناول العلم وفضله، وكذلك ما ورد في السنة المطهرة من أحاديث شريفة تحض على طلبه والتزود من مناهله، لأدركنا مدى حرص الشريعة على العلم والتعليم، وقد مارس الرسول ذلك بنفسه وحث عليه، وأوصى بطلابه خيرا وفي ذلك يقول: { إنهم – أي طلاب العلم – سيأتونكم من أقطار الأرض يتفقهون في الدين، فإذا جاؤكم فاستوصوا بهم خيرا }⁽⁴⁾. وكما حض على طلب العلم حض أيضا على تبليغه، وأوصى بالعالم والمتعلم، وفي ذلك يقول صلى الله عليه وسلم: { العالم والمتعلم شريكان في الخير }⁽⁵⁾ ولعل أبلغ من هذا كله أن الرسول (ص) حذر العلماء من أن « يتساهلوا في أداء واجبهم وتعليم الجاهلين وأنذرهم بالعقاب، وحذر الجاهلين من البقاء على جهله، وحثهم

(1) ينظر: الحياة السياسية، ص: 80-88، من الفصل الأول

(2) ينظر: الحياة الاجتماعية، ص: 88-99، من الفصل الأول

(3) سورة العلق، من الآية 15

(4) أخرجه الترمذي وابن ماجه

(5) الجامع الصغير، ص: 67، وهو حسن

على طلب العلم، وعلى تحطيم ربقة الجهل وعدم المعرفة، وحضهم على قرع أبواب العلماء»⁽¹⁾.

وإيماننا بما نص عليه القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة أدرك المصلحون في الجزائر أن نجاح رسالتهم الإصلاحية مرتبط ببعث نهضة علمية جديدة تقوم على الفهم السليم لمبادئ الإسلام ومحاربة الجهل، وتعليم الناشئة ولا سيما وأن الكثير منهم كانوا يمارسون رسالة التعليم، تلك الرسالة النبيلة، التي لعبت دورا فعالا في بعث النهضة الجزائرية، وإذكاء الروح الوطنية في نفوس التلاميذ، واطلاعهم على حقيقة وطنهم المسلوب، وإدراكهم لما للعلم من فضائل ومواقع من العظم والذي لولاه «لمابان الإنسان من سائر الحيوان إلا بتخطيط صورته، وهياً جسمه وبنيته ولا وجد إلى اكتساب الفضل طريقا، ولا وجد بشئ من المحاسن خليقا...»⁽²⁾، ولذلك كان العلم رمزا للسيادة، والقوة، وأساسا للحياة الكريمة المتطورة، وسر تقدم الأمم، والتي لا يمكن أن ترقى إلا إذا أخذت بتلابيبه، ولذلك فإن قصائد الشعراء لا تكاد تخلو من التفاتة إلى طلب العلم ومن بينهم شاعرنا، وإن كان لم يحظ هذا اللون الاجتماعي بقصائد مستقلة وإنما كانت عبارة عن شذرات مبعثرة في تضاعيف بعض مقطوعاته، وإليك مثلا على ذلك مستمد من قصيدته التي اعتذر فيها للقبطان المترجم وهو أحد تلاميذه كما يذكر حيث قال له:

فأعذر حسين أخاك في تقاعسه واكرع هديت معين العلم والأدب
 واجمع إلى العلم حلما كي يعاد له كما جمعت معاني العجم والعرب⁽³⁾
 ولعل الشاعر يومئ من خلال هاتين البيتين إلى ضرورة الاعتراف من معين العلم وفي ذلك إحياء بعدم السير في درب الخمول – إذا جاز التعبير – الذي امتطاه معلمه، غير أن ذلك من باب التواضع لأن حياته مشهود لها بالنشاط الدؤوب، وبالعمل الجاد كما مر بنا في غير هذا الموضع، كما أنه قرن العلم بالخلال الكريمة، وكأنه في ذلك إشارة إلى بيت حافظ إبراهيم حيث قال:

(1) محمد عجاج الخطيب، لمحات في المكتبة والبحث والمصادر، ص: 14
 (2) عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه أبو فهر محمود محمد، ص: 4
 (3) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي النائلي، ص: 32 (المخطوطة)

لا تحسبن العلم ينفع وحده ما لم يتوج ربه بخلاق⁽¹⁾
وتلك — بلا منازع — دعوة صريحة إلى التحلي بأحد الفضائل والأخلاق العالية ألا
وهو الحلم ، وهو خلق من أخلاق القرآن الكريم، وقد ذكر الكتاب الإلهي المجيد مادة
الحلم نحو عشرين مرة، ومن دلائل المكانة السامية للحلم في نظر القرآن الكريم، أنه
ذكر اتصاف الله جل جلاله بصفة الحلم في جملة من الآيات: إذ قال عز شأنه في
سورة البقرة: ﴿ لا يُوَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ
وَاللَّهُ عَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾⁽²⁾ ، ومن ذلك قوله في سورة الحج: ﴿ لِيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ
وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾⁽³⁾

ومن الملاحظ أنه في هذه الآية الأخيرة اقترن العلم بالحلم، وجاءت بأسلوب
خبري إنكاري وفي ذلك إشارة إلى أن كمال الحلم مرتبط بالعلم وذلك مادعا إليه
الشاعر وتضمنه شعره السالف الذكر.

ب — الاقتداء بالعالم الغربي: وقد تطرق إلى ذلك من خلال القصيدة التشطيرية
حيث يعاتب أولئك الذين تسببوا في عزل السلطان عبد الحميد ووضعهم أمام حقيقة
مائلة لا يمكن نكرانها والتي وصل إليها الإنسان الأوروبي من تمدن حضاري ساد به
الأرض وعمد إلى غزو الفضاء ولعل الشاعر — أو الشعارين — آمن بتطور الغرب
وقدرته فأراد أن يزرع تجربة الغرب في مجتمعنا ليربط الماضي المشرق وينعش
الحاضر الكئيب لاجتثاث شأفة التواكل والرياء فقال:

(فهلا اقتديتم بالأروبا التي ارتقت) فأضحى لها في الخافقين فديد

كما أنه يعظم مصليحه ويرفع من درجاتهم ويعلو بهمهم فقال:

تعالت فأعلت كل ذي همة علت (فتعظيمها لمصليحيها أكيد)⁽⁴⁾

ج — البؤس الاجتماعي: سبق وأن تناولنا الحالة الاجتماعية التي كان يعيش فيها
المجتمع الجزائري، ونخص بالذكر الجانب الاقتصادي المتدهور عند الجزائريين، الذي

(1) ديوان حافظ إبراهيم، ضبطه وصححه وشرحه ورتبه أحمد أمين وآخرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، 1987، ص: 280

(2) سورة البقرة، الآية 225

(3) سورة الحج، الآية 59

(4) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي الناطلي، ص: 62 (المخطوطة)

يرجع سببه إلى انخفاض الأجور، وارتفاع الضرائب، وسوء توزيع الأراضي الزراعية، والبطالة المتفشية، وضحايا الحرب من أراذل، وأيتام، فكان لهذا الوضع البائس انعكاساته الوخيمة على المجتمع، ومن نتائجه الفقر والجوع، والأوبئة، التي راح ضحيتها آلاف البشر، خاصة مع بداية الخمسينيات، وكان المستعمر يرى هذه الأوضاع السيئة دون أن يبالي بها كعادته، و قد استرعت هذه المشاهد انتباه شاعرنا وأثارت اهتمامه تلك الفئات المعوزة كيف لا وهو أحد أفراد هذه الشريحة كما مر بنا، وسنضع بين يدي القارئ بعض النماذج التي اجتزأنا منها هذه الأبيات من عدة قصائد ومقطوعات، ولعل أولها ما قاله في تهنئة نجل "مصطفى القاسمي" في ختمه لملحة الحريري حيث يوجه الدعوة إليهم للبدل والعطاء لإنقاذ ذوي الحاجات من حالات البؤس والشقاء التي يقاسونها ومن الملاحظ أنه يكرر هذه الدعوة بين الحين والآخر وهاهو يقول مخاطبا ولده محمد الذي كان في صحبته :

هموا حرم اللاجئ عز نصيره وإكسيريذي فقر لنصر وإفضال (1)

د - الدعوة إلى الالتفات إلى الأيتام والأراذل: كما استرعى انتباه الشاعر هذه الشريحة التي أخذت تتقلب في جحيم القلق والحزن والتفجع نتيجة فقدانها لأحد أفرادها فتفاعل معها وشاركها في معاناتها وشاطرها آلامها ، وربما كان هذا الإحساس المتدفق مرتبط بنشأته كذلك، لأن حياته عبارة عن شريط مأساوي فيه اليتيم والفقر والبؤس والحرمان وقد ذكر ذلك في أشعاره (2)، ومنها هذه الأشعار، التي جاءت عرضا في قصيدة نظمها معزيا ومهنئا، بها مشيخة زاوية الهامل حيث قال:

وتهنأ به أيتامها وأراذل وطالب علم (عضه) (3) الأزل والفقر (4)

ويلح على ذلك في المقطوعة الأخيرة، المتمثلة في الخاتمة، التي هنا بها الباشاغا "يحي بن السعيد" لما أبل من مرضه، واسترجع عافيته، وكأنه يريد بذلك أن يرفع أمام أعينهم الشعارات التي تطلبها الأمة في خليفته حيث قال:

(1) أشعار عبد القادرين ابراهيم المسعدي النائلي، ص: 16 (المخطوطة)

(2) تنظر حياة الشاعر ص: 112 - 122، من الفصل الأول

(3) في الأصل (عظه)

(4) أشعار عبد القادرين ابراهيم المسعدي النائلي، ص: 38 (المخطوطة)

وتهنى أرامل واليتامى وتهنى العواد و الزوار
ويهنى الفقير والبائس المهضوم والمجتدي الندى والمجار⁽¹⁾
ونلاحظ من خلال هاتين البيتين أنه لم يستثن أحداً، وهي التفاتة طيبة من
الشاعر تؤكد على مدى التزامه بقضايا مجتمعه، وهي لا تختلف عن أبيات القصيدة
الثانية في تصنيف أفراد هذه الشريحة الاجتماعية البائسة، ولم يكن ذلك بجديد فيها هو
كثير عزه يكاد يذكر نفس هؤلاء فقال:

فكم من يتامى بوس قد جبرتها وألبستها من بعد عري ثيابها
وأرملة هلكت ضعاف وصلتها وأسرى عناة قد فككت رقابها⁽²⁾

عن اليتامى والإحسان إليهم، وقد ورد ذلك في سورة النساء حيث قال جل شأنه:
﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ...﴾⁽³⁾

كما أوصى الرسول (ص) برعاية اليتيم، حيث قال: ((أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا)).
بالإضافة إلى رعاية الأرملة، وهي التي فقدت زوجها بحيث تكون بحاجة إلى من
يسلّيها عن الفجعة، ويكف يدها عن السؤال، ويصون ماء وجهها، وفي ذلك يقول النبي
(ص): ((الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو كالذي يصوم النهار
ويقوم الليل))⁽⁴⁾.

هـ - انتقاده لبعض الصفات السلبية : إلى جانب الصفات الحسنة التي تحمد للمؤمن
لم يغفل الشاعر عن ذكر بعض الصفات السلبية منفرًا ممن اتسموا بها ومبينا أنواعها
ولم تكن أبياتا مدرجة في قصائد مع موضوعات أخرى، كما عودنا، بل أنها وردت في
قصيدتين مستقلتين أحدهما خص بها القاضي حشلاف، والأخرى مفتي معسكر حيث
سدد سهامه إلى أخلاق الرجلين وقد جاءتا في قالب هجائي على الرغم من أن شاعرنا
لم يكن من المطبوعين على الهجاء وإن كان قد كشف النقاب عن العيوب وتناولها بالنقد

(1) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي الناطلي، ص: 100

(2) ديوان كثير عزة، تح الدكتور إحسان عباس، بيروت، 1971م، ص: 15

(3) سورة النساء، الآية 36

(4) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح البخاري، تح: محمد عبد الهادي وآخرون، دار الريان للتراث، مصر، 1407هـ - 1986م -

مسألة 5038، ص: 410

والتلب، وذلك لكونه مضطرا إلى ذلك ليدافع عن نفسه، فقال في الأولى والتي خص بها القاضي حشلاف مذكرا أياه بأعماله السيئة التي قام بها ، فقال:

لقد جنيت الذي زرعتـه سلفا مثلا بمثل وما في الوعد إخلاف
فاشكر أو اكفر وذق ما قد جنيت ولا تجزع فعاقبة الإجحاف إجحاف⁽¹⁾
ثم أخذ يخاطبه بعد ذلك بأنه غليظ الطبع ولذلك فالناس كلهم ساخطون عليه بل الجلفة
نفسها ساخطة عليه كذلك فقال:

قد عشت جلفا بجلفة وهي ساخطة عليك فارحل بدوم الخزي حشلاف⁽²⁾
كما يتهمه بعدم العدل وقلة المعرفة وقد سجل له التاريخ ذلك قائلا:

لا عدل فيك و لا وزن ومعرفة طابقت نبزك إن اللوم أصناف
جمعتها وكذا التاريخ سجلها عارا عليك فراحت وهي أوصاف⁽³⁾

أما الهاشمي مفتي معسكر والذي صافحه بالشمال دعا عليه بالشلل فقال:

يصافح بالشمال شلت يمينه ويدفع في صدر القيام ولا عذر
ويدخر اليمنى لنحو امتخاطه و.....هكذا يقتضي الأمر⁽⁴⁾

ثم يضيف بأنه لم يكن اسما على مسمى قائلا:

يسمى الهاشمي ويدعيه ويجهل سنة للهاشمي
يصافح بالشمال مصافحيه وما يدري الذكي من الغبي
ويفتي العالمين به فتوى مقلدة مخالفة النبي⁽⁵⁾

هذه بعض مواقف الشاعر أمام مظاهر البؤس والشقاء والذي يذكر للشاعر تلك
النفحة الإنسانية الرقيقة فهو المتبع لكل أمراض مجتمعه أو محيطه وهو السهم الموجه
لكل الحملات والأخلاق الزائفة على نحو ما رأيناه.

(1) أشعار عبد القادر بن ابراهيم المسعدي الناطلي ، ص: 56 (المخطوطة)

(2) المصدر نفسه، ص: 57

(3) المصدر نفسه ، ص: 56

(4) المصدر نفسه ، ص: 95

(5) المصدر نفسه ، ص: 97

الفصل الرابع

الخصائص الفنية

أولاً: اللغة الشعرية

يتفق معظم النقاد والدارسين على أن اللغة هي «أداة الأديب في بناء العمل الفني، وبها تحقق سماته الموسيقية والتصويرية والفكرية، هي أول شيء يصادفنا وهي النافذة التي من خلالها نطل، ومن خلالها نتنسم، هي المفتاح الذهبي الصغير الذي يفتح كل الأبواب، والجنح الناعم الذي ينقلنا إلى شتى الآفاق.»⁽¹⁾

وعليها يعول في نقل التجارب والأفكار، إذ أن «الغاية الأولى من اللغة هي تحقيق الصلات بين الإنسان والإنسان ومعرفة الإنسان للأشياء.»⁽²⁾

وبفضلها عرف الوجود كما عرف الشعر، والشعر حين يستخدم اللغة أداة له في استكشافه الدائم للوجود عن طريق الكلمة يصبح وسيلة لإثراء اللغة بما يمنحه للألفاظ من أبعاد جديدة، والتراكيب من قيم شعورية وموسيقية، مع الإشارة إلى أن هذه الأبعاد الجديدة التي يمنحها الشاعر للألفاظ ليست وليدة الموهبة الفنية للشاعر وحدها، بل هي نتاج عملية معقدة قوامها ظواهر مترادفة ثقافة وحضارة وموهبة فنية، إذ لا سبيل لنماء الموهبة الفنية بمعزل عن عنصري الثقافة والحضارة اللذين يشكلان المرتع الخصب للموهبة الفنية في ابتداع هذه الأبعاد الجديدة إذ إن اللغة تخضع لناموس التطور، شأنها في ذلك شأن الحياة، تتطور «في ألفاظها، وأساليبها، تطورا مستمرا في تودة وخفاء فكل عصر بل لكل إقليم لغته وأسلوبه، حتى إنك لتستطيع أن تعرف القول من أي عصر أو في أي إقليم هو، وإن كنت لا تعرف قائله»⁽³⁾

وانطلاقاً من هذا المنظور الذي يجعل اللغة أداة حضارية تخضع لما تخضع إليه المخلوقات الحية في الطبيعة من تطور ونماء، ولذلك فلا ضير أن يقال: «إذا أردت التعرف على الإطار الحضاري لشعب من الشعوب في زمن من الأزمان فادرس لغته ففي عروق اللغة، إذا صح هذا المجاز - يعيش نبض العصر...»⁽⁴⁾

(1) عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية، دار العود - بيروت، ط3، 1931، ص: 173.

(2) محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار الثقافة، دار العود، بيروت، 1973م، ص: 377.

(3) يوسف أيوب حداد، خليل السكاكيني، حياته، مواقفه وآثاره، الاتحاد العام لكتاب والصحفيين الفلسطينيين، ط1، 1981، ص: 277.

(4) المرجع نفسه، ص: 175.

ولغة عصرنا بطبيعة الحال لا تختلف عن اللغة الأم من حيث كونها لغة مجردة بل إن الاختلاف يكمن في «علاقتها بظروفنا المعاشية الراهنة، بأفكارنا وتصوراتنا وآرائنا، بمشكلاتنا وقضايانا، وبكل ما يمثل الجوانب الروحية والمادية في حياتنا» .⁽¹⁾ ولكن السؤال الذي يلح علينا هو ما هي اللغة التي يوظفها الشاعر في عمله الفني؟ وهل هي تلك التي يستخدمها الناس في حياتهم العادية؟ وما علاقة هذين بالمؤثرات المختلفة التي بلا شك تترك بصماتها على هذا الشعر؟ وللإجابة عن هذه الأسئلة، يمكن القول بأن قضية لغة الشعر، تثار دائما عند كل مرحلة يدور الحديث فيها عن مدى الملاءمة بين لغة الشعر، ونبض الحياة الراهنة علما بأن اللغة يجب ان تكون أداة توصيل من المبدع إلى المتلقي. وانطلاقا مما تقدم يتبين لنا أن الشاعر المبدع لا يمكن «أن يستخدم في شعره اللغة كما يستخدمها الناس في حياتهم المعاشية العادية ، فالمفروض في لغة الشعر أن تكون ذات طاقة تعبير مصفاة ومكتفة...»⁽²⁾

غير أن هذا الشرط قد لا يتحقق لدى جميع الشعراء، وذلك نتيجة لمؤثرات تمخضت عن ظروف وأحداث سبقت الإشارة إليها في الفصل الأول، ويمكن حصر هذه المؤثرات في الثقافة المحلية ، والتراث، والنهضة الأدبية الحديثة والثقافة الغربية وما يهمننا هنا، هو الثقافة المحلية ومكوناتها وكذلك التراث، وكلاهما طبع مدونة المسعدي وهذا ما سنتناوله بالدراسة والتحليل في أوانه، أما ماهية الثقافة المحلية فنجيب بأنها تتكون أساسا من كتب «الدين والنحو والصرف واللغة التي كانت تدرس بطرق عتيقة جدا في الكتاتيب، والزوايا والمساجد بالإضافة والمساجد بالإضافة إلى دراستها في جامع الزيتونة بتونس، وجامع القرويين بالمغرب الأقصى بطرق أكثر جدية وأقرب إلى روح العصر، فالثقافة العربية لشعب المغرب العربي كانت تتمثل في قواعد لغوية تحفظ عن ظهر قلب، وآيات قرآنية وأحاديث نبوية تردد في المناسبات المختلفة ومما لاشك فيه أن بعض هذه الكتب كان يحتوي على بعض نظرات نقدية قديمة، وعلى علوم البلاغة والعروض وما إليها، مما كان له أثر مؤكد في تكوين أنواق النقاد في

(1) عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، قضايا وظواهره الفنية والمعنوية، ص: 175.

(2) المرجع نفسه، ص: 179.

هذه الفترة المبكرة. وهذه الثقافة كما هو منتظر كانت دينية بقدر ما كانت أدبية، ومن هنا يصعب التفريق بين المواقف النقدية المحضة، وبين النظرات والقيم الإسلامية في الإنتاج الأدبي المبكر، وهذه الثقافة العامة في الدين والأدب هي التي جعلت نقاد هذه الفترة كثيراً ما يقيمون أحكامهم النقدية على قيم إسلامية، ولقد أسهم في تداخل الدين والأدب بما فيه النقد ظهور الحركات الإصلاحية والسياسية التي كانت تعمل بأساليب مختلفة من أجل استعادة الشخصية العربية الإسلامية لشعب المغرب العربي» (1)

ولعل ما أدى إلى هذا التداخل بين الوظيفتين وأعني بذلك الأدبية والنقدية» لأن نقاد هذا الاتجاه كانوا نقادا وأدباء في آن واحد، بل ربما كانوا أدباء أكثر منهم نقادا حتى أن مواقفهم النقدية لا تعد شيئاً إذا قيست بإنتاجهم في الشعر وفي غير الشعر» (2) وقبل التحليل المستفيض لهذه الجوانب والأطر التي تمثل الخصائص الفنية في شعر المسعدي، يجدر بنا أن نتطرق إلى القضية الثانية والمتمثلة في التراث لكونها هي الأخرى تركت أثراً كبيراً في مدونته، وقد اعتبرت هذه القضية شائكة بالنسبة لدارسيها حول مدلولها وماهيتها أو بعبارة أدق هل تعني التراث المشرقي فحسب؟ أم هما معا؟ وكان الإجماع قائماً على أن التراث يعني الثقافة العربية القديمة في المشرق والمغرب معا، بل إن بعض هؤلاء النقاد أكدوا أنه من الصعب التفريق بين الآداب العربية في مختلف البلدان العربية، ومن بين هؤلاء أحمد صبري حيث قال: «وقد يكون من العسير جدا الفصل بين الجانبين (يعني التراث العربي العام، والتراث المغربي)، لأن كلا منها امتداد للآخر وذائب فيه» (3)

ويرجع عبد الله كنون صعوبة التمييز بين التراثين إلى عدة عوامل، منها وحدة اللغة، وكذلك مكونات التراث من معاني وقوالب وغيرهما لأن «الأدب العربي وحدة لا تتجزأ في جميع بلاده، بالمغرب والمشرق، وفي الأندلس وصقلية المفقودتين، فلا نعود

(1) صالح خرفي، الشعر الجزائري، ص: 24.

(2) محمد مصاييف، النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1984، ص: 18.

(3) المرجع نفسه، ص: 20، نقلاً عن الرائد ع (2 3) مايو-يونيه 1967، ص: 99.

نذكر الأدب الأندلسي، ولا الأدب العراقي، ولا أدب غيرهما من الأقطار العربية، سواء التي طوتها أحداث التاريخ، أو التي بعثتها النهضة الحديثة⁽¹⁾.

إذا كان الناقدان قد أجمعا على وحدوية الأدب العربي - إذا جاز التعبير - نظرا لاعتبارات سبقت الإشارة إليها فإن هناك - في اعتقادي - من يرى عكس ذلك، إذ يعتبر التراث المشرقي رافدا قويا يرفد اللغة العربية المضطهدة في الجزائر والتي لا يمكن لها « أن ترقى في ألسنة أبنائها ما لم تستمد رقيها من روائع فحول الأدب العربي القديم، من أمثال: عبد الحميد الكاتب، وابن العميد، والجاحظ، والحريري، وأبي تمام والبحثري والمنتبي... »⁽²⁾

ولعل ما يعزز ما ذهبنا إليه ويؤكد تعقيب الدكتور محمد ناصر حيث يقول: « وهكذا أصبحت العناية بالأدب العربي القديم من طرف الإصلاحيين توجبها مقصودا »⁽³⁾

ووفقا لهذا المنظور المتمثل في الثقافة المحلية والتراث واللذان تركتا بصمات واضحة في أساليب الكتابة لدى المسعدي وقد تجلّى ذلك من خلال قراءة لشعره قراءة فنية بينت أن معظم شعره يتوزع بين هاتين الرؤيتين:

أ- الرؤية التقليدية.

ب - الرؤية الوجدانية.

(1) محمد مصابف، النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي، ص: 20 - 21.

(2) محمد الهادي السنوسي الزاهري، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، ص: 36.

(3) الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية، ص: 51.

أ- الرؤية التقليدية :

يعرف الدكتور عز الدين إسماعيل الرؤية التقليدية بأنها تلك التي «لم تتحقق نتيجة تفاعل وتوتر وجدل بين الذات والموضوع، بل هي رؤية للموضوع من وجه واحد وفي اتجاه واحد، يمثلان أبرز وجود للموضوع وأقرب الطرق إليه، ومن ثم يصبح شرط الفن الجوهري غير قائم، وغير متوافر في تلك الأعمال التي تصدر عن مثل تلك الرؤية»⁽¹⁾.

ويمكن لنا أن نقف عند الشعر الصادر عن رؤية تقليدية من خلال مجموعة أشعار المسعدي، والتي تضم مجموعة كبيرة من أشعاره، سواء تلك التي نظمها في أغراض تقليدية كالتهنئة، والرثاء، والمديح، وما إلى ذلك، أم تلك التي تتخلل أبياته بعض الالتفاتات إلى مواضيع جديدة.

وبعد هذا الاستعراض النظري يصبح في إمكاننا الربط بين البنيات الأساسية في الشعر وبين طبيعة الرؤية، فإن كانت الرؤية تقليدية في شعر المسعدي، فإن البنية العروضية بإطارها الخارجي، وموضوعها، تصبح متحركة في العملية الشعرية، بينما تتزاح البنية الدلالية التي تضم الصورة، والمعاني الخلفية الرمزية، والموسيقى الداخلية أو ما يعرف بموسيقى الإيقاع النفسي، أو بعبارة أدق فإن الشاعر قد بنى قصائده في الرؤية الكلاسيكية بناء خارجياً من عناصر معدة مسبقاً، يدخل معظمها في الإطار الخارجي، وتضعف دلالة العناصر الأخرى التي تدخل ضمن السياق النفسي.

وهكذا تظهر الرؤية الكلاسيكية في الغالب الأعم في قصائد الموضوعات التقليدية بإطارها الموسيقي الخارجي، وهذان المقياسان هما اللذان يحددان علاقة الذات بالواقع، ومن تحديداً لطبيعة هذه العلاقة تجلت خصائص التجربة الشعرية في هذا الاتجاه، فهو على سبيل المثال حينما يريد أن يتناول موضوعاً من الموضوعات الشعرية، في هذا الاتجاه، يتناوله من سبيل فني يفضي إليه وبذلك تبقى العلاقات بين الأشياء والمعاني سطحية واضحة دون إضافة شيء غريب كما هو مألوف ومعروف وبهذا تتحقق بعض خصائص الرؤية الكلاسيكية في احتفاظها بمنطق الأشياء ومجاراته

(1) الشعر المعاصر في اليمن الرؤية والفن، معهد البحوث والدراسات العربية، مطبعة الجبلاوي، القاهرة، مصر، 1972، ص: 195.

الذوق العام في نقل الواقع أو محاولة تجميله، وهذا ما نلمسه من خلال قصيدة اشتملت على تعزية وتهنئة لمشيخة زاوية الهامل فقال:

أحقا عباد الله قد أقل البدر وقد ضمه بعد العلى في الثرى قبر
وضع ركن الدين أظلم جوه وغاز معين الفضل بل نضب البحر
بفقد إمام العارفين وقطبهم أبي القاسم المفضل قد عزب الصبر
وكيف التسلي والتصبر واجب ولا غرو أن البدر أخلفه بدر⁽¹⁾

وقد اختار الشاعر النمط الأول الذي يسود فيه « الإطار الخارجي ببنيته العروضية المشكلة من البحر الطويل، وهو من أشهر البحور الشعرية العربية وأكثرها تواترا ومن القافية المطلقة من نوع المتواتر برويها المتمثل في الراء وهو صوت لثوي »⁽²⁾

وهو بذلك ينحاز في تشكيل شعري إلى ما هو مشهور في الشعر العربي القديم ويرتسم خطى المتواتر من التشكيلات في البنية العروضية، بالإضافة إلى البنيات الأخرى، التي تخضع لها وتسير في اتجاهها، وهذه المحاور وطبيعتها، هي نتيجة من نتائج الرؤية في تفاعلها مع التراث والواقع أو الموضوع.

« وهذان الجانبان يسوقان القصيدة ويفرضان عليها من التصوير والأداء اللغوي الفني ما يناسبهما ، يحددان دور الخيال والملكات الأخرى، وتصبح آنذاك الرؤيا مرادفة للموضوع، لذا جاز بعض الدارسين⁽³⁾ التفريق بين قصيدة الموضوع التقليدية، وقصيدة الرؤية الحديثة، الأولى يغلب عليها طابع إعادة القديم، وتصبح الرؤية مساوية للمحاكاة ويقتصر دورها على اجترار المتون القديمة».

أما قراءتنا لهذه القصيدة على أساس نظام الإبلاغ، فقد جعلتها الرؤية الكلاسيكية تتجه إلى المتلقي، ومن ثم اختيار لغة خطابية بصوت مجهور وكأن الشاعر ينصب نفسه كأحد أفراد الأسرة القاسمية للإعلان عن نبأ وفاة المغفور له.

ولعل السؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح عن جدوى هذه الانفعالات الصادرة من ملكة شعرية، ما لم تستطع أن تنقل الحدث من سياقه الواقعي، إلى حدث شعري بسياقه

(1) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي الناطلي، ص: 35 (المخطوطة).

(2) تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1990، ص: 132.

(3) نعيم حسن اليافي، تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1983، ص: 14.

الجمالي؟ وللإجابة عن هذا السؤال يمكن القول بأنه راجع إلى المنهج الفني الصادر من رؤية كلاسيكية، فالشاعر أصبحت مهمته في هذه القصيدة مثل مهمة المصور معتمدا على الصورة الحاضرة والمتمثلة في وفاة المغفور له، والصورة المقابلة هي من يخلفه في مشيخة الزاوية، والقصيدة ذاتها تحمل المعنيين: تعزية وتهنئة، وما أصعب الرثاء إذ « جمع تعزية وتهنئة في موضع... » (1)

ب: الرؤية الوجدانية:

أما الرؤية الوجدانية فيراها الدكتور عز الدين إسماعيل بأنها: « ترفض الواقع حقا ولكن هذا الرفض لم ينشأ بالضرورة نتيجة موقف جدلي منه، بل هو رفض مسبق - إذا صح التعبير - وهو بذلك يعد إلغاء للموضوع الأساسي، أي إلغاء للواقع نفسه أكثر منه رفضا له، وفي كل الحالات التي تصبح فيها معايشة الشاعر لتجربة التفاعل الجدلي مع موضوعه غير متاحة، فتتجه الذات عندئذ إلى نفسها، وتستمد منه موضوعها.. تصبح الذات في مثل هذه الحالات هي في الدرجة الأولى - موضوع ذاتها، وتصبح المعاناة التي يمر بها الشاعر هي: كيف يجعل ذاته موضوعا لنفسها » (2).

وإذا تساءلنا عن دور الرؤية الوجدانية في تشكيل البنيات الأساسية للشعر بكيفية مخصوصة تميزها عن غيرها من التشكيلات، فإننا بدون عناء سنصل إلى الجواب من خلال ملاحظة بروز المحور الدلالي بمضمونه النفسي وهيمنته على المحور التركيبي والعروضي، كما أن هذه الرؤية يرتكز نظامها الإبلاغي على الشاعر وما ينجر عن ذلك من تغييرات في وظيفة اللغة، واتجاهها إلى نقل المحتوى الداخلي لنفسية الشاعر وهذا التغيير يتعدى إلى المستوى الصوتي نفسه، بحيث يتجه النسيج اللغوي الصوتي للقصيدة إلى الهمس ليتناسب مع خلجات النفس وهواجسها ويبعد عن الخطابية.

كما لا ننسى الإشارة إلى أن هذه الظواهر الأسلوبية الناتجة عن طبيعة الرؤية الوجدانية تظهر بدرجات متفاوتة بين نص وآخر بالإضافة إلى تنوع طابعها، وأنماطها، وهذا ما

(1) ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر، وأدابه ونقده، حققه وفصله، وعلق حواشيه، محمد محي الدين عبد الحميد، ج1، ص: 155.

(2) عز الدين إسماعيل، الشعر المعاصر في اليمن، الرؤية، والفن، ص: 200.

يتضح لنا من خلال هذا النموذج الذي يتخذ فيه الشاعر من نفسه موضوعه الشعري هاربا من الواقع لتستبد به أحلامه، وأوهامه، وخیالاته، مع العلم أن هذه الموضوعات الوجدانية لم تكن مستقلة بنفسها وإنما جاءت مبنوثة في تضاعيف قصائد أخرى، ومن ذلك هذه الأبيات التي جاءت ضمن قصيدته اعتذار للقبطان حيث دعاه إلى مرافقته في سفره وقد استبد به اليأس إلى درجة كبيرة فقال :

لو اعتصمت برأس النيق أدركني	طوفانه من عيون الهم والركب
ولو أقمت مقام الحوت الحوت في لجج	لخفت موت الظما أو مسة القتب
(دعى) حسين جزاه الله صالحه	لأن أجوب الفلا في صحبة الأدب
وما درى أن حظ العلم ثبطنى	فما أفكر في جاه ولا نشب
عاش الزمان بحظى ثم عاندني	بجده عند أطوار من اللعب
وما درى أن مثلي لا يروعه	وقع الزمان ولاهش إلى طرب
وطنت نفسي على حب الخمول ولو	رمت الظهور لنا جاني من كذب ⁽¹⁾

يعبر الشاعر في هذه الأبيات عن الصراع بين الواقع واللاواقع، حيث يعيش الشاعر في شرنقة الذات، أو يرحل بشعره إلى عالم الغيب، فيسبح مع عوالم الحيتان حتى أن هذه لم توفر له النجاة من الموت المحتم والخطر المحقق الذي يلفه من كل جانب، هذا الاستغراق في اللاوعي يكاد يقطع الصلة بين التجربة الشعرية والواقع ويشحن الكلمات والصور بأجواء نفسية مفعمة بالمعاناة، مغمسة في الوجدان، تتميز عن اللغة في المتن الشعري التقليدي، ولكنه سرعان ما يخرج من منطقة اللاوعي الذي استبد به حابسا أنفاسه، ليجهر بمأساته، وصراعه مع الدهر الذي قلب له ظهر المجن ولكثرة تجرع مراراته، لم يعد ذلك يخيفه، وهو بذلك أشبه بالمتنبي تجاوزا، وإن كانا يلتقيان في منحنى تقلب الأيام، وتبرم الزمان، ومجافاة الخلان، علاوة على تحجر البيئة إلا أن المتنبي بقدر ما نسبت إليه نزعة التشاؤم، نسبت إليه كذلك « نزعة حب القوة وليس بالأمر الغريب أن تتولد نزعة حب القوة من نزعة التشاؤم مع الفارق الكبير الذي يفصل بين النزعتين، فنزعة التشاؤم جاءت وليدة السخط والحرمان، وإذا ما أراد

(1) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي الناطلي، ص: 31 - 33 (المخطوطة).

المرء أن يتخلص من حرمانه تمثل مبادئ العنف والقوة وجعلها لنفسه مذهبا⁽¹⁾». .
ويكفي أن نردد مع جورج غريب مقولته: « متى علمنا أن المتنبى وصل إلى مكان ((عليه تحسد الحدق القلوب)) أدركنا لماذا كثر الحساد والخصوم»⁽²⁾
وبقراءة متأنية لمجموعة أشعار المسعدي يتبين لنا أن الرؤية الكلاسيكية كانت مهيمنة بدرجة كبيرة بخلاف الرؤية الوجدانية التي تتكون في مجموعها من أبيات تمثل توقيعة نفسية لهاجس من الهواجس كما لاحظنا

مصادر المعجم الشعري ومحاور دلالاته الفنية

أولاً: مصادر المعجم الشعري:

إن تاريخ أي شعرية لن يكون إلا تاريخاً لغوياً في أساسه، كما يكون تاريخاً لأسس أخرى والتي لا يمكن بدورها أن تحقق وجودها بمعزل عن اللغة أيضاً، ومن ثم لا يمكن الوصول إلى جوهر أس شعرية وقوامها الفني، واتجاهها الفكري، والروحي دون الكشف عن طبيعة اللغة المشكّلة لهذه المدونة الشعرية أو تلك.

ودرج النقاد على استخدام مصطلحي المصدر والمعجم، وإبراز المصادر الأساسية للمعجم الشعري في المدونة يفضي إلى الكشف عن العلاقة بين نصوصها الشعرية وبين تلك النصوص الغائبة، ومدى التفاعل بينهما ليتسنى من خلالها استجلاء ملامح أصالة الشاعر وتفرد أو تكراره لأعمال غيره، ويمكن حصر هذه المصادر في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والتراث، وما يحمله بين ثناياه من أشعار وأمثال، وأول مصدر هو:

أ- القرآن الكريم:

القرآن الكريم بحر زاخر بالكنوز والنفائس، سحر العرب منذ اللحظة الأولى سواء منهم في ذلك من شرح الله صدره للإسلام، أو من جعل على بصره غشاوة كالوليد بن المغيرة الذي بهره سحر القرآن، حتى ظنه أهل عشيرته بأنه صباً فرد عليهم قائلاً: « وماذا أقول فيه ، فوالله ما منكم رجل أعلم بالشعر، ولا برجزه، ولا بقصيده ولا

(1) مصطفى الشكعة، فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين، مكتبة الأنجلو المصرية (د.ت)، ص: 25.

(2) جورج غريب، سلسلة الموسوع في الأدب العربي، المتنبى (دراسة عامة) دار الثقافة، بيروت - لبنان - (د.ت)، ص: 360.

بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي بقوله شيئاً من هذا والله: إن لقوله حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه ليعلو وما يعلى عليه»⁽¹⁾، وهذه دلالة واضحة على أسر القرآن للكافر قبل المؤمن، وإن كانت مقولة رجل متعاس على الإسلام، فما بالك برجل دأب على حفظ القرآن وآمن به أولى أيام الدعوة يوم «لم يكن لمحمد حول ولا طول، ويوم لم يكن للإسلام قوة ولا منعة»⁽²⁾، وما بالك كذلك بمن ترفع عن قول الشعر بعد أن أسلم فهذا ليبيد بن أبي ربيعة لم يقل سوى بيت واحد، ويقال: «إن هذا البيت هو: الحمد لله إذ لم يأتني أجلي حتى كساني من الإسلام سربالا»⁽³⁾

ومن ثم كثرت بحوث القرآن، وتتنوع وتعددت مناهجها وطرقها، ولا يزال هذا المورد معيناً لا ينضب على مر الزمن، يرده رواد الفكر، وأساطين البيان فيتزودون بأعظم زاد، ويمدون عقولهم بخير مدد، يشيخون به نصوصهم لتزداد ثراء وتأكيداً وهذا ما نقف عنده لدى المسعدي، من خلال مدونته والاطلاع على نصوصها الشعرية والتي بينت أن القرآن الكريم يعد الرافد للقوي أو المنبع الثري الذي اعتمد عليه المسعدي إذ مده بقاموس شعري يمثل نسيجاً لغوياً متميزاً في بنية قصائده لغة وصورة وموسيقى وإن دل على شيء فإنما يدل على اعتبار القرآن ملاذ الآمن ومهاده الروحي. وللتدليل على ذلك نتناول دور القرآن الكريم في إبراز المعجم الشعري في ألفاظه حيث يكاد هذا المصدر يتسرب بعناصر مادته إلى معظم قصائده ومقطوعاته.

وقد أصبحت هذه المادة اللغوية القرآنية تشكل مؤشرات لظواهر دلالية وأسلوبية متميزة في شعره، ومن الألفاظ التي يكثر تواترها في هذه الأشعار ما يتعلق بالذكر والدعاء وقصص الأنبياء بالإضافة إلى الأمم الغابرة، وتظهر بشكل جلي في قصائد الرثاء ومن هذه النماذج التي تناصت مع القرآن بل مع كل المصادر التراثية المزمع استخلاصها والتي يمكن اختزالها في بعض النماذج لورودها بشكل مسهب في البعد الديني، ومن هذه النماذج قوله:

(1) سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة، 3 ط، 1423 هـ - 2002 م، ص: 13.

(2) المرجع نفسه، ص: 11.

(3) محمد غنيمي هلال، دراسات ونماذج في مذاهب الشعر ونقده، دار نهضة مصر لطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1997 م، ص: 25.

والشكر لله أعلى *** والصبر فيه سناء* ورأس مالك فرض *** والنفل ربح جلاء
ففي قوله: (الشكر لله أعلى)، وكذلك قوله: (والشكر يظهر...) استوحاهما من

قوله تعالى: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾⁽¹⁾ ، وفي قوله:

فما القرار بدار *** بها القرار سراء*** والخير من لف زادا*** له يحق الهناء
يبغي خلاصا بتوب*** لمن له مايشاء*** ما للزخارف فيه*** مطامح وابتغاء⁽²⁾

تناصت هاتان البيتان مع قوله تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا
فِيُنبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾⁽³⁾

وفي قوله (ما للزخارف فيه) ، تناصت مع قوله تعالى: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا
مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾⁽⁴⁾

وفي قوله من قصيدة نظمها في القاضي حشلاف :

فاشكر أو اكفر وذق ما قد جنيت ولا تجزع فعاقبة الإجحاف إجحاف⁽⁵⁾

ففي قوله: (فاشكر أو اكفر...) فهو استمداد من قوله تعالى: ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ
لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّيَ عَنِّي كَرِيمٌ﴾⁽⁶⁾

ب/الحديث النبوي الشريف:

يعتبر الحديث أو السنة المصدر الثاني من مصادر التشريع بعد القرآن الكريم
مبينا لقواعد وأحكام الشريعة، ومفصلا لما جاء مجملا في القرآن الكريم، ومضيفا لما
سكت عنه، كما كان الحديث بمثابة القرآن في التشريع، من حيث كونه وحيا أوحاه الله
للنبي (ص) وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى، عَلَّمَهُ شَدِيدُ
الْفُؤَى﴾⁽⁷⁾

وقد اهتم به العلماء على مر العصور جمعا وتدوينا ودراسة وشرحا، واستنبطت
منه علوم كثيرة كعلم العلل، وعلم مصطلح الحديث، وعلم الجرح والتعديل، وغيرها من

(1) سورة آل عمران، الآية: 144.

(2) أشعار عبد القادر بن ابراهيم المسعدي النانلي، ص: 55 (المخطوطة)

(3) سورة المائدة، الآية: 48.

(4) سورة غافر، الآية: 39.

(5) أشعار عبد القادر بن ابراهيم المسعدي النانلي، ص: 56.

(6) سورة النمل، الآية: 40.

(7) سورة النجم، الآية: 4، 5.

العلوم، كما تم توظيفه من قبل الأدباء والشعراء على وجه الخصوص، وذلك تدعيماً للمعنى وتقويته وتعزيزاً للرأي وإقناعاً القارئ له، لما في اللفظ النبوي من لين وسهولة وتأثير في متلقيه.

وبتصفحنا لمدونة المسعدي تبين لنا أنه إلى جانب القرآن الكريم استوحى صورته أيضاً من الأحاديث النبوية الشريفة، بيد أن الاعتماد عليها يعد قليلاً إذا ما قيس باعتماده على القرآن الكريم، ومن أمثلة اعتماده على هذا الرافد التراثي قوله في القصيدة التي رثى بها نجل "أبي القاسم بن جابو ربي" والتي مطلعها:

للموت حقاً لقاء *** والناس فيه سواء *** ومن تخطاه سهم *** فما بقاه بقاء
أما البيت الذي يتضمن هذا الرافد التراثي فيمكن في قوله:

ولم يكثر بدنياً *** يأتيه فيها عزاء *** كالطير تغدو خماساً *** والعيش فيها كفاء⁽¹⁾

ففي قوله: (كالطير تغدو خماساً) هو استمداد واضح من قوله صلى الله عليه وسلم أو ما في معناه عن أبي تميم الجيشاني قال: سمعت عمر يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: {لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماساً⁽²⁾ وتروح بطاناً⁽³⁾}⁽⁴⁾

وفي قوله: والزاد ما قدمته * * يداك فهو الفداء * ولن تشاك بشوك * * إلا وفيه جزاء⁽⁵⁾ جزاء⁽⁵⁾

ففي قوله: (ولن تشاك بشوك، إلا وفيه جزء) إشارة إلى قوله صلى الله عليه وسلم: {عن السائب بن خالد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: { ما من شيء يُصيب المؤمنَ حتى الشوكة تُصيِّبه إلا كُتِبَ اللهُ له بها حسنةٌ أو حُطَّتْ عنهُ بها خطيئةٌ }⁽⁶⁾

(1) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي النائلي، ص: 54 (المخطوطة)

(2) خماساً: جياًعاً.

(3) بطاناً: ممثلنة الأجواف.

(4) رواه عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب الزهد، باب في التوكل على الله، رقم: 2266، وقال حديث حسن صحيح. وأخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب الزهد، باب التوكل واليقين، رقم: 4154

(5) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي النائلي، ص: 55 (المخطوطة).

(6) رواه الإمام أحمد في مسنده، أول مسند المدنيين أجمعين، حديث السائب بن خالد أبي سهلة. (مسند أحمد رقم: 15965 الحديث)

ج- الشعر العربي:

بالإضافة إلى الرافدين التراثيين السالفي الذكر، نلمس أثر رافد آخر استفاد منه المسعدي ووظفه في شعره، ويتمثل هذا الرافد في الأدب العربي القديم إذ يعد من « أغزر الروافد التي صببت في الشعر الجزائري الحديث، فساعدته على الثراء والنماء، وطبعته بالتالي بطابع القوة والجزالة، وأشاعت في تضاعيفه التعبيرات المستمدة من الأدب القديم، وهو ما جعل التعبير الشعري عند أغلب الشعراء تعبيراً يعتمد على الجمل الجاهزة، والصور المستمدة من الذاكرة، مما كان له أثر سلبي في عرقلة التطور الفني لدى شعراء الاتجاه التقليدي الذي لم يخضع لاستخدام لغة معاصرة أو صور طريفة.. »⁽¹⁾، وأختلف معه في هذه الفكرة، ولاسيما فيما يتعلق استهجانه في اعتماد الشعراء الجزائريين على ما أسماه بالجمل الجاهزة، والصور المستمدة من الذاكرة، وما أشبه ذلك متناسياً الأسباب الجوهرية التي أدت بالشعراء لا على مستوى القطر الجزائري فحسب بل كل الشعراء في المشرق والمغرب على حد سواء إلى اقتفاء أثر الشعر القديم في نظم قصائدهم، وذلك لعدة أسباب، ولعل السبب الأول والأهم يرجع بالدرجة الأولى إلى الركود والكساد، الذي أصاب سوق الشعر خاصة، وذلك بسبب ما يعرف بعصر الانحطاط هذا من جهة، ومن جهة أخرى إلى ما تعرضت له البلدان العربية من احتلال وما صاحب هذا الاحتلال من استنزاف ثقافي على وجه التحديد، كما هو حاصل في الجزائر أثناء فترة الاستعمار، بالإضافة إلى عوامل أخرى سبقت الإشارة إليها في فصول سابقة، ونتيجة لهذه الأسباب مجتمعة – في اعتقادي – أدى بهؤلاء الاعتماد على سلفهم في بناء نهضتهم مع العلم بأن قضية إحيائه قد صحبت حركة «النهضة الحديثة منذ بواكيرها، فقد شهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر حركة إحياء التراث العربي بعد أن كان الحكم العثماني، وما أعقبه من تطورات فقد انحدر بالمتقف العربي إلى حالة ركود امتدت أجيالاً، فباعدت بين الناس وثروتهم الفكرية والأدبية القديمة، ومع الوعي الجديد بالذات وحركات التحرر، كان لا بد من أرض صلبة تمنح الذات صلابة واطمئناناً فليس من السهل أن يتحرر الإنسان والأرض

(1) محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية، ص: 45.

وهو تحت قدميه – إذا نحن تركنا المجاز جانبا- أو لنقل إن الذات لا تتحرر إلا مع كامل الشعور بذاتها، وإلا كان لها رصيد كاف من الوجود تعتر به ومن ثم برزت ضرورة إحياء التراث العربي في ضمائر الناس... واستهدفت هذه المحاولة ربط حلقات التاريخ التي كانت قد انفصمت عن التاريخ الحي المتطور للثقافة العربية بعضها ببعض..»⁽¹⁾

وانطلاقا مما تقدم يتعين لنا أن الاعتماد على الشعر القديم لم يكن إلا مجرد استئناس ومحاولة نهوض من جديد بعد كبوة دامت أمدا طويلا، وكذلك ربطا للماضي بالحاضر، لأن لا حاضر بدون ماض، وبهما معا يمكن دفع عجلة التطور الفني الذي دعا إليه الدكتور محمد ناصر من خلال مقولته السالفة الذكر.

ولعله من نافلة القول يجدر بنا أن نبحت في تضاعيف مدونة المسعدي عن مدى توظيفه للشعر العربي القديم من خلال هذه النماذج الآتية.
ومن ذلك قوله:

تهنى بعيد الفتح والفضل والنصر
وبالعز والإقبال يا مفرد العصر⁽²⁾
فهو قريب من قول المتنبي:

هنيئا لك العيد الذي أنت عيد
وعيد لمن سمي وضحي وعيدا⁽³⁾
وفي قوله:

ويوماك يوم للمروءة والندى
ويوم لإعمال المتففة السمر⁽⁴⁾
إشارة إلى قول أبي تمام:

فتى دهره شطران فيما ينوبه
ففي بأسه شطر وفي جوده شطر⁽⁵⁾
وقريب منه قول بشار بن برد:

(1) عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية، ص: 22.

(2) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي النائلي، ص: 1 (المخطوطة).

(3) ديوان أبي الطيب المتنبي، بشرح أبي البقاء العكبري، ضبطه وصححه، ووضع فهرسه مصطفى السقا وآخرين، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان - ط2، 1432هـ - 2010م، ج1، ص: 285.

(4) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي النائلي، ص: 4 (المخطوطة).

(5) ديوان أبي تمام، تقديم وشرح الدكتور محي الدين صبحي، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ط1429، هـ - 2008م، المجلد الأول، ص: 45.

- تري الندى والردى من راحتيه لنا
وفي قوله:
- سجدنا اقتداء بالمفاخر والعلى
ناقض فيه قول المتنبي في مدح أبي الحسين الطرستاني وذلك في توليه حرب طبريه:
- طلبنا رضاه بتبرك الذي
وعجز البيت مقتبس من قول الأخطل:
- ومهمه⁽⁴⁾ طامس⁽⁵⁾ نخشى غوائله⁽⁶⁾
وفي قوله:
- كلا راحتيك البحر لا المتح غضها
فهو مقتبس من قول الفرزدق:
- كأتا يديه غيات عم نفعهما
وفي قوله:
- تبارك من سواك خلقا مركبا
فعجز هذا البيت مقتبس من قول المتنبي:
- قد شرف الله أرضا أنت ساكنها
وفي قوله: همام إذا يلقاك يلقاك باسمها
مستوحى من قول بشار بن برد:
- لما جرى الفيض محفورا بإمداد⁽¹⁾
وجبنا متون المهمه القفر⁽²⁾
رضينا له فتركنا السجود⁽³⁾
قطعه بكواء⁽⁷⁾ العين مسهار⁽⁸⁾
ولا العدم والإثراء في العسر واليسر⁽⁹⁾
يستوكفان، ولا يعروهما عدم⁽¹⁰⁾
تجمع أشتات الفضائل والفخر⁽¹¹⁾
وشرف الناس إذ سواك إنسانا⁽¹²⁾
كأنك تعطيه الرغائب في الحال⁽¹³⁾

(1) ديوان بشار بن برد، قدم له وشرحه، الدكتور صلاح الدين الهواري، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت 1989، ص: 219.

(2) أشعار عبد القادر بن ابراهيم المسعدي النائلي، ص: 5 (المخطوطة)

(3) ديوان أبي الطيب المتنبي، بشرح أبي البقاء العكبري، ضبطه وصححه، ووضع فهرسه مصطفى السقا وآخرون، ص: 367.

(4) المهمه والمهمه: المفازة البعيدة الأطراف

(5) لطامس: امحت معالمه.

(6) غوائل: ج غول المهلكة.

(7) كلواء: العين يقظة.

(8) المسهار: قوية على السهر. شرح ديوان الأخطل، شرح وتحقيق الدكتور سوزان عكاري، دار الفكر العربي، مؤسسة ثقافية للطباعة والنشر، ط1، 2003، ص: 96.

(9) أشعار عبد القادر بن ابراهيم المسعدي النائلي، ص: 6 (المخطوطة)

(10) ديوان الفرزدق، دار بيروت للطباعة والنشر 1400 هـ - 1980 م، مج2، ص: 179. - يستوكفان، يستمطران .

(11) أشعار عبد القادر بن ابراهيم المسعدي النائلي، ص: 6 (المخطوطة)

(12) شرح ديوان المتنبي، تأليف أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، دار ابن الجوزي، للطبع والنشر والتوزيع، ط1، 2010، ص: 281.

(13) أشعار عبد القادر بن ابراهيم المسعدي النائلي، ص: 18 (المخطوطة)

- لما رأني علت البشاشة وجهه
وفي قوله:
- سألـزم نفسي ما حبيت امتداحه
صدر البيت مقتبس من قول علي بن الجهم:
- فأخلص مدحي للذي إن دعوته
وفي قوله: عليه سلام الله ما قال منشد
وقريب منه قول أبي تمام:
- عليك سلام الله وفـقـا فإني
وفي قوله :
- عاث الزمان بحظي ثم عاندني
وما دري مثـلي لا يروعه
مقتبس من قول عنتره بن شداد:
- عتبتُ الدهرَ كيف يُدُلُّ مثلي
أنا الرَّجـلُ الذي حُبِّرتَ عنه
وقريب منه قول المتنبي:
- أمثـلي تأخذ النكبات منه
ومثل قول البحرني:
- لعمـر أبي الأيام ما جار حكمها
وقريب منه قول المتنبي:
- وشع نور محياه، ولم يبتئس. (1)
- وإن مت سوف يخلفني شعري (2)
- أجاب وإلا أسعدتني مدائحـه (3)
- سلامي على شخص المكارم والفخر (4)
- رأيت الكريم الحر ليس له عمر (5)
- عند أطوار من اللعب
وقع الزمان ولا هـش إلى طرب (6)
- ولي عـزم أقدُّ جبالا
وقد عاينت مع خبري الفعـالا (7)
- ويجزع من ملاقات الحمـام (8)
- علي ولا أعطيتها ثـني مقودي (9)

(1) ديوان بشار بن برد، لناشره ومقدمه وشارحه ومكملة محمد الطاهر بن عاشور، وراجع مخطوطته ووقف على ضبطه وتصحيحه، محمد شوقي أمين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، 1376 هـ - 1957 م، ج3، ص: 66.

(2) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي النائلي، ص: 29 (المخطوطة).

(3) ديوان ابن الجهم، عني بتحقيقه خليل مردم بك، لجنة التراث العربي، بيروت لبنان ط2، (دبت) ص: 65

(4) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي النائلي، ص: 30 (المخطوطة).

(5) ديوان أبي تمام، تقديم وشرح الدكتور محي الدين صبحي، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ط2، 1429 هـ - 2008، المجلد الأول ص: 48.

(6) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي النائلي، ص: 42 (المخطوطة)

(7) ديوان عنتره، منشورات دار علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، - لبنان - ط3، 1432 هـ - 2002 م، ص: 114 - 115

(8) شرح ديوان المتنبي، وضعه عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان 1407 هـ - 1986 م، ج1 ص: 163.

(9) ديوان البحرني، تقديم حنا الفاخوري، دار الجبل، - بيروت - ص: 382

- وما بلغت مشيئتها الليالي
وفي قوله:
- ولا سـارت وفي يدها زمامي⁽¹⁾
- فقد بعث الرحمن من فيض فضله
مقتبس من قول المتنبي في مدح ابن عمار:
- خليلا به تحيا العلوم بأعمال⁽²⁾
- لو كان علمك بالإله مقسما
لو كان لفظك فيهم لما أنزل الـ
- وفي قوله:
- في الناس ما بعث الإله رسولا
قرآن والتوراة والإنجيلا⁽³⁾
- وفي قوله:
- ماذا التعزز بالأنصار والخول
يومئ إلى استمداد من قول المتنبي:
- والناس مرتحل في إثر مرتحل⁽⁴⁾
- نكبي على الدنيا وما من معشر
يتفرقوا⁽⁵⁾
- وفي قوله:
- يا شامتين أضل الله سعيكم
والأجل⁽⁶⁾
- قريب من قول المتنبي:
- من ذا نجا من مضيق الحنف والأجل⁽⁶⁾
- من كل من ضاق الفضاء بجيشه
ضيق⁽⁷⁾
- وفي قوله:
- قل للذي بسات بالآمال مغتبطا
مقتبس من قول المتنبي:
- وكل ذي أمل يسعى إلى أجل. ⁽⁸⁾

(1) شرح ديوان المتنبي ، وضعه عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، 1407 هـ - 1986 م، ج 1، ص: 163.

(2) أشعار عبد القادر بن ابراهيم المسعدي النائلي، ص: 19 (المخطوطة)

(3) شرح ديوان المتنبي ، تأليف أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري ، ص: 235 ، يقول النيسابوري لقد أساء في هذين البيتين وأفرط وتجاوز الحد، نعوذ بالله من ذلك (نيسابور) نقلا عن: نفس المرجع والصفحة .

(4) أشعار عبد القادر بن ابراهيم المسعدي النائلي، ص: 39 (المخطوطة)

(5) شرح ديوان المتنبي ، تأليف أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري ، ص: 41

(6) أشعار عبد القادر بن ابراهيم المسعدي النائلي، ص: 41 (المخطوطة)

(7) شرح ديوان المتنبي ، تأليف أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري ، ص : 41.

(8) أشعار عبد القادر بن ابراهيم المسعدي النائلي، ص : 41 (المخطوطة)

والموت آتٍ، والنفوس نفائس والمستغرُّ بما لديه الأحمق⁽¹⁾ وفي قوله:

سبحان من حكمه بالموت عم فمم
مستوحى من قول البحترى :

وفجعة الأيام قسم سويت
وفي قوله :

أين الذين جميع الأرض قد ملكوا
مقتبس من قول المتنبي:

أين الذي الهرمان من بنيانه
ومن قوله كذلك:

أين الأكاسرة الجبابرة الألى
وفي قوله:

ولم يُكأثر بدُنْيَا *** يَأْتِيهِ فِيهَا عَزَاءٌ *** كَالطَّيْرِ تَعْدُو خِمَاصًا *** وَالعَيْشُ فِيهَا كِفَاءٌ⁽⁷⁾
كِفَاءٌ⁽⁷⁾

ففي قوله: (تغدو خماصا...) مقتبسة من قول الشيخ جمال الدين بن نباتة في مدح نجل الملك المؤيد صاحب حماه، حيث يقول:

وانتقاة بالرزق حيث كانا
في قوله :

فألف بين المبغضين وأصبحت
(له عدة مرهوبة وعديد)⁽⁹⁾

(1) شرح ديوان المتنبي ، تأليف أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري ،ص: 41.

(2) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي النائلي،ص: 42 (المخطوطة)

(3) ديوان البحترى،شرح وتقديم حنا الفاخوري، دار الجبل، بيروت،(د.ت) ، ص: 204

(4) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي النائلي، ص: 41 المخطوطة).

(5) شرح ديوان المتنبي ، تأليف أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري ،ص705، الهرمان ببناءان بمصر ،ارتفاع كل واحد منهما في السماء أربعمائة ذراع في عرض مثلها، لايدرى من بناهما وكيف بنيا، يقال بناهما عمرو بن المشثل ويقال إن أحدهما قبر شداد بن عاد والثاني قبر ارم ذات العماد، المرجع نفسه ، ص: 706.

(6) شرح ديوان المتنبي ، تأليف أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، ص: 41.

(7) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي النائلي،ص: 54 (المخطوطة).

(8) نقلا عن : تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الملك الحموي الأزرازي ،خزانة الأدب وغاية الأرب ،ص : 314 .

(9) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي النائلي ،ص: 73 (المخطوطة)

- فصدر هذا البيت مقتبس من قول علي بن الجهم:
- وألف بين المسلمين يُمْنَهُ وأطفأ نيرانا على الدين تُشعل⁽¹⁾
وفي قوله:
- قفا خليلي على ربع عفا بالله من هذر العذول دعاني⁽²⁾
فصدر هذا البيت مأخوذ من قول الشاعر بن شيخان السالمي:
- خليلي هذا ربع أحبا بنا قفا هنا لك مجرى للدموع ومشتقى⁽³⁾
أما عجز هذا البيت فهو مقتبس من قول الأخطل:
- بكر العواذل يبتدرن ملامتي والعالمون فكلهم يلحاني⁽⁴⁾
ومثله قول بشار:
- عذيري⁽⁵⁾ من العُذال لا يتركوني بغمي، أما في العاذلين لبيب؟⁽⁶⁾
ليبيب؟⁽⁶⁾
وفي قوله:
- وما أنا إلا العود بالنار سبره ويظهر فضل التبر بالسبك لا اللمس⁽⁷⁾
اللمس⁽⁷⁾
استوحى صدر هذا البيت من قول أبي تمام:
- ولو لا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يُعرف طيبُ عرفِ العود⁽⁸⁾
أما عجزه فهو مأخوذ من قول المتنبي:
- كرم تبين في كلامك ماثلا ويبين عتق الخيل في أصواتها⁽⁹⁾
ومثله قول ابن الجهم:
- ولا ذنب للعود الدُّماري إنما يُحرقُ من دلت عليه روائحه⁽¹⁾

(1) ديوان علي بن الجهم، عني بتحقيقه خليل مردم بك، ص: 164

(2) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي النانلي، ص: 84 (المخطوطة)

(3) ديوان ابن شيخان السالمي، طبع سنة 1997م، الموسوعة العالمية للشعر العربي، (د.ص) الموقع www.adab.com.

(4) ديوان الأخطل، شرحه وصنف قوافيه وقدم له مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان - ط2، 1414هـ - 1994م
ص: 391

(5) العذير النصير، يقال من عذيري من فلان أي من نصيري، ويقال عذيرك من فلان (بالنصب) أي هات من يعذرك العذير الحال نقلا عن:
الديوان.

(6) ديوان بشار بن برد، قدم له وشرحه الدكتور صلاح الدين الهوارى، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1998، ج1
ص148.

(5) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي النانلي، ص: 88 (المخطوطة).

(8) ديوان أبي تمام، تقديم وشرح الدكتور محي الدين صبحي، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ط2، 1429هـ - 2008م، المجلد
الأول، ص: 223

(9) ديوان المتنبي، وضعه عبد الرحمن البرقوقي، ج1، ص306.

وفي قوله:

للموت حقا لقاء *** والناس فيه سواء *** ومن تخطاه سهم *** فما بقاء بقاء⁽²⁾

فصدر البيت قريب من قول ابن الوردي :

كتب الموت على الخلق فكم
وهو مأخوذ من قول أبي العتاهية:

لا تأمن الموت في طرف ولا نفس
وفي قوله:

ومن تخطاه سهام
مقتبس من قول زهير بن أبي سلمى:

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب
ومثله قول طرفه بن العبد:

لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى
واعلم بان سهام الموت قاصدة

ومثل قول بشار في رثاء ولده محمد:

وما نحن إلا كالخليط الذي مضى
نحن كالقوم الذين مضوا قتلى دهر

د - الأمثال:

ومن مصادر الصورة الشعرية أيضا الأمثال العربية القديمة، والتي يتحایل الشعراء المحافظون لإدخالها في كتاباتهم، وبذلك تصبح الصورة إشارية قد لا يتفطن المتلقي إلى معانيها ولفنتها الفنية ما لم يكن على اطلاع واسع .

(1) ديوان علي بن الجهم، عني بتحقيقه خليل مردم بك، ص 66.

(2) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي الناطلي، ص: 54 (المخطوطة)

(3) ديوان أبي العتاهية، دار بيروت للطباعة والنشر، 1406 هـ - 1986 م، ص: 174.

(4) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي الناطلي، ص: 54 (المخطوطة)

(5) ديوان زهير بن أبي سلمى، شرحه وقدم له الأستاذ علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان - ط3، 1424 هـ - 2003 م، ص: 101

(6) ديوان طرفه بن العبد، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ص: 34

(7) ديوان أبي العتاهية، ص: 174

(8) ديوان بشار بن برد، قدم له وشرحه الدكتور صلاح الدين الهوارى، ص: 241.

تعتبر الأمثال مرآة الشعوب ، تعكس على صفحاتها عاداتهم وتقاليدهم كما تبين رؤاهم ومذهبهم في الحياة، ولقد حظيت الأمثال بمكانة مرموقة منذ فجر التاريخ الإنساني وامتدت عبر العصور تحكي حياة المجتمعات، وتدرس لغتهم، وعاداتهم الشعبية ولما عرفت العرب أن « الأمثال تتصرف في أكثر وجوه الكلام وتدخل في جل أساليب القول أخرجوها في أقواها من الألفاظ، ليخف استعمالها، ويسهل تداولها فهي من أجل الكلام وأنبله، وأشرفه وأفضله، لقلة ألفاظها، وكثرة معانيها، ويسير مؤونتها على المتكلم مع كبير عنايتها، وجسيم عائدتها...»⁽¹⁾ ، ومما يدل على علو كعبها وشرف مكانتها، وحسن مواقعها، ورد ذكرها في الكثير من الآيات القرآنية الكريمة ومن ذلك قوله تعالى في محكم بيانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مِّثْلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾⁽²⁾ ، وقال أيضا: ﴿وَضَرْبَ اللَّهِ مَثَلًا لِّمَثَلٍ قَرِيَةٍ كَانَتْ أَمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً ...﴾⁽³⁾ وقال كذلك: ﴿... وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ...﴾⁽⁴⁾ ، وكما قال كذلك: ﴿ضَرْبَ اللَّهِ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا﴾⁽⁵⁾

إلى غير ذلك من الآيات الكريمة التي تومئ إلى منافع الأمثال « في متصرفاتها وحسن مواقعها في جهاتها »⁽⁶⁾ ، وبذلك أصبحت معينا لا ينضب، وألفت بشأنها كتب شتى في عبارات شديدة الإيجاز، ولكنها تعمل عمل «الإطناب، ولها روعة إذا برزت في أثناء الخطاب، والحفظ موكل بما راع من الحفظ، وندر من المعنى...»⁽⁷⁾ وتتمثل هذه التأليف في (أمثال العرب) للمفضل الضبي، و (جمهرة الأمثال) لأبي هلال العسكري، و (مجمع الأمثال) للميداني، وسواها من الكتب، ونتيجة للفائدة ذاتها أفرد لها ابن عبد ربه الأندلسي في مؤلفه "العقد الفريد" فصلا مستقلا أسماه (الجوهر في الأمثال) ،حيث يقول : « هي وشيء الكلام... وجوهر اللفظ... وحكي

(1) أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، جمهرة الأمثال ، ضبطه وكتبه هوامشه ونسقه الدكتور أحمد عبد السلام، خرج أحاديثه أبو هاجر محمد سعيد بن بسيوني زغول ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1408 هـ 1988 م ، ج1، ص: 10.

(2) سورة الحج، الآية: 73 .

(3) سورة النحل ، الآية: 112 .

(4) سورة إبراهيم ، الآية: 25 .

(5) سورة النحل ، الآية: 75 .

(6) وليد ناصف، أشهر الأمثال العربية، وراء كل مثل قصة وحكاية ، دار الكتاب العربي، دمشق، ط1، 1408 هـ - 1988 م، ص: 5.

(7) أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، جمهرة الأمثال ، ج1 ، ص: 10

المعاني... والتي تخيرتها الشعوب... وقدمتها العجم... ونطق بها في كل زمان وعلى كل لسان»⁽¹⁾

⁽¹⁾ وليد ناصف، أشهر الأمثال العربية، وراء كل مثل قصة وحكاية، ج 1، ص: 65.

وقد تناولت الأمثال* شخصيات اتسمت بصفات معينة عدت مضرباً للمثل فضلاً عن أماكن، وأسماء حيوانات، وبعض مظاهر الطبيعة. وهذا ما وقفنا عليه بعد تصفحنا لمدونة المسعدي، حيث دأب على توظيف هذا الرافد التراثي، والذي لا ينتمي إلى حقل دلالي واحد، مع مناسبه للسياقات التي وردت ضمنه، مما يدل على اطلاعه على معانيه، وميادينه الوظيفية، حيث جعل التجربة الشعرية ضاربة جذورها في الثقافة العربية الأصيلة في صورته الشعرية، وبذلك أسهم في تغذية نسيجه اللغوي وأثره، إذ راح يتسلل إليه بتلقائية أوحى بها الطبع طورا وطورا آخر كانت مقصودة ضمنها لتلبية مقام، أو لبيان سعة رصيده الثقافي الذي امتاز بالتفاعل والتناص في مستوياته المعرفية، ومن الأمثال العربية التي ضمنها شعره ما يأتي:

إن كنت تجهل ما قيل عن لبد وعمر لقمانه بالله قـف وسل⁽¹⁾

ففي قوله: " ما قيل عن لبد "مستوحى من المثل العربي:

" أخني عليها الذي أخني على لبد"⁽²⁾

ولبد آخر « نسور لقمان بن عاد، وكان يأخذ النسر صغيرا فيما زعموا فيربيه حتى يكبر، فإذا مات أخذ نسرا آخر حتى استكمل عمر سبعة أنسر، وكان لبد سابعاً، فعاش لقمان — كما زعموا— ثلاثة آلاف سنة»⁽³⁾ والمراد بذلك بأن الإنسان مهما طال عمره، لا بد وأن يموت ويفنى وفي قوله :

ويركب للجلي مجيدا محافظا (على رشدكم إذ ليس فيكم رشيد)⁽⁴⁾

ففي قوله: (و يركب للجلي...) مقتبس من المثل العربي: «لا يدعى للجلي إلا أخوها»⁽⁵⁾

* المثل لغة بالكسر والتحرير، ج أمثال: الشبه، القاموس المحيط للفيروز آبادي، مادة (مثل) ص : 1068 وجاء في المعجم الوسيط مثل فلان لفلان، وبه شبهه وسواه، تماثل الشبان تشابها . أما المثل اصطلاحاً فهو (جملة من القول مقتطعة من كلام، أو مرسله بذاتها، تنقل ممن وردت فيه إلى مشابهه بدون تغيير مثل (الصيف ضيعت اللين) و (الرائد لا يكذب أهله) ج2، ص: 853 854.

(1) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي النانلي، ص: 42 (المخطوطة)

(2) أبو هلال الحسين بن عبد الله بن سهل العسكري، جمهرة الأمثال، ص: 105.

(3) وليد ناصف، أشهر الأمثال العربية، وراء كل مثل قصة وحكاية، ص: 79.

(4) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي النانلي، ص: 67. (المخطوطة)

(5) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط مادة(جل)، ج 1، ص: 131.

والمراد به لا يندب للأمر العظيم إلا من يقوم به ويصلح له، ولعله قريب من المثل القائل: (أعط القوس باريها) أي استعن على عملك من يحسنه وهو من قول القائل :

يا بـاري القوس بريا لست تحكمه لا تظلم القوس أعط القوس باريها

وقال صلى الله عليه و سلم : { استعينوا على كل صناعة بأهلها }⁽¹⁾

وفي قوله: « ملكت الكل فاسجح يا حبيبي »⁽²⁾، لقد استوحى صدر هذا البيت من المثل

القائل: « ملكت فاسجح معناه قد ملكت فسهل، والتسجيح: التسهيل، والمثل لأنس بن

سجير»⁽³⁾

كما نتلمس أثره في قوله: « على ما توخاه الخناصر تعقد »⁽⁴⁾ وهو توظيف للمثل

العربي القائل: « هذا أمر تعقد عليه الخناصر »⁽⁵⁾ أي يعتد به ويحتفظ به وفي قوله:

لقد جنيت الذي زرعتة سلفا مثلا بمثل وما في الوعد إخلاف⁽⁶⁾

فصدر هذا البيت مقتبس من المثل القائل: « إنك لا تجني من الشوك العنب»⁽⁷⁾

ويضرب هذا المثل لمن يعمل الشر، و ينتظر من ورائه الخير.

وفي قوله: «مثلا بمثل...»⁽⁸⁾ استمد من المثل العربي « كما تدين تدان»⁽⁹⁾ أي كما تفعل

تفعل يفعل بك والدين الجزاء، وفي القرآن الكريم مالك يوم الدين.

وجماع القول إن المصادر التي اعتمد عليها المسعدي لاتخرج عن نطاق

المصادر التراثية المعروفة: من قرآن كريم، وأحاديث نبوية شريفة، وأدب عربي قديم

بمفهومه الواسع» لأن الدعوة عند بعضهم لم تقتصر على احتذاء النماذج الشعرية عند

الفحول وإنما أصبح الأدب العربي بفروعه المتنوعة وعلومه الممتدة نحوا وعروضا

وبلاغة وتاريخا وأنسابا وأمثالا وقصصا، معلومات ضرورية لكل من يريد نظم الشعر

والإجادة فيه، لأن الإجادة ترتبط في مفهومهم بالاطلاع على هذه العلوم كلها وهي التي

(1) أبو هلال الحسين بن عبد الله بن سهل العسكري، جمهرة الأمثال، ج1، ص: 66.

(2) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي النائلي، ص: 81. (المخطوطة)

(3) أبو هلال الحسين بن عبد الله بن سهل العسكري، جمهرة الأمثال، ج2، ص: 327.

(4) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي النائلي، ص: 100. (المخطوطة)

(5) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط مادة (عقد)، ج1، ص: 259.

(6) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي النائلي، ص: 56. (المخطوطة)

(7) وليد ناصف، أشهر الأمثال العربية، وراء كل مثل قصة وحكاية، ص: 16.

(8) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي النائلي، ص: 56. (المخطوطة)

(9) أبو هلال الحسين بن عبد الله بن سهل العسكري، جمهرة الأمثال، ج2، ص: 139.

تعطي الشاعر ((الملكة التامة)) وتمكنه من الجولان في ميادين المواضيع المختلفة⁽¹⁾ ووفقا لهذه القناعة الذاتية بما لهذه الروافد المتنوعة من فائدة وأثر، راح المسعدي يستغل مافيهها من ثراء، ويوظفها مع تفاوت في التوظيف، إذ أن القرآن الكريم يتسنى هرم هذه الروافد وهو أمر لم يقتصر عليه وحده فحسب، بل هو ظاهرة عامة نتلمسها لدى معظم شعراء تلك الفترة، ولعل ذلك راجع إلى مالمسوه من «ضعف في الثقافة الوطنية والكتابة الأدبية نتيجة الجمود والتأخر الذي كان سمة المرحلة السابقة على قيام النهضة وطابع مرحلة تكونهم وتعلمهم»⁽²⁾. بالإضافة إلى توظيفه للأمثال العربية – كما كما مربنا- والتاريخ الإسلامي قديمه وحديثه، حيث تعتبر المادة التاريخية من أغنى المصادر التي استقى منها الشاعر مادته .

وبذلك كان المسعدي قد أكمل النصاب، ووفى بما يستوجب على الشاعر من تزود بعلوم ومعارف عصره، لتمكنه من الجولان في ميادين المواضيع المختلفة كما أشار إلى ذلك أبو اليقظان في ديوانه.

هـ – الأماكن والشخصيات:

لم تقف مدونة المسعدي في تشكيلها عند هذا الحد، بل أخذت تستدعي حضور أماكن تراثية، وشخصيات عربية وأعجمية، فكانت بذلك ميدانا رحبا انطلقت فيه كل هذه الشخصيات، وكان توظيفها بما ينطوي عليه من رصيد معرفي، ووجداني لدى المتلقي تستدعيه الذاكرة بمجرد التقوه به أو مطالعته، وهي تنتمي بطبيعتها إلى التاريخ، لأن التاريخ هو من خلدها من جراء تفاعله مع الأدب باعتبار هذا الأخير «فن غزير المذهب، جم الفوائد، شريف الغاية، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياستهم حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا، إلى مأخذ متعددة ومعارف متنوعة»⁽³⁾، بالإضافة إلى كونه مادة علمية «يكون مع العلوم الشرعية واللغوية الضلع

(1) محمد ناصر، الشعر الجزائري اتجاهاته وخصائصه الفنية ص 47. نقلا عن: ديوان أبي اليقظان، ص: 14.

(2) محمد ناصر بوحجام، أثر القرآن في الشعر الجزائري الحديث، ص: 385.

(3) الحسين الإدريسي، ثنائية الفن والتاريخ في شعر ابن الأبار، دفتر وحدات رقم 3 إعداد مصطفى الغديري، مقالات في الأدب الأندلسي والمغربي جامعة محمد الأول، وجده - المغرب - ط1، 2001م، ص: 69.

الضلع الثالث الذي يتكون منه هذا المثلث الذي يمثل الثقافة العربية السلفية»⁽¹⁾ غير أن هذه الإشارات التاريخية في تضاعيف شعر المسعدي لم تتجاوز في معظمها حدود الاستعراض السطحي، والتشبيه الواعي، و المقارنة البسيطة، وهو ماسنقف عليه من خلال هذه النماذج التي استوحت من فضاءات قصائد شتى مما جعلها تشكل سمفونية شاعرية قوامها تاريخ قديم وآخر حديث وتتمثل في الآتي :

إن كنت تجهل ما قد قيل عن (لبد) وعمر (لقمانه) بالله قف وسل⁽²⁾
 ذا إن يمت فآمانٌ *** وإن يعيش فتناءٌ * (كَلَيْبُ وَإِلَّ حَقًّا *** لَمْ يَحْمِهِ الاحْتِمَاءُ)⁽³⁾
 وَمَنْ لَهُ كُلُّ يَوْمٍ *** (بُؤْسٌ وَيَوْمًا رَخَاءٌ) * وَلَا (ابْنُ أَرْوَى) كَفَاهُ *** صَنِيعُهُ وَالتَّرَاءُ
 وَ(حَاتِمٌ) دُو المَعَالِي *** أَخْنَى عَلَيْهِ الفَنَاءُ * وَخَيْرٌ مَنْ قَامَ يَسْعَى *** قَدْ حَقَّ فِيهِ العَزَاءُ⁽⁴⁾
 فلو لم يكن مُلكُ (ابن داود) قبله لأعربَ عن نطق الصَّوادح في الوكر⁽⁵⁾
 وأزعجتموا دينَ (النبي) وغِظتم (قلوبَ جميع (المسلمين) فبيدوا)⁽⁶⁾
 (ثنائي على (عبد الحميد) حميدٌ) وشوقِي إليه طَارِفٌ و تليد⁽⁷⁾
 هذا وطوؤُ العِلا (البشير) أقصدَه رِيْبُ المَنُونِ وَأصْمَتَه يد المَحْنِ⁽⁸⁾
 كما أنه لم يعدم الأجناس البشرية التي خلقها الله، وكون منها شعوبا وقبائل وفي ذلك يقول:

تشرفتِ المِرابِعُ والنوادي وسُـرَّ (العُرب) حاضِرُهُم وباد
 إقبـال الخِلاصـة من (قريش) وأكـرَمَ مَنْ عـلا مـن الجياد⁽⁹⁾
 (فهلاً اقتديتم (بالأروبا) التي ارتقت) فأضحى لها في الخافقين فديد⁽¹⁰⁾
 (وقلـم (لليونان) أظفارَ بأسهم) فراحت رماحُ القوم وهي قصيد⁽¹¹⁾

(1) محمد ناصر، الشعر الجزائري اتجاهاته وخصائصه الفنية، ص: 494.

(2) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي النائلي، ص: 42 (المخطوطة).

(3) المصدر نفسه، ص: 54.

(4) المصدر نفسه، ص: 55.

(5) المصدر نفسه، ص: 28.

(6) المصدر نفسه، ص: 66.

(7) المصدر نفسه، ص: 64.

(8) المصدر نفسه، ص: 48.

(9) المصدر نفسه، ص: 12.

(10) المصدر نفسه، ص: 72.

(11) المصدر نفسه، ص: 75.

وهاهو المسعدي بعد أن عرفنا بشخصياته التي استمدها من التاريخ البشري منذ فجره إلى يومه وعصره، انطلاقاً من الأنبياء والمرسلين – صلوات الله عليهم – وأتباعهم ومروراً بشخصيات عربية جاهلية، وإسلامية، وعباسية، ووصولاً إلى شخصيات عربية وأوروبية راح ينقلنا إلى فضاء أرحب، حيث أخذ يصول ويجول دون قيد مخترقاً أجواء الشرق والغرب ، وما يقع بين برزخيهما من أماكن، وأصقاع، ترجع لممالك وإمارات سادت، وشيدت قلاعاً وحصوناً، بقيت أشهر من نار على علم، تروي حضارتها الضاربة في جذور التاريخ للأجيال المتعاقبة، ليعود بنا بعد ذلك إلى واقعه ويحط عصا الترحال في رحاب أماكن لها أثرها وصداهها من الناحيتين الدينية والثقافية وها نحن نستسمح المسعدي في نقل وقائع هذه الجولة للمتلقي بكل أمانة وذلك بحسب ورودها في مدونته، فاسمعه وهو يقول:

- لأنتَ بتاجِ الملِكِ أولى من الذي ثوى
عرائسُ أبكارٍ عن الغير صنُتْها (2)
- لدى (المسجد) المعمور حُمُ لقاؤُنَا (3)
- لله شبير حوى (البحر) المحيط كما
قد عشتَ جلفاً (بجلفة) وهي ساخطة (5)
- وسدَّ (ثغورا) أصبَحَ الأمنُ سائداً
عنيْد (6)
- فقفا خليليَّ على (ربيع عفا)
ما كنتَ أعْهدُ (بسكرة) (1)
- (شاذُّ مَهْرا) أو (بِغمدان) و(الجسر) (1)
- لعزّة كفوُّ لا (لحلوان) أو (مَهْر) (2)
- فكان لنا عيداً عظيماً بإجلال (3)
- تجمّعَ الدِّينُ والدنيا بذا الرجل (4)
- عليك فارحل بدوم الخزي حُشلاف (5)
- (فسالِمَ جِبَّارٌ ولانَ عنيْد) (6)
- بالله من هَدَّرَ العَدولَ دعانِي (7)
- من قبل نشرذا السَّوَال (1)

(1) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي النائلي، ص: 7 (المخطوطة).

(2) المصدر نفسه، ص: 8.

(3) المصدر نفسه، ص: 18.

(4) المصدر نفسه، ص: 43.

(5) المصدر نفسه، ص: 57.

(6) المصدر نفسه، ص: 75.

(7) المصدر نفسه، ص: 84.

يُواقِي (الحمى) من شيق للقائكم وإن شطاً (مغناه) وعزّ النَّجْدُ (2)

(1) المصدر نفسه ، ص : 90 .
(2) المصدر نفسه ، ص: 100 .

ثانياً: الصورة الشعرية:

إذا كان الإيقاع الموسيقي أهم فارق بين فني الشعر والنثر، فإن أهم ما يميز بينهما هي الصورة الشعرية إذ أنها أهم عناصره ومميزاته، كما أنها وسيلة الشاعر القوية في التأثير على النفس الإنسانية، والشعراء لا يعبرون عن الخصائص كما هي بل يعرضونها بواسطة الصورة الحية التي تؤثر في الإنسان أكثر مما تؤثر الحقائق نفسها، لأن «الشعر قائم على التصوير منذ أن وجد حتى اليوم»⁽¹⁾. ونظراً لهذه الأهمية القصوى التي اكتسبتها الصورة الشعرية فلا بد من تتبع الجذور اللغوية لهذا المصطلح والتمثلة فيما يلي:

1/ مفهوم الصورة لغة: جاء في لسان العرب لابن منظور ما نصه: "الصورة في الشكل والجمع صور (بضم الصاد) وصور (بكسرها)، وقد صوره فتصور وتصورت الشيء: توهمت صورته، فتصور لي، والتصاوير، التماثيل"⁽²⁾

كما عرفها ابن الأثير قائلاً: «الصورة ترد في لسان العرب على ظاهرها وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته، وعلى معنى صفته، يقال: صورة الفعل كذا وكذا أي هيئته وصورة الأمر كذا وكذا أي صفته»⁽³⁾

وجاء في القاموس المحيط: الصورة، بالضم الشكل ج: صور (بفتح الصاد) وصور (بكسرها) كعنب، وصور وقد صوره فتصور وتستعمل الصورة بمعنى النوع والصفة⁽⁴⁾.

في المعجم الوسيط: صورته: جعل له صورة مجسمة، وفي التنزيل الحكيم (هو الذي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ)⁽⁵⁾

وتصور تكونت له صورة وشكل و— الشيء: تخيله واستحضر صورته في ذهنه

(1) إحسان عباس، فن الشعر، دار الطباعة للنشر والتوزيع، بيروت - لبنان — ط2، 1953، ص: 230.

(2) ابن منظور، لسان العرب، مج 4، ص: 85.

(3) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي النانلي، ص: 86 (المخطوطة).

(4) الفيروز آبادي، ص: 452.

(5) سورة آل عمران، الآية 6.

الصورة: الشكل، والتمثال المجسم وفي التنزيل العزيز: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾. في أي صورة مآشاء ركبك⁽¹⁾ وصورة الشيء ماهيته المجردة و— خياله في الذهن أو العقل⁽²⁾.

وتقودنا هذه التعاريف المتعلقة بمصطلح الصورة الشعرية إلى مفهومها الاصطلاحي وذلك عبر امتدادها الزمني، ولعل أحسن تعريف لها، هو ما ذهب إليه "صلاح الدين عبد التواب" بقوله: « الصورة هي تلك الظلال والألوان التي تخلعها الصياغة على الأفكار والمشاعر، وهي الطريق الذي يسلكه الشاعر لعرض أفكاره وأغراضه عرضاً أدبياً مؤثراً، فيه من طرافة ومتعة وإثارة.. وهي تتفاوت في تعبيرها وتأثيرها، قوة وضعفاً، ورفعة وضعفاً، فإن الأمر يجعلنا نشعر بأنه ليست كل صورة جديرة بأن تنمي ذوقاً أدبياً رفيعاً، أو تعتبر فناً قولياً أصيلاً، وإنما - فقط - تلك الصورة الحية النابضة التي تترك أثرها يتعمق المشاعر ويهز الوجدانات.. وعلى قدر تعبير الصورة وتأثيرها يتوقف قبولها لدى القارئ والسامعين»⁽³⁾.

وانطلاقاً من هذا التعريف يتضح لنا أن الصورة الشعرية ذات أهمية وخطورة لا على مستوى الفكرة والمعنى فحسب، بل على مستوى القارئ والسامعين، ومن هذا وذاك جميعاً «نقرر أن الصورة الشعرية الناجحة، ليست هي الصورة التهويلية الضبابية الجامحة التي لا يقر لها قرار، والتي تختلط فيها الأبعاد وأبعادها.. بشكل مضطرب وتغيب فيها الملامح والمعالم الأساسية وتتضارب فيها المشاعر فتصير ضرباً من المغالات والهديان المحموم.. والهستيريا الراجفة.. بل الصورة الناجحة في نظرنا، هي التي تحتضن مضمونها الفني، لتمثله أقوم تمثيل..جمالاً ووضوحاً..وتسير مع التجربة الشعرية سيراً طبيعياً..متلائمة مع غيرها في كل ذلك غير شاذة أو منحرفة عن الجو العام للتجربة النفسية..»⁽⁴⁾ علماً بأن هذا المصطلح بهذا المفهوم، لا وجود له في التراث البلاغي القديم - كما يتضح لنا بعد حين - إذ هو وليد الحداثة المتأثرة بثقافة الغرب

(1) سورة الانفطار، الآية: 8.

(2) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ج 1، ص: 528.

(3) أدبيات الصورة الأدبية في القرآن الكريم، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ط1، 1995م، ص: 109.

(4) يحيوي الطاهر، البعد الفني والفكري عند الشاعر مصطفى الغماري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م، ص: 93.

ومصطلحاته، إلا أن الاهتمام « بالمشكلات التي يشير إليها قديم.. ولقد عالجه نقدنا القديم معالجة تتناسب مع ظروفه التاريخية والحضارية.. وقدم عبر قرونه المتعددة مفاهيمه المتميزة التي تكشف عن تصورهما الخاص لطبيعة الصورة الفنية وأهميتها ووظيفتها». (1)

2/ مفهوم الصورة عند القدامى: لقد اختلفت آراء النقاد العرب القدامى حول ماهية المصطلح ومفهومه النقدي، ولعل أقرب رأي إلى مفهوم الصورة الحدائي ما ذهب إليه عبد القاهر الجرجاني الذي يعد من أبرز النقاد العرب القدامى تناول لهذا المصطلح وقد عرفه بقوله: « سبيل الكلام سبيل التصوير والصيغة، وأن سبيل المعنى الذي يعبر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه ، كالفضة والذهب يصاغ منها الخاتم فكما أن محالا ، إذا أنت أردت النظر في صوغ الخاتم وفي جودة العمل وردائه أن تنظر إلى الفضة الحاملة لتلك الصورة ... كذلك محال إذا أردت أن تعرف مكان الفضل والمزية في الكلام أن تنظر إلى مجرد معناه» (2)، ويتضح لنا من خلال تعريفه عدة وجهات نظر لعل أولها إشارة إلى الصورة ومدى ارتباطها بالصيغة والشكل، كما يدل كذلك على كيفية تشكيل الخطاب الأدبي وصياغته مشبها إياه بصوغ الذهب والفضة، ثم نجد هذا المعنى يزداد وضوحا وقربا من المفهوم الحديث، إذ يقول: « يريك الحياة في الجماد ويريك التئام بين الأضداد فيأتيك بالحياة والموت مجموعين، والماء والنار مجتمعين» (3) والظاهر أن جمال الصورة وبلاغتها لدى الجرجاني تتمظهر في الجمع بين المتناقضات، لأن المتشابهات تتألف فيما بينها دون حاجة إلى خيال مؤلف ثم يضيف قائلاً مبينا أهمية الصورة في الإبداع: « فالاحتفال والصنعة في التصويرات التي تروق للسامعين وتروعهم والتخييلات التي تهز الممدوحين وتحركهم شبيه بما يقع في نفس الناظر إلى التصاوير التي يشكلها الحذاق بالنقش أو بالبحث والنقر، فكما أن

(1) جابر عصفور ، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان ، ط3، 1992، ص : 8.

(2) دلائل الإعجاز، تحقيق أبو فهر محمود، محمد شاكر، مطبعة المدني، ط3 (د.ت)، ص : 197.

(3) عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة في علم البيان، تعليق محمد عبد العزيز النجار، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة 1977 م، ص: 125.

تلك تعجب وتخلب وتدخل النفس من مشاهدتها حالة غريبة لم تكن قبل رؤيتها، كذلك حكم الشعر فيما يصنعه من الصور»⁽¹⁾

لعلنا نلمس جانبا من المفهوم الحديث للصورة عند عبد القاهر الجرجاني حين يتحدث عن أثر التمثيل في النص الأدبي، إذ يقرن التمثيل بالتعبير الصوري، فكما أن تلك التصاوير تبهر الناظر وتخلب لبه بجمالها، فكذلك الشعر وفعله السحري في النفوس، كلما كانت صورة مبدعة ويعني بذلك أن التصوير الفني للأفكار المدركة لها وقع أثر من الاستحسان الناتج عن انفعال المتلقي، أو بعبارة أخرى أن تعبير الصورة وتأثيرها يتوقف قبولها لدى القارئ أو السامعين .

ونخلص في النهاية إلى القول: بأن مفهوم الصورة متجذر في النقد العربي القديم غير أن «ما يميزها هو طابع الحسية، فلم تكن براعة الشاعر في التعبير عن ذاته تشكل قيمة بالمقارنة مع تحريه مطابقة صورة للواقع»⁽²⁾، كما أن أشكالها البلاغية لم تتعد الصور البيانية المعهودة والتي عولجت في إطار من الجزئية والانفصال بين أجزاء القصيدة وعناصرها .

ولعل هذا بمثابة الفارق الوحيد بين المفهوم القديم للصورة، والمفهوم الاصطلاحي الحديث لها، يكمن في أن القدماء حصروا الصورة في الصور البلاغية كالتشبيه والاستعارة والكناية بينما توسع النقد الحديث في المفهوم وتجاوز بالمصطلح حدود الصور البلاغية إلى عالم أكثر رحابة، وسيحاول البحث أن ينفذ عبر هذه المنافذ الرحبة بدءا بمفهومها لدى الغرب.

3/ مفهوم الصورة الفنية عند النقاد الغربيين: اختلف مفهومها باختلاف المرجعيات الفكرية للنظريات» التي يتبناها النقاد في تعاريفهم ثم من المواد التي تتشكل منها الصورة حسب آرائهم»⁽³⁾، فالماركسيون على سبيل المثال يرون بأن سر الجمال في العمل الأدبي يكمن في مدى مطابقته للواقع إذ أن الصورة الفنية «في العمل الأدبي

(1) عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تج: هلموت راينر، استانبول، 1954، ص: 369.

(2) مصطفى ناصف، الصورة الأدبية، ص: 20.

(3) محمد طول، الصورة الفنية في القرآن الكريم، أطروحة جامعية مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الأدب العربي، 1413هـ - 1995م، ص:

هي التصوير المترجم الذي تتعكس فيه بصفة كبيرة الجوانب الحسية للواقع و مظاهر الطبيعة و حياة المجتمع»⁽¹⁾، ويعني بذلك وجوب مطابقة الصورة للواقع من « حيث أنها تمثل الشيء بأن تكون نسخة منه»⁽²⁾، وفي ذلك إشارة نقل الصورة نقلا أميناً للواقع المحسوس بعيدة عن ذات الشاعر وشخصيته، ويقاس جمالها بمدى المطابقة والصدق الواقعي، ولعل هذا ما يشترطه "ديدرو" الذي يرى أن التصوير لا يبلغ درجة الجمال ما لم تحدث «مطابقة الصورة للشيء»⁽³⁾.

وقبل أن نبرح هذا التمثيل الثنائي للصورة الشعرية في التفكير الغربي نسوق اتجاهها آخر يعتبر الصورة إبداعاً ذهنياً محضاً وفي ذلك يقول "بول ريفردي": «إن الصورة إبداع ذهني صرف وهي لا يمكن أن تنبثق من المقارنة، وإنما تنبثق من الجمع بين حقيقتين تتفاوتان في البعد قلة وكثرة..... إن الصورة لا تروعا لأنها وحشية أو خيالية، بل لأن علاقة الأفكار فيها بعيدة وصحيحة... ولا يمكن إحداث صورة بالمقارنة (التي غالباً ما تكون قاصرة) بين حقيقتين واقعتين لا تتناسب بينهما وإنما يمكن — على العكس — إحداث الصورة الرائعة، تلك التي تبدو جديدة أمام العقل بالربط دون المقارنة، بين حقيقتين واقعتين بعيدتين لم يدرك ما بينهما من علاقات سوى العقل» إن تصريحاً كهذا يؤكد عبودية الصورة للواقع ويجعل العمل الفني خاضعاً لمبدأ المحاكاة الصماء «لا يتعدى إيقاظ الشعور بالواقع»⁽⁴⁾، ولعل الغلو بلغ مداه لدى الروائي الروسي "تور جينيف" والذي يرى أن «منتهى السعادة بالنسبة للأديب أن يصور الحقيقة بالضبط وفي قوة حقيقة الحياة حتى ولو كانت لا تتطابق مع ميوله الشخصية»⁽⁵⁾، وهي بذلك تصبح صورة مطابقة من « حيث أنها تمثل الشيء بأن تكون نسخة منه »⁽⁶⁾، مما يجعل الفكر الذي هو سيد الموقف بمنأى عن الوجدان إذ هو الذي يصنع التميز في قدرته على الجمع بين حقيقتين، وعدم التزاوج بين العقل والعاطفة لا

(1) محمد طول، الصورة الفنية في القرآن الكريم، ص: 135.

(2) عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية، ص: 133 - 134.

(3) بيتروف، الواقعية النقدية، ترجمة شوكت يوسف، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1983، ص: 43.

(4) محمد حسين عبد الله، الصورة والبناء الشعري، دار المعارف، مصر، (د.ت)، ص: 49.

(5) الغمري مكارم، الرواية الروسية في القرن 19، سلسلة عالم المعرفة، عدد 117، 1981، ص: 220.

(6) عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية، ص: 133 - 134.

يكون هناك إبداع بل «لصرنا في غير حاجة إلى الشعراء»⁽¹⁾، وبالتالي تفقد الصورة قيمتها لكونها نتاج عقل وليست وليدة العاطفة، ونتيجة لهذا التطابق المفروض والذي يكاد «يوافق حرص القدماء العرب على التطابق الموضوعي في الهيئات والحركات بين حدي الصورة التشبيهية مثل ابن طباطبا الجرجاني والقز ويني»⁽²⁾ ومن ثم تؤول الصورة إلى وسيلة نقل تقريرية يحكم فيها على الشاعر بالصدق والمقاربة للحقيقة أو الكذب وبذلك يتعذر منحها بعدا جماليا أو نفسيا وهو مذهب سلكه "كلوديل فاليري" الذي «اعتبر أدوات التشبيه كوسائل استنتاج عقلي تصلح للتعبير عن عالم المادة والمنطق والعلم غير صالحة للتعبير عن الرؤيا الفلسفية»⁽³⁾، ويدل ذلك على إبعاد الشاعر عن ميدانه وجعله عالم مادة تخضع للتقعيد والتقنين، لا فنانا يعمل على مد جسر بين العنصرين الشعوري والنفسي معا لا أحدهما لأن الصورة ستكون كما يقول "كارل فيسلر" وليدة «الشعور ونتاج الوجدان، وإذا كانت تفكير فهي تفكير مرتبط بوجدان الأديب ولا تخضع لعقله بقدر ما تخضع لشعوره»⁽⁴⁾، ومن خلال استعراضنا استعراضنا لكل هذه الآراء تبين لنا أن الصورة قد تأرجحت بين حدين لا ثالث لهما و يتمثلان في العقل أو في الشعور وستتم الإشارة إليهما في خاتمة الصورة الشعرية.

4 / مفهوم الصورة عند النقاد والبلاغيين العرب المحدثين والمعاصرين:

لقد اختلفت الرؤى، وتباينت وجهات النظر حول حقيقة الصورة الشعرية وعناصر تشكيلها، فهناك من يذهب إلى القول بأن هذا المصطلح الموسوم بالصورة فما هو إلا «ترجمة للمصطلح النقدي الغربي image»⁽⁵⁾ وهو ما يوحي بحدائته وأنه صنع تحت وطأة التأثير بمصطلحات النقد الغربي والاجتهاد في ترجمته، كما هو ملاحظ من خلال مقولة الدكتور "محمد ناصر" السالفة الذكر، ولعل مرد ذلك إلى الانفتاح على الغرب والاحتكاك بثقافته، عن طريق الاتصال المباشر، أو غير المباشر

(1) عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية، ص: 135

(2) محمد طول، الصورة الفنية في القرآن الكريم، ص: 12.

(3) نفس المرجع والصفحة

(4) رمضان كريب، النقد الجمالي عند مصطفى ناصف، مؤسسة قاعدة الخدمات الجديدة للطباعة، تلمسان، 2002م، ص: 157.

(5) محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية، ص: 421.

وهو نتيجة طبيعية لما وصلت إليه الإنسانية من تقدم علمي أسفر عن ظهور علوم جديدة ومدارس نقدية، وأدبية كالرمزية والسريالية، وعلم الدلالة وما إلى ذلك من العلوم وبعبارة أدق هي طبيعة كل عمل فني حديث، ولا سيما عند فقدان أو بالأحرى قلة الدراسات العربية المتخصصة المهمة بهذا العنصر الهام في العمل الشعري وعلى هذا الأساس فإن التشكيل الفني للصورة يخضع للخلفية الفكرية، غير أن الاهتمام بالمشكلات التي يشير إليها المصطلح قديم في التراث البلاغي والنقد عند العرب وإذا كانت الصورة الفنية بمثابة الجوهر الثابت والدائم في الشعر، فإن ما يمت بصلة إلى هذا الجوهر آيل للتغيير مفهوماً، ونظرية، مادام هناك شعراء مبدعون، ونقادا يحاولون تحليل ما أبدعه أولئك الشعراء والحكم على أعمالهم علماً بأن هذه الأحكام الصادرة حول الصورة تختلف من عصر إلى عصر، ومن فكر إلى آخر، ومن بين الذين اهتموا بالصورة الشعرية في العصر الحديث "مصطفى ناصف" والذي يعرفها بقوله: «الصورة في الأدب تطلق عادة على كل ماله صلة بالتعبير الحسي وتطلق أحياناً مرادفة للاستعمال الاستعاري للكلمات»⁽¹⁾ نلاحظ هنا - في اعتقادي - بأنه قد زواج بين مفهومين: قديم يرجع إلى المفهوم التقليدي للصورة وحديث متأثر ببعض آراء الغربيين في تشكيل الصورة، ولعله في ذلك يلتقي مع "جابر عصفور" الذي يرفض أن تكون الصورة شبيهة بالمنطقية فهي «ليست تشكيلاً عقلياً واعياً وليست تشكيلاً اعتبارياً، لأن الشاعر يشكل فيها المكان والزمان تشكيلاً نفسياً خاصاً متجانساً مع حالته الشعورية»⁽²⁾ ولا يكاد "محمد زكي العشماوي" يحيد عن هذا السياق حيث يقول: «هي تعبير عن حالة نفسية معينة يعاينها الشاعر إزاء موقف من مواقف الحياة»⁽³⁾. كما يعرفها "عبد القادر القط" بقوله: بأنها «هي الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة»⁽⁴⁾

(1) مصطفى ناصف، الصورة الأدبية، ص: 163.

(2) جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ص: 163.

(3) قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، ص: 108.

(4) الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، ص: 345.

وبنظرة خاطفة إلى كل هذه الآراء، يتضح لنا أن التصوير الفني لا يشترط في تكوينه ألفاظاً وعبارات مجازية، كما عهدناه لدى علماء البلاغة، بل إنها توحى في مجملها إلى حقيقة واحدة، والمتمثلة في تصوير المشهد النفسي تصويراً فنياً صادقاً، يدل على خيال خصب، لأن العبرة ليست في تكديس الصور المشكلة من ألوان البيان وإنما الأهم هو ما مدى قدرتها على نقل الفكر والعاطفة من الشاعر إلى المتلقي في أسلوب أدبي، وهو بذلك يعتبر نقلة نوعية، أحرزتها الصورة الشعرية بين القديم والحديث لدى "عبد القادر القط" وأمثاله ممن اهتموا بالتشكيل المكاني.

ولكي نوفق بين هذه الخلفية النظرية للصور، والدراسة التطبيقية، لابد من الوقوف على طبيعة المتن الشعري من حيث رؤيته الفنية، ومصادر الصورة وألوان تشكيلها اللغوي، وأنماط تركيبها الفني، ومجال نسقها إن كان فردياً أو كلياً يستوعب القصيدة أو مجموع القصائد، وفي الأخير نقف عند علاقة كل هذه الجوانب في الصورة مع الجوانب الفنية الأخرى وبخاصة الإطار الموسيقي – للمتن الشعري .. ويتأتى ذلك من خلال موضوعات الصورة التقليدية، وخصائصها من موضوعات وأطر في الوصف، والتعبير والبناء.

5- وظيفة الصورة التقليدية وخصائصها:

نستطيع الكشف عن وظيفة الصورة في شعر المسعدي المتجه اتجاهاً تقليدياً، من خلال وقوفنا على طريقة التعامل مع الواقع، وتسجيل المواقف، وتقديم القضايا والتعبير عن الانفعالات.

ولا شك أن وظيفة الصورة في هذا الاتجاه، مرتبطة بالتزامه بقضايا خاصة تتعلق بمحيطه بصورة واضحة، والتي جعلته يغلب مهمة الإقناع المنطقي، والنظرة التحليلية على مهمة التشكيل الجمالي، وفي جميع الأحوال « فإن النقاد القدامى والمحدثين يجمعون على وظيفتين أساسيتين لهذه الصورة : أولهما: وظيفة الشرح والتوكيد والتوضيح، والمغالاة.

وثانيهما: الوظيفة التزينية، وهاتان الوظيفتان تتلاحمان في هذا النوع من الصور»⁽¹⁾ من جراء التلاحم القائم بين صورتها "العارية" و"التميقية" كما يصطلح عليهما الدكتور "مصطفى ناصف"⁽²⁾، ويمكن أن نقف عند هاتين الوظيفتين في هذه النماذج الشعرية حيث يقول المسعدي مهناً الممدوح "يحي بن السعيد عبد السلام" بعيد الأضحى:

تهنى بعيد الفتح والفضل والنصر وبالجز والإقبال يا مفرد العصر
وبالمجد والفخر المؤتل مثل ما تهنى بك الأعياد في الفطر والنحر

يتضح لنا أن الشاعر قد هنا الممدوح بالعيد الذي تعددت أنواعه ولم يعد عيداً واحداً، وقد حقق الشاعر هنا الوظيفة التوضيحية التحليلية في مجموعة من المعاني من ذلك: الفتح، والفضل، والنصر، والعز، وما إلى ذلك من المعاني. أما الصورة التالية فإن وظيفتها التزينية تغطي على الوظيفة الأولى فيقول:

أبا مالك والفضل عبد ملكته فألبست تاج العز من مفرق الدهر
وطوقت أعناق الزمان صنائعا منظمة نظم العقود من الدر
سجدنا اقتداء بالمفاخر والعلى وجبنا متون البيد والمهمه القفر
هماما سما فوق الأنام بهمة وأتعب من ينلوه في الأعصر الغبر⁽³⁾

من خلال تصفحنا لهذه الأبيات يتبين لنا أن في البيت الأول صورتين، فالأولى تتمثل في تجسيد الفضل وتشخيصه والذي أصبح عبداً مملوكاً للممدوح، كما شخص الدهر الذي توج الممدوح كما يتوج الملك، أما الصورة الثانية، فهي تشخيص للزمان أيضاً، بحيث غدا بمثابة أسير مقيد من عنقه، لا بالسلاسل كما هو معروف، وإنما بالصنائع هي قيده بحيث انتظمت في جيده كنظم العقد، واعترافاً بهذه الصنائع التي هي بايعاز من المفاخر والعلى سجدوا اقتداء بها، قد ساهمت هذه الألفاظ في تركيب الصورة الشعرية التي توحى بمدى جود وفضل الممدوح الذي فاق كل تصور لدرجة أنه أصبح فوق الأنام، بل لا أحد يضاهيه في العصر المتعاقبة، كما نلاحظ شكلاً آخر

(1) نعيم حسن اليافي، تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث، ص: 16.

(2) نظرية المعنى في النقد العربي، دار العلم، القاهرة - مصر - 1965، ص: 39.

(3) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي النائلي، ص: 5 (المخطوطة)

يقر فيه الشاعر الفكرة المجملة في أبيات ثم يؤكد لها و ينمقها، بصور في أبيات أخرى، وهذا النوع من التصوير سواء كان يتعلق بالنموذج الأول أم بالنموذج الثاني يمكن الوقوف عليه في معرض حديثنا عن مصادر الصورة وذلك تفاديا للتكرار، لأن الثقافة السلفية قد حددت منذ البداية بلا شك الإطار الذي كان الشعراء المحافظون لا يخرجون عن نطاقه، إذ أن صورهم الشعرية لا تتجاوز هذا الإطار التراثي بمختلف مصادره المعروفة قرآنا كريما، وأحاديث شريفة، وأدبا عربيا قديما، بمفهومه الواسع شعرا وقصصا وأمثالا وتاريخا إسلاميا، ولذلك كان لزاما على الشاعر أن يعتمد في تكوين صورته على خياله والذي يصبح مداره « على ما كان واجبا واقعا، أو ممكنا معتادا الوقوع أو مقدره»⁽¹⁾، ومؤدى ذلك أن يبقى الخيال متوقفا حول مدركات حسية لايسمح فيها للخيال بالجنوح واختراق آفاق تلك الحدود، وهو بذلك يكون مخالفا لما يجب أنيكون عليه الخيال، إذ أن « نوعيته وإمكانياته وفاعليته هي ما تميز المبدع عن غيره ول تنفصل قيمة الشاعر وأصالته»⁽²⁾، وهو ليس بالأمر المستهجن، لأن هذه النظرة كانت سائدة لدى كثير من النقاد والشعراء في أحكامهم على الإبداع الشعري باعتبار الخيال هو من يتمكن خلق قصائد ينسج صورها ويخلد أثرها، وفي ذلك يقول أبو اليقظان « وما الشعر إلا وحي يوحيه الخيال على النفس فينطلق به اللسان، فينشده الدهر قرونا يرسل أشعته من نافذتها فيضيء فيها بطون الليالي المقبلة مدى العصور»⁽³⁾ وهذا ما نحاول إدراكه من خلال أشعار المسعدي ومدى توظيفه للخيال في تكوين صورته وهو ما نقف عليه في هذه النماذج:

- | | |
|--|---|
| 1) تبارك من سواك خلقا مُرْكَبًا | تُجَمِّعُ أَشْتَاتَ الْفَضَائِلِ وَالْفَخْرِ |
| 2) فلو لم يكن ملكُ ابن داودَ قبله | لأعربَ عن نُطقِ الصَّوَادِحِ فِي الْوَكْرِ ⁽⁴⁾ |
| 3) و شَانِيُكُمْ هُوَ الْمَحْرُوبُ حَقًا | بِذِي الدَّنِيَا وَ مَحْرُومُ الْمَعَادِ ⁽⁵⁾ |

(1) أبو الحسن حازم القرطاجني، منهاج البلغاء، تح: الدكتور الحبيب بن الخوجه، دار العربية للكتاب، تونس، 2008م، ص: 44.

(2) جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ص: 13.

(3) محمد مصايف، النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي، ج1، ص: 7.

(4) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي النائلي، ص6. (المخطوطة)

(5) المصدر نفسه، ص: 14.

- (4) والمجدُّ يُليْسُكُمْ شِفَافَ بُرُودِهِ والفضل يلقاكموا بكأس دِهَاقٍ⁽¹⁾
- (5) حتَّى تعجرف جاهلٌ بخز عَيْلٍ يحكـي الخَبَالِ⁽²⁾
- (6) إن كنت تجهلُ ما قد قيلَ عن لَبَدٍ وعُمُرُ لِقمانه بالله قف و سَلِّ⁽³⁾
- ولدى تأملنا لتلك النماذج المشار إليها يتبين لنا أن الشاعر قد شكّل من القرآن الكريم "الصورة المثالية" والتي لا يعجز أي قارئ في اكتشاف الصلة بين هذه الأبيات وبين آيات قرآنية، وظفها الشاعر في إبراز هذه الصور، ففي البيت الأول نجد الشاعر أخذ معنى الصدر من قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَّلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾⁽⁴⁾

كما أن صدر البيت الثالث فيه تلميح إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾⁽⁵⁾ ، وفي نفس الشئ بالنسبة لعجز البيت الرابع حيث استوحاه من قوله تعالى: ﴿وَكَأَسَا دِهَاقًا﴾⁽⁶⁾ وكذلك عجز البيت الرابع فهو مقتبس من قوله تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾⁽⁷⁾

وهناك شكل آخر مخالف لما سبق حيث يقارن فيه الشاعر بين صورة وحالة وهذا ما يمكن إدراكه في هذين النموذجين:

– النموذج الأول:

عاش الزَّمانُ بحظِّي ثم عاندني بجـدّه عند أطوار من اللعب
وما درى أن مثلي لا يُروِّعُه وقعُ الزمان و لا هـش إلى طرب⁽⁸⁾

– النموذج الثاني:

قلْ كيف أصبحَ قاضي القوم حُشلافُ؟ أم قد تظنّيت أن القول إرجاف
بل قد تبيّنت أن الأمر كارثة تأتي عليك و ما في الحكم إسراف
لقد جنيتَ الذي زرعتَه سلفاً مثلاً بمثل و ما في الوعد إخلاف

(1) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي النائلي، ص: 58. (المخطوطة)

(2) المصدر نفسه، ص: 91.

(3) المصدر نفسه، ص: 42.

(4) سورة الانفطار، الآية 6-7.

(5) سورة المائدة، الآية 8.

(6) سورة النبأ، الآية 34.

(7) سورة التوبة، الآية 47.

(8) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي النائلي، ص: 32 (المخطوطة).

فاشكرُ أو اكفرُ و ذقُ ما قد جنيتَ ولا تجزعُ فعاقبةُ الإجحافِ إجحافٌ⁽¹⁾ وفي الحقيقة فإن أشكال العلاقة بين الفكرة المجملة التقريرية ، وبين عنصر التصوير المؤكد والموضح و المنمق للفكرة، لا يمكن حصرها في هذه النماذج، بل أنها تكاد تغلب على جميع أشعاره، ولا سيما الصورة السابقة، علاوة على اهتمامه باستمداد معاني بعض الأبيات من الأحاديث النبوية الشريفة، وكذلك الأمثال غير أن ورودها قليل كما سبقت الإشارة إلى ذلك⁽²⁾

6 : خصائص الصورة التقليدية:

إن تركيز وظيفة الصورة في الشعر التقليدي على المهمة التوكيدية التوضيحية التزينية، وسمها بمجموعة من الخصائص منها: الشكلية، والوصفية، والابتدال والجمود، وهذه الخصائص تفرضها نظرية المحاكاة التقليدية ، ومن ثم فإن هذا المبدأ المتحكم والمنظم لعملية تفاعل النصوص، والتقاءها عند الإبداع الشعري لا يتجاوز قانون الاجترار المعتمد على ما ترسب في ذاكرة الشاعر من صور، وبعبارة أدق أن هذا الشعر يحمل بين طياته الكثير من رواسب الماضي، وبذلك تصبح تكرارا للصور القديمة المبتذلة، وإعادة قوالب الوصف، وبالتالي يجعل الصورة تفتقد فاعليتها التعبيرية، وحيويتها الإيحائية، ومعانيها المستثيرة لعواطف القارئ، والممتعة لخياله وبذلك يصبح دورها الدلالي في النهاية لا يتعدى مجرد الإبلاغ والإخبار والتسمية و تتواتر في شعر المسعدي تلك الصور القديمة المتأكلة التي أضناها الاستعمال لكثرة دورانها على أسنة الشعراء في مختلف العصور، والبيئات بعناصرها ودلالاتها وتحولت إلى مجرد دلالة حرفية، وإن اختلفت في تركيبها ونسقها ومرجعيتها الواقعية والنفسية، وهذا ما سنقف عليه من خلال هذه الخصائص :

أ- **الوضوح والابتدال:** ومرد ذلك إلى اعتماد الشاعر على المخزون الشعري القديم الذي ترسخ في ذهنه من خلال مطالعته الكثيرة، ومن ثم اجتراره لها مما طبعها بطابع الابتدال الذي هو السمة البارزة، التي تتسم بها الصورة فهي إما «مبتذلة لظهور الجامع

(1) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي النانلي، ص: 56 (المخطوطة)

(2) ينظر: في هذا الفصل (الأمثال) ص: 217 - 221

فيها .. وإما خاصة هي الغربية»⁽¹⁾ غير أن هذا لا يعني بأن الشاعر يستغني في عمله الشعري عن تحصيله المعرفي المكون لثقافته، لأن ذلك ضرباً من العبثية بل المستحيل وإنما القصد هو ألا يعتمد على هذا التراث «بحرفيته دون إضافة، ونقل دون إثراء يغترف من الخيال الذي يمدّه بالجديد والمبدع، لأن صورته – والحالة تلك – تكون معروفة، مطروقة، مبتذلة، مفتقرة إلى الصفة الفنية الأساسية، التي يجب أن تتوفر عليها الصورة الشعرية، وهي المفاجأة، والابتكار، وكل ما من شأنه أن يجعل المتلقي في حالة انبهار واندھاش، ومنتعة»⁽²⁾، وبالعودة إلى مدونة المسعدي يتضح لنا أن صورته لا تخلو من هذا الطابع الاجتراري – إذا جاز التعبير – ومن ذلك قوله:

يَحِينُ إِلَيْكَ شَارِدُ الْفَضْلِ مِثْلَمَا	تَحْنُ الْحَمَامُ الْوُرُقُ لِلْإِلْفِ وَالْوَكْرِ ⁽³⁾
سَجَدْنَا اقْتِدَاءً بِالْمَفَاخِرِ وَالْعُلَى وَجَبْنَا	مَتَوْنُ الْبَيْدِ وَالْمَهْمَةِ الْفَقْرِ
تَطِيرُ بِنَا نَوْقَ الرَّجَا يَسْتَحْتِهَا	حُدَاهُ اشْتِيَاقُ بِالسَّيِّطِ مِنَ الذِّكْرِ
لِجَاءَتِكَ مِنْ بَدِيعِ شِعْرِي رِصَائِعِ	تَسِيرُ بِهَا نُجُوبُ الْأَصَائِلِ وَالْبُكْرِ ⁽⁴⁾
وَأَقْبَلْتَ الْمَجَادَةَ فِي حُلَاهَا	تَسِيرُ الْخَيْزَلِيُّ وَالسَّعْدُ حَادٍ
بِأَقْبَالِ الْخِلَاصَةِ مِنْ قَرِيشِ	وَأَكْرَمَ مِنْ عَلَى مَتْنِ الْجِيَادِ ⁽⁵⁾
وَبِعَمِّ عَمِّ الْأَنْبَامِ نَوَالَا	وَارْتَقَى فَنَقَاصِرَ الْفَرَقْدَانِ
أَخْجَلَ الْبَدْرَ نَوْرَهُ لَيْسَ بِدَعَا	إِذْ لَهْ قَدِ تَقَارَبَ الْقَمْرَانِ ⁽⁶⁾
مَحْمَدٌ بِشَّرْنِي بَعَزٌ وَاقْبَالِ	إِذَا مَا حَلَلْنَا فِي عَرِيْسَةِ رَبِّبَالِ
إِذَا مَا نَزَلْنَا بَيْنَ لَيْثٍ وَأَشْبَلِ	بِهِمْ تُدْفَعُ اللَّوَا أَوْ أْبْلُغُ آمَالِي ⁽⁷⁾
وَبِخَالِ فِي فَيْضِهِ الْبَحْرُ خَالٌ	لَيْثُ يَوْمِي كَرِيهَةٌ وَطِعْمَانِ ⁽⁸⁾
وَطِعْمَانِ ⁽⁸⁾	

(1) التفتزاني، مسعود بن عمر، شرح مختصر المعاني، منشورات دار الذخائر، قم - إيران - 1398 هـ، ص: 276.

(2) محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية، ص: 429.

(3) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي النائلي، ص: 3 (المخطوطة)

(4) المصدر نفسه، ص: 9.

(5) المصدر نفسه، ص: 12.

(6) المصدر نفسه، ص: 23 - 24.

(7) المصدر نفسه، ص: 16.

(8) المصدر نفسه، ص: 23.

وهكذا نلاحظ من خلال هذه النماذج المجتزأة من مدونة المسعدي، تومئ إلى معجمه الشعري الذي تغطي عليه تلك الظاهرة السالفة الذكر، حيث ضم شعره قدرا كبيرا من الألفاظ التي ترجع في أصولها إلى الشعر العربي القديم، في بيئته الصحراوية الأولى وهي ألفاظ تتعلق بالصحراء ومكوناتها وسمائها: زحل، بدر، قمر، الفرقدان، ليل، صبح غيث، مزن بيد، مهمه قفر، متون البيد، ومما يرجع إلى حيواناتها مثل ألفاظ: الأسد الليث، الضرغام، الشبل، الصوادح، طير، حمام الورق، نجب الأصائل، الجياد النوق ومنها ما يعود إلى نمط الحياة ومتطلباتها، كالماء الذي هو أساس الحياة ومصدر البقاء والناقة والحادي والأضياف والمرايع التي توحى بالخصب ومن ذلك قوله مرحبا بالشيخ" الحاج بن عمر بن حرز الله الحركاتي" بمسعد :

تشرفت المرباعُ و النـوادي و سُـرَّ العُـرْبُ حاضـرُهُم و بادِ
بل أنه هو ربيع المحل حيث يقصده الناس في السنوات العجاف فقال :

سَـرَاةُ النَّاسِ عَالَتْكُمْ و أَنْتُمْ ربيعُ المَحَلِّ حَصَنٌ فِي الجِلَادِ (1)
كما يلح على ذكر موارد المياه باعتبار هذه الأخيرة تمثل شريان الحياة، ومصدر البقاء وقد أكثر من استعمالها في الرثاء على وجه التحديد فيقول في مرثية الباشا سيدي "محمد بن أبي القاسم الأحرش" :

حَلَّتْ مَنَاهِلُ ذِي الدنـيَا لواردِها من حيثُ لم يدرُ أَنَّ السَّمَّ فِي العسَلِ (2)
و كذلك في رثائه للشيخ "البشير بن الحاج" فقال:

يا منهلَ الباردِ السَّلْسَالِ مالِكٍ قد صرت الأجاجَ على الرُّوَادِ و القُطُنِ (3)
ثم يعلل سبب الرحلة إلى الممدوح سعيا لتحقيق الأمل المرجو الذي ينشده من خلال هذه الرحلة:

إليه لَقَدْ أَمَّتْ بليـلِ رِكائبُنَا فبشـرَ صُبْحِ التُّجْحِ طائِشَ آمالي (4)
ومن قادت الأمالُ فيه رِكائبِي فألقيتُ رحلي في حمي مفردِ العَصْرِ (5)

(1) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي النائلي، ص: 12-13 (المخطوطة).

(2) المصدر نفسه، ص: 39

(3) المصدر نفسه، ص: 49

(4) المصدر نفسه، ص: 17.

(5) المصدر نفسه، ص: 27.

كما يقول كذلك ولنفس الغرض

أطيرُ إلى زُهر الكواكب ناظماً وأجني يتيمَ الدرِّ من لُججِ خُضْرٍ⁽¹⁾
 وختاما إن كانت من قبيل «الرفات الخيالية»⁽²⁾ على حد تعبير الدكتور "محمد ناصر"
 فهي تصوير نابض بالحياة البدوية بكل ما تحمله الكلمة من معنى، وهذا ما عكسته تلك
 اللوحات الشعرية السالفة الذكر، حيث وظف في هذه النماذج وغيرها، لغة تفوح منها
 رائحة الأرض الجزائرية، ولاسيما وأن الشاعر قد تعاطى الفلاحة قلبا وقالبا وتنفس
 أجواءها، غير أن ما يعيب هذا التصوير هو التكرار للصورة الشعرية بحرفيتها غالبا
 في الكثير من القصائد ولعل ذلك راجع إلى عدم مزج صورته «بإحساسه وخياله الذي
 يلونها ثم يعرضها صورا فيها من الخيال والواقع الشيء الكثير»⁽³⁾

وأحيانا نجد الشاعر يجمع بين لغة البحر والصحراء وما يتصل بهما من مشاهد ولعلها
 ترمز للصراع المأساوي في حياة الإنسان والحيوان والأدل على ذلك:
 وضُضِعَ ركن الدين أظلم جوهُ وغازض معينُ الفضل بل نضبَ البحرُ⁽⁴⁾
 هنيئا لنا إنا انتظنا بسمطه ومن عرف الخضمَّ يزري بأوشال⁽⁵⁾
 لو اعتصمت برأس النيق أدركني طوفانه من عيون الهم والكرب
 ولو أقمت مقام الحوت في لجج لخفت موت الظما أو مسة القتب

ب - الاعتماد على الأدوات البلاغية القديمة: والتي تميز الصورة الشعرية في
 الاتجاه المحافظ المستخدمة عادة في بناء الصورة كالمجاز، والتشبيه والاستعارة
 والكناية، ولم تحظ الاستعارة - على الرغم بأنها أمعن في الخيال بالاهتمام في النقد
 العربي القديم الذي كان «يعطي أهمية للتشبيه أكثر من اهتمامه بالاستعارة، فقد كان
 النقاد القدامى يرون في التشبيه جانبا من شرف كلام العرب، وقد تكون الفطنة
 والبراعة، ولهذا جعلوه أبين دليل على الشاعرية، ومقياسا تعرف به البلاغة وأوصى
 النقاد بأن يطلب الشاعر الحدق فيه، لكي يملك زمام التدرب في فنون السحر البياني»⁽⁶⁾

(1) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي النائلي، ص 8 (المخطوطة).

(2) محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية، ص: 437.

(3) أحمد مطلوب، دراسات بلاغية ونقدية، دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ص: 242.

(4) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي النائلي، ص: 35 (المخطوطة).

(5) المصدر نفسه، ص: 19.

البياني»⁽¹⁾ ويتواصل هذا الاهتمام بالتشبيه إلى العصر الحديث ليصبح أكثر شيوعاً لدى مدرسة الإحياء العربية، وكان طبيعياً أن يستخدمها الشعراء الجزائريون التقليديون «لأن الصورة الشعرية كانت تخضع للعقل لا للخيال وتتخذ وسيلة لتوضيح الفكرة أو الشعور وغايتها عندهم هي الوصول إلى الحقيقة، والكشف عن صور الحجج العقلية المنطقية، متأثرين في ذلك بوجهة النظر العربي القديم»⁽²⁾، وهذه الخاصية الرفيعة يؤكدها كذلك "جابر عصفور" أيضاً بقوله: «الفتنة بالتشبيه فتنة قديمة لدى بعض الشعراء الأوائل بالبراعة في نظر الشعر نفسه»⁽³⁾، وللتدليل على استخدام الشعراء الجزائريين للصور الشعرية القديمة، نسوق هذه النماذج من شعر المسعدي والذي يعد أحد هؤلاء الشعراء المحافظين، ومن ذلك قوله: من قصيدة يهنئ بها "يحيى بن السعيد" حيث يشبهه بالبدر بل أنه البدر نفسه لولا وجود أشخاص محيطين به . وفي ذلك يقول:

ولولا رجالٌ منك غُرٌّ أما جِدٌّ يَحْفُونُكُمْ كَهَالَةِ الْبَدْرِ بِالْبَدْرِ

كما يشبه راحة يديه بالبحر على سبيل التشبيه البليغ فيقول :

كلا راحتيك البحرُ لا المَنحُ غَضَّهَا ولا العُدْمُ و الإِثراءُ في العسرِ و اليسر⁽⁴⁾

ثم يقول في قصيدة أخرى مهنئاً بها نجل الشيخ مصطفى القاسمي مشبهاً إياه بالشجاع الكريم الذي لا يلقاك إلا وارتسمت على محياه الابتسامة فقال :

هُمامٌ إذا يَلْقَاكَ يَلْقَاكَ بِاسْمَا كأَنَّكَ تُعْطِيهِ الرَّغَائِبَ فِي الْحَالِ⁽⁵⁾

و أن تلك النعم تحف به كما تحف الهالة بالبدر فقال:

يَحِفُّ بِهِ الْآلُ الْكِرَامُ كَهَالَةِ ببدر تمام حالَ صحو و إكمال⁽⁶⁾

ومن الصور التي اعتمدها كذلك في مرثيته "الباشاغا محمد بن أبي القاسم الأحرش" قوله:

مالي أرى الشَّمْسَ بَعْدَ الْمَجْدِ طَالَعَةً كأنما العالم العُلُوِيُّ لم يَهْل

بدر فقدناه لا كالبدر طلَعُوه بحرٌّ و لكنه عذبٌ لدى التَّهْل

شمس هو الأَرُخُ وَ التَّنْتَانُ تَنْقَصُهَا كسفُ الوفا و غُرُوبِ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ⁽¹⁾

(1) مصطفى ناصف، الصورة الأدبية، ص: 46.

(2) محمد غنيمي هلال، دراسات ونماذج في مذاهب الشعر ونقده، ص: 65.

(3) الصورة الفنية في التراث النقدي البلاغي عند العرب، ص: 112.

(4) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي النائلي ، ص: 6 (المخطوطة).

(5) المصدر نفسه، ص: 17.

(6) المصدر نفسه، ص: 18 .

لقد اعتمد الشاعر هنا كذلك على التشبيه لإبراز مكانة الفقيد وعلو قدره والمتأمل لهذه الصور يرى أنها تتلون بألوان مشاعر الشاعر التي تغلب عليها الدهشة والتي دعتة إلى التعجب من طلوع الشمس وعدم كسوفها حزنا على الفقيد، ويوحى ذلك بمدى إلباس الشاعر لصوره الثوب الذي يتلاءم وذاته المتفجعة الباكية من خلال توظيف هذه الصور، وأمثالها في أشعاره الرثائية على وجه التحديد، والتي تكشف عن مدى ارتباط الشاعر بالواقع من خلال صورته المستوحاة من الطبيعة الصامتة شمس طالعة تثير التعجب من بروزها في وضوح النهار، على الرغم من موت الفقيد الذي هو كالبدر إلا أنه يختلف عنه لكونه افتقادا أبديا بخلاف البدر المعتاد الذي تتجدد رؤيته في كل ليلة، كما يشبهه بالبحر غير أن طعمه يختلف عن طعم ماء البحر، وفي ذلك إشارة إلى إبراز مكانة الفقيد، وتكاد هذه الصور نفسها تتكرر في كل مرثية مازجا بين العديد من الصور جلبها من التاريخ الديني كبعث الأنبياء مثل لقمان وسليمان والذان لهما مكانة خاصة في ذاكرة المسلمين، ومن التاريخ الثقافي كحاتم وكليب ولبد وأخبار مستوحاة من الأمم البائدة كعاد، دون أن يعدم مظاهر طبيعية كالطير وزحل والبدر دون أن ننسى استحضاره لشخصية اشتهرت بالديمومة السرمدية، ثم آلت إلى الزوال على الرغم من تجددها، وهذه الإحالات هي تشخيص للفناء الذي يتربص بكل شيء مهما سما وعلا، يتساوى فيها السيد والمسود، وهي دعوة موجهة إلى الإنسان لإبلاغه بحقائق ثابتة تتم عن مدى ازدرائه للعالم ومتاعها الزائل فيقول :

قلْ للذي باتَ بالأمال مغتبطاً وكلُّ ذي أمل يسعى إلى أجـل
إن كنت تجهل ما قد قيل عن أبـد وعمر لقمانه بالله قف و سل

سبحان مَنْ حُكْمُهُ بالموت عم فمـــــــــــــــــلوك كمن مُلِّكُهُ يسمو إلى زحل⁽²⁾

وإذا كان توظيفه لصورة لقمان الحكيم في صورة انهزامية تستوجب أخذ العظة والعبرة، فإن الصورة الثانية عكس ذلك، والتي ألبسها لممدوحه مضيفاً عليه الديمومة والاستقبال والتجدد وذلك من خلال توظيفه للفعل الماضي (أعرب) الدال على المستقبل

(1) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي الناطلي، ص 42- 43 - 44 (المخطوطة).

(2) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي الناطلي، ص : 42.

إذ يشخص صورة أخرى لسليمان بن داود والتي خلعتها على ممدوحه و الذي لولاه لأفصح عن نطق الطيور فقال :

فلو لم يكن ملكُ ابن داودَ قبله لأعرب عن نطق الصَّوَّاح في الوكر⁽¹⁾
ومما يجدر ذكره أن الصور الشعرية التي شخصها الشاعر تفتقد إلى ما يتطلب في الصورة الشعرية عادة من ابتكار و دهشة، لأن الشاعر اعتمد على ذاكرته، يستمد منها تعابيره حيث تختزن آلاف الصور المحفوظة، والقوالب الجاهزة، من خلال قراءاته الطويلة للتراث وبذلك يجد الشاعر نفسه أمام صور مستهلكة من الجميع ابتذالها «الاستعمال من طرف الشعراء السابقين، حتى غدت أشبه ما تكون بالثوب الجاهز سلفا لم يصنع خصيصا لينسجم مع جسم صاحبه، شكلا، ولونا، وحجما والصورة الشعرية الناجحة هي التي يسعى الشاعر لأن يكون فيها دمه، ونبضه وبصماته وبذلك تكون كشفا نفسيا لشيء جديد، وليست مزيدا لمعرفة المعروف»⁽²⁾، والحقيقة إن تقليدية الصورة وقيمتها لا ترجع إلى قدم مصادرها أو جدتها وإنما تعود إلى طريقة التعبير والبناء، تلك الطريقة التي تجعل المتأمل لها، أن الشاعر يصف من أجل الوصف، مما يترتب عن ذلك خلوها من أية لمسة فنية وهذا ما نلاحظه كذلك في الصور الاستعارية التي أوردها الشاعر في مجموعته الشعرية بحيث أن «الاستعمال الاستعاري يربط الفرد بالكل ويربط اللحظة بالديمومة»⁽³⁾ وتتعرز هذه المقولة برأي "جابر عصفور" حيث يقول: «إذا كان التشبيه يوقع الائتلاف بين المختلفات ولا يوقع الاتحاد، وهذا ما يميزه عن الاستعارة التي تتعدى على جوانب الواقع وتلغي الحدود العملية بين الأشياء على نحو لا يستطيعه التشبيه»⁽⁴⁾ ومن الصور الشعرية التي أوردها الشاعر كالاتي:
ولعل أول صورة تصادفنا قوله :

فدُم و ارفلن في بُرد عز ورفعة ثروِّي ربوع المَحَلِّ⁽⁵⁾ بالسَّيِّحِ وَالْقَطْرِ⁽⁶⁾

(1) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي النانلي، ص: 28 (المخطوطة)

(2) محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية، ص: 432.

(3) مصطفى ناصف، الصورة الأدبية، ص: 6

(4) الصورة الفنية في التراث النقدي البلاغي عند العرب، ص: 92.

(5) وها هنا يحضرنني قول زهير في مدحه لآل غطفان إذا السنة الشهباء أجحفت ونال كرام المال في الحجرة الأكل رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم قطبنا حتى إذا أنبت البقل، نقلا عن: ديوان زهير بن أبي سلمى، ص: 101.

(6) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي النانلي، ص: 7 (المخطوطة)

فالشاعر هنا شبه الممدوح بساقية تسقي تلك الربوع التي انقطع عنها المطر مما ترتب عن ذلك يبس الأرض من الكلال ثم حذف المشبه به وهي "الساقية" ورمز إليها بشيء من لوازمها وهي "تروي" على سبيل الاستعارة المكنية، ويستمر الشاعر في التشخيص حيث شبه البشائر بمغن أطرب سامعيه والتي أعادت بذاكرتهم إلى تصور قيان الأمم الغابرة، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه (غنتنا) وذلك على سبيل الاستعارة المكنية وفي ذلك يقول:

وغنتنا البشائر عن لحون أعدن معبداً أو قيان عاداً⁽¹⁾

وينقل لنا في أخرى صورة قاتمة يخص بها شخصه الذي أنهكته الهموم، والمتاعب من جراء صنيع الزمان الذي عاث به فساداً دون أن يدري بأن ذلك لا يروعه ولعل عدم الترويع ناجم عن تراكماته الكثيرة التي أفقدته الإحساس بتلك الصدمات، وبالتالي أصبحت معهودة عنده فقال:

عاث الزمان بحظي ثم عاندني بجده عند أطوار من اللعب

وما درى أن مثلي لا يروعه وقع الزمان ولا هس إلى طرب⁽²⁾

فهذه صور كما نلاحظ مبنية على مجموعة من المقارنات ذات الدلالة المشتركة التي تتم في مجملها على ما تجرعه من مرارة واقعة متتالية، حاول الشاعر تصوير خلجاته النفسية وتوضيحها بوساطة الاستعارة كذلك، إذ صور الزمان بالآدمي بجامع الاحتيال والمكر والعبثية ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو (الخداع) على سبيل الاستعارة المكنية، وهكذا تتواتر الصور متتابعة ومن ذلك قوله:

وتهنأ به أيتامها وأرامل وطالب علم (عضه) الأزل والفقر⁽³⁾

لقد شخص الشاعر الفقر وجعله بمثابة حيوان مفترس، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو (العض) على سبيل الاستعارة المكنية ويجوز أن يجعلها كناية عن ضنك العيش.

(1) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي النانلي، ص: 12.

(2) المصدر نفسه ص: 32.

(3) المصدر نفسه، ص: 37.

ج - الحسية الشكلية: وتعتمد هذه السمة، التي تنتمي إلى الصورة الشعرية في هذا الاتجاه، على حاستي السمع والبصر دون « التغلغل إلى بواطن الأشياء والنفوذ إلى جواهرها باستخدام الحدس والخيال، لا باستخدام الوعي، والمنطق والعقل، إضافة إلى الولع بالزخرفة والتشكيل، ووصف الأشياء من خارجها دون محاولة التعاطف معها والامتزاج بها»⁽¹⁾، ويعني ذلك أن الشاعر يقف من موصوفاته موقفا حسيا معتمدا في ذلك على حاسته البصرية عادة « ويجيلها هنا وهناك ينظر إلى الشيء نظرة سطحية عابرة، لا يهيمه منها سوى الكتلة العامة، ولا يستهويه رسم الأشياء رسما دقيقا يعنى فيه بالتفاصيل، والقسمات، واللمحات»⁽²⁾.

ومن المتعذر سوق أمثلة عديدة في هذا المجال تفاديا لتكرار نماذج سبقت الإشارة إليها ولذلك اكتفيت بهذا المثال لتجسيد هذه الخاصية التي نحن بصدد دراستها وهي مقتبسة من قصيدة عنوانها [شرع الود قد قال اعذروا] والتي نلمح فيها الحاستين معا من خلال استعماله لكلمتي (أرنو) و(أرى) " فيقول :

أرنو بعين لا تزال غريقة ومن الجفون الوجد أقم راني
فمن العجائب أن أرى متوانيا أيقق في جنب الكرام تـوان⁽³⁾
أما التي تتجلى فيها حاسة السمع قوله مخاطبا صديقيه:

وكم استملت الصخر حتى فجرته وأجبت خدنا بالخدور دعاني
ثم سرعان ما نراه يقرن بين الحاستين معا السمع والبصر فيقول:

فقفا خليلي على ربع عفا بالله من هذر العذول دعاني
ثم يركز على السمع في البيت الأخير قائلا:

فلكم سلاماً و الأحبـة كلهم ما غن شاد عند ربّ مثان⁽⁴⁾

وهكذا نجد الشاعر قد اعتمد في هذا النماذج على الحاستين معا إما تفردا أو اقترانا ويتجلى ذلك من خلال توظيفه لكلمات تتمثل في "قفا"، "ربع عفا" "أجبت"، "دعاني" "غن

(1) محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية، ص: 446.

(2) نفس المرجع والصفحة.

(3) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي النانلي، ص: 85. (المخطوطة)

(5) المصدر نفسه، ص: 84.

شاد" وأهم ما يمكن ملاحظته على نماذج الصور التي مرت معنا، دورانها جميعا على محور مادي محسوس، إذ اعتبرت الحسية في تصوير الشعر لدى بعض النقاد وسيلة من وسائل الشاعر لتفجير وقائع نفسه وتمكينه « من التأمل وإعادة النظر والبحث، وهذا التأمل هو الذي يجنب الشاعر الوقوع في حبال التتميق والتزويق، أو "التعمل البارد" كما يقول حمود»⁽¹⁾.

كما أنها لا تخل بجمال هذا النوع من الصور لأن « الصور الحسية أقوى من غير شك في الدلالة على المعنى والإحساس به من الصور البرهانية العقلية التي تهدف إلى الإقناع، وهي أعمق كذلك وأبلغ في نقل التأثير من الصور الذهنية التي لا تلتمس عناصرها من الواقع الحي الملموس»⁽²⁾ وهذا ما لمسناه من خلال شعر المسعدي حيث وظف جميع حواسه للتغلغل في أعماق الصورة وجزئياتها وإن كانت حاسة البصر أكثر « نشاطا وأقوى ولا عجب في ذلك لأن العين أم الحواس وأهمها بصلتها الوثيقة بالكون والحياة من جهة، ولأن أكثر ماديات الكون إنما ترى بها، ولكونها من جهة أخرى أكثر الحواس استقبالا للصور»⁽³⁾

ومن الطبيعي أن الاعتماد على الحسية يؤدي إلى جمود الصورة الشعرية وتحجرها بحيث لا يجد فيها « المتلقي سوى نوع من الصناعة الشكلية والحشد المنتابح للمشاهد دون أن تثير في أعماقه انفعالا أو تعاطفا»⁽⁴⁾، ولعل السبب الذي أدى إلى اتصاف الصورة الشعرية بهذه الصفات السالفة الذكر من وضوح، وتحديد وحسية، وما إلى ذلك، يرجع إلى خيال الشاعر، وثقافته، والبيئة التي عاش فيها وعدم إطلاعه على الآداب الأجنبية، على الرغم من أن المسعدي كان على قدر كبير من الثقافة باللغة الفرنسية.

ولعل ذلك يرجع إلى النظرة الموضوعية التي كانت تسيطر على رؤى الشعراء علاوة على الظروف المزرية التي ألفت بظلالها على الجميع بلا استثناء ومما

(1) محمد مصاييف، النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي الحديث، ص 166 نقلا عن الشهاب س، 2، ع 82، 2، فيفري 1927، ص: 8 9

(2) محمد زكي العشماوي، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، ص: 22.

(3) القاضي النعمان، أبو فراس الحمداني، الموقف والتشكيل الجمالي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ودار التوفيق النموذجية للطباعة والجمع الآلي، الأزهر، 1981، ص: 430.

(4) محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية، ص: 454.

يجدر ذكره أن هذه الحسية لم تكن وليدة اللحظة بل أنها عامة في الشعر العربي بدءاً بزهير بن أبي سلمى وانتهاءً بشوقي دون أن نعدم الناقد، لأن « الشاعر وكذلك الناقد كانا ينزعان نزعة حسية في فهم الجمال و تصويره، فكان الجمال عندهما فيما ترضى عنه الحواس ، كل حاسة وما يوافقها ، هذه النزعة الحسية كان حرية أن تفرض نفسها على الصورة الشعرية »⁽¹⁾.

وانطلاقاً مما تقدم يتضح لنا أن كلا الرأيين يستدعيان الربط بينهما، لأن العقل على الرغم من كونه هو أساس هذه الصور الجزئية والتي يختار منها الشاعر ما يشاء، فهو يقف بها— أي الصور— عند حدود التشابه بين المرئيات، أو المسموعات، وخلقها من التشكيل النفسي، لأن ذلك يعني أن العقل: « لن يسمح لها بالانفلات من سيطرته أو التحرر من قيوده»⁽²⁾، وبالتالي فهي لا تبعث على أي استئناس وجمال في نفس المتلقي كما أن المغالاة في تشكيلها يدعو إلى النفور، وأشد ما يضعف الصورة فنيا « هو أن يقف بها الشاعر عند حدود الحس بما تسميه البلاغة العربية القديمة(الجامع في كل): دون النظر إلى ربط هذا التشابه الحسي بجوهر الشعور والفكرة بالموقف... لأنه كلما كانت الصورة أكثر ارتباطاً بذلك الشعور كانت أقوى صدقا وأعلى فنا»⁽³⁾. ولعل أحسن ما يفصل في الأمر دون مغالاة لطرف دون آخر ما ذهب إليه " لامارتين" « ليس الشعر تلاعباً فكرياً، أو جموحاً ذهنيّاً يصف العرضي والسطحي، ولكنه الصدى الحقيقي العميق الصادق لأدق انطباعات النفس»⁽⁴⁾.

(1) عز الدين إسماعيل، الأدب وفنونه، ص: 140.

(2) جابر عصفور، الصورة الفنية، ص: 53.

(3) محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث ، ص: 420.

(4) محمد غنيمي هلال ، دراسات ونماذج في مذاهب الشعر ونقده ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، (د.ت)، ص: 82.

ثالثاً - الإيقاع الشعري:

حقيقته:

يعتبر الإيقاع الشعري العنصر الثالث الذي يكتمل به البناء الفني والشعري، إذ هو الموسيقى التي تعد من أبرز العناصر وأهمها، وبالتالي فإن الإيقاع فما هو إلا «تجانس صوتي من خلال اختيار دقيق للألفاظ، يؤدي إلى تجسيد المعنى مبطناً بالوقع المريح للأذن، مما يولد إحساساً بالرضا فيتخلق التجاوب، فالمعنى الموقع ألصق بالذنب من المعنى المعري من التوقيع ومن ثم يكون الجمال»⁽¹⁾

يعد الإيقاع الموسيقي أهم العناصر في العمل الشعري والذي تربطه بالموسيقى علاقة وطيدة لأن طبيعة « الشعر نفسه نشأ مرتبطاً بالغناء، ومن ثم فإنهما يصدران عن نبع واحد، وهو الشعور بالوزن والإيقاع »⁽²⁾

والدليل على ذلك أن النقاد العرب القدامى في تعريفهم للشعر اقتصر على أنه «كلام موزون مقفي، وذلك اكتفاء بتلك الصفة التي تستدعي الانتباه أولاً والتي تطرب بها الأسماع»⁽³⁾

ولقد اقتنع شعراء الحركة الإصلاحية بتعريف النقاد العرب القدامى للشعر، وتحديده لهم ومن بين هؤلاء الذين تأثروا بهذا التعريف وساروا على نهجه، أو نسجوا على منواله، "أحمد الأكل" حيث يقول: « الكلام الموزون المقفي، السهل العبارات، ذو الخيال البديع والاستعارات البليغة الفائقة، والمعاني الرقيقة الشائعة دون الغريبة لأن البلاغة ما فهمته الخاصة والعامة .. »⁽⁴⁾

(1) منير سلطان، الإيقاع في شعر شوقي الغنائي، الجملة والخصائص، منشأة المعارف بالإسكندرية، جلال حزي وشركاه، (دبت)

ص: 217

(2) شكري عياد، موسيقى الشعر العربي، دار المعرفة، القاهرة، 1965م، ص: 53

(3) إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1972م، ص: 21

(4) محمد مصابف، النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي، ص: 29.

وهو كما نرى بأنه لا يختلف عن تعريف القدماء كثيرا، ولعل الفارق بينهما يتمثل في الإشارة إلى الخصائص الفنية من أسلوب، ومعان وخيال، بمفهومه التقليدي والمتمثل في البيان والبديع.

ومن هذا المنطلق يمكن القول: بأن نظرة الشعراء الجزائريين التقليديين المحافظين ظلت مرتبطة بنظرة النقد العربي القديم، الذي يولي الجانب الموسيقي في العمل الشعري، اهتماما كبيرا كما ظلت النظرة إلى الإبداع الشعري تقاس بالمقياس التقليدي المعروف .

فالشاعر الإصلاحى لم يكن « يتصور القصيدة إلا كما يتصورها الشاعر في العصور القديمة على أنها تنظم لتلقى في جمع مما غلب عليها الخطابية المعتمدة أساسا على التنغيم والتطريب»⁽¹⁾ بحيث يؤدي ذلك التنغيم إلى توحيد مشاعر الجميع وانفعالاتهم وذلك من خلال « البحر الواحد والقافية الملتزمة في قوالب يلتزمها الشاعر والمتلقون جميعا ... »⁽²⁾

ومن هنا يتضح لنا أن المقصود بالموسيقى تتمثل في البحر المختار والروي المناسب وأحسب أن الكثير من الشعراء المحافظين كانوا « يأخذون بالنظرية النقدية القديمة التي تخصص لكل بحر من بحور الشعر ما يناسبه من أغراض وموضوعات »⁽³⁾ ويقودنا هذا إلى معرفة مدى اهتمام شاعرنا بهذه البحور وإسقاطاتها وذلك من خلال الآتي:

(1) محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية، ص: 192.
 (2) بدر الدين، من مقدمة ديوان الناس في بلادي لصالح الدين عبد الصبور، دار الآداب، بيروت، 1957 م، ص : 10.
 (3) إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ص: 175 - 183.

أولاً: الأوزان الموسيقية:

تتنوع الأوزان بتنوع الدفقات الشعورية التي تخضع لإيقاع موسيقي يساعد على خلق التوازن في النفس، بحيث تصبح تلك الأوزان أداة تمكن الشاعر من السيطرة على عاطفته الثائرة، والمتوترة.

وفي اسقرائنا للبحور الشعرية، التي استخدمها الشاعر في نظمه يكشف عن هيمنة ثلاثة بحور: الطويل، فالبسيط فالكامل، ويقترّب تواتر بحر الطويل وحده إلى أكثر من النصف، والباقي يتوزع على البحور الأخرى ويأتي في مقدمتها الوافر والخفيف فالمجتث وكان بدرجة أقل تواتراً بحيث اقتصر فيه على قصيدة واحدة .

ويفضل الشاعر النظم في هذه البحور وهي تامة، وقد التجأ في حالة واحدة إلى النظم في مجزوء بحر الكامل، القصيدة السادسة عشرة.

ومن خلال ما تقدم نستشف جملة من الحقائق لعل أبرزها يتمثل في هذا التوزيع للبحور والذي يكاد يشمل أغلب الدوائر الشعرية، وكان الشاعر يختار من كل دائرة بحراً من أشهر بحورها الطويل والبسيط وهما من دائرة المختلف، والوافر والكامل من دائرة المؤتلف، والخفيف والمجتث من دائرة المشتبه .

ويعد البحر الطويل من أشهر بحور الشعر العربي وأكثرها تواتراً في القصيدة العمودية منذ العصر الجاهلي، حتى العصور المتأخرة وفي ذلك يقول حازم القرطاجني: «أعلى البحور درجة الطويل والبسيط، ويتلوها الوافر والكامل، ومجال الشاعر في الكامل أفسح من غيره. ويتلو الوافر والكامل: الخفيف وأما المديد والرمل ففيهما لين وضعف...» (1) كما «وضع المعري بحر الكامل في المرتبة الثالثة بعد الطويل والبسيط من حيث درجة دورانه عند الشعراء» (2)، ورفع شعراء المفضليات والجمهرة إلى المرتبة الثانية بعد الطويل مباشرة .

(1) أحمد سليم الحمصي، المبسط الوافي في العروض والقوافي، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، ط1، 2010م، ص: 150.
(2) محمود مصطفى، أهدى سبيل إلى علم الخليل، العروض والقافية، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، ط1972، 11م، ص: 48.

ومن خلال تصفحنا لمدونة المسعدي، يتبين لنا أنه لم يشذ عن هذه القاعدة بحيث أن عدد القصائد التي نظمها على البحر الطويل بلغت (8) قصائد أي بنسبة 40 % مما يؤكد مدى التزامه بهذا التواتر ، كما أنه تأثر بالمعري فيما يتعلق بمراتب البحور، إذ جاء البحر الكامل في المرتبة الثالثة بنسبة 15% ، ثم تقاسم كل من البحر الخفيف مع الوافر رتبة واحدة، أي بنسبة 10 % ، كما احتل البحر البسيط بالنسبة لمدونة المسعدي المرتبة الثانية أي بنسبة 20% .

أما بالنسبة للبحر المجتث فنسبة تواتره فهي ضعيفة عند القدماء، والشاعر كذلك لم يشذ عن هذه القاعدة إذ نسبته 5 % .

ومن هنا يتضح لنا مجموعة من الظواهر، والحقائق: أولها يتمثل في الالتقاء الذي يجمع بين الشعراء التقليديين، وشعراء الإصلاح، في اختيارهم للبحور وتوزيعها ودرجة تواترها، فبموازنة بين الشعراء التقليديين ومن بينهم المسعدي الذي ربما يمثل شعراء ذلك العصر الذي عاش فيه .

ومما يؤكد على ميل المسعدي إلى البحور التي يفضلها الشعراء التقليديون هو ترسم خطاهم، واعتباره للشعر المشرقي مثالا ولعل ذلك يرجع إلى التشبث « بمدرسة إسماعيل وحافظ وشوقي وطه حسين والعقاد... وغيرهم من رجال الرعيل الثاني للنهضة الأدبية في الأقطار العربية »⁽¹⁾ والتي تبنت هي الأخرى هذا الموروث الذي يرجع إلى العصر الجاهلي شكلا، ومبنى، وإيقاعا، وتواترا، لاسيما البحر الطويل « قد نظم منه ما يقارب من ثلث الشعر العربي، وأنه الوزن الذي كان القدماء يؤثرونه على غيره ويحتذونه ميزانا لأشعارهم ولاسيما في الأغراض الجديدة الجليلة الشأن، وهو الأقدر على استيعاب المعاني، ثم نرى كلا من الكامل والبسيط يحتل المرتبة الثانية في نسب الشيوخ »⁽²⁾.

(1) محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث ، اتجاهاته وخصائصه الفنية، ص: 52.

(2) إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ص: 191.

ولعل تبني الشاعر المسعدي لتلك البحور السالفة الذكر لكونها في اعتقاده هي الأقدر على استيعاب المعاني والأكثر تفضيلاً لكون « الطويل والبسيط أطول البحور الشعر العربي وأعظمها أبهة وجلالة»⁽¹⁾ .

من خلال الاستقراء لقصائد المسعدي ضمن مجموعة أشعاره يتضح لنا أنه ينزع إلى النفس المتوسط الذي يتراوح حجمه بين (20 و 35) بمجموع (3) قصائد، ثم تأتي القصائد القصيرة التي يتراوح نفسها بين (8 و 18) بيتاً بمجموع (15) قصيدة ثم تأتي المقطوعات والنتف الشعرية التي لا يتعدى نفسها (6) أبيات و تتمثل في قصيدة واحدة، أما القصائد القصار قد توزعت بحسب أغراضها ومجموع أبياتها والنسب المحصل عليها من خلال هذا الجدول المبين للتسلسل الكمي للأغراض الشعرية لدى المسعدي.

- 1- الهجاء 63,7% من مجموع (22) بيتاً .
- 2 - العتاب 86,4% من مجموع (14) بيتاً .
- 3- الاقتضاء 51,4% من مجموع (13) بيتاً .
- 4 - الاعتذار 47,3% من مجموع (10) أبيات .
- 5 - الغزل 12,3% من مجموع (9) أبيات .
- 6 - المشاحنة 77,2% من مجموع (8) أبيات .
- 7 - الظلامة 08,2% من مجموع (6) أبيات .

وبنظرة سريعة إلى هذه الإحصاءات يتبين لنا أن الشاعر « ليس بشاعر كل الأغراض حتى ولو نظم فيها كلها لكننا نجده بارعاً متميزاً في غرض دون آخر ولذا وجدنا الشاعر المداح، والبكاء، الهجاء والمتغزل... إلخ ولم نجد الشاعر المتميز في كل الأغراض وإذا وجد لن يتحول إلى ظاهرة تغير القاعدة العامة السائدة»⁽²⁾ وأساطير

(1) الطاهر التهامي، كيف نعتبر الشابي مجدداً، الدار التونسية للنشر والتوزيع، 1979، ص: 48.

(2) منير سلطان، الإيقاع في شعر شوقي الغنائي، الجملة والخصائص، ص: 165.

الدكتور "منير سلطان" فيما ذهب إليه وذلك ما لمسّه البحث من خلال أشعار المسعدي التي كانت منصبة حول كل الأغراض، غير أن موهبته تتجلى في التهئة والمدح والرتاء، ويظل الخط البياني في الهبوط إلى أن يصل إلى الغزل والهزاء والاعتذار وبنسب متفاوتة غالباً، إذ أن نسبة الرتاء تتساوى مع التهئة وذلك بنسبة بـ 29.51 % من مجموع (288) بيتاً، ثم يأتي المدح في المرتبة الثالثة بنسبة 12.5 % من مجموع (36) بيتاً، ثم تهبط هذه النسب المئوية في البحور الباقية إلى 2.08 % كما هو مبين في الجدول المشار إليه أعلاه.

ثانياً: القوافي: عرف العرب في الجاهلية القافية بالفطرة، وساروا على منوالها بالسليقة، وقد اختص الشعر العربي بالقافية، والوزن، ولا شعر بدونهما، ويرجع العقاد ذلك إلى « فن الحداء الذي هو غناء مفرد موقع على نغمة ثابتة وهي حركة الجمل ولا بد للغناء المفرد من القافية، لأنها هي التي تنبه السامع إلى المقاطع والنهيات »⁽¹⁾ ولعل هذا الدور المنوط بها هو الذي جعلها محل جدل ونقاش وتباين في الآراء. علماً بأن هذا الاختلاف لا يتعلق بمسماها « ولا على فيما يصطلح على أنه قافية وإنما النزاع في القافية المضاف إليها العلم »⁽²⁾ ذلك العلم الذي يدل على مدى أهميتها إذ أنها بمثابة « ركيزة في بنية إيقاعنا الشعري، حيث أضحت ركناها ما من أركان الوزن الشعري »⁽³⁾ و قدما قال صاحب العمدة: « الشعر يقوم بعد النية من أربعة أشياء، وهي اللفظ والوزن، والمعنى، والقافية، فهذا هو حد الشعر »⁽⁴⁾ ويعد الوزن « أعظم أركان حد الشعر وأولها به خصوصية، وهو مشتمل على القافية وجالب لها ضرورة »⁽⁵⁾. ولم يقتصر النقاد على التعريف بحدودها فحسب بل تجاوزوا إلى ما يجب أن تكون عليه القافية من سلاسة وعذوبة في المخرج، وخلو من كل حرف مستكره وفي ذلك يقول أحمد مطلوب: « وقد أجمع النقاد على أن تكون القوافي عذبة الحرف، سلسلة

(1) عبد الهادي عبد الله عطيه، ملامح التجديد في موسيقى الشعر العربي، بستان المعرفة لطبع ونشر وتوزيع الكتب، 1422 هـ - 2002 م ص: 9.

(2) أحمد كشك، القافية تاج الإيقاع الشعري، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2004، ص: 6.

(3) المرجع نفسه، ص: 5.

(4) ابن رشيق، العمدة، ج 1، ص: 134.

(5) المرجع نفسه، ص: 151.

المخرج، مرتبطة بالبيت ارتباطاً وثيقاً غير قلقة نابية، أو مستكرهة، وأن تكون متوقعة بحيث لا ينوب غيرها عنها ولذلك كانوا يطربون للشعر الذي تعرف قافيته قبل إكمال البيت وسموا هذا بالإرصاد أو التوشيح أو التسهيم»⁽¹⁾، وهي في الشعر العربي ذات سلطان يفوق ما لنظائرها في اللغات الأخرى، وظلت للقافية « والوزن سلطانهما في الشعر العربي لدى الكثرة الغالبة من الشعراء حتى العصر الحديث»⁽²⁾

ومن خلال هذا المنظور يتضح لنا بأن القافية « شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر ولا يسمى شعراً حتى يكون له وزن وقافية ... »⁽³⁾، وتتمثل القافية كما قال الخليل: « من آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه من قبله، مع حركة الحرف الذي قبل الساكن والقافية - على هذا المذهب - وهو الصحيح - تكون مرة بعض كلمة، ومرة كلمة، ومرة كلمتين »⁽⁴⁾ أو هي « الروي مع ما يسبقه من حروف وحركات يجب الالتزام بها في جميع أبيات القصيدة للتناسق الموسيقي في القافية، ولا يجتمع الردف مع التأسيس في قافية واحدة، فهي إما مردوفة أو مؤسسة ويصح أن تكون مردوفة موصولة أو مؤسسة موصولة أو موصولة فقط »⁽⁵⁾ وقد سميت قافية لأنها لأنها «تقفو إثر كل بيت [أي يتبعها]... وقال أبو موسى الحامض: هي قافية مقفوة مثل "ماء دافق" بمعنى مدفوق، و((عيشة راضية)) بمعنى مرضية، فكأن الشاعر يقفوها أي يتبعها ... »⁽⁶⁾

ولكي يتسنى لنا تطبيق هذه المعطيات على شعر المسعدي يجب تحديد أشكال هذه القوافي وقوالبها، وهي بالضرورة تتبني على روي ساكنا أو متحركا، فإذا كان ساكنا فتلك هي القافية* المقيدة، وإذا كان متحركا فهي القافية المطلقة والتي يلحقها مجرى يؤدي إلى وصل وما إلى ذلك وقد سبقت الإشارة إليها، ومن هذه العناصر الثابتة والمتغيرة تتشكل أنواع القوافي حسب قوالب معينة يمكن الوقوف عليها بكل يسر

(1) دراسات بلاغية ونقدية، ص: 472.

(2) محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، ص: 444.

(3) ابن رشيق، العمدة ج 1، ص: 151.

(4) ثريا محي الدين شيخ العرب، الميزان الجديد في علم العروض والقافية، دار وائل للنشر والتوزيع، الأردن، 2004، ص: 101.

(5) المرجع نفسه، ص: 101.

(6) ابن رشيق، العمدة، ج 1، ص: 154.

في مجموعة أشعار المسعدي، و قبل التطرق إلى دراسة أنواع القافية يتوجب علينا دراسة حرف الروي دراسة مستقلة تكشف عن منهج الشاعر في اختيار حروف دون أخرى مع محاولة قدر الإمكان تفسيرها تفسيراً صوتياً، وفنياً، ومن المعروف أن الروي يكتسي أهمية كبرى بحيث يعد عنصراً أساسياً في تشكيل القافية بل « أضحي في الحس الإيقاعي صلب القافية.. وبه عصمة الأبيات في القصيدة كلها، ولولا وجوده في عرف الشعر العربي الغنائي الموروث لتفرقت عرى حيث لا شعر إلا به ... »⁽¹⁾ وإليه تنسب القصائد، فيقال سينيّه البحترى، ولامية العرب، وإلى غير ذلك مما تعارف عليه الأدباء، واصطلحوا عليه، و في ذلك يقول الخليل:

توز رويًا حرف انتسبت له وتحريكه المجرى فإن قرنا بما
يداني فإذا الإكفا والاقوا وبعده الإجازة والإصراف والكل متقى⁽²⁾
ومن البديهي أن حرف الروي* لا يعد مجرد صوت يتردد بلون صوتي واحد منتظم بل أنه يكتسي أهمية موقعية، لكونه يحدد عناصر القافية قبله وبعده ولعل ذلك ما أشار إليه الخليل .

وكل حروف الهجاء تصلح أن تكون رويًا عدا حروف العلة الزائدة أو المتولدة عن إشباع حركة الروي.

وفي ذلك يقول ابن جني: « وأحوط ما يقال في حرف الروي إن جميع حروف المعجم تكون رويًا إلا الألف والياء والواو الزائدة في أواخر الكلم غير مبنيات فيها بناء

(1) أحمد كشك، القافية، تاج الإيقاع الشعري، ص: 46.
* تطلق القافية لغة على القصيدة، قالت الخنساء (المتوفاة سنة 24هـ) وقافية مثل حد السنا ن تبقى ويذهب من قالها وهي مأخوذة من قفا يقفو، إذاتبع، لأنها تتبع ما بعدها من البيت وينتظم بها البيت.
قال ابن جابر (المتوفى سنة 780هـ)
- وليل نظمنا به شملنا *** كما انتظم البيت بالقافية / نقلًا عن موسى بن محمد بن الملياني الأحمدي نويوات، المتوسط الكافي في علمي العروض والقوافي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ط3 1983، ص353
(2) بدر الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، العيون الغامزة على خبايا الرمزة، تحقيق الحساني حسن عبد الله، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط1 1383 هـ - 1973م، 1415 هـ - 1994 م ص: 240

الأصول نحو ألف (الجرعا) وياء (الأيامي)»⁽¹⁾

وقد أضافوا إلى هذه الحروف السالفة الذكر تاء التأنيث، وكاف الخطاب وأجمعوا على صلاحية وقوعها وصلا ورويا وذلك إذا ما «التزم الشاعر الحرف الذي قبلها كان هذا الحرف رويا، وكانت هي وصلا، وإن لم يلتزم الحرف الذي قبلها كانت هي رويا»⁽²⁾، وعلاوة على ما أشاروا إليه فيما يتعلق بصلاحية الحروف الهجائية رويا حددوا مراتبها من حيث الشيوخ وعدمه بقولهم: «الحروف تختلف في نسبة شيوعها فوقوع الراء رويا كثير شائعا في الشعر العربي، في حين أن وقوع الطاء قليل أو نادر ويمكن تقسيم حروف الهجاء التي تقع رويا إلى أقسام أربعة حسب نسبة شيوعها في الشعر العربي.

(أ) حروف تجيء رويا بكثرة، وإن اختلفت نسبة شيوعها في أشعار الشعراء وتلك

هي: الراء، اللام، الميم، النون، الباء، الدال.

(ب) حروف متوسطة الشيوع وتلك هي: التاء، السين، القاف، الكاف، الهمزة العين الحاء، الفاء، الياء، الجيم.

(ج) حروف قليلة الشيوع: الضاء، الطاء، الهاء.

(د) حروف نادرة في مجيئها رويا: الذال، التاء، الغين، الخاء، الشين، الصاد، الزاي الضاء، الواو، ويعقب الدكتور أنيس على الكثرة والقلة قائلا: «ولا تعزى كثرة الشيوع

(1) العيون الغامزة على خبايا الرامزة ، للدماميني، ص: 241.

* وسمي رويا أخذا له من الروية، وهي الفكرة لأن الشاعر فهو فعيل بمعنى مفعول ، وقيل هو مأخوذ من الرواء وهو الحبل يضم شيئا إلى شيء فكان الروي شد أجزاء البيت ووصل بعضها ببعض، نقلا عن بدر الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، العيون الغامزة على خبايا الرامزة ص: 243.

(2) يوسف أبو العدوس، موسيقا الشعر وعلم العروض، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان - الأردن - ط1999، ص: 43.

* وسمي رويا أخذا له من الروية، وهي الفكرة لأن الشاعر فهو فعيل بمعنى مفعول ، وقيل هو مأخوذ من الرواء وهو الحبل يضم شيئا إلى شيء فكان الروي شد أجزاء البيت ووصل بعضها ببعض، نقلا عن بدر الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، العيون الغامزة على خبايا الرامزة ، ص: 243.

أو قلتها إلى ثقل في الأصوات أو خفة بقدر ما تعزى إلى نسبة ورودها في أواخر كلمات اللغة» (1) .

ويكفينا دلالة تعليقه الأخير المتمثل في الكثرة المعجمية، لأصوات دون أخرى جاعلا من الثقل والسهولة بمثابة حاكمين للورود، ويشاطره في هذه القسمة كذلك "الدكتور خضر" (2) الذي قسم هذه الأصوات إلى مجموعات ونسب فضلا عن عبد الله المجذوب "الذي اعتمد على إحصاء مبنيا على الذوق، و يحق لنا أن نتساءل عن مدى توافق هذه القسمة بمجموعاتها، مع أقسام في دراسة إبراهيم أنيس" لحروف الهجاء التي تقع رويًا بحسب ورودها في الشعر العربي كما سبقت الإشارة إلى ذلك، بالإضافة إلى القسمة التي تبناها "الدكتور خضر أبو العينين"، وهي لا تكاد تختلف على قسمة "الدكتور إبراهيم أنيس" المشكلة من أقسام بالإضافة إلى تلك القسمة المبنية على الذوق التي صنف من خلالها "عبد الله المجذوب" القوافي « إلى أربع درجات، الدرجة الأولى أطلق عليها القوافي الذلل وصنفها صنفين، والدرجة الثانية أطلق عليها القوافي النفر والدرجة الرابعة سماها القوافي الحوشي» (3) ويتضح ذلك من خلال الجدول الآتي:

مبدأ التدوق عند عبد الله الطيب المجذوب	مبدأ الشيوخ عند خضر أبي العينين	مبدأ الشيوخ عند إبراهيم أنيس	مبدأ الشيوخ في المدونة
ل	ر		ر
ر	ل	ر	د
د	م	ل	ل
ن	ن	م	ن
ب	ب	ن	ب
م	د	ب	
ت	س	د	
ع	ع		

(1) إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ص: 246

(2) خضر أبو العينين، أساسيات علم العروض والقافية، ص: 63

(3) عبد الله الطيب، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها في الأغراض والأساليب، دار جامعة الخرطوم للنشر، الخرطوم، السودان الكويت، ط1، 1990م، ج4، ص: 44-65

متوسطة الشيوخ عند عبدالله المجذوب	متوسطة الشيوخ عند خضر أبي العينين	متوسطة الشيوخ عند إبراهيم أنيس	أصوات متوسطة الشيوخ في المدونة
ف ح ك ء ج س ق	ق ك ء ها ف ي ج	ت س ق ك ء ع ح ف ي ج	ء ف ق س ي
قليلة الشيوخ عند عبدالله المجذوب	قليلة الشيوخ عند خضر أبي العينين	قليلة الشيوخ عند إبراهيم أنيس	خلو المدونة من الأصوات القليلة الشيوخ
ص ض ط ها و	ض ط ها ت ص	ض ط ها	
غ ن ظ ث خ س	ن غ خ ش ز ظ و	ن ث غ خ ش ص ز ظ و	

يتراءى لنا من خلال هذا الجداول مدى التقارب الكبير بين التصنيف المبني على

درجات الشبوع والسهولة، والتصنيف المبني على أساس الاحتكام إلى الذوق بحسب درجات الاستحسان، ونلمس هذا التقارب أكثر في الاتفاق الرباعي التام في خمسة أحرف وهي: (ز، د، ل، ن، ب) وهو توافق تام.

الرقم	الروي	القوائد	الأبيات	البحر الطويل	البحر الكامل	البحر البسيط	البحر الوافر	البحر الخفيف	البحر المجتث	ن البحور	النسبة الأبيات
1	ر	5	74	5						23,80	23,69
2	د	3	48	2			1			14,28	16,66
3	ل	3	44	1	1	1				14,28	15,27
4	ن	3	57		1	1		1		14,28	19,97
5	ب	2	16			1	1			09,52	05,55
6	ء	1	15						1	04,76	05,20
7	ف	1	12			1				04,76	04,16
8	ق	1	12		1					04,76	04,16
9	س	1	6	1						04,76	02,08
10	ي	1	4				1			04,76	01,38
المجموع		21	288	9	3	4	3	1	1		

1/ نلاحظ من خلال هذا الجدول أن المجموعة الأولى تضم "اللام، والراء، والنون" وهي مجموعة فرعية من مجموعة كبرى تتقارب مخرجها بين «أول اللسان بما فيه طرفه " والثنايا العليا" بما فيها أصولها»⁽¹⁾. وعلى الرغم من تقاربها في المخارج فإن الشاعر لم يستخدم بعضها إطلاقاً كما سنعرف بعد حين.

(1) إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ص: 46

وعلى العموم فإن هذه الحروف الثلاثة تمثل ما يقارب (60.76%) من مجموع شعره ويرجع ذلك إلى خصائصها الصوتية، ونتيجة لذلك فقد عدها القدماء من الأصوات الذاتية، أما المحدثون فيرون أن ما « يجمع بينها تقارب مخارجها ونسبة وضوح صوتها، فهي من أوضح الأصوات الساكنة في السمع ولهذا أشبهت من هذه الناحية بأصوات اللين »⁽¹⁾ وهي كلها من الأصوات المجهورة لكنها « ليست شديدة أي لا يسمع منها انفجار، وليست رخوة فلا يكاد يسمع لها ذلك الحفيف الذي تتميز به الأصوات الرخوة.. »⁽²⁾ وإذا كانت اللام والراء ترقق وتفخم، فإن النون من حروف الغنة أما إذا أضفنا إلى هذه المجموعة حرف الياء، وقد « روي عن الفراء أنه جعل مخرج الياء والواو واحدا مخالفا بذلك سيبويه الذي جعل الياء مع الحروف الشجرية أي الجيم والشين وجعل الواو شفوية... »⁽³⁾ على أن ما ذهب إليه الفراء خلاف لما ثبت لدى المعاصرين من « اختلاف مخرجي الياء والواو، من حيث مخرج الأولى وسط الحنك أو ما يسمى الغار، ومخرج الثانية أقصى الحنك أو ما يسمى بالطبق اللين »⁽⁴⁾ وما يهمننا بطبيعة الحال هو الياء لأن الواو لم تحظ باهتمام الشاعر .

ولا يخفى على أي دارس أن الإلمام بطبيعة الحروف التي يختارها الشاعر رويًا لقصائده، يكشف عن جانب من الجوانب المتعلقة بالقافية، وبالمستوى العروضي وعلاقتها بالمستويات الأخرى ولعل اختيار المسعدي لبعض الحروف دون أخرى وتواتر بعضها بشكل مكثف لتمييزها عن الباقي تفسره خصائص هذه الحروف وكلماتها التي تعود في مجملها إلى الطبيعة الصوتية والمعجمية، والموضوعات والموقف الفني والنفسي للشاعر .

أما ما يرجع للمستوى الصوتي فإن أغلب الحروف تكررت مع اختلاف حركاتها مثل الراء: (رُ ، ر ، رُ ، رُ ، ر) بنسبة (20 %) والذال: (دُ ، دُ ، دُ) بنسبة (15 %)

(1) إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ص: 63.

(2) نفس المرجع والصفحة

(3) ابنهال كاصد ياسر الزبيدي، علم الأصوات في كتب معاني القرآن، دار أسامة للنشر والتوزيع - الدار العربية للنشر، عمان - الأردن - 2005

ص: 39

(4) نفس المرجع والصفحة.

واللام: (ل، ل، ل، ل، ل) بنسبة (15 %). والنون: (ن، ن، ن، ن، ن) بنسبة (15 %).
والباء: (ب، ب، ب، ب، ب) بنسبة (10 %). والهمزة: (ء، ء، ء، ء، ء) بنسبة (5 %). والفاء:
(ف، ف، ف، ف، ف) بنسبة (5 %). والقاف: (ق، ق، ق، ق، ق) بنسبة (5 %). والسين: (س، س، س، س، س) بنسبة (5 %).
والياء: (ي، ي، ي، ي، ي) بنسبة (5 %).

ومن خلال تصفحنا لهذه النسب نجد أن الحروف الأولى والمتمثلة في (ر، د، ل، ن، ب) تجمعها كلمتا رد لين .

ووفقا لما تقدم يتبين لنا أن حرف الراء أكثر الحروف استعمالا كروي في مدونة المسعدي، أما بالنسبة للأصوات الأخرى فكانت نسبها متساوية و تقدر بـ (15 %) وتضمها (د، ل، ن). أما الحروف الأخرى فهي متساوية كذلك بنسبة (5 %) ولعل ذلك يحيلنا إلى مستواها من حيث مبدأ الشيوخ ورتبه، وندرته، وهي بذلك تكون متفقة مع نسب إحصائية الدكتور "أحمد سليم الحمصي" بالنسبة للأصوات الستة الأولى باستثناء الميم التي لا أثر لها في مجموعته الشعرية، ولعل ذلك يرجع إلى ما تتطلبه من جهد عضلي أكثر، ومن ثم غدت من الحروف الرديئة « الموسيقى حيث تأباها الأذان أحرف الأطباق كالضاد والطاء والظاء والصاد »⁽¹⁾

(1) إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ص : 28.

3/ أشكال القافية:

تحتم علينا هذه الدراسة، التمييز بين القافية المطلقة، والقافية المقيدة لأن لكل نوع من هذين النوعين قوالب خاصة بها:

أ – القافية المطلقة: وهي التي يكون فيها الروي متحركا.

ب – القافية المقيدة: وهي التي يكون فيها الروي ساكنا.

وعند استعراضنا للشعر القديم يتراءى لنا أن هذا النوع قليل الشيوع في الشعر الجاهلي وبدرجة أقل في شعر العباسيين، ولعل ذلك يرجع إلى موجة الغناء التي عرفها ذلك العصر» وأمر الغناء بالشعر العربي مشهور، ورغبة العرب فيه خصوصا في المدينة العباسية أكيدة»⁽¹⁾ مما جعله يلتئم مع هذا النوع وينسجم، بل لا «يزال الملحن فينا يرى مثل هذه القافية أطوع، وأيسر، في تلحين أبياتها»⁽²⁾.

أما القافية المطلقة أو الروي المتحرك «فهو الكثير الشائع في الشعر العربي، ويلتزم الشعراء حركته، ويراعونه مراعاة تامة لا يحددونها عنها»⁽³⁾

يتعين علينا إسقاط هذه الأساسيات العروضية – إذا جاز التعبير – على مدونة المسعدي لنرى مدى تواتر وشيوع هاتين القافيتين، ومعرفة نسبهما، وما سر التباين بينهما؟

لقد اتضح لنا من خلال المعاينة لتلك الأشعار أن نسبة القافية المقيدة بالمقارنة إلى المطلقة قليلة التواتر تقدر بـ (5%)، ومن ثم يمكن القول بأن الشاعر ينزع في شعره إلى القافية المطلقة، لأنها الأسهل في التشكيل، والأوضح في الموسيقى.

(1) محمود مصطفى، الأدب العربي وتاريخه في العصر العباسي، مطبعة مصطفى البابا الحلبي وأولاده، ط1356هـ، 1937م ج2

ص: 40.

(2) إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ص: 258.

(3) نفس المرجع والصفحة.

أما البحر الذي استخدمه الشاعر في هذه القافية – أي القافية المقيدة – فهو مجزوء الكامل ولعله لجأ إليها تعبيراً عن قلقه، وضجره عن تفاهة ما نشر على إحدى صفحات الجرائد حول مسألة نحوية، لا تستحق كل هذا الاهتمام ومطلعها:

ما كنت أعهد بسكرة من قبل نشر ذا السؤال⁽¹⁾

مما يدل على أن الشاعر لم يخرج عن المؤلف، أما نسبة القافية المطلقة فقد غلبت على شعره ووصل تواترها إلى 95% وهذا ما جسده المدونة، كما أن الشاعر حافظ على وحدة القافية التي يرى بأن مبدأ الجمال، والكمال الموسيقي، لا يتأتى إلا من خلالها مهما امتد النص واختلفت فيه الموضوعات يقول ابن رشيق: « وقد رأيت جماعة يركبون المخمسات والمسمطات ويكثرن منها ولم أر متقدماً حذقاً صنع منها لأنها دالة على عجز الشاعر وقلة قوافيه »⁽²⁾.

ويسنده في هذا الرأي العقاد على الرغم من البون الواسع بين عصريهما، حيث هاجم هؤلاء الداعين إلى إلغاء الأوزان ذات البحور والقوافي، فقال: « لا يدعو إليها غير واحد من اثنين: عاجز عن النظم الذي استطاعه الشاعر العامي في نظم القصص المطولة، والملاح التاريخية من أمثال السيرة الهلالية، وسيرة الزير وغيرها من السير المشهورة المتداولة، أو عاجز عن النظم الذي استطاعه الشاعر العامي والشاعرة العامية في نظم أغاني الأعراس، ونواح المآتم، وأمثال الحكمة والنصيحة على السنة المتكلمين باللهجات الدارجة، ولا خير للفن في كلام يقوله من يعجز عن هذا القدر من السليقة الشعاعية والملكة الفنية وأحرى به أن يأتي بما عنده في كلام منثور ويترك النظم وشأنه بدلاً من هدم هذا الفن كله، وحرمان اللغة آثار القادرين عليها »⁽³⁾، وتعد القافية « شريكة الوزن في الاختصاص، ولا يسمى شعراً حتى يكون له وزن وقافية »⁽⁴⁾ وللوزن « شأنه في شعر هذه اللغة ويرجع ذلك لأسباب من أهمها أصالة الوزن في

(1) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي الناطلي، ص: 90. (المخطوطة)

(2) ابن رشيق، العمدة، ص: 182.

(3) العقاد عباس محمود، اللغة الشاعرة، مكتبة الأنجلو، مصر ط 1، 1960، ص: 34.

(4) ابن رشيق، العمدة، ج 1، ص: 129.

تركيب اللغة»⁽¹⁾، وتتمحور كل هذه الآراء حول حقيقة واحدة وهي الرد على أولئك المجاهرين بالتجديد في الإطار الموسيقى والذي لا أساس له من الصحة، لأن كل ما في الأمر أن هذا الشعر قد بني على التفعيلة، وما التفعيلة إلا أحد المكونات للجرس الموسيقى، الذي ينجم عن تكرار التفعيلة، والتي ترجع بأصولها إلى مربع الخليل مخترع العروض، والأدل على ذلك مدرسة الديوان على الرغم من رفضها لتلك القوالب والأوزان، فإن شعراءها نظموا أشعارهم «في القوالب الموسيقية التي نظم بها العرب أشعارهم مع تصرفات لا تخرج بالشعر عن عمود الخليل»⁽²⁾، ولم يقتصر هذا الاهتمام بالقافية، والتي تعد جزءاً من نسيج البيت الشعري، على النقاد العرب فحسب بل إنها نالت كذلك قدراً كبيراً من الدراسة في اللغات الأجنبية، ومن بين هؤلاء أحد رواد الألسنية "سابير"، والذي يقر بأن القافية في «اللغة الفرنسية وسيلة توشك أن تكون ضرورية لإبراز الحركة أو تقسيمها قوام لها المقاطع الرنانة»⁽³⁾.

وبالعودة إلى مدونة المسعدي يتعين علينا معرفة نوع القوافي المهيمنة على أشعاره، فقد سيطرت عليها ما يعرف بالقافية المتواترة، ثم يأتي بعد ذلك ما يعرف بالمتراكب، ثم المتدارك فالمترادف بعد ذلك، وبنسب أقل ويغيب المتكاوس من قوافيه كما هو مبين في هذا الجدول.

(1) العقاد عباس محمود، اللغة الشاعرة، ص: 35 - 39 - 48.
(2) عبد الهادي عبد الله عطية، ملامح التجديد في موسيقى الشعر العربي، ص: 52.
(3) خضر أبو العينين، علم العروض والقافية، ص: 58.

المجموع	مترادف	متدارك	متراكب	متواتر	
8		2		6	الطويل
4			3	1	البسيط
2				2	الخفيف
3	1			2	الكامل
3			1	2	الوافر
1				1	المجتث
21	1	2	4	14	المجموع

ويتجلى لنا من خلال استقراءنا للجوانب التي لها دور واضح في اختيار الشاعر للأنغام، والأركان يكشف على أن طبيعة الموضوعات تتحكم في بعض الأحاديث في تشكيل موسيقاه وزنا وقافية وأصواتا، ولعل ذلك ما يثبت بأن الشعر هندسة حروف وأصوات تعمر بها في نفوس الآخرين عالما يشبه عالما الداخلي والشعراء مهندسون لكل منهم طريقته في بناء الحروف وتعميرها⁽¹⁾

ولعل هذا ما ذهب إليه " سبنسر " الذي ربط بين موسيقى الشعر وبين الأفكار والمشاعر المعبر عنها في الشعر فيرى: « أن خير الموسيقى ما يتمشى مع الأفكار وتتساقق، مع المعاني وتتجاذب نغماتها ونبراتها مع حالات النفس، فالشاعر في اهتياجه وغضبه وغبطته يكون تعبيره على النغمة، وفي حزنه يكون منخفضا، وفي تعجبه وقرحه وهدوئه واطمئنانه تكون مسافته الصوتية قصيرة، وأما في بثه وألمه فتكون مسافته الصوتية طويلة، وهكذا لتساير النغمات حالات النفس كما تساير موضوع القصيدة وفكرتها». ⁽²⁾ ويكاد محمد ناصر يعزز هذا الرأي حيث يرجع النظم إلى « الحالة الشعورية التي يكون عليها الشاعر، فإن بين الوزن والحالة الشعورية

(1) حسني عبد الجليل يوسف، موسيقى الشعر العربي دراسة فنية وعروضية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1989، ج1، ص: 17.

(2) المرجع نفسه، ص: 21.

علاقة وطيدة لا يمكن إنكارها، فثمة أوزان تتلاءم مع الانفعال الحاد وحالات الطرب وأوزان أخرى تتلاءم مع الانفعال الهادي الرصين وحالات التأمل للاستبطن الذاتي»⁽¹⁾، ولعل وجهتي نظر "سبنسر" و"محمد ناصر" تتطابقان مع ماذهب إليه الخليل نفسه ومن سار على منواله من أنصاره ممن يرون بأن لكل طابع نفسي وزن أو مجموعة أوزان شعرية، ومن بين هؤلاء حازم القرطاجني، حيث يقول: « فالعروض الطويل نجد فيه أبدا بهاء وقوة، ونجد للبسيط سباطه وطلاوة، وتجد للكامل جزالة وحسن اطراد، وللخفيف جزالة ورشاقة، وللرمل لينا وسهولة، ولها في المديد والرمل من اللين كان أليق بالرثاء»⁽²⁾، وسنحاول إسقاط هذه النتائج على شعر المسعدي لنرى مدى تطابق هذه الأوزان مع الدفقات العاطفية لدى الشاعر من خلال مجموعته الشعرية وما تضمه بين ثناياها من أغراض شعرية انطلاقا من البحر الطويل الذي كان الأكثر استعمالا في هذه المدونة، ولم يقتصر على المدح فحسب بل تجاوزها إلى قصائد نظمت في التهئة وفي الرثاء والفخر، ومثله في ذلك البحر الكامل والمجتث أيضا حيث نظم الشاعر في هذا البحر قصيدة رثائية.

ولدى تأملنا للمقولتين السالفتي الذكر لكل من "حازم القرطاجني"، و"سبنسر" فيما يتعلق بوصف البحور وخصائصها، يعتبر كلاما عاما يمكن أن يطلق على أكثر من بحر، كما أن تحديد بحور تكون أليق بالرثاء وغيره، لم يؤيده واقع الشعر كما لاحظنا، إذ أن كل بحر من هذه البحور من: طويل، ووافر، وخفيف، وبسيط، وكامل ومجتث له حظه من هذه المضامين بحسب درجة تواتره كما سبق أو أشرنا إلى ذلك.

ويقودنا هذا الاستقراء والاستقصاء إلى معرفة مدى ربط موسيقى الشعر بالأفكار والمشاعر المعبر عنها إلى البحث في تضاعيف الأبيات، بل من خلال الحروف لمعرفة مدى استخدام الشاعر لهذه الأنماط، والتقنيات، لإحداث توقيع صوتي في قصائده، سواء أكان ذلك تكرارا للحروف، أو للألفاظ، أو كان تقسيما داخليا للأبيات، إلى غير ذلك من الوسائل البديعية، ولعل أول شيء يصادفنا في موسيقى الحشو هو:

(1) محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، ص: 249

(2) حسني عبد الجليل، موسيقى الشعر العربي، ج1، نقلا عن: حازم القرطاجني، المنهاج، ص: 269.

1/ التصريح والتقفية: ويعرف "ابن رشيق القيرواني" التصريح* بقوله: « هو ما كانت عروض البيت فيه تابعة لضربه: تنقص بنقصه وتزيد بزيادته» (1) أو « أنه توازن الألفاظ مع توافق الإعجاز أو تقاربها » (2)، وقد كان تقليداً فنياً سائداً، وما زرع هذه السيادة إلا خروج بعض الشعراء عليها، بل خروج الشاعر نفسه، و في ذلك يقول بن رشيق: « و أكثر شعر ذي الرمة غير مصرع الأوائل، وهو مذهب الكثير من الفحول وإن لم يعد فيهم لقلّة تصرفه، إلا أنهم جعلوا التصريح في مهمات القصائد فيما يتأهبون له من الشعر، فدل ذلك على فضل التصريح » (3) .

ولا يكاد شعر المسعدي يخلو من التصريح بمختلف أنواعه، ومن ذلك هذا المثال الدال على الزيادة التي أحدثت الموازنة التامة بين إيقاع الشطرين قوله مهناً "يحيى بن السعيد بن عبد السلام" بعيد الأضحى:

تهنى بعيد الفتح والفضل والنصر وبالعرز والإقبال يا مفرد العصر (4)
 (0/0/0//) (0/0//) (0/0/0//) (0/0//) (0/0/0//) (0/0//) (0/0/0//) (0/0//)
 (فعولن)(مفاعيلن)(فعولن) (مفاعيلن) (فعولن) (مفاعيلن)

جاءت عروض الشطر الأول (مفاعيلن) موافقة للشطر الثاني (مفاعيلن)، مع العلم أن عروض الطويل تكون دائماً (مفاعيلن) بعيداً عن التصريح ، ولإحداث المساواة بين الشطرين خرج الشاعر عن مسار العروض المرسوم لها، وعند الحديث عن القافية في الشطر الأول نلاحظ أن القافية هي (عصري) فيها روي ووصل وخالية من الرفع، وكلها جرت في العروض والضرب معاً. بمعنى أن قافية الشطر الثاني هي: (عصري) فمن النقص قوله أيضاً من قصيدة (الحميدية):

(1) ابن رشيق، العمدة، ج 1، ص: 173.
 (2) السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ط4، 2009م، ص: 250.
 (3) منير سلطان، الإيقاع في شعر شوقي الغنائي، الجملة والخصائص، ص: 228.
 (4) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي الناطلي، ص: 1. (المخطوطة)
 *سمي البيت المصروع كذلك تشبيهاً له بمصراع الباب، وقيل مأخوذ من صراعي النهار وهما نصفاه فمن أوله إلى انتصافه صرع، ومن انتصافه إلى الغروب صرع . وتقفوا إلى الجدوى بجدوى وإنما يرو فك بيت الشعر حين يصرع
 نقلا عن: أحمد سليم الحمصي، المبسط الوافي في العروض والقوافي ص : 30.

(ثنائي على عبد الحميد حميد) وشوقي إليك طارف وتليد⁽¹⁾

(0/0//) (/0//) (0//0//) (0/0//) (0/0//) (/0//) (0/0/0//) (0/0//)

(فعولن) (مفاعيلن) (فعول) (مفاعي) (فعولن) (مفاعلن) (فعول) (مفاعي)

ف عروض البيت وافقت الضرب وزنا وقافية وبما أن وزنها (مفاعي) فقد ظهر لنا النقص فيهما على اعتبار أن الأصل في العروض والضرب (مفاعلن). وعند الحديث عن التقفية فهي « أن يتساوى الجزءان من غير نقص ولا زيادة، فلا يتبع العروض الضرب في شيء إلا في السجع خاصة»⁽²⁾، ومن أمثلة الموازنة بين الشطرين تقفية قول المسعدي في تهنة "صالح بن عاشور" رئيس إدارة المكاتب والتحرير:

هنا على مر الليالي يجدد وعز وإقبال وفخر وسؤدد⁽³⁾

(0/0//) (0/0//) (0/0/0//) (0/0//) (0/0//) (0/0//) (0/0/0//) (0/0//)

(فعولن) (مفاعيلن) (فعولن) (مفاعلن) (فعولن) (مفاعيلن) (فعولن) (مفاعلن)

العروض في هذا البيت (يُجَدِّدُوْ) وزنها (مفاعلن)، وهي لم تخرج عن النسق المعهود، وقد طبقت الضرب (وسؤددو) ووزنها (مفاعلن) وقد التزم الشاعر ذلك في أبيات القصيدة كلها.

وبناء على هذا تكون « كل تقفية تصريحا ولا عكس، ولذلك شاع اليوم تسمية البيت الذي تتبع فيه عروضه ضربه في الوزن والقافية، بالبيت المصرع. ويقع التصريح عادة في البيت الأول من القصيدة.. »⁽⁴⁾ ويلجأ إليهما الشاعر – أي التصريح والتقفية – لإحداث إيقاع مقصود به النغم فهما « من المكونات الإيقاعية لمطالع كثيرة

(1) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي الناطلي، ص: 64 (المخطوطة)

(2) ابن رشيق، العمدة ج1، ص: 173.

(3) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي الناطلي، ص: 98 (المخطوطة)

(4) أحمد سليم الحمصي، المبسط الوافي في العروض والقوافي، ص: 30.

من القصائد الشعرية»⁽¹⁾، علما بأن جل قصائد ومقطوعات المسعدي لا تخلو من هذين المكونين باستثناء القصيدة (السابعة عشرة) والتي قالها في مفتي معسكر .

ولما (تراعيها) ابتدرت مسلما كذي مقة يبدي سرورا فيفتقر⁽²⁾

(0/0/0//)(0/0//)(0/0/0//)(/0//) (0//0//) (/0//) (0/0/0//) (0/0//)

(فعولن)(مفاعيلن)(فعول)(مفاعيلن) (مفاعيلن)(مفاعيلن)

فعروض البيت كما لاحظنا لم توافق الضرب وزنا وقافية، بحيث إن عروض الشطر الأول (مفاعيلن) وضرب الشطر الثاني (مفاعيلن)، ولعل ذلك راجع إلى عدم خروج الشاعر عن مسار العروض المرسوم لها، أو أنه جرده من التحلية المتمثلة في التصريح تعبيراً عن مقتله لمفتي معسكر من جراء تصرفه، ويسمى هذا النوع من الشعر الخالي من التصريح بـ (المصمت)، إلا أن العرب قد استحسنا أن « يكون البيت الأول مصرعاً، استعجالاً للبيان وللإعلام بحرف الروي قبل تمام البيت »⁽³⁾

2/ التدوير: هو « كلمة مشتركة بين العروض والجزء الذي يليها في العجز »⁽⁴⁾ ويمثل التدوير علاقة اتصال «بين الشطرين؛ إذ لا يمكن الإفصاح عن نهاية الشطر الأول التي تركز على التفعيلة الأخيرة المسماة بالعروض، حيث لا يستقيم الإنشاد والإيقاع مع الفصل بينهما »⁽⁵⁾، ومن أمثلة ذلك قول المسعدي في تهنئة "أحمد الحاج محمد القاسمي" بازدياد مولود له:

ذا هلال الفخار حق له سبب "م" ق هلال الإفطار إذ هو ثان

جاء في العشر راصدا ليلة القدر "م" ر، يزاحم (ءايها) والمثاني

واستهل وما استقل غلام الـ "م" (ءال) إلا عنت له الثقلان

(1) خضر أبو العينين، أساسيات علم العروض والقافية، ص: 88.

(2) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي النانلي، ص: 56 (المخطوطة)

(3) أحمد سليم الحمصي، المبسط الوافي في العروض والقوافي، ص: 30.

(4) المرجع نفسه، ص: 31.

(5) خضر أبو العينين، أساسيات علم العروض والقافية، ص: 82.

شهد الله في الكتاب لكم بالطهـ "م" ر قبل التكوين قبل الزمان
عالم عامل إليه انتهى الفضـ "م" ل ومن أصل نوره النيران
وبجد بجد أدرك الساـ "م" بق أتعب لاحقا غير واني
وبقوم هموا الخلاصة من عدـ "م" نان خير الأنام في كل أن⁽¹⁾

ومن الملاحظ أن هناك كمًا من الأبيات المدورة، وسنكتفي بالإشارة إلى البيت الأول فـ(سبق) كلمة مشتركة بين الصدر والعجز، وقد فصلت الباء عن السين بحرف (م) وذلك إشارة إلى أن البيت أو الأبيات مدورة.

3/ التردد: وهو « أن يعلق المتكلم لفظة من الكلام بمعنى ثم يرددها بعينها ويطلقها بمعنى آخر، والترديد مصطلح صوتي لا معنوي»⁽²⁾

ومن ذلك قول المسعدي:

ويوماك يوم للمروءة والندى ويوم لأعمال المتفلة السمر
شواردُ مجدٍ في الكرام تفرقتُ فجمعتها جمعا على أكمل الأمر⁽³⁾

ففي البيت الأول: نجد ترديدا متعددا حيث تكررت لفظة (يوم) مرتين فضلا عن مثاها في أول الشطر الأول.

وفي البيت الثاني نجد ترديدا بين: فجمعتها - جمعا.

ويقول في قصيدة أخرى:

1/هماما من بني حركات يسمو ويسبق للعلى سبق الجواد⁽⁴⁾

ويقول أيضا:

(1) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي النانلي، ص: 21 - 24 (المخطوطة)

(2) الخطيب التبريزي، كتاب الكافي في العروض والقوافي، تحقيق الحساني حسن عبد الله، مكتبة الخانجي - القاهرة (د.ت) ص: 194.

(3) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي النانلي، ص: 3، 4 (المخطوطة)

(4) المصدر نفسه، ص: 13.

- 2/ وكننا نرى أن الخليل إماننا وشيخ شيوخ العلم في العصر الخالي⁽¹⁾
- 3/ وبعم عم الأنعام نوالا وارتقى فتقاصر الفرقدان
- 4/ وبخال في فيضه البحر خال ليث يومي كرهة وطعان
- 5/ وبجد بجده أدرك السا بق أتعب لاحقا غير واني⁽²⁾
- 6/ ومن جمع البحرين من رائق اللغا وفي مجمع البحرين ملتقط الدر⁽³⁾

ففي البيت الأول: تجد ترديدا بين: يسبق - سبق.

وفي الثاني: شيخ - وشيوخ

وفي الثالث: عم - وعم

وفي الرابع: بخال - خال

وفي الخامس: بجد - بجده

وفي السادس: كرر الشاعر "البحرين" مرتين، ونجد ترديدا بين: جمع - مجمع وهو نمط من التجنيس الصوتي ولهذا التكرار « أثره في البناء الموسيقي والمعنوي و يتلقى

مع التكرار والجناس، والمجاورة وتشابه الأطراف»⁽⁴⁾

4/ التكرار و أقسامه:

التكرار هو « وسيلة من وسائل تحقيق الإيقاع، والتجانس كله يقوم على التكرار»⁽⁵⁾ وهو موائم للفطرة، كما أن له وظيفة مزدوجة الأداء « تحمل مع التوثيق للمعنى، ودفع المساهلة في القصد إليه قيمة صوتية وفنية تزيد القلب له قبولا والوجدان

(1) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي النائي، ص: 18 (المخطوطة).

(2) المصدر نفسه، ص: 24.

(3) المصدر نفسه، ص: 27.

(4) حسني عبد الجليل يوسف، موسيقى الشعر العربي، ج1، ص: 179.

(5) منير سلطان، الإيقاع في شعر شوقي الغنائي الجملة والخصائص، ص: 218.

به تعلقاً»⁽¹⁾، ولهذا فقد اتخذ تكرار البيت أو الأبيات وسيلة لتحقيق الموسيقى التي هي بلا شك « أقوى وسائل الإيحاء، وأقرب إلى الدلالات اللغوية النفسية في سيولة أنغامها »⁽²⁾، ويعرفه كولن بقوله: «إنه استنساخ يتم بوسائل تكوينية خالصة لا تحمل دلالة ذاتية، وهو يثير في النفس إحساساً جمالياً لا يتحقق عند إدراكها منفصلة عن غيرها»⁽³⁾، وذلك لما لهذا الاشتراك من فائدة موسيقية عظيمة وقيمة نغمية جليلة تؤدي إلى زيادة ربط الأداء بالمضمون الشعري، إذ أن « لأصوات الحروف المكررة مجريان، ينبع أحدهما من روي القافية ويصب فيه، حيث يفرض هذا الحرف هيمنة على سائر تشكيل البيت، كأن يكون أساساً لبنائه الصوتي، أما المجرى الآخر، فينبع من قاع البيت أو من قراره... كأن يهيمن حرف قوي ذو صوت حلقي مجهور كالعين أو حرف ذو صوت حلقي مهموس كالسين أو الصاد فإن التشكيل يصطبغ بصبغته وتصبح خصوصية الصوت أساساً لبنائه الصوتي، وهذا ما يمثل قاع البيت الصوتي أو قراره»⁽⁴⁾. وهو باب واسع – أي التكرار – « يبدأ من تكرار الحرف أو بضعة أحرف إلى تكرار لفظة فأكثر ثم يتنوع ترتيب المكرورات ومن هذا التنوع كثرت المصطلحات ولكنه واقع في إطار التجنيس والتقطيع الصوتي »⁽⁵⁾.

وقد درس الأقدمون التكرار الصوتي « في إطار مصطلحات كثيرة، متفننين بذلك لأنواعه، وتقسيمهم لأنواع التكرار الصوتي يدل على دقة النظر، وعلى إمكانات اللغة العربية، وإمكانات الشعر العمودي الموسيقية، وهي إمكانات يتيحها الوزن في صورته المكتملة، ويجب أن نلاحظ أن بعض المصطلحات ترد في إطار المحسنات المعنوية والمحسنات اللفظية بنفس الاسم في بعض الكتب القديمة، كما أن النمط الواحدة قد تتعدد

(1) السيد عز الدين علي، التكرير بين المثير والتأثر، دار الطباعة المحمدية بالأزهر، القاهرة، ط1، 1398هـ - 1978م، ص: 88.

(2) الحمداني سالم أحمد، مذاهب الأدب العربي ومظاهرها في الأدب العربي الحديث، مطبعة التعليم العالي الموصل، 1409هـ - 1989م.

(3) نبيل رشاد نوفل، العلاقات التصويرية بين الشعر العربي والفن الإسلامي، توزيع منشأة المعارف، الإسكندرية، 1933م، ص: 131.

(4) القاضي النعمان، أبو فراس الحمداني، الموقف والتشكيل الجمالي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ودار التوفيق النموذجية للطباعة والجمع

الآلي، الأزهر، 1981م، ص: 501.

(5) حسني عبد الجليل يوسف، موسيقى الشعر العربي، دراسة فنية وعروضية، ج1، ص: 163.

أسماءه»⁽¹⁾ ، وقد يكون التكرار « تكرارا للحروف أو الحركات كما أشرنا، أو يكون تكرارا للألفاظ حروفا وأسماء، وأفعالا، أو تكرارا للصيغ»⁽²⁾

ويقسم التكرار في شعر المسعدي إلى عدة أقسام وهي:

1- تكرار الحروف:

فمن المجرى الأول قول المسعدي في تهنئة "يحيى بن السعيد" بعيد الأضحى من القصيدة الأولى:

أ - حرف اللام:

تهنى بعيد الفتح والفضل والنصر	وبالعز والإقبال يا مفرد العصر
وبالمجد والفخر المؤئل مثل ما	تهنى بك الأعياد في الفطر والنحر
أبا مالك والفضل عبد ملكته	فألبيت تاج العز من مفرق الدهر
ولو لم يكن بنجلك أكرم والـد	سموت بفعل المعجزات من البر
ولا غرو أن تدعى نبي فضائل	بعثت لإتمام المكارم والفخر ⁽³⁾

نلاحظ من خلال هذه الأبيات أن المسعدي يتكئ على تكرار حرف اللام: وقد كرره بنسب متفاوتة في أبياته، فقد أورده خمس مرات في البيت الأول، وست مرات في البيت الثاني، وخمس مرات في البيت الثالث، وسبع مرات في البيت الرابع، وخمس مرات في البيت الأخير، ومما يلاحظ أن هذا الحرف قد أصبح مهيمنا على سائر الأبيات بحيث لا تخفى قيمته الصوتية، ومما يزيد في موسيقى الأبيات تتابع اللام والميم في الكلمات التالية: بالمجد - مؤئل - مثل - مالك - ملكته - المكارم....

(1) حسني عبد الجليل يوسف، المرجع السابق، ص: 169.

(2) المرجع نفسه ، ص: 167.

(3) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي النائلي، ص: 1 - 2 - 3 (المخطوطة)

ب - حرف الدال:

- 1/ تشرفت المربع والنوادي وسر العرب حاضرهم وباد
- 2/ وأقبلت المجادة في حلاها تسير الخيز لا والسعد حاد
- 3/ بني نائل لقد سدتهم وشدتتم صروح المجد والحسب التلاد
- 4/ فلو أن القبائل من لجين لكنتم عسجدا عند النفساد⁽¹⁾

لقد حشد المسعدي حرف الدال في البيت الأول موردا إياه مرتين، وثلاث مرات في البيت الثاني، وأربع مرات في البيت الثالث، وثلاث مرات في عجز البيت الرابع.

ج - حرف الراء:

- سلامي على شخص المكارم والفخر ومن جمع الآداب للقهر والنصر
- ومن قادت الآمال فيه ركائبني فألقت رحلي في حمى مفرد العصر
- ومن ترجم الأفكار حتى كأنما يحل محل النفس من كاتم السر⁽²⁾

وبالإضافة إلى ما ذكر من استعمال الحروف التي ينبع أحد مجريي أصواتها من روي القافية، وينبع مجراها الآخر من قاع البيت أو قراره، فقد لجأ المسعدي من أجل توفير الموسيقى الداخلية في شعره إلى عدة ألوان من التكرار، منها تكرار حروف ذات الوقع الشديد كالهزمة، والقاف، مما أكسب الأبيات موسيقى قوية بالإضافة إلى المدات ولعل ذلك راجع إلى شدة هذا المصاب الجلل الذي أصاب أبو القاسم بن جابوربي.

للموت حقا لقاء *** والناس فيه سواء *** ومن تخطاه سهم *** فما بقاء بقاء

فما القرار بدار *** بها القرار سراء *** والخير من لف زادا *** له يحق الهناء.

(1) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي النانلي، ص: 12-13 (المخطوطة) -

(2) المصدر نفسه، ص: 27.

يبغي خلاصا بتوب *** لمن له ما يشاء *** ما للزخارف فيه *** مطامح وابتغاء

ولا يبقي لبعده *** شيئا فزال العناء *** وإن تتل رزق يوم *** فللزمان العفاء⁽¹⁾

نلاحظ أن الشاعر في هذه الأبيات اعتمد على حرف القاف، وهو حرف شديد الوقع وقد ذكره في البيت الأول أربع مرات، ومرتين في الصدر، ومرتين كذلك في العجز، وفعل ذلك في البيت الثاني ثلاث مرات، إلا أنه يعكس الوضع، فيجعله مرتين في الصدر ومرة واحدة في العجز، وكأنه يومئ بهذا الكم إلى شدة وقع الصدمة على والد الفقيد، كما سيطرت حروف المد وهي: "الألف" و"الواو" و"الياء" وبخاصة الألف التي هي أخف هذه الحروف، فقد تكررت في البيت الأول سبع مرات، وفي البيت الثاني ثمان مرات، وفي البيت الثالث ست مرات، وأربع مرات في البيت الأخير بالإضافة إلى الياء حيث وردت في البيت الأول مرة واحدة، وفي البيت الثالث ثلاث مرات، ومرة واحدة في البيت الأخير، أما الواو فإنه ورد بنسبة أقل في هذه الأبيات وتعد هذه « الحروف برمتها أخف الحروف جميعها، لأنها أوسعها مخرجا »⁽²⁾، وقد أكسبت حروف المد هذه الأبيات نغمة موسيقية عذبة لتردها و مدها.و المسعدي يكثر من هذا الممدود لما له من صلة نفسية بالأب المفجوع، إذ أنها تمنحه راحة لقلبه بمد نفسه، وهي مناسبة لآلامه وأحزانه وآهاته التي يصدرها بين الحين والآخر من شدة الحرقه، « والممدود للتطريب هي بالشعر ألصق، لأن الشعر في الأعم وبخاصة العربي يمثل غناء النفس أشواقها وآلامها وأفراحها فتتناسبها مدات الشجا والأسى والحنين والأئين والسراء والضراء »⁽³⁾، ولهذه الحروف فيما نرى دلالة فكرية معنوية إضافة إلى القيمة الموسيقية، ففي قوله: (للموت حق) (ومن تخطاه سهم) (فما بقاه بقاء) (فما القرار بدار...) فكلها تدل على أن الموت حق وهو يصيب كل إنسان مهما طال به العمر وهي في مجموعها معان مستمدة من القرآن الكريم لا على مستوى هذه

(1) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي النانلي، ص : 54 .

(2) ابن يعيش موفق الدين، أبو البقاء ، شرح ملوكي في التصريف، تحقيق فخر الدين قباوة، المكتبة العربية، حلب، ط3، 1139هـ - 1973م ، ص: 105.

(3) السيد عز الدين علي، التكرير بين المثير والتأثير ، ص: 65.

الأبيات فحسب، بل شملت مجموعته الشعرية ككل، كما نلمس وجود «غلاف من الحزن والألم منشؤهما تكرر لأصوات المد مما يدلنا على أن الموسيقى اللفظية وسيلة مهمة لنقل المشاعر والأحاسيس والانفعالات بشكل دقيق»⁽¹⁾، وهذا ينسجم مع ما نجده في العصر الحديث من أن الشعراء «آمنوا بأن الموسيقى الشعرية تعبيرية إيحائية، تضيف على الكلمات أقصى ما يستطيع التعبير عنه من معنى، وأيقنوا بأن الكلمات أصوات، ودلالة الأصوات موسيقية إيحائية قبل أن تكون تعبيرية وصفية»⁽²⁾

2- تكرار الكلمات والجمل: يعد تكرار الكلمة في النص، وتكرار الجملة في السياق ذا أثر عظيم في توفير الجانب الموسيقي، ولهذا التكرار، «من القيمة السمعية ما هو أكبر مما هو لتكرار الحرف الواحد في الكلمة أو في الكلام»⁽³⁾، ويقصد بالتكرار شيئان هما:
أ- تكرار الكلمات بالمعنى نفسه.

ب- بعض الفنون البديعية المعتمدة على التكرار .

أ- تكرار الكلمات بالمعنى نفسه: لقد عمد المسعدي من أجل توفير الموسيقى في شعره إلى تكرار الألفاظ دون تغيير للمعنى، وقد اشتمل هذا التكرار على عدة ألوان وهي كالآتي:

أ- تكرار كلمة أو أكثر في صدور أبيات متتابعة وفي أعجازها كذلك ومن ذلك قوله:

1/ هم العروة الوثقى هموا كعبة الندى هموا قبلة الراجي هموا صفوة الآل

2/ هموا حرم اللاجئ عز نصيره وإكسير ذي فقر لنصر وإفضال⁽⁴⁾

3/ به ختم الخليل شرحا لملحة وناهيك بالخليل من خير أنجال

4/ وكنا نرى أن الخليل إماننا وشيخ شيوخ العلم في العصر الخالي

(1) نافع عبد الفتاح صالح، الصورة في شعر بشار بن برد، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان - الأردن - 1983م، ص: 254.

(2) عبد الدايم صابر، التجربة الإبداعية في ضوء النقد الحديث، دراسات وقضايا، مكتبة الخانجي، مصر، ط1، 1409هـ-1990م، ص: 47.

(3) السيد عز الدين علي، التكرير بين المثير والتأثير، ص: 80.

(4) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي النائلي، ص: 16 (المخطوطة)

- 5/ فقد بعث الرحمن من فيض فضله خليلاً به تحيا العلوم بأعمال⁽¹⁾
- 6/ وكم استملت الصَّخْرَحَتَى فَجَرَّهٗ وَأَجَبْتُ خِدْنَا بِالْخُدُورِ دَعَانِي
- 7/ ففقفا خليليَّ على رَبِّع عفا بالله من هَذَرِ الْعَدُولِ دَعَانِي
- 8/ هذا زمانٌ ليس يعذرُ مُعَذِرًا فليزور أهل العَدَلِ كيف يُداني
- 9/ مالي بحمل خطوبه من مُنَّةٍ ولا للصَّبْرِ عندي يَـئـدَانِ
- 10/ فمن العجائب أنْ أر متوانيا أَيَحِقُّ في جنب الكرام تَوَانِ
- 11/ كلا وَرَبُّ الْعَرْشِ إِنِّي مُعَذِرٌ وَالْوَجْدُ مُذْجَدُّ الْفِرَاقُ تَوَانِي
- 12/ هل يبتغي الإنصافَ حقًّا منصفٌ عند الصَّدِيقِ ولو أتى بمثاني
- 13/ هذا وشرعُ الوُدِّ قدقال اعذروا أُولَا فأسبابُ الودادِ مَثَانِي
- 14/ فلکم سلامٌ والأحبة كلهم ماغَنَّ شَادٍ عند ربِّ مَثَانِ
- 15/ واغروورقت عينُ المُحِبِّ لذكوره ذاك الحِمَى وتلاوة لمَثَانِ⁽²⁾

- 1/ ليهناً به الدين الحنيف وحببه وتهناً به الدنيا ويهنأ به الدهر
- 2/ وتهناً به أيتامها وأامل وطالب علم عضه الأزل والفقير⁽³⁾

ومن الملاحظ أن التكرار في البيت الأول والثاني تضمن ضمير الغائب (هموا) أربع مرات في البيت الأول ، وفي الثاني مرة واحدة ، كما تكررت في المجموعة الثانية كلمة (الخليل) في البيت الأول مرتين، حيث أوردها مرة في الصدر وأخرى في العجز

(1) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي النانلي ، ص: 18 - 20.

(2) المصدر نفسه، ص: 83 - 86 (المخطوطة).

(3) المصدر نفسه، ص: 37 .

كما أوردتها مرة واحدة في صدر البيت الثاني، ولم يوردها في عجزه والعكس صحيح بالنسبة للبيت الأخير، كما كرر في أبيات أخرى والمتمثلة في: (دعاني) مرتين كما كرر كلمة: (توان) مرتين أيضاً، وكلمة: (مئان) أربعة مرات وهو تكرار غير مباح وفي ذلك يقول: عبد الهادي عبد الله عطية « وهناك إمكان تكرار الكلمة الواحدة أكثر من مرة بعد سبعة أبيات وهو تكرار مباح لا يغض من شأن الشاعر، ولا يضع من مكان قصيدته، وهو تكرار أتى في شعر الكثير من الشعراء فلم يعجبهم به أحد »⁽¹⁾

وفي المجموعة الأخيرة كرر جملاً بعينها أفعالها لازمة وتتمثل في (ليهنأ به الدين) و(تهنأ به الدنيا) و(يهنأ به الدهر) و(تهنأ به أيتامها).

ومن خلال ما تقدم يتبين لنا أن الشاعر كرر كلمات بالمعنى نفسه كما هو ملاحظ في المجموعة الأولى والثانية ، مما يؤدي إلى تكرار جرسها وانضمام بعضه إلى بعض، وقد جاء هذا التكرار لغرض خطابي هو: تقوية الإعجاب بهؤلاء الممدوحين، والإمعان في بيان فضائلهم وتوكيدها، واستقرارها في سمع السامع ، أما المجموعة الأخيرة فالفعل واحد إلا أن الإسناد كان متعددًا ، فمرة أسنده إلى الدين في صدر البيت الأول وإلى (الدنيا) مرة وإلى (الدهر) مرة أخرى، بينما تم إسناده إلى الأيتام عاطفاً عليها الأرامل بحرف العطف (الواو)، ولعل ذلك من أجل تقوية الجانب الإنشائي المتمثل في الالتفات إلى هذه الشريحة فضلاً عن تقوية النغم وتوكيده.

كما لجأ المسعدي إلى استعمال هذا النوع من التكرار والمتمثل في جمل وذلك في قوله :

وتهنى الدنيا وتلك الدار	فلتهنيك بل تهني البرايا
وتهنى العواد والزوار	وتهنى أرامل واليتامى

(1) ملامح التجديد في موسيقى الشعر العربي، ص: 172.

ويهني الفقير والبائس المهضو م والمجتدي الندى والمجار⁽¹⁾

نلاحظ هنا في هذه المجموعة الأخيرة قد كرر المسعدي أنماط الجمل الفعلية المثبتة.

3/ التقسيم أو القوافي المتعددة:

ورد هذا النمط قديما في أشعار الجاهليين بصورة متفرقة، من ذلك قول امرئ القيس: فتور القيام، قطيع الكلا م تفتن عن ذي غروب خصر⁽²⁾

ويسمي أبو هلال العسكري هذا التقسيم بـ (الترصيع) وهو « أن يكون حشو البيت مسجوعا »⁽³⁾، ويسميه عز الدين إسماعيل بـ«التوازن الصوتي، فهو يضفي على الكلام الرونق، ويحسنه»⁽⁴⁾، من هذا النوع يقول المسعدي في قصيدة رثائية، وهي قصيدة طويلة سنجتري منها هذه الأبيات للتدليل على هذا النوع

للموت حقا لقاء***والناس فيه سواء***ومن تخطاه سهم***فما بقاه بقاء
فما القرار بدار***بها القرار سراء***والخير من لف زادا***له يحق الهناء⁽⁵⁾
ويمكننا عرض هذه الأبيات بصورة أخرى تشبه إلى حد كبير تلك التقنيات التي استخدمها بعض الشعراء القدماء وكذلك المحدثين، والمتمثلة في الآتي:

للموت حقا لقاء	والناس فيه سواء
ومن تخطاه سهم	فما بقاه بقاء
فما القرار بدار	بها القرار سراء
والخير من لف زادا	له يحق الهناء

(1) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي النائلي، ص: 101. (المخطوطة)

(2) ديوان امرئ القيس، ضبطه وصححه الأستاذ مصطفى عبد الشافي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط1425، 5هـ. 2004، ص: 69.

(3) حسني عبد الجليل يوسف، موسيقى الشعر العربي، دراسة فنية وعروضية، ص170، نقلا عن: الصناعتين (العسكري أبو هلال العسكري) تح: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي البجاوي عيسى الحلبي، القاهرة، 1952، ص: 297.

(4) الأسس الجمالية في النقد العربي، عرض وتفسير ومقارنة، دار الفكر العربي، ط3، 1974م، ص: 191.

(5) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي النائلي، ص: 54. (المخطوطة)

ومما يلاحظ أن الشاعر حافظ في كل شطر على نفس وزن الشطرة الأخرى فالوزن كما يلي حسب كل بيت.

مستفعلن	فاعلاتن	مستفعلن	فاعلاتن
متفعلن	فاعلاتن	متفعلن	فاعلاتن
متفعلن	فاعلاتن	متفعلن	فاعلاتن
مستفعلن	فاعلاتن	متفعلن	فاعلاتن

4/المراجعة: وهي لون من ألوان البديع تعتمد على التكرار لتوفير العنصر الموسيقي، وهي عند البلاغيين « أن يحكي الشاعر ما جرى بينه وبين الغير من سؤال وجواب، بأوجز عبارة ، من ألطف معنى في أرشق سبك وأسهل لفظ .»⁽¹⁾، وقد استخدم المسعدي هذا الفن البديعي في قصيدة رثائية رثى بها الشيخ البشير بن الحاج ومطلعها.

قامت إلي قبيل الصبح تعذلني لما رأت عبرتي تنهل كالمزن
إلى أن يقول:

تقول مشفقة إذ شاهدت أرقى ما لي أراك طليحا ذاهب الوسن
لقد صبوت بعيد الارعواء إلى من كنت تألفه في سالف الزمن⁽²⁾
أم قد خشيت عدواً أنت ترهبه وكنت لا ترهب الضرغام في العرن
إلى أن يقول:

فقلت والله ما أمري كما ذكرت هند ولا رغبتني في الإلف والوطن⁽³⁾

فقد استخدم المسعدي في هذه الأبيات- أسلوب المراجعة، أي السؤال والجواب وهو معتمد في ذلك على التكرار، فقد كرر (تقول) و(قلت) مرة واحدة في كل منهما.

(1) عبد الغني النابلسي، نفحات الأزهار على نسفات الأسرار في مدح النبي المختار، شرح البديعية المزريّة بالعقود الجهرية عالم الكتب بيروت (د.ت) - مكتبة المتنبّي القاهرة (د.ت)، ص: 155.

(2) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي النانلي ، ص: 46- (المخطوطة).

(3) المصدر نفسه، ص: 47.

5-الجناس: ومن أنواع البديع القائمة على التكرار اللفظي الجناس، وهو أنواع منها (المماثلة) وهي: «أن تكون اللفظة واحدة باختلاف المعنى»⁽¹⁾

ومنه كذلك (التجنيس المحقق): وهو « ما اتفقت فيه الحروف دون الوزن رجع إلى الاشتقاق أو لم يرجع»⁽²⁾، وهو أنواع منها« المستوفى ، والناقص »⁽³⁾ وكلاهما متوفر في مدونة المسعدي، وما يهمنها هو الجناس التام وهو قليل مقارنة بالجناس الناقص أو ما يعرف بالتجنيس المحقق، ومن ذلك قوله:

ولولا رجال منك غر أماجد يحفونكم كهالة البدر بالبدر
ومن جمع البحرين من رائق اللغا وفي مجمع البحرين ملنقط الدر⁽⁴⁾

فقد أوجد المسعدي للموسيقى الداخلية في هذين البيتين، وذلك باستعمال التكرار المتمثل في الجناس التام بين كلمتي " البدر" و " البدر" حيث أورد الأولى منهما بمعنى البدر والثانية يقصد بها الممدوح.

كما تكرر ذلك في البيت الثاني بين كلمتي " البحرين" و "البحرين" حيث أورد الأولى منها بمعناها الحقيقي، والثانية يقصد بها كرم الممدوح وجوده.

6/إعادة كلمة أو أكثر من عجز البيت ويتمثل ذلك في قوله:

1/واستهل وما استقل غلام الـ آل إلا عنت له الثقلان.
آل بيت النبي من ذا يسامي أو يساوي علاكم أو يداني⁽⁵⁾

2/نعت إينا فريد العصر فانبعثت مدامع أضحكت قوما من الجذل

(1) ابن رشيق العمدة ج1، ص : 321.

(2) ابن رشيق العمدة ج1، ص : 323.

(3) الخطيب التبريزي، كتاب الكافي في العروض والقوافي، تح الحساني حسن عبد الله، مكتبة الخانجي بالقاهرة،(د.ت) ص: 173.

(4) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي النائي ، ص:6 (المخطوطة)

(5) المصدر نفسه ، ص: 21- 22.

إن كان أضحكهم هلك المجادة فالدهر الدهارير يبكهم على عجل⁽¹⁾

نلاحظ من خلال هذه الأبيات أن المسعدي لجأ إلى استعمال هذا النوع من التكرار، حيث عمد إلى كلمة ذات مدلول واردة في عجز البيت الأول والمتمثلة في (أل) ثم كررها في صدر البيت الثاني، ولقد عمد الشاعر من خلال ذلك إلى « تقوية النغم والجرس على سبيل الترنم»⁽²⁾ فهو يؤكد نغم البيت السابق ويصله بنظم البيت اللاحق ويكرر المسعدي كذلك قوله في المجموعة الثانية كلمة (أضحكت) في عجز البيت الأول، كما يكرره كذلك في صدر البيت الثاني:

ومع أن هذا التكرار جاء لغرض خطابي، هو التأكيد على أن الدهر غير مؤتمن الجانب فيوم لك ويوم عليك.

هذه بعض أنواع التكرار التي وردت في أشعار المسعدي، وهو أشبه بمعزوفة موسيقية متعددة الأبعاد يضع « في أيدينا مفتاحاً للفكرة المتسلطة للشاعر، وهو بذلك أحد الأضواء اللاشعورية التي يسلطها الشعر على أعماق الشاعر فيضيئها بحيث نطلع عليها»⁽³⁾، وإذا كانت نازك الملائكة قد أعدته مفتاحاً للفكرة المتسلطة للشاعر فإن الدكتور حسني عبد الجليل يوسف أعدها جزءاً من « الهندسة العاطفية للعبارة يحاول الشاعر أن ينظم بكلمات بحيث يقيم أساساً عاطفياً من نوع ما... »⁽⁴⁾

ومن المحسنات البديعية كذلك التي وظفها الشاعر بغية إثراء الإيقاع الموسيقي للغة مدونته، وتدعيماً لأفكاره ولآرائه :

7 – الطباق أو المطابقة: والتي يعرفها ابن رشيق بقوله: « أن يأتلف معناه ما يضاد في فحواه، والمطابقة عند جميع الناس جمعك بين الضدين في الكلام أو بيت شعر... »⁽⁵⁾

(1) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي الناطلي، ص: 40. (المخطوطة)

(2) فرحان علي القضاة، القيمة الموسيقية للتكرار في شعر الصاحب بن عباد (بدون ترقيم ص).

(3) حسني عبد الجليل يوسف، موسيقى الشعر العربي دراسة فنية ج1، ص: 16.

(4) نفس المرجع والصفحة.

(5) ابن رشيق، العمدة، ج2، ص: 5.

ومن أمثله قول المسعدي :

- 1 _____ *** حاضرم و باد (1)
- 2 _____ *** لجين و تبر 4
- 3 _____ *** فجمعتها 5
- 4 _____ *** الجهر و السر 6
- 5 _____ *** العسر و اليسر 7
- 6 _____ *** أصلا و فرعا 8
- 7 _____ *** ما حييت *** و إن مت 9
- 8 _____ *** العجم و العرب 10
- 9 _____ *** السم في العسل 11
- 10 _____ *** للطول و العرض 12
- 11 _____ *** و إن يعيش 13
- 12 _____ *** بؤس و رخاء 1
- 13 _____ *** يمينه 2
- 14 _____ *** الذكي من الغبي 3
- 15 _____ *** و تالد 4
- 16 _____ *** العشي و الإبكار 5

(1) أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي النانلي ، ص:12 (المخطوطة)

ومما يلاحظ أن الشاعر قد وظف المطابقة، أو ما يعرف بالتضاد توظيفا مكثفا لا تكاد قصيدة من قصائده تخلو منه، إلا أنه قد اختار ألفاظا واضحة الدلالة بعيدة عن التعقيد و الغريب اللفظي ، لتتنوع الإيقاعات و إثرائها ليكسب شعره مسحة جمالية .

هذه أهم المحطات التي استطاع البحث رصدها، وذلك من خلال أشعار المسعدي وذلك ما تم استخلاصه من أبعاده الشعرية.

الغائمة

وهكذا نأتي على خاتمة هذا البحث المتواضع، والتي تشتمل على أهم النقاط والنتائج التي أمكننا استخلاصها من خلال معاشتنا لمختلف جوانب البحث.

1 – ولعل أول ما نتطرق إليه في هذا البحث، هو محاولة إلقاء الضياء على فترة تعتبر من أخصب فترات التاريخ الجزائري الحديث (1900-1956) وعلاقتها بالاحتلال الفرنسي وقد ترتب عن ذلك عدة مؤثرات مختلفة من سياسية، واجتماعية واقتصادية، وثقافية، ونفسية، ساعدت على توجيه الشعر الجزائري هذا الاتجاه وهو لم يكن وليد تقليد بقدر ما كان نابعا عن عوامل ذاتية نشأت عن المراحل التي مر بها الشعب الجزائري طوال هذه الفترة مما أدى إلى ركود الحياة الثقافية والأدبية بصفة عامة وعلى الحركة الشعرية بصفة خاصة .

2 – غلبة اليأس على نفوس الجزائريين بما في ذلك الشعراء من جراء الاحتلال الفرنسي وما رافقه من فساد الأحوال، والتي سبق ذكرها بالإضافة إلى أسباب خاصة كان لها الأثر الواضح على كتابات الشعراء ومن بينهم المسعدي الذي عانى من جفاء الأصدقاء وتآلبهم، وقد أشار إلى ذلك في بعض أشعاره .

3 – نظم الشاعر في كل الأغراض والفنون التقليدية من مدح، وثناء، وتهنئة، وغير ذلك من الفنون الأخرى، غير أن هذه الأغراض الثلاثة الأولى قد نالت حصة الأسد.

4 – صدور مدحه بصفة عامة عن اقتناع بخصال الممدوح، وبشخصيته العلمية ومكانته الدينية، والاجتماعية وتلمس هذه الظاهرة بشكل جلي في مدحه للأسرة القاسمية

5 – محاكاته للتراث العربي الإسلامي عبر عصوره المختلفة، مع التزامه القوالب الجاهزة، ولعل ذلك ما جعل شعره يكون صدى للحوادث، ولم يكن صوتا حقيقيا ينبع من ذاته إلا في القليل النادر جدا مع المحافظة على البيئة التعبيرية في القصيدة العمودية المبنية على المقطوعات في الغالب .

6 – خضوع شعره لكثير من المناسبات التي اختلفت في قولها، وتأثره بها، مما جعله يردد المعنى الواحد في عدة قصائد وفي الغرض الشعري الواحد، كما يعيد في بعض القصائد الألفاظ ذاتها.

7 – انعكاس ثقافته القرآنية والدينية على شعره، وشيوع الألفاظ القرآنية في جل قصائده، ولعل ذلك راجع إلى تشبته بالدين الإسلامي، وبقيمه، ومثله العالية كغيره من شعراء تلك الفترة.

8 – طغيان النزعة الإصلاحية، ولعل ذلك راجع إلى كونه أحد المنضوين تحت لوائها والمتأثرين بمبادئها، مما جعله يعزف عن الفنون الشعرية التي ربما اصطدمت بالذوق العام كالغزل كما يرجع السبب كذلك – في اعتقادي – إلى طبيعة التقاليد الاجتماعية القاسية في تلك الفترة.

9 – اعتناؤه بتطوير المضامين وإهماله للناحية الجمالية وهي ظاهرة بادية في كل أشعاره .

10 – ارتباط شعره بالإطار الحضاري العام لعصره، في مستوياته الثقافية والاجتماعية والسياسية المختلفة، كما ربط الحاضر بالماضي، أو الواقع بالتاريخ.

11 – عدم مقدرته على السمو بلغته الشعرية، في وظيفتها الإشارية الإخبارية إلى الوظيفة التصويرية الجمالية، مما نجم عن ذلك سقوط أكثر نصوصه الشعرية في النثرية التقريرية، والخطابية، وفي مقابل ذلك نجد قاموسه الشعري يغطي أغلب الحقول الثقافية، والتاريخية، والاجتماعية، والنفسية، والدينية، وذلك ما تم استخلاصه من أبعاده الشعرية إلا أنها لا تخلو من الأخطاء في حسبتها.

12 – معجمه الشعري اللغوي إسلامي في معظمه، وتقليدي في مصادره، ولاضير في ذلك، لأن صاحبه إسلامي قرآني، وقد ربطه هذا المنطلق بأساليب القدامى.

13 – صورته الشعرية في أغلبها تقليدية في موقف المضاف إلى الموضوع المؤثر بالبنية العروضية. المعدة مسبقا، كما أن توظيفه للتراث الثقافي، والتاريخي، ظل محدودا باستثناء القرآن الكريم الذي يشكل الجزء الأكبر في نصوصه الشعرية .

14 – أوزانه وقوافيه لم يأت فيها بجديد، إذ نظم الشاعر جل قصائده، ومقطوعاته، على أكثر البحور شهرة وتداولاً، كالطويل والبسيط والكامل وسواها، ومن الطبيعي أن ينسج شاعرنا قصائده على هذه البحور، ذات الصيت الذائع ولاسيما بحر الطويل دون اهتمامه ببحر الكامل على الرغم من كونه (معبود الشعراء).

15 – ظل فضاء الشكل عنصراً ثابتاً في مجموعته الشعرية، ولا نجد تغييراً كبيراً في اللغة، والصورة، والإيقاع، فهو بسيط العبارة في الغالب تتخلله ألفاظ غريبة، مع حوشي الكلام، ومن ثم فإنه لم يخرج عن النسق العام المعهود في القصيدة العربية.

16 – شيوع حساب الجُمَل الشعرية في منظومته، وهي ظاهرة ترجع إلى عصر الانحطاط كما سبقت الإشارة إلى ذلك في الفصل التمهيدي.

ومهما يكن من شيء، فإن المسعدي إذا كان بقي مشدوداً أكثر إلى الأسلوب التقليدي والمضامين القديمة، فإنه حمل معظم هذه المضامين مشاعره الخاصة بأسلوب بدت فيه شخصية معبراً عن إحساسه اتجاه الحياة، والإنسان، و المجتمع.

هذه بعض النتائج التي تمكن البحث من رصدها، غير أن ذلك لا يعني أنني حققت الرجاء المعقود عليه، ولكن عزائي يكمن في كوني استطعت أن أنفذ إلى عالم هذا الشاعر المغمور، وأبدد حجب بعض ما كان مستورا، مقرة في النهاية بأن شعره لازال يحمل الكثير من القضايا في هذا الميدان، لأن التحقيق بحاجة إلى باحثين متمرسين، ليتمموا إنجازهم بما يصحونه من أخطاء، وبما يضيفونه من إضافات، لأن أبواب البحوث مفتوحة، والتقييم لها من قبل متمرسين لهم خبرات و دراية في هذا الميدان ضرورية.

املا حق

- 1- التعريف بمسقط رأس الشاعر (مسعد).
- 2- الرسائل المتبادلة بينه وبين أعلام عصره.

1- التعريف بمسقط رأس الشاعر

مسعد هي مدينة جزائرية تقع جنوب مقر ولاية الجلفة، على بعد 76 كلم. تبعد مسعد عن جنوب مدينة الجزائر بحوالي 375 كلم. عدد سكانها 102453 نسمة،(عام 2008). عرفت المدينة منذ العصور الرومانية القديمة، حيث كانت مدينة مزدهرة.

دخلت في التقسيم الإداري لسنة 1974 لتصبح عاصمة لدائرة تربط بين عدة ولايات، لها من الأهمية الوطنية مالها، كولاية الأغواط و غرداية، وورقلة، وبسكرة فزادها هذا التمرکز بين هذه الولايات استراتيجية لموقعها.

بنيت في القرن الثاني الميلادي 193، بناها القائد الروماني ديميدي، هذه المدينة التي يقطنها ما يفوق الثمانين ألفا من أبناء سيدي نائل، الذين استقر بهم المقام في هذه المنطقة.

الموقع الجغرافي والتضاريس:

فاكيا: تقع بين خطي عرض 34.09 شمالا وخط طول 3.30 شرقا. تقع مسعد جنوب ولاية الجلفة، وإذا نظرنا لها على أساس التقسيم الإداري، يحدها شمالا عين الإبل والمجبارة وغربا والجنوب الغربي يحدها دلدول وسد رحال ومن الجنوب قطارة وأم العظام ومن الشرق سلمانة. تبلغ مساحتها (بلدية مسعد) 13962 كلم.

أما التضاريس فيغلب عليها الطابع الصحراوي، بها بعض المرتفعات من سلاسل الأطلس الصحراوي، وأهم هذه المرتفعات (جبال بوكحيل) ويمر بها بعض الأودية منها واد مسعد الذي يشق المدينة، ويسمى عند العامة (الحميضة) وجنوبا واد جدي. يسودها المناخ الصحراوي، وتأثيرات المناخ القاري، حيث تتميز بشتاء بارد قليل الأمطار وصيف حار جاف. أما النبات فيتمثل في النباتات السهبية والصحراوية مثل نبات الحلفاء والشيح والنباتات الشوكية، إضافة إلى الأشجار المثمرة حول ضفاف واد مسعد.

إن موقع مسعد الجغرافي الاستراتيجي جعل لها تنوعا في المناخ ،والجغرافيا، حيث أن مناخها له طبيعة مناخ البحر الأبيض المتوسط، يتغير نحو المناخ القاري لكونه قريب من الصحراء كما أن المنطقة هي منطقة عبور للمناطق الجافة المتواجدة بالجنوب، مما جعلها تجمع بين الصحراء في رمالها وصفاء سمائها وتواجد النخيل بها. وبين التل الشمالي في وجود الأشجار وبعض النباتات الخضراء.

أصل تسمية مسعد بهذا الاسم : تعددت الأقوال وتضاربت الروايات في أصل تسمية مدينة مسعد التي أسست ضواحيها الجديدة خلال العهد التركي العثماني سنة 1793 فهناك من قال بان اسمها اشتق من اسم ابنة رجل من العرب الفاتحين مدفونة في المنطقة اسمها مسعدة، وقيل اشتقت من كنية هذا العربي الفاتح الذي دفن في المنطقة، حيث كني بأبي مسعدة، وهناك رواية أخرى ترجع التسمية إلى اسم امرأة عجوز كريمة كانت تقطن المنطقة قديما تدعى : أم السعد و قيل أيضا إن كثرة اللهج بنعمتها وسعدها من الزائرين والوافدين إليها منذ القديم من التجار وذوي الحاجات أعطاهما هذا الاسم: مسعد و لله در الشاعر الذي أنشد فيها شعرا فقال :

رقيت من زمن الأسماء مرتبة أم السعادة نعم الاسم واللقب

في هذه المنطقة توجد تركيبة بشرية كبيرة من الفرق المترابطة فيما بينها إذ غالبيتها العظمى من ذرية وأولاد سيدي محمد نائل بن عبد الله الخرشفي الشريف الحسني وكذلك قرابة المصاهرة والأهم من ذلك العيش المشترك ووحدة المصير ومن أبرز هذه الفرق الموجودة في مدينة مسعد:

01- أولاد عيسى بن يحيى بن محمد نائل(أولاد الأعور-أولاد أم الإخوة-أولاد عيفة)

02-أولاد سالم بن مليك بن محمد نائل (أولاد يحيى بن سالم – أولاد طعبة)
بالإضافة إلى فرق أخرى.

ظروف حياة السكان في البادية قديما كانت جد قاسية عبر استعمال الخيام المنسوجة من الصوف والوبر باللون الأحمر اللون المميز لخيمة أولاد سيدي نائل عن

باقي القبائل الأخرى، والمال عندهم أنعام ينتقلون بها تبعا للكلاً والماء فيضربون خيمهم حيث يتيسر رزقهم، ذلك لأن عدد السكان كان قليلاً، كما كانت أدوات العمل لديهم بدائية، وهذا ما جعلهم يمارسون حياة الرعي والترحال عبر مختلف العصور التاريخية.

وقساوة المنطقة وطبيعتها فرضت عليهم أن يغيروا نمط معيشتهم ويستقروا في المنطقة بتوزيع إقليمي معين أدى إلى تشكل القرى والبلديات، مما جعل السكان يستقروا في المناطق الجافة والأراضي التي تتوفر على مياه جوفية لممارسة النشاط الفلاحي، وهو النشاط الممارس اليوم بالمنطقة يعيش معظم سكان مسعد على الفلاحة الموسمية ورعي الأغنام يرتحلون بها صيفا وشتاء من الجنوب إلى النثل الغربي و يمارسون بالخصوص الحرف التقليدية حي تشتهر المرأة المسعدية بحياكة البرنوس والقشابية الوبري وتنتشر في مسعد دكاكين ومحال الصناعة الحرفية التقليدية المتمثلة في تطريز وخياطة الخيام والبرانيس والقشابية والجلابة والزرابي وصناعة الأحذية التقليدية و تنتشر بعض الحرف الأخرى القديمة كالحداة، والنجارة وتجارة الأعشاب والأدوية الطبية التقليدية.

في مدينة مسعد الكثير من المعالم القديمة من أبرزها المساجد العتيقة القديمة، وأقدم مسجد لهذه البلدة هو مسجد التافزة المجاور لحيها القديم والعتيق، الرحبة بالقرب من حي النواورة ويشتهر فيها أيضا جامع الرأس الذي بني في العهد الفرنسي أواخر القرن 19 .

الزوايا القرآنية المعروفة بمنطقة مسعد هي:

1- الزاوية الطاهيرية (بيت سيدي الطاهر) : والتي تأسست في سنة 1837م

2 - زاوية الشيخ سي عبد الرحمن بن سي بلخير (المدعو سي دحمان) (حديثة النشأة): وهي زاوية متفرعة عن الزاوية الأصلية الزاوية الطاهيرية، وغير بعيدة عنها تقدم للطلبة علم القرآن والفقه والتجويد، وهي عبارة عن أحواش يبني فيها الطلبة كالزاوية الأصلية. وأنشئت حديثا بعد وفاة الشيخين سي بلخير وسي بلقاسم.

3 - زاوية الشيخ سي عبد الرحمن بن الطاهر (بيت سي عبد الرحمن) .

2 - مقتطفات من رسائله الشعرية والنثرية:

تمهيد: حظيت الرسائل الشعرية باهتمام الأدباء على مرّ العصور، واحتلت حيزًا كبيرًا في إنتاجهم الأدبي، وتبادلوها مع الموظفين والأصدقاء والأحباء، وهي نوعان: رسمية وإخوانية.

ولم يكن الأدباء الجزائريون في غنى عنها، بل أنهم احتفوا بها، وكان بعضهم مكثرا في (كتابة الرسائل وبعضهم كان مقلا، وهذا بالطبع يعود إلى مزاج كل أديب ومدى علاقته الإنسانية والاجتماعية)⁽¹⁾ ومن بين هؤلاء شاعرنا المسعدي، الذي تبادل هذه المراسلات مع كثير ممن عاصروه من أعلام، وأصدقاءه من الأدباء، وأعيان، ورجال إصلاح وهما نوعان: شعرية ونثرية.

ونتيجة لندرة المادة الشعرية والنثرية للمسعدي، ارتأيت أن أقدم نماذج منهما وذلك بجمع كل ما أجده، وبقدر ما وصلت إليه يدي، وأطلقت عليه بما يعرف بالمراسلات بشقيها الشعرية والنثرية على حد سواء، واللذان هما سبيل الشاعر.

أ - الرسائل الشعرية: ومن هذه الرسائل التي تمكنت من الاهتمام إليها تمثلت في الآتي ولعل أولها هذه الرسالة التي رد فيها على شقيق شيخه "الطاهر العبيدي" حيث يقول: - ح -

[إني رقيق أحمـد]

القصيدة الأولى: قال الشيخ عبد القادر رحمه الله مجيبا الشيخ أحمد العبيدي⁽²⁾

- 1) أذِه شُموسُ أمْ ذَا بَرَقُ لَاحَا أمْ عَرَفُ مِسْكَ بِالْبَشَائِرِ فَاحَا
- 2) أمْ عَقْدُ دُرٍّ عَاقَتَهُ غَادَةٌ بِالْخَنْدَرِيسِ أَدَارَتْ الْأَقْدَا حَا⁽³⁾

(1) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (16-20م) ج2، ص196.

(2) شقيق الطاهر العبيدي، تقلا عن: تحفة السائل بباقة من تاريخ سيدي نابل، تخريج عامر بن المبروك محفوطي، ص136.

(3) الخندريس: الخمر القديم، مادة (خندرس) لسان العرب لابن منظور.

3) فسقت فأصمت كلَّ صبِّ مُدَنَّفٍ قد اشترى بالروح منها
الراحا⁽¹⁾

4) أم ذي طروس في خُدور سطورها حُورُ البلاغة تَخْلِبُ
الأرواحا⁽²⁾

5) بل ذي سُطورٍ لابن بَجْدَةَ عصره مَنْ بدرُ فضلُه بالمفاخر
لاحا⁽³⁾

6) علامة وله العلومُ علامة
7) لِمَ لا، وذا شقيقُ شيخِ العلمِ مَنْ
8) جنَّتُ القريضَ مُسائلاً عن كُنْهه
9) إني رقيقُ أحمدِ الحَبْرُ الرُّضا
10) فهتقتُ ذاك مُعدَّ بي بوصاله
11) كيفَ السَّبيلُ إلى الوصولِ لدى الذي
12) هذا لَعَمْرُ اللهِ إني مُقَصِّرُ
13) فَعَلَيْكُمْ مَنِّي سَلامٌ عَاطِرٌ
14) وانهلَّ معي مُخَدِّدًا خَدِّي و قد
15) مِنْ عَبدٍ وَدَّكُمْ عُبَيْدُ القادرِ بنِ
16) وارْتَجِي الرَّحْمَنَ يَجْمَعُ شَمْلَنَا

و هذا ولعمر الله ما أنا بأهل للقريض ومن لي بمجارة ذي الجاه الباذخ، إلا أني تظفلت على من ذا به الإغضاء عسى أن أنظم في سلك من هم لتلك الصناعة جسم وأعضاء لكن العذر سيدي لبنت ساعة لا سيما لمن هو مثلي مزجي البضاعة.

وهناك مراسلة أخرى تبادلها مع يحيى بن السعيد بن عبد السلام ذات صبغة جاهلية يتعذر على القارئ إعطاءها تسمية أخرى وفي ذلك يقول:

(1) الصب: صب إليه صبابة: رق واشتاق فهو صب وهي صبة مادة (صب)، المعجم الوسيط، ج1، ص: 514.

دنف المريض: اشتد مرضه وأشفى على الموت مادة (دنف) المعجم الوسيط، ج1، ص: 229.

(2) الطروس: الصحيفة مادة (طرس) المعجم الوسيط ج2 ص: 554.

(3) ابن بجدة عصره: العالم الشيء المنقن وأصله الدليل الهادي في الصحراء، مادة (بجد)، المعجم الوسيط، ج1، ص: 39.

(4) أقاح وأقاحي (ج)، (م) أقحوان: وهو نبت زهره أصفر أو أبيض المعجم الوسيط ج1 ص: 22. وقريب منه قول ابن الرومي:

إذا النعل شمت في المجالس مرة*** فإن له نعلا تشم وتلثم الديوان، ج3، ص: 212.

(5) نقلا عن: أمين زاوية الهامل، الشيخ دحية أبو الأنوار.

- ر -

[فجع أيها الحادي المجد]

- وقفتُ على سَفْعِ الديار الدوائِر (1) بنسج الشَّمال والدَّبَّور الدوائِر (2)
 مَرابِعَ بالرَّبيع ليلَى تحلُّها رسوما لها أجرت ربيعا مُحادري
 أنختُ بها والركبُ يحدُو حواملا أهبتُ به قفَ برهَة ثم سافر (3)
 فعُجَّ أيها الحادي المُجدُ وزَمَمنَ بذكر التي تَفدي نفوسَ العشائر (4)(5)
 ألسنُ الذي إن قلتُ قولاً أتمه وإن أدعَ للجلى أكن خير ناصر
 وإن أحجم الحيَ الجميعُ عن القرى بسطتُ لهم كفا يوَكِّف (6) المواطر (7)
 ثم يضيف قائلاً واصفا راحلته:
 أجوب متون البيد للبيد طاويا على هقلة كالقذن قوداء عاقر
 عجمجة (8) وجناء (9) يعملة لها على الأين أرقال (10) كمر الأعاصر (11)
 الأعاصر (11)

إلى آخر القصيدة والتي تربو على العشرين بيتا.

- ف -

[فلا تعجل بلومي]

- ومن مراسلاته الشعرية كذلك ما أجاب به الشيخ المدني نزيل المدينة المنورة
 ودفينها وهي من نفس البحر والروي:
 ألا فاعذر أخاك أخا اللطائف فإن القلب في أسر الكثايف
 ومن لي أن أقول الشعر أو أن أنال من العوارف والمعارف

(1) الدثور: الدروس، مادة (دثر)، لسان العرب، لابن منظور، ص: 1326، ج 16.
 (2) السفع: السود يخالطها حمرة، مادة (سفع) المعجم الوسيط ج 1 ص 434، وهذا المعنى مقبوس من قول زهير بن أبي سلمى: أثنافي سفعا في معرس
 مرجل*** ونؤيا كجزم الحوض لو يتلثم
 (3) أناخ: سار سيرا عنيقا مادة (نخا)، المعجم الوسيط، ج 2، ص: 908.
 (4) ج عجا وعجيجا: رفع صوته وصاح مادة (عج) المعجم الوسيط ج 2 ص 584. — زمزم: ترنم ودندن مادة (زمزم) المعجم الوسيط، ج 1، ص 400.
 (5) عامر بن المبروك محفوظي (تخريج وجمع)، تحفة السائل ببقاة من تاريخ سيدي نابل، مطبعة النعمان، برج الكيفان — الجزائر — ط 1 2002
 ص 131.
 (6) وكف الماء وغيره: سال وقطر قليلا قليلا، مادة (وكف) المعجم الوسيط، ج 2، ص: 1054.
 (7) المواطر جمع لم يرد في قواميس اللغة، إذ أن جمع المطر: أمطار مادة (مطر) المعجم الوسيط ج 2 ص 876.
 (8) العجمجة، من النوق: الشديدة، مادة (عجم) لسان العرب لابن منظور، ص: 2828. ج 36
 (9) وجناء: الشديدة، مادة (وجن)، المعجم الوسيط، ج 2، ص: 1015
 (10) أرقلت الدابة والناقة إرقالا: أسرعت، مادة (رقل)، لسان العرب لابن منظور، ص: 1708 ج 18.
 (11) نقلا عن: تحفة السائل ببقاة من تاريخ سيدي نابل، ص: 131-132.

لأنني بين قوم مثل رَضْوَى طِبَاعُهُمْ وَأَعْدَاءُ الظُّرَيْفِ
 فلاتعجل بلومي إن عذري
 وإني في الزمان غَدَوْتُ أَرْمَى
 عليك تحية مني بـود
 جَلِيٌّ عِنْدَ مَنْ يَدْرِي اللطيف
 بأكدار زَرَّتْ بِالْحَتْفِ جَارِفِ
 تَضَوَّعُ مِنْ رَبِّا نَجْدُ العواطف⁽¹⁾

ما قاله بمناسبة ختم الألفية: - ل -

السَّعدُ أَقبلا والسُّرورُ تكاملا
 والأقحوان تبسمت أكاممه
 فتمايلت أغصانه طرباله
 والقوم سكرى و المدامة بينهم
 شمس تراها بالكواكب لفعت
 فسما بسهم ريشه كمل يدا
 ودميم مبسمها الشهوي وروده
 إذا المتيم في هواها وليس لي
 مشبويه تحت الأضالع ناره
 هي المها وجدها أب لها
 ألفية بها القلوب تألفت
 فاسع إليها وطف بها سبعا تقز
 شدينه بدويية حضر يه
 قد صاغها بدر البهي شمس النهي
 علامة دوامة و غضنفر
 عنيت ذاك الحبر بحر العلم من
 محمد الخير بن مالك مالك
 أهدى لنا درا نفيسا نوره
 والمجد حل بالفخار مزملا
 والروض باكره الغمام وعللا
 وتصادحت أطياره وتهللا
 ومدير هذا الكأس بدر كمالا
 والزبرقان بحبها قد أعضلا
 أثار نقعا بالفؤاد وما انجلى
 ما بين بارق والعنديلب تنهلا
 صبر على وجد يذيب الكلكلا
 تذكروا إذا ما ذقت ذاك المنهلا
 وأمها أخت لها ياذا العلالا
 والقلب خامره الغرام تمايلا
 واجي العويص ولا تكن متجاهلا
 لو شامها لب الأريب تخيلا
 بثاقب يحكي السهي لا أفلا
 حاز الفضائل والفواضل أجملا
 له المزايا على الكريم وإن علا
 ورقاب أهل الفضل تشهد بالولا
 يسبى العقولا كأنه رشف الطلا⁽¹⁾.

(1) نقلا عن : تحفة السائل ببقاة من تاريخ سيدي نايل، ص:135.

ب - الرسائل النثرية: أما الرسائل النثرية فهي كثيرة كما تمت الإشارة إلى ذلك في العديد من المرات، وأما التي تمكنت من الاهتداء إليها فهي كالآتي:

1- رسالتان للمسعدي : رد في الأولى على الديسي، وجاء في بدايتها قوله: (فإن كتاب مولانا ورد على رفاة القلوب وربيع الآداب، وحياتها فأحيائها، فكان لنا أنسا وسرورا، وبعثنا ونشورا،" وهي رسالة طويلة تجاوزت أربع صفحات عبر فيها الكاتب عن إحساسه بالركود الثقافي متبرما من الحياة (في زمان قضى عليه قاضي الفكر بأنه أبو اللثام، وكهف الطغام بميله إلى كل لثيم، وزوراره عن كل كريم... على أي بين أظهر بني نائل ولم أستظهر من نائل، وبين بني سعد)⁽²⁾.

وأما الرسالة الثانية فلم يتم العثور عليها إذ أن "عمر بن قينة" قد أشار فقط إلى فحواها قائلًا (كما عبر عن رأيه في موضوع مفاضلة صاحبه بين المدينة والبادية، وقد رد عليها الديسي برسالة أطول....)⁽³⁾

2- كما أنني لم أتمكن من العثور على الرسالة التي بعث بها إلى الشيخ البشير الإبراهيمي، أما التي في حوزتي فهو رد الشيخ البشير على رسالته، وهي (بخط يد وبختم جمعية العلماء تحت رقم 337 مؤرخة في 2 رمضان 1366/20 جويلية 1947 حيث جاء فيها: (الأخ المحترم الشيخ عبد القادر بن ابراهيم ورحمة الله، فقد بلغنتي رسالتكم ففرحنا بقدمك فرحتنا برؤية وجهكم، أما ما ذكرته عن استعدادكم للانتقال حيث تعمل للعلم وللدين فقد سرنا ذلك جد السرور، وقد بلغني من جماعة الجلفة أنهم راغبون في قدموك إليهم ونحن نوافقهم عن ذلك ونحضك على القدوم إلى الجلفة وفتح دروس الوعظ والإرشاد، ونحن واثقون أنك تخدم الحركة الإصلاحية لا في الجلفة وحدها بل في كل ما يحيط بها من قرى وأعراش* بارك الله فيك وأعاننا وإياك على الخير وعليكم السلام من أخيك محمد البشير الإبراهيمي)⁽⁴⁾

(1) حفناوي بن عامر غول. حفناوي يقرأ المسعدي أو من يتذكر العلامة عبد القادر بن إبراهيم النائلي، التبيين عن الجمعية الجاحظية، العدد 31 سنة 1908 نقلا عن: الجلفة انفو: www.djelfa.info

(2) عمر بن قينة، الديسي حياته وأثاره وأدبه، ص: 40.

(3) المرجع نفسه، ص: 41.

(4) حفناوي بن عامر غول. حفناوي يقرأ المسعدي أو من يتذكر العلامة عبد القادر بن إبراهيم النائلي، التبيين عن الجمعية الجاحظية، العدد 31 سنة 1908 نقلا عن: الجلفة انفو: www.djelfa.info

3- وله رسائل مع الشيخ محمد العاصمي (1888-1951) منها ما كتبه هذا الأخير للمسعدي: (فضيلة العلامة والأخ الشيخ سيدي عبد القادر بن ابراهيم دام محبا... فقد اتصلت برسالتك الجامعة المانعة، بما وهبتم من قلم سيال، وفكر فياض، ومعلومات طافحة، بكل مختار من القول، لا فض فوك، على أن ما لمست أثره في هذه الرسالة أكد ما أفضتم فيه شفاهايا وموقفكم حسب المفاهمة الشفاهية وهذه الرسالة موقف صريح فحواه تحديكم من يرى خلافه... والملحوظة إزاء ما تحدثتم به عن مطرفات مكشوفة، إن المسألة مما يحير الفكر من جهة، مما يشاهد من إهمالها، مع إعلان المتطرفين فيها، على وضح النهار، ومهما يكن من الأمر فالمساعي مبذولة فيما يخص ما نرجو لأمثالكم، الذين يسرون في طريق المسالمة والتسامح...⁽¹⁾).

4- ومن رسائله كذلك تلك التي بعثها إلى القائمين على النادي الإسلامي بعد استقالته من التعليم في النادي في 14 أوت 1939 تحت عنوان: (نداء وإعلان إلى جماعة الإصلاح والإحسان)، وهي رسالة يقدم فيها استقالته نتيجة للخلافات القائمة وانحلال الرابطة والتباغض وفي ذلك يقول مخاطبا إياهم بلهجة صريحة لا تخلو من امتعاض.

(أيها الإخوة الكرام: أحبيكم تحية مفارق بكل أسف وامتعاض، أنه لا يعزب عن علمكم ما وصلت إليه الحالة من التخرج، من جراء الارهاقات والخلافات الناشئة عن فساد النيات واختلاف المشارب، وتباين المقاصد وتضارب الأغراض السيئة وضعف الإيمان التي أدت إلى تشتيت الكلمة، وانحلال الرابطة، والتباغض والتدابير طمعا في الأمر... إخواني تسميتم مصلحين.. فهلا بدأتم بإصلاح أنفسكم، ثم بصلاح ذات بينكم، فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا، فلن يصلح من أمركم شيء دهر الدهارير وأبدا.. أخرجوا من بينكم كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير عتل بعد ذلك زنيم، اطرودوا كل من فيه شائبة خيانة من موالاته... إفشاء السر أو سعي بين

* الأعراش: المقصود بالعرش في الجزائر، القبيلة أو الأرض التابعة لها، وربما كانت هذه الكلمة مشتقة من (عرش بالمكان) أي أقام به، نقلا عن: مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، هامش، ص: 17.
(1) حفناوي بن عامر غول. المرجع السابق. نقلا عن: الجلفة انفو: www.djelfa.info

الملاحق

أفراد الجماعة بالفساد جانبوا بالله عليكم كل من رابكم حاله أو ماله ولا تخافوا في الله لومة لائم إن كنتم تؤمنون بالله حق الأمان ولا تعتمدوا في أمركم إلا على من صلح باطنه، وحسن ظاهره، وإلا تعالوا نكبّر على جمعيتكم، أربعا تكبيرنا على الأموات فهذه نصيحة أوجبها الشرع وأوحدها الطبع...⁽¹⁾

ولعل القارئ الكريم يدرك من خلال اطلاعه على هذه الرسائل الثلاثة الأخيرة مدى تعرض المسعدي لكثير من المضايقات لمنعه من القيام برسالته النبيلة إزاء أبناء منطقته⁽²⁾

(1) حفناوي بن عامر غول. المرجع السابق. نقلا عن الجلفه انفو: www.djelfa.info

(2) ينظر الفصل الأول، ص: 71-73

تقديم الفهارس

تقديم الفهارس

تشتمل الفهارس على خمسة أصناف:

(1) فهرس القصائد

(2) فهرس الأعلام

(3) فهرس الأمم والقبائل والفرق (بما في ذلك الأعراش)

(4) فهرس الأماكن والمواضع والبلدان

(5) فهرس المؤسسات الدينية والعلمية والسياسية

أولاً: فهرس القصائد (حسب المخطوط)

الصفحة	عدد الأبيات	البحر	القافية
من: 26 إلى: 29	15	المجتث	1/ ب-(قاعو)
من: 78 إلى: 82	08	الوافر	2 / ن-(صيو)
من: 32 إلى: 34	10	البسيط	3 / (بررتبي)
من: 64 إلى: 76	52	الطويل	4 / ت-(لـيدو)
من: 98 إلى: 100	10	الطويل	5 / (سـوددو)
من: 12 إلى: 14	12	الوافر	6 / و(بادي)
من: 36 إلى: 37	11	الطويل	7 / (قـبرو)
من: 56 إلى: 58	10	الطويل	8 / ف(يفتررو)
من: 102	08	الخفيف	9 / خ-(يارو)
من: 28 إلى: 30	13	الطويل	10 / (وننصرى)
من: 88 إلى: 90	06	الكامل	11 / (أنسي)
من: 46 إلى: 58	12	البسيط	12 / (أرجافو)
من: 58 إلى: 62	12	الكامل	13 / بم-(راقي)
من: 90 إلى: 92	08	مجزوء الكامل	14 / (السؤال)
من: 16 إلى: 20	14	الطويل	15 / (رئبالي)
من: 40 إلى: 44	23	البسيط	16 / (مرتحل)
من: 46 إلى: 52	25	البسيط	17 / (كالمزن)
من: 84 إلى: 86	14	الكامل	18 / ع-(ناني)
من: 22 إلى: 26	18	لخفيف	19 / الث-(ماني)

ثانياً: فهرس الأعلام

- أ -

- أبوبكر 58
- أحمد 36
- أحمد بن الحاج القاسمي 21 .
- أحمد بن الشيخ التاوتي 88
- أحمد القاسمي 23
- ابن أروى 55
- الأشموني 16

- ب -

- البشير 48
- البشير بن الحاج 46
- البطليس 19

- ج -

- جالينوس 19
- جعفر 64

- ح -

- حاتم الطائي 3 ، 55
- الحريري 16
- حسان بن ثابت 99
- حسين 31
- حشلاف 56 ، 57

- خ -

- الخليل (نجل مصطفى القاسمي) 16 ، 17 ، 19
- الخليل بن أحمد الفراهيدي 18 ، 19

- د -

- ابن داود 30

- س -

- سبحان 99
- سعاد 78 ، 86
- سيويه 19
- سيف بن ذي يزن 10

- ص -

- أبي الصقر 3
- أبي الصلت 10
- صالح بن عاشور 98

- ع -

- عبد الحميد بن عبد المجيد 63 ، 64
- ابن عبد ربه الأندلسي 10
- عبد الرحمن الديسي 63 ، 77
- ابن عمر بن حرز الله الحركاتي 12
- عبد القادر بن ابراهيم ص 63 ، 77 ، 98
- عبد القادر القاسمي 98
- علي بن الجهم ص 10

- ق -

- أبا القاسم 22 ، 24 ، 35
- أبو القاسم بن جابوري 54 ، 58
- أبو القاسم محمد بن عباد 10
- القاسمي 98

- ك -

- كليب بن وائل 54

- ل -

- لقمان 42

- م -

- محمد 16 ، 98
- محمد بن أبي القاسم الأحرش 39
- محمد بن عبد الرحمن الديسي 63،77،78
- امرؤ القيس 80
- مصطفى القاسمي 16
- المعتمد بن عباد 10

- ن -

- النعمان بن المنذر 55

- ه -

- هرمس 19
- الهاشمي 94، 96
- هند 47

• هودة بن علي 10

- ي -

• يحي بن السعيد (الباشاغا) 101

• يحي بن السعيد بن عبد السلام 10

• يزيد 64

ثالثا: فهرس الأمم والقبائل والفرق (بما في ذلك الأعراش)

— أ —

- أروبا 72
- آل بيت النبي 22
- أولاد نائل 56

— ب —

- بني حركات 13
- بني نائل 13

— ت —

- الأتراك 63

— ر —

- الروس 45

— ف —

- الإفرنج 94

— ع —

- عاد 12
- العجم 33
- عدنان 24
- العرب 33، 12

— ق —

- القبائل 13
- قريش 12
- القاسميين 36

- م -

• المسلمون 70،66

• ملوك العباسية 10

- ن -

• النصارى 88

- ي -

• اليونان 76

رابعاً: فهرس الأماكن والمواضع والبلدان.

- أ -

• الأغواط 46

- ب -

• بسكرة 90

• بغداد 10

- ج -

• الجزائر 94

• الجسر 7،10

• الجلفة 56

- ح -

• حلوان 8

- خ -

• خط الحجاز 74

- ر -

• الرصافة 10

- س -

• السدير 10

- ش -

• شاذا مهرا 7 ، 8 ، 10

- غ -

• غمدان 7 ، 10

- م -

- مسعد 12
- معسكر 94
- مهرا 8 ، 10

- ه -

- الهامل

- ي -

- اليمن 10

خامسا: فهرس المؤسسات الدينية والعلمية والسياسية.

- ح -

• حزب الترقى 70

- د -

• دار الإفتاء بالجزائر 94

- ز -

• زاوية الهامل 35

- م -

• محكمة الجلفة 56

• المسجد 18

• المجلس الجزائري 98

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

1- القرآن الكريم:رواية ورش

2- أشعار عبد القادر بن ابراهيم المسعدي النائي

ثانياً: المراجع

— ١ —

3- إبتهاال كاصد ياسر الزيدي ، علم الأصوات في كتب معاني القرآن ، دار أسامة للنشر والتوزيع - الدار العربية للنشر ، عمان - الأردن - 2005 م .

4- إبراهيم أنيس ، موسيقى الشعر ، دار القلم للطباعة والنشر ، بيروت — لبنان — ط 4 ، 1972 م .

5- إحسان عباس، فن الشعر، دار الطباعة للنشر والتوزيع، بيروت - لبنان - ط2،1953م.

6- أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر الأمة والمجتمع، تر: حنفي بن عيسى، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007 م.

7- أحمد الحوفي، الاتجاه الروحي في شعر شوقي ، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة — مصر -1967م.

8- أحمد سليم الحمصي ،المبسط الوافي في العروض والقوافي،المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، ط1،2010 م.

9- أحمد الشرباصي، موسوعة أخلاق القرآن، طبعة دار الجيل، بيروت- لبنان - ط1416هـ-1995م، ج.1

10- أحمد كشك، القافية تاج الإيقاع الشعري، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، 2004 م.

11- أحمد كمال زكي، نقد و دراسة و تطبيق، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر
القاهرة، - مصر- 1967 م.

12- أحمد محمد الشامي، و السيد حسب الله ، المعجم الموسوعي لمصطلحات المكتبات
و المعلومات ، إنجليزي عربي ، دار المريخ للنشر ، الرياض ، ط 3 ، 1988 م.

13- أحمد مريوش، الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، الجزائر
ط2، 2007 م.

14- أحمد مطلوب، دراسات بلاغية ونقدية، دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة
والإعلام، الجمهورية العراقية،(د.ت).

15- أحمد منور، الأدب العربي باللسان الفرنسي: نشأته وتطوره وقضاياها، ديوان
المطبوعات الجامعية-الجزائر(د.ت).

16- أحمد الهاشمي، جواهر الأدب، تحقيق لجنة من الجامعيين، منشورات مؤسسة
المعارف، بيروت- لبنان - ج1(د.ت).

17- أحمد هيكل، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، دار المعارف، مصر،
ط7، 1979 م.

-الأخطل:

18- الديوان — شرحه وصنف قوافيه وقدم له مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب
العلمية، بيروت — لبنان — ط 2 1414هـ — 1994م

19- الديوان — شرح وتحقيق الدكتور سوزان عكاري، دار الفكر العربي، مؤسسة
ثقافية للطباعة والنشر، ط1، 2003.

20- إسماعيل عز الدين ، الشعر المعاصر في اليمن ، الرؤية و الفن ، معهد البحوث
و الدراسات العربية ، مطبعة الجبلأوي ، القاهرة 1972 م .

21- أنيس معلوف، الحروب الصليبية كما رآها العرب، ترجمة عفيف دمشقية، دار
الفارابي، بيروت - لبنان - ط2، 1998 م.

22- أنيس المقدسي، الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، دار العلم للملايين، ط7،

23- أياد خالد الطباع ، منهج تحقيق المخطوطات، دار الفكر ، ط1/1423هـ-2003م.

- ب -

24- بيتروف، الواقعية النقدية، تر، شوكت يوسف، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1983 م.

25- البحري - الديوان - تقديم حنا الفاخوري ، دار الجيل، -بيروت، (د.ت).

26- بدر الدين ، مقدمة ديوان الناس في بلادي ، لصالح الدجين عبد الصبور ، دار الآداب ، بيروت ، 1957 م .

27- بدر الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الدماميني ، العيون الغامزة على خبايا الرامزة ، تح الحساني حسن عبد الله ، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1415 هـ 1994م

28- بيرجشتراسر، أصول نقد النصوص ونشرها الكتب محاضرات المستشرق الألماني إعداد وتقديم: الدكتور محمد حمدي البكري ، دار المريخ للنشر -الرياض-، طبعة 1402هـ/1982م.

- بشار بن برد:

29- الديوان ،قدم له وشرحه ، الدكتور صلاح الدين الهواري، دار مكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1989 م، ج2

30- الديوان ، لناشره ومقدمه وشارحه ومكملة محمد الطاهر بن عاشور، وراجع مخطوطته ووقف على ضبطه وتصحيحه، محمد شوقي أمين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة ، 1376هـ -1957م، ج3

31- الديوان ،قدم له وشرحه الدكتور صلاح الدين الهواري، دار مكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت 1989م، ج2.

32- بشار عواد معروف، ضبط النص والتعليق عليه، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، 1402هـ-1983م.

- ت -

33- تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر (د-ت).

34- التفتزاني ، مسعود بن عمر ، شرح مختصر المعاني ، منشورات دار الذخائر ، قم - إيران - 1398 هـ .

35- أبي تمام - الديوان -، تقديم وشرح الدكتور محي الدين صبحي، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ط2، 1429هـ -2008م، مج1

36- تمام حسان ،مناهج البحث في اللغة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مصر، 1990م .

- ث -

37- ثريا محي الدين شيخ العرب، الميزان الجديد في علم العروض والقافية، دار وائل للنشر والتوزيع، الأردن، 2004م .

- ج -

- جابر عصفور:

38- مفهوم الشعر دراسة في التراث النقدي العربي، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط3، 1983م .

39- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان - ط3، 1992م .

40 - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تح: أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط2، 1387هـ - 1967م، ج5.

41 - ابن الجهم - الديوان - عني بتحقيقه خليل مردم بك، لجنة التراث العربي، بيروت - لبنان ط2، (د.ت)

42- جورج غريب ، سلسلة الموسوع في الأدب العربي ، المتنبي (دراسة عامة) دار الثقافة بيروت – لبنان - (د.ت)

43- أبوجوري ، فن التشطير والتخميس في الشعر العربي، مؤسسة الرؤيا الحادة للبصريات، 1992م(د.ت.ص).

- ح -

44 - حسّان بن ثابت - الديوان - نشر عبد الرحمن البرقوقي، المطبعة الرحمانية بمصر، 1929م.

45- أبو الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في معاني الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت-لبنان، ط4، 1974م.

46- الحسين الإدريسي ، ثنائية الفن و التاريخ في شعر بن الأبار ، دفتر وحدات ، رقم 3 إعداد مصطفى الغديري، مقالات في الأدب الأندلسي والمغربي، جامعة محمد الأول، وجده - المغرب - ط1 ، 2001م.

47 - حسان حلاق، دور اليهود والقوى الولية في خلع عبد الحميد الثاني ، دار بيروت المحروسة، ط2 1993م.

48- حسني عبد الجليل يوسف ، موسيقى الشعر العربي دراسة فنية و عروضية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1989 م ، ج.1

49- حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء و سراج الأدباء، تقديم و تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط2 ، 1981 م .

50- حافظ إبراهيم - الديوان - دار العودة، بيروت - لبنان - (د.ت)

- ابن حجر العسقلاني :

51- المطالب العالية بزوائد د بن ناصر بن عبد العزيز الشثري وآخرون، دار العاصمة، دار الغيث للنشر و التوزيع، السعودية، ط9، 1141هـ -

52- فتح الباري بشرح البخاري ، تح: محمد عبد الهادي و آخريين ، دار الريان للتراث، مصر 1407 هـ - 1986م ، مسألة 538 .

53- الحمداني سالم أحمد ، مذهب الأدب الغربي ومظاهرها في الأدب العربي الحديث، مطبعة التعليم العالي، الموصل، 1409هـ - 1989م.

- حنا الفاخوري :

54- تاريخ الأدب العربي ، المطبعة البوليسية ، ط 6 ، (د.ت) .

55- المنتخبات، منشورات المكتبة البوليسية، بيروت - لبنان - ط5، 1970م..

- خ -

56- الخطيب التبريزي، كتاب الكافي في العروض والقوافي، تح: الحسّاني حسن عبد الله ، مكتبة الخانجي، القاهرة ، (د.ت)

- د -

57- درو اليزابيت ، الشعر كيف نفهمه و نتذوقه ، ترجمة محمد إبراهيم الشوش ، مؤسسة فرانكلين المساهمة للطباعة و النشر بيروت - لبنان - ، 1961 م .

- ر -

58- رمضان عبد التواب، منهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط1 ، 1406هـ-1985م.

59- رمضان كريب ، النقد الجمالي عند مصطفى ناصف ،مؤسسة قاعدة الخدمات الجديدة للطباعة، تلمسان، 2002 م .

60- ابن الرومي - الديوان - شرح الأستاذ أحمد حسن بسّج، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان - ط3، 1423 هـ - 2002م.

— ز —

61- الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح عبد العزيز مطر، مطبعة حكومة الكويت 1970 م، مج 2 .

62- زهير بن أبي سلمى - الديوان - شرحه وقدم له الأستاذ علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان - ط3، 1424هـ - 2003م

— س —

63- سماء زكي المحاسني، دراسات في المخطوطات العربية ، مكتبة الملك فهد الوطنية الرياض، 1420هـ/1999م.

64- السيد أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان - ط 4 ، 2009 م .

65- السيد السيد النشار، في المخطوطات العربية، دار الثقافة العلمية، الإسكندرية، 1997م.

66- السيد عز الدين علي، التكريريين المثير والتأثير، دار الطباعة المحمدية بالأزهر، القاهرة، ط1، 1398هـ - 1978م.

67- سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط3، 1423هـ - 2002م.

— ش —

68- شكري عياد ، موسيقى الشعر العربي ، دار المعرفة ، القاهرة ، 1965 م .

69- ابن شيخان السالمي - الديوان - طبع سنة 1997م، الموسوعة العالمية للشعر

العربي،(د.ت.ص) الموقع : www.adab.com

— ص —

70- الصادق عبد الرحمن الغرياني، تحقيق النصوص ونشرها في القديم والحديث، منشورات مجمع الفاتح للجامعات، 1989م ،ليبيا.

- 71- صالح خباشه، الروابي الحمر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،(د.ت)
- صالح خرفي:
- 72- محمد السعيد الزاهري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986 م.
- 73- الشعر الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر (د.ت).
- 74- صالح عباد، المعمرون والسياسة الفرنسية في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1984م.
- 75- صلاح الدين عبد التواب ، أدبيات الصورة الأدبية في القرآن الكريم ، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان ، ط 1 ، 1995 م.
- 76- صلاح الدين المنجد، قواعد تحقيق المخطوطات، دار الكتاب الجديد، بيروت - لبنان - ط7، 1987م.

- ط -

- 77- الطاهر التهامي ، كيف نعتبر الشابي مجددا ، الدار التونسية للنشر والتوزيع
1979 م
- 78- طرفة بن العبد - الديوان - دار صادر، بيروت،(د.ت).
- 79- طه حسين، حافظ وشوقي، دار مكتبة النهضة المصرية، القاهرة - مصر-
1933م

- ع -

- 80- عامر بن المبروك محفوطي، تحفة السائل بباقة من تاريخ سيدي نايل، مطبعة النعمان، برج الكيفان - الجزائر- ط1، 2002.
- 81- عبد الحسيب خناني ، تشطير ديوان الإمام الشافعي ، مؤسسة الأهرام للنشر ،
2014م

- 82- عبد الحميد بن باديس، تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير جمع وترتيب محمد توفيق شاهين ومحمد الصالح رمضان، دار الفكر بيروت-لبنان - ط3، 1979م
- 83- عبد الدايم صابر، التجربة الإبداعية في ضوء النقد الحديث، دراسات وقضايا، مكتبة الخانجي، مصر، ط1، 1409هـ- 1990م.
- 84- ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، تح: محمد عبد القادر شاهين ، المكتبة العصرية للطباعة و النشر ، ط 2 ، 1420 هـ ، 1999 م .
- 85- عبد الرضا علي ، موسيقى الشعر العربي قديمه و حديثه ، دراسة و تطبيق في شعر الشطرين و الشعر الحر، دار الشروق للنشر و التوزيع ، ط 1 ، 1997 م .
- 86- عبد الستار الحلوجي، المخطوطات والتراث العربي، الدار المصرية اللبنانية، ط1 ، 1422هـ/2002م.
- 87- عبد السلام بن عبد الرحيم عسيلان، تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1415هـ- 1994م.
- عبد السلام محمد هارون:
- 88- تحقيق النصوص ونشرها، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط7 ، 1418هـ/1998م.
- 89- قطوف أدبية، دراسات نقدية في التراث العربي حول تحقيق التراث، مكتبة السنة للدار السلفية لنشر العلم، ط1، 1401هـ - 1988م.
- 90- عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت- لبنان - 1951م
- 91- عبد العزيز عتيق ، الأدب العربي في الأندلس ، دار النهضة للطباعة و النشر ، بيروت ، ط 2 ، 1396 هـ 1976 م
- 92- أبي العتاهية - الديوان - دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1406هـ - 1986م.
- عبد الغني النابلسي:

- 93- الاتجاه الوجداني في الشعر المعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، 1978م.
- 94- نفحات الأزهار على نسمات الأسحار في مدح النبي المختار، شرح البديعية المزرية بالعقود الجوهريّة ، عالم الكتب ، بيروت ، مكتبة المنتبى ، القاهرة (د.ت).
- 95- العقاد عباس محمود، اللغة الشاعرة، مكتبة الأنجلو، مصر، ط1، 1960م.
- 96- عبد القادر القط ، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت – لبنان – 1978 م .
- عبد القاهر الجرجاني :
- 97- دلائل إعجاز القرآن ، تح: أبو فهر محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني، ط 3 (د.ت)
- 98- دلائل الإعجاز في علم المعاني صحح أصله محمد عبده و محمد محمود التركي الشنقيطي ، ووقف على تصحيح طبعه و علق على حواشيه محمد رشيد رضا
- 99- أسرار البلاغة في علم البيان ، تعليق محمد عبد العزيز النجار ، مطبعة محمد علي صبيح و أولاده ، القاهرة ، 1977 .
- 100- أسرار البلاغة في علم البيان ، تح: السيد محمد رشيد رضا ، بيروت، 1982 م
- 101- أسرار البلاغة، تح: هلموت رايتز ، استانبول، 1954م
- 102- عبد الله حمادي، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة ، ط2، 2007م .
- 103- عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان ، تح: المخطوطات بين الواقع و النهج الأمثل ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، 1415 هـ - 1994 م .
- عبد الله الركيبي:
- 104- قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، مطبعة الجبلاوي، 1970 م

- 105- دراسات في الشعر الجزائري الحديث، الدار القومية للطباعة والنشر، ع 178
- 106- عبد الله الطيب، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ج4، في الأغراض والأساليب، دار جامعة الخرطوم للنشر، الخرطوم-السودان- ط2، 1992 م .
- 107- عبد المجيد دياب، تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره، دار المعارف، ط2، 1993 م
- 108- عبد الهادي عبد الله عطية، ملامح التجديد في موسيقى الشعر العربي، بستان المعرفة طبع ونشر وتوزيع الكتب، كفر الدوار- الحقائق، 1422هـ - 2002م.
- عبد الملك مرتاض:
- 109- نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983م
- 110- فنون النثر الأدبي في الجزائر، 1931-1954م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م
- 111- عبد الهادي فضلي، تحقيق التراث، مكتبة العلم، جدة، ط 01، 1982م
- عز الدين إسماعيل :
- 112- الشعر العربي المعاصر قضاياها و ظواهره الفنية و المعنوية، دار العودة، بيروت ط 3 ، 1981 م .
- 113- الشعر المعاصر في اليمن، الرؤية والفن، معهد البحوث والدراسات العربية، مطبعة الجبلوي، القاهرة - مصر -1972م.
- 114- الأدب وفنونه، دار الفكر العربي، القاهرة، ط4، 1988م.
- 115- الأسس الجمالية في النقد العربي ، عرض و تفسير ومقارنة ، دار الفكر العربي ، ط 3 ، 1974 م
- 116- عفيف عبد الفتاح طيارة، مع الأنبياء في القرآن الكريم، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان - ط14، 1985م.

117- علي إبراهيم حسن، استخدام المصادر وطرق البحث في التاريخ الإسلامي العام وفي التاريخ المصري الوسيط، مكتبة النهضة المصرية لأصحابها، حسن محمد وأولاده القاهرة، ط3، 1980م

118- عمر بن قينة، الديسي حياته و آثاره و أدبه ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1979 م

119- عنتره - الديوان - منشورات دار علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان - ط3، 1432هـ - 2002 م

- غ -

120- الغمري مكارم، الرواية الروسية في القرن 19- سلسلة عالم المعرفة - ع 117 - 1981م

- ف -

121- فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي في علوم القرآن الحديث ، نقله إلى العربية محمود فهمي حجازي، وراجعته عرفة مصطفى وسعيد عبد الرحيم، إدارة الثقافة والنشر بالجامعة، 1411هـ-1991م، ج.1

122- فرحان على القضاة، القيمة الموسيقية للتكرار في شعر الصاحب بن عباد، (د.ت.ص)

123- الفرزدق - الديوان - دار بيروت للطباعة والنشر 1400هـ - 1980م مج2

الجوزي، للطبع والنشر والتوزيع ط 1، 2010م

124- فهمي سعد، وطلال مجذوب، تحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق، تأليف ودراسة وتحقيق، عالم الكتب ، بيروت- لبنان -، ط3 1413هـ-1993م.

- ق -

- أبو القاسم سعد الله :

125- تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، دار الغرب الإسلامي ، ط1، 1998م ج3،

126- دراسات في الأدب الجزائري الحديث، الدار التونسية للنشر-تونس، 1985م

127- تاريخ الجزائر الثقافي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ط3، 1983م مج.1

128- القاضي عياض بن موسى اليحصبي، الألماع إلى معرفة أصول الرواية و تقييد

السماع تح:السيد أحمد صقر،دار التراث،المكتبة العتيقة ،القاهرة -تونس، ط 1 ،

1389هـ-1970م.

129- علي القاضي عياض ، الالماع إلى معرفة أصول الرواية و تقييد السماع ، تح

السيد أحمد صقر، دار التراث ، القاهرة ، العتيقة ، تونس ، 1389 هـ ، 1970 م .

130- القاضي النعمان ،أبوفراس الحمداني، الموقف والتشكيل الجمالي،دار الثقافة

للنشر و التوزيع ، و دار التوفيق النموذجية للطبع و الجمع الآلي ، الأزهر ، 1981 م

- م -

- المتنبّي أبي الطيب:

131- الديوان - بشرح أبي البقاء العكبري، ضبطه وصححه ، ووضع فهارسه مصطفى

السقا وآخرون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان - ط.. 1431 هـ -

1432هـ /2010م ج1

132- شرح ديوان المتنبّي ، وضعه عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي بيروت-

لبنان- 1407هـ -1986م م ج1

133- شرح ديوان المتنبّي ، تأليف أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري

دار ابن الجوزي للطبع والنشر والتوزيع ، ط1، 2010م

134- محمد التونجي، المنهاج في تأليف البحوث وتحقيق المخطوطات، دار الملاح

للطباعة والنشر ، ط1، 1406هـ- 1986 م

- 135- محمد حسين عبد الله، الصورة والبناء الشعري، دار المعارف، مصر، (د.ت)
- 136- محمد زكي العشاوي، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط1، 1979م
- 137- محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م
- 138- محمد طول، البنية السردية في القصص القرآني، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، 1991م
- 139- محمد عجاج الخطيب، لمحات في المكتبة والبحث والمصادر، بيروت - لبنان - ط2، 1391هـ - 1971م.
- 140- محمد العيد آل خليفة، - الديوان - دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين امليله، الجزائر 2010م
- محمد غنيمي هلال :
- 141- دراسات و نماذج في مذاهب الشعر و نقده، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، (د.ت) .
- 142- النقد الأدبي الحديث، دار الثقافة، دار العودة، بيروت، 1973م
- 143- محمد مصايف، النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1985م
- 144- محمد مصطفى الهلالي، السلطان عبد الحميد الثاني بين الإنصاف والجحود، دار الفكر بدمشق، ط1، 1425هـ - 2004م.
- 145- محمد الهادي السنوسي الزاهري، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، إعداد وتقديم عبد الله حمادي ط2، 2007م ج1.

- محمود مصطفى :

146- الأدب العربي وتاريخه في العصر العباسي، مطبعة مصطفى البابا الحلبي وأولاده ط 2، 1356هـ - 1937م، ج 2 .

147- أهدى سبيل إلى علمي الخليل العروض و القافية ، المكتبة التجارية ، مكة المكرمة ، ط 11 ، 1972 م

148- محمد ناصر بوحجام، أثر القرآن في الشعر الجزائري الحديث ، المطبعة العربية غرداية، ط1(د-ت) ، ج.1

149- محمد ناصر ، الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية، 1925- 1975 م، دار الغرب الإسلامي ، بيروت - لبنان - ط1 ، 1985 م

150- امرئ القيس - الديوان - ضبطه وصححه الأستاذ مصطفى عبد الشافي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان - ط5، 1425هـ - 1400م .

151- مصطفى الأشرف، الجزائر : الأمة والمجتمع، ترجمة حنفي بن عيسى، دار القصة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م

152- مصطفى بيطام، الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1998م

153- مصطفى الشكعة ، فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين ، مكتبة الأنجلو المصرية (د.ت) .

154- مصطفى مصطفى السيد يوسف، صيانة المخطوطات علما وعملا ، عالم الكتب نشر وتوزيع وطباعة، القاهرة، ط2، 1422هـ - 2002م.

- مصطفى ناصف:

- 155- نظرية المعنى في النقد العربي ، دار العلم ، القاهرة - مصر - 1995 م .
- 156- الصورة الأدبية، مكتبة مصر، القاهرة ، 1985م.
- 157- مصطفى وهبة، موجز تاريخ الحروب الصليبية، مكتبة الإيمان، المنصورة للنشر والتوزيع ، ط1، 1418هـ-1997م.
- 158- مالك بن نبي ، مشكلات الحضارة الظاهرة القرآنية، تر: عبد الصبور شاهين ، تقديم: محمد عبد الله دراز، محمود محمد شاكر ، دار الفكر دمشق- سوريا- ط4 ، 1987م، إعادة 1420هـ-2000م.
- 159- منير سلطان ، الايقاع في شعر شوقي الغنائي الجملة و الخصائص ، منشأة المعارف بالاسكندرية ، جلال حزي و شركاه، (د.ت) .
- 160- مهدي فضل الله، أصول كتابة البحث وقواعد التحقيق ، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ، ط2 ، 1998م
- 161- موسى بن محمد بن الملياني الأحمدى نويوات المتوسط الكافي في علمي العروض والقوافي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط3 ، 1969م
- 162- ميرى عبودي فتوحى ، فهرسة المخطوط العربي ، منشورات وزارة الثقافة دار الرشيد و الإعلان ، بغداد ، 1980م .

- ن -

- 163- نافع عبد الفتاح صالح، الصورة في شعر بشار بن برد، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان - الأردن - 1983م
- 164- نبيل رشاد نوفل، العلاقات التصويرية بين الشعر العربي والفن الإسلامي ، توزيع منشأة المعارف، الأسكندرية ، 1933م. القاهرة، ط1، 1398هـ - 1978م.
- 165- نعيم حسن اليافي ، الشابي ، الدار التونسية للنشر و المؤسسة الوطنية للكتاب ، ط 2 ، 1985 م

166- نور سلمان، الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط1، 1981.

— ه —

167- أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، كتاب جمهرة الأمثال ، ضبطه و كتب هوامشه و نسقه الدكتور أحمد عبد السلام ، خرج أحاديثه : أبو هاجر محمد سعيد بن بسيوني ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان - ط 1 ، 1408 هـ - 1988 م ج 1 .

— و —

168- وليد ناصف، أشهر الأمثال العربية، وراء كل مثل قصة و حكاية، دار الكتاب العربي ، دمشق، ط1، 1408هـ - 1988م.

169- الوناس شعباني، تطور الشعر الجزائري منذ سنة 1945 حتى سنة 1980 ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،(د-ت).

— ي —

170- يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009م ، ج.2

171- يوسف أيوب حداد ، خليل السكاكيني حياته مواقفه و آثاره ، الاتحاد العام للكتاب و الصحفيين الفلسطينيين ، ط1 ، 1981 م

172- ابن يعيش موفق الدين أبو البقاء ، شرح الملوكي في التصريف، تح ،فخر الدين قباوة، المكتبة العربية، حلب، ط3، 1139هـ - 1973م.

173- يوسف زيدان، بدائع المخطوطات القرآنية بالإسكندرية الهيئة العلمية لمكتبة الإسكندرية ، 1417هـ - 1997م .

174- يوسف أبو العدوس ، موسيقا الشعر و علم العروض ، الأهلية للنشر و التوزيع عمان - الأردن - ط 1 ، 1999 م .

ثالثا - المعاجم:

- 175- إبراهيم مصطفى وآخرون، (تخريج) المعجم الوسيط الصادر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، اسطنبول - تركيا- (د.ت)، ج 1، 2.
- 176- أحمد محمد الشامي والسيد حسب الله، المعجم الموسوعي لمصطلحات المكتبات والمعلومات، أنجليزي عربي، دار المريخ للنشر، الرياض، ط3، 1988م.
- 177- إميل بديع يعقوب، موسوعة علوم اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان- ط1، 1427هـ - 2006م مج 1، باب الهمزة.
- 178- بطرس البستاني، محيط المحيط، بيروت، مكتبة لبنان، 1876م، ج1.
- 179- خير الدين الزركلي، أعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان - ط15، 2002م، ج 2.
- 180- دينكن ميتشل ، معجم علم الاجتماع ،ترجمة و مراجعة د.إحسان عبد المحسن دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان - ط2، 1986.
- 181- عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر ،بيروت - لبنان - ط2، 1400هـ - 1980 م
- 182- الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، توزيع مكتبة النوري ، دمشق (د.ت).
- 183- محمد شفيق وآخرون ،الموسوعة الميسرة، دار الشعب ومؤسسة فرانكلين، للطباعة والنشر (د.ت).
- 184- ابن منظور ، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، 1992م
- 185- الميلود قويسم بن الهدار، موسوعة التحقيق المتكامل ،في مناقب وقيم وتقاليد وتراث ونسب أولادسيدي نايل ، الجلفة - الجزائر - (د.ت) ، ج3 .
- 186- ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار المأمون، القاهرة (د.ت).

رابعاً - الدوريات:

- حفناوي بن عامر غول:

1- بتصرف عن مقال: حفناوي يقرأ المسعدي أو من يتذكر العلامة عبد القادر بن ابراهيم النائلي، عن الجمعية الجاحظية، ع:31، 2008م، نقلا عن الجلفة انفو/www.djelfa.info

2- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في التعليم العربي الحر بمنطقة أولاد نائل (ص:د.ت)

3- محطات في مسيرة العلامة عبد القادر نقلا عن الجلفة انفو/www.djelfa.info

4- عبد القادر بن إبراهيم يرد على مقال نشره بعض الطرقيين والموسوم بـ (بوسعاده هي أم الخبائث) نقلا عن البصائر، العدد 168، الجمعة 13 ربيع الثاني 1358هـ الموافق لـ 2 جوان 1939م ص5.

5- عبد الحميد بن باديس، بيان من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بقلم رئيس الجمعية، تحت عنوان: موقف علماء الجزائر من الإمام محمد بن عبد الوهاب، حرر بالجزائر بمركز الجمعية، نقلا عن مجلة الشهاب ج2، م10، ص:85-86، بتاريخ: 6 شوال 1352هـ الموافق لـ 22 جانفي 1934.

6- محمد شكيب الرايس، أعلام منسية.....

خامساً - رسائل جامعية:

1- محمد طول، الصورة الفنية في القصة القرآنية، أطروحة جامعية مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الأدب العربي، سنة 1413هـ - 1995م .

2- معمر حجيج، البعد الوطني والقومي والإسلامي في ديوان التراويح وأغاني الخيام لأحمد الطيب معاش، دراسة تحليلية فنية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، 1412-1413هـ - 1992-1993.

سادسا - مواقع الكترونية : عن الجلفة انفو/ www.djelfa.info

- حفناوي بن عامر غول ، :

- 1- محطات في مسيرة العلامة عبد القادر ابن إبراهيم المسعدي النائلي، بتاريخ 2010/12/12 /10:37 ، نشر بتصريف عن مقال حفناوي يقرأ المسعدي
- 2- أومن يتذكر العلامة عبد القادر بن إبراهيم النائلي، 1888(1956 بباب المقالات بمجلة التبیین عن جمعية الجاحظية، العدد 34 سنة 2008.
- 3- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في التعليم العربي الحر بمنطقة أولاد نائل، ج1 (دون ترقيم الصفحة)
- 4 - راغب السرجاني، ديوان المظالم في العصور الإسلامية، نقلا عن الشبكة الإسلامية (إسلام ويب)(islamweb.net) بتاريخ: 19.07.2012

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	أ - ز
تمهيد	10 - 28
مدخل إلى عالم المخطوطات	10
تعريف المخطوط لغة واصطلاحاً	10
تعريف التحقيق لغة واصطلاحاً	15 - 21
جهود أسلافنا في مجال التحقيق	21 - 28
أ- المقابلة بين النسخ	21
ب - إصلاح الخطأ	21 - 22
ج - علاج السقط	22 - 23
د - علاج الزيادة	23 - 24
هـ - علاج التشابه بين بعض الحروف	24
و - صنع الحواشي	24 - 25
ز - علامات الترقيم والرموز والاختصارات	25 - 26
ح - تراجم الرجال	26 - 27
ط - نسبة الشعر المجهول	27
ي - تكميل الأبيات وتخريجها	28
القسم الأول: التحقيق	
الفصل الأول: نسخ المخطوط	29 - 66
الفصل الثاني: وصف وتحقيق المخطوط	67 - 74
وصفه	68
تحقيقه	69 - 74

القسم الثاني: الدراسة

125 - 75	الفصل الأول: عصر الشاعر وحياته
78 - 77	تمهيد
87 - 79	الحياة السياسية
98 - 87	الحياة الاجتماعية
111-98	الحياة الثقافية
112	عصر الشاعر وحياته
113 - 112	مولده ونشأته
114 - 113	تعليمه
116 - 114	شيوخه
117 - 116	رحلاته
119 - 117	نشاطه
120 - 119	تلاميذه
121 - 120	مكانته العلمية وأقوال العلماء فيه
122 - 121	معاصروه
122	إجازته
124 - 122	آثاره
125-124	وفاته
167 - 126	الفصل الثاني: أشعاره وأغراضه
127	شعره
127	أغراضه
137 - 128	أولاً: التهاني
144 - 138	ثانياً: الرثاء
146 - 145	ثالثاً: المديح
148 - 147	رابعاً: الاقتضاء والاستنجاز

151 -149.....	خامسا: العتاب
155 -152.....	سادسا: الغزل
156.....	سابعا: الاعتذار
158 -157.....	ثامنا: المظلمة
162 -159.....	تاسعا: الهجاء
167 -163.....	عاشرا: التشطير
195 -168.....	الفصل الثالث: الأبعاد الشعرية
182 -169.....	أولا : البعد الديني
178 -176.....	أ- الصبر
179 -178.....	ب - نظرات للحياة والموت
182 -179.....	ج - الدعاء
187 -182.....	ثانيا : البعد الفكري
195 -187.....	ثالثا : البعد الاجتماعي
192 -190.....	أ - العلم
192.....	ب - الاقتداء بالعالم الغربي
193 -192.....	ج - البؤس الاجتماعي
194 -193.....	د - الدعوة إلى الالتفات إلى الأيتام
195 -194.....	هـ - انتقاده لبعض الصفات السلبية
281 -196.....	الفصل الرابع: الخصائص الفنية
222 -197.....	أولاً) اللغة الشعرية
203 -201.....	أ - الرؤية التقليدية
205 -203.....	ب - الرؤية الوجدانية
222 -205.....	مصادر المعجم الشعري ومحاور دلالاته الفنية
207 -205.....	أ) القرآن الكريم
208 -207.....	ب) الحديث الشريف

216 -209.....	ج (الشعر العربي.....
220 -216.....	د (الأمثال.....
222 -220.....	الأماكن والشخصيات.....
244 -223.....	ثانياً: الصورة الشعرية.....
225 -223.....	1- مفهوم الصورة لغة واصطلاحاً.....
226 -225.....	2- مفهوم الصورة عند القدامى.....
228 -226.....	3- مفهوم الصورة الفنية عند النقاد الغربيين.....
230 -228.....	4 - مفهوم الصورة عند النقاد والبلاغيين العرب المحدثين والمعاصرين.....
234 -230.....	5- وظيفة الصورة التقليدية وخصائصها.....
244 -234.....	6 - خصائص الصورة التقليدية.....
237 -234.....	أ - الوضوح والابتدال.....
241 - 237.....	ب - الاعتماد على الأدوات البلاغية القديمة.....
244 -242.....	ج - الحسية الشكلية.....
281 -245.....	ثالثاً: الإيقاع الشعري.....
246 -245.....	حقيقته.....
250 -247.....	أولاً: الأوزان الموسيقية.....
258 -250.....	ثانياً: القوافي.....
263 -259.....	أشكال القافية.....
266 -264.....	1 - التصريح والتفخيم.....
267 -266.....	2 - التدوير.....
268 -267.....	3 - الترديد.....
270 -268.....	4- التكرار وأقسامه.....
273 -270.....	1 - تكرار الحروف.....
276 -273.....	2 - تكرار الكلمات والجمل.....
277- 276.....	3 - التقسيم أو القوافي المتعددة.....

277	4 - المراجعة
278	5 - الجنس
279 - 278	6 - إعادة كلمة أو أكثر من عجز البيت
281 - 280	7 - الطباق أو المطابقة
285 - 282	الخاتمة
297-286	الملاحق
291 - 288	1- التعريف بمسقط رأس الشاعر
297 - 291	2- مقتطفات من مراسلاته الشعرية والنثرية
294 - 291	أ - الرسائل الشعرية
297 - 295	ب - الرسائل النثرية
330 - 298	تقديم الفهارس
300	1- فهرس القصائد
304 - 301	2- فهرس الأعلام
306 - 305	3- فهرس الأمم والقبائل والفرق (بما في ذلك الأعراس)
308 - 307	4 - فهرس الأماكن والمواضع والبلدان
309	5- فهرس المؤسسات الدينية والعلمية والسياسية
330 - 310	قائمة المصادر والمراجع